

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
قسم الدعوة والثقافة
الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم
أصدرت هذه الرسالة إلى محاسن
طريق الدعوة - بالجامعة الأزهرية
والجامعة لجامعة الإمام محمد بن سعود

التبشير في العالم الإسلامي أهدافه وآثاره

رسالة

مقدمة إلى كلية أصول الدين - جامعة الأزهر
للحصول على درجة العالمية الدكتوراه
في الدعوة والثقافة الإسلامية

إشراف

الأستاذ الدكتور

عبد الغفار محمد عزيز

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الدكتور

بكر زكي عوض

مدرس بقسم الدعوة بكلية أصول الدين

إعداد

محمد زين العابدين محمد التلشوي

مدرس مساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م



50100007585

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا
قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ .“

صدق الله العظيم

(سورة البقرة الآية ١٣٥)

للإهداء

أهدي هذا البحث إلى دولة المسلمين
(الأمراء والعلماء) فهم أقدركم المسلمين على
تحمل مسؤولية الزب عن أمة الإسلام
والنفاق هامة مخاطر المبشرين ومقائد هم
ليعود للمسلمين بحمدهم وحسنهم.

محمد زين العابدين محمد الطشتو

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

أشكر الله العليّ القدير الذي أعانني على تأدية هذا العمل ووفّقني
لإنجازه .

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

أما خالص تقديري

فللدكتور / عبد الفقار محمد عزيز

الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث بالرغم من
ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقه .

ولقد ألهمني برعايته منذ أن كنت معيداً بكلية الدعوة الإسلامية حتى
مصلحت على الماجستير وذلك في فترة عمارته .. لكلية الدعوة الإسلامية
ولها هو الآن يمدني بنصحه وتوجيهاته العامية لينال بحسب الدكتوراه مكانته
فجزاه الله خير الجزاء .

وإني أتوجه الى الله تعالى بالدعاء ان يسبغ عليه نوره وأن يؤيده
بنصره ليظل سيفاً ينصر الحق ، وعلماً يجهر برأى الدين .

وخالص تقديري أيضاً :

للدكتور / بكر زكي عوض

الذي تفضل مشكوراً بالإشراف المتابع على هذا البحث ، وبذل معي
جهداً كبيراً برعايته صدر وانشراح نفس ، وقد صباهي بنصحه وتوجيهاته
السديدة ، من بداية البحث حتى نهايته ، مع الإرشاد المستمر الى المراجع
اللازمة ، حتى خرج البحث على هذه الصورة ، أتأبه الله تعالى حسن
التواب وأكثر من أمثاله . إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

محمد زين العابدين محمد الطشو

المقدمه

"بسم الله الرحمن الرحيم"

الحمد لله رب العالمين ، (الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا) (١)

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل إلى عباده رسلا من البشر
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا
حكيمًا (٢)

وبعث خاتم النبيين محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فخطبهم بقوله
تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " (٣) ، وأرسله كافة للخلق أجمعين يقول الله
عز وجل " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٤) فصعد
بالحق لكل الخلق فبصرهم به من العلى وأرشدهم به من الغى وأخرج الإنسانية من
ظلماتها ، وألف القلوب بعد شتاتها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حملوا راية
الدعوة إلى الله تعالى فكانوا هداة مهدين ورضى الله عنهم أجمعين .

أما بعد ..

فإن من رحمة الله عز وجل بعباده أن أرسل رسلا صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين بالإسلام لهداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم ، وذلك لعلمه عز وجل
بخلقه ومعرفته بقصور عقولهم وتفاوتها فى إدراك ما هو محسوس فضلا عن جهلها بالغيب
فاقتضت حكمته أن يبعث فى كل أمة نذيرا يأخذ بيدها إلى النجاة فلما تهيأت الإنسانية
للكمال بعث إليها الرحمة المهداة " محمدًا صلى الله عليه وسلم " ، وخطبه الله عز وجل
بقوله : " إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " (٥)

فكان صلى الله عليه وسلم خير بشير ، وأصدق نذير ، دعا الناس إلى عبادة الواحد
الأحد الفرد الصمد بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل المعاندين بالتي هي أحسن معلنا

(١) سورة الفرقان الآية ٢

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨

(٥) سورة فاطر الآية ٢٤

أخوة كل الأنبياء ، ووحدة الدين فمن أبى هزيمة " رضى الله عنه " قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (١) .

وبالرغم من هذا السلوك الرئى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جوسهت دعوة الإسلام منذ بداية أمرها بالمشركين واليهود والنصارى ، ولقرب عهد الرسالتين بالرسالة الخاتمة وتمسك المسلمين بدينهم هدى الله عز وجل أما من أهل الملتين وخاصة النصارى للإسلام ، وظل الحال على ذلك والإسلام يفتح القلوب بسماحة أهله وعدلهم وقيامهم بواجبهم نحو دينهم إلى أن لقي محمد صلى الله عليه وسلم ربه راضيا مرضيا فقام أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين بحمل عبء الدعوة إلى الله عملا بقوله الله عز وجل " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين " (٢) - فاستعذبوا المضاعب والآلام فى سبيل نشر كلمة الله إلى عباده وسار على دربهم واقتفى أثرهم سلفنا الصالح فقاموا باتمام المهمة الملقاة على عاتقهم خير قيام ، ونشروا الإسلام فى كل الكرة الأرضية .

وجاء العصر الحاضر وقد ابتلى المسلمون فيه بقوة أعداء التوحيد وفكرهم ، وترىهم بالمسلمين الدوائر وساعدتهم تقدمهم فى مجال العلم وسبقهم فى ميادين الحياة فى أحكام قبضتهم على المسلمين ، وتملك زمام المبادرة ، وكل ذلك جعل المسلمين فى حيرة من أمرهم ، فانشغلوا عن الدعوة الإسلامية إما لنظرتهم إلى الغرب وتطلعهم إليه فى التقدم العلمى ليلحقوا بالركب ، وإما لتلقى ضربات الغرب المسيحى والشرق الملحد وكيدهم جميعا للمسلمين .

وسواء كان هذا أو ذاك فقد تسرب الوهن إلى قلوب المسلمين بينما نشط أنصار المسيحية الغربية فى نشرها من جديد ببلا د الإسلام ، بمساندة القوى الاستعمارية فى كل مكان وهذا أمر له خطورته على المسلمين والمسيحيين أيضا فالمسيحية المبشر بها رديفة للاستعمار وهى تبجح كل شىء من أجل تحقيق المهمة المكلفة بها ، ولو ناقض

(١) كتاب : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدى (رحمه الله تعالى) ج ٢ ص ٤٥ (كتاب بدء الخلق) طبع بالمطبعة اليمنية لمصطفى البابى الحلبي وأخويه بمصر ١٣٢٣ هـ .

(٢) سورة فصلت الآية ٢٣ .

تعاليم المسيح ، ولما كان مبشروا المسيحية الغربية يستغلون وسائل القوى الاستعمارية وينتهزون فرصة ضعف المسلمين فيحاولون تنصيرهم بكل الطرق ، رأيت من واجبي كشف الدور التبشيري العام لكى يتنبه المسلمون لمخاطره ويحذرون مكائده ، ويتجنبوا الوقوع فى شركه ، ثم ليقوموا بواجباتهم نحو دينهم وحماية أمهم فأقدمت على البحث مستعينا بالله ومتوكلا عليه فعنونه بالآتى :

* التبشير فى العالم الاسلامى *

- أهدافه وأهمه -

واخترت لفظ * التبشير * بدلا من لفظ * التنصير * لورود مشتقات اللفظ فى الأناجيل المعتمدة عند علماء النصارى ولتداوله بين العامة والخاصة ، واكتفيت بعبارة التبشير فى العالم الإسلامى لأن لفظ التبشير إذا أطلق فهم منه التبشير بالمسيحية لاسواها حسب المعهود من العرف كما وأن القول فى العالم الإسلامى يصرفه إلى التبشير بالمسيحية دون سواها .

وقد التزمت فى عرض الرسالة بالعنوان فلم أخرج عن إطاره أثناء البحث فبعد التصيد تعرضت لمفهوم التبشير وعلاقته بالحروب الصليبية ثم أردفت ذلك بالحديث عن أهداف التبشير بالتفصيل ولما كانت الأهداف لا تتحقق إلا بالوسائل اللازمة تحدثت عن الوسائل المتبعة من قبل المبشرين وأعاونهم والتي بواسطتها يصلون إلى أهدافهم ، ثم عكست فضلا خاصا بالمؤتمرات التبشيرية التى تم انعقادها على أيدي دعاة التبشير لوضع الخطط الماكرة لإحكام السيطرة على العالم الإسلامى فى قاعاتها يتدارسون السبل المؤدية لأغراضهم ويتكرون الوسائل للتغلب على مراكز الإشعاع العلمى والحضارى الموجودة فى بلاد الإسلام وهم يريدون أن ييطلوا مفعولها ويطفئوا نورها .

ولكى ينفذ المبشرون السهام المنوطة بهم فى جو يكفل لهم الأمان لابد لهم من ركائز ودعائم تضمن لهم الحماية وتعاونهم فى مسعاهم .

وأهم مراكز التبشير فى البلاد الإسلامية :

- ١ - المراكز التبشيرية القائمة فى بلاد الإسلام .
- ٢ - الجماعات التبشيرية المنتشرة فى جل أقطار الإسلام .
- ٣ - البابوية الساندة للتبشير فى كل بقاع الأرض على الدوام .

٤ - الصهيونية العالمية وهى ركيزة خطيرة للتبشير فى قلب البلاد الإسلامية .

وبعد ذلك شرحت آثار التبشير فى أمتنا الإسلامية مبينا ما خلفه الدور التبشيرى من ظهور النزعات الجنسية والقومية ثم ذكر نماذج حية للآثار الناتجة عن التبشير فى بعض بلدان آسيا - وإفريقيا كاشفا الستار وبينا خطورة ذلك على بلاد الإسلام والمسلمين .

ثم تعرضت لتسرب الفكر التبشيرى إلى ثقافتنا الإسلامية وأثره فى تغيير السلوك وصوغ العقول حتى ظهر فى عالم الإسلام من ينادى باحلال العامية محل اللغة العربية ومن يرى تحرير المرأة فى تقليدها للمرأة فى الغرب واختلاطها بالرجال وأنهيت الرسالة بالمواجهة وأهم النتائج . وكنت ملتزما بالأسلوب العلمى من البداية حتى النهاية .

الدوافع لاختيار هذا الموضوع :

١ - اجتماع أعداء الإسلام على حرب المسلمين عسكريا وفكريا ما مكسبهم من اسقاط دولة الخلافة الإسلامية ومازال التكتاف الاستعمارى والصهيونى والإلحادى مستمرا لمجابهة المسلمين وقد وجد الجميع فى المستشرقين والمبشرين ضالتهم المنشودة لنشر أفكار الغرب وشبهه فى بلاد الإسلام عن طريق التبشير المدعم من قبل الاستعمار بالخطط والإمكانات المادية والمعنوية .

٢ - ما أصاب الأمة الإسلامية من ضعف نتيجة للتسلط الاستعمارى الذى شل الخلايا النشيطة فى أرض الإسلام ، تلك الخلايا التى تحاول أن تعيد مجد المسلمين . كما يمكن من صنعهم على عينه ورياهم تربية غربية من مقاليد الأمور فى جل الأقطار الإسلامية ، فكانت وسائل الإعلام فى الغالب فى أيدي من صنعهم الغرب ، ورياهم على فكره بالإضافة إلى أن جلهم وجه مسار التعليم فى بلاد الإسلام وتقلد مناصب هامة ، وترتب على ذلك انتشار الأمية الدينية بصورة مخيفة فتتمكن دعاة التشليث من نشر عقيدتهم بين العامة من المسلمين والخاصة أيضا ، وساعدتهم الظروف التى خلقها وخلفها الاستعمار .

٣ - ظهور النشاط التبشيرى منذ قرن من الزمان بصورة سافرة فقد قام المبشرون بشتى الطرق ، وكافة الوسائل بدءا من المدرسة والتطبيب إلى المؤتمرات بالدعوة إلى المسيحية .

٤ - محاولة نشر المسيحية على الطريقة الغربية ، وتبعاً لطوائفها في كل من قارتي آسيا وإفريقيا ، مما جعل البعض من المسيحيين الشرقيين ينغرون من هذا اللون التبشيري ويحذرون إخوانهم من الوقوع في براثن الأفكار الغربية .

٥ - منذ خمسين عاماً والبابوية تظهر تعاونها مع الصهيونية العالمية في الوقت الذي تتحرك فيه البابوية في آسيا وإفريقيا في محاولة منها لخداع المسلمين في البلدان الفقيرة عن طريق قضاء حاجتهم وسد جوعهم لجذبهم نحو المسيحية ولوعاطفيا ، كما يحاول قادة الفاتيكان استدراج قساوسة أهل البلاد واستنفارهم ضد أوطانهم وأكثر من ذلك فهم ينصبون قساوسة جدد من المنصرين من أهل البلاد وهم يتوقعون تنصير إفريقيا وآسيا بوسائلهم في فترة وجيزة .

كل هذه الدوافع جعلتني أتحدث عن التبشير مبينا أهدافه وآثاره حتى نفيق نحن المسلمين قبل أن تغتتن الفرصة ونندم على تقصيرنا ، فليس في دعوة عيسى عليه السلام تبشير بها لغير اليهود ومع ذلك نجد أتباعه يبشرون بها كل الأمم ، ورسالة الإسلام عالمية ودعوته قائمة إلى قيام الساعة فواجبنا أن ندعو كل الناس للإسلام كما كان يفعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

خطة البحث :

لقد قسمت هذا البحث إلى :

مقدمة ، تمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

المقدمة :

عرضت فيها فكرة الرسالة والدوافع للكتابة في موضوعها ، وخطة البحث وهي

كما يلي :

التمهيد :

في الرسائل الثلاث من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير ، وأشارت فيه إلى أن الرسالة اليهودية خاصة ببنى إسرائيل ومقصورة عليهم وأن المعمول عليه في الرسالة عند اليهود موسى عليه السلام ورسالته خاصة بهم ، وذكرت أن رسالة عيسى عليه السلام خاصة ببنى إسرائيل من واقع الأناجيل وأن فكرة التبشير بها إلى الأمم من فكرة التلاميذ

بعد رفع المسيح وبعد مجمع أورشليم سنة ٥٠ ميلادية وكل الروايات التي وردت فسي الأناجيل المعتمدة عندهم تشير إلى التبشير بالمسيحية خارج نطاق اليهود أثبت عدم صحتها من واقع كتب القوم وشهادة علمائهم ، وذكرت عدم الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " وأنها رسالة دعوة إلى أن تقوم الساعة .

الباب الأول :

مفهوم التبشير وأهدافه ويحتوى على ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

" التبشير وصلته بالحروب الصليبية " وفيه وضحت مفهوم التبشير من وجهة النظر الإسلامية والمسيحية ودور بولس التبشيري وتوسيع دائرة التبشير على يديه وأنه بشر باسم الآب والابن والروح القدس مخالفا بذلك تعاليم المسيح عليه السلام الذي اعترف بأنه مجرد رسول الله الواحد الأحد وقد شاع التثليث بواسطته وبالرغم من تمسك الموحدين من أتباع عيسى بالوحدانية وقد كان يوسعهم أن يخرقوا ظلمات الوثنية ، ويزيلوا كل الحجب ليرى العامة والخاصة التوحيد نورا يتلأأ في رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام لكنهم حين اقتربوا من نهاية الشوط ، وجدوا سيف السلطان مسلطا على الرقاب وحاميا لفكرة التثليث من كل باب .

ومن وقت دخول قسطنطين في المسيحية لعصرنا الحاضر وانتهى عهد دخول الناس في المسيحية عن اقتناع إلا ما ندر وفرضت المسيحية بعصا السلطان أو بعطائه ، ولمسا كان التبشير قبل الحروب الصليبية غير منظم وعمل فردى فإن الحروب الصليبية التي حدثت بتحريك من البابوية قد أقرزت حركة تبشيرية منظمة لغزو العالم الإسلامي في الوقت الذي أدت فيه دورها فكانت حائلا منع امتداد الإسلام إلى أوروبا ، وفرصة للنصارى تمكنوا بها من القضاء على مسلمي الأندلس قضاء تاما حيث انشغل المسلمون في الشرق بالحروب الصليبية ومانتج عنها فلم يتمكنوا من مناصرة إخوانهم في بلاد الأندلس .

الفصل الثانى :

أهداف التبشير ووسائله .

١- أهداف التبشير :

توجد صلة قوية بين التبشير والاستعمار ولذا نلتقى أهداف التبشير مع أهداف

الاستعمار فيما يلى :

- ١ - القضاء على وحدة المسلمين وظهر ذلك واضحا في مجال القول كما حدث مسـن تصريحات لزعما التبشير ، وفي مجال العمل فقد أثاروا الخلاف بين العرب والترك وتم مرادهم بالقضاء على دولة الخلافة .
- ٢ - هدف سياسي : وهو خدمة السياسة الاستعمارية بدعوى أن دول الاستعمار تعمل على رقي بلاد المسلمين وتقدمها .
- ٣ - محاولة تشويه الإسلام بالطمع في القرآن الكريم والافتراء على النبي عليه الصلاة والسلام .
- ٤ - إفساد أخلاق المسلمين وذلك بإثارة الاتجاه الغريزي في نفوس المسلمين وهي حرب معلنة صباح مساء ، فهم يرون أنهم استردوا الأندلس من هذا الطريق .
- ٥ - اصطناع العداء بين النصرانية والإسلام ، فقد اصطنعوا العداء بين رسالة عيسى ورسالة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ولقبوه بالعداء بين الشرق والغرب مع العلم بأن الدين عند الله الإسلام وكل رسول جاء به إلى قومه ، ورسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انبثقتا من الشرق فلاداعي لهذا القول ، واتبعاع محمد عليه الصلاة والسلام لايعادون اتباع المسيح الحقيقيين .
- ٦ - احتواء حكام المسلمين بالإلتفاف حولهم : وهذا الهدف يسعى إليه الاستعمار ويدفع المبشرين لتحقيقه عن طريق التعلم ، أو التطبيب أو غير ذلك من الوسائل .
- ٧ - محاولة الاستيلاء على بيت المقدس : فقد أراد الغرب أن يستولي على بيت المقدس وطرقه الاستعمارية مكن اليهودية من السيطرة عليه ، وهو يغآزرها ليظل بيت المقدس في حوزتها متناسيا أن به معالم الإسلام ومقدسات المسيحية وأن المسلمين حافظوا عليه عدة قرون واحترموا مشاعر غيرهم من اليهود والنصارى .

ب- وسائل التبشير :

لتحقيق هذه الأهداف استخدم المبشرون هذه الوسائل :

التعليم ، والتطبيب ، ووسائل الإعلام (من صحافة ، وإذاعة ، ودور النشر) ، والمخيمات الكشفية ، والمسكرات ، والجمعيات التبشيرية والخيرية التابعة للتبشير ، ثم الملاجئ ، والكتب والرسائل ، والمؤتمرات التبشيرية .

وقد استخدموا كل وسيلة من هذه الوسائل بطريق تمكسهم من تحقيق أهدافهم فالمدرسة يقام حولها سور ، وبعد فترة تبني بجوارها الكنيسة فيجد الطالب نفسه أمام المبشر مباشرة بل حوله التبشير من كل جانب كما يتم التأثير على المريض وتحبيبه في المسيحية من خلال علاجه واستغلال حاجته ومرضه .

الفصل الثالث :

نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها وتناولت مراحل المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الأولى : وفيها اتخذت المؤتمرات وسيلة لنشر المسيحية وبث أفكار الاستعمار وفتحت باب التقارب بين الطوائف المسيحية .

وفي المرحلة الثانية : تم انشاء مجالس التبشير وبواسطتها نشط التبشير في آسيا وإفريقيا .

وفي المرحلة الثالثة : تم دمج مجالس التبشير مع اتحاد الكنائس وكان الناتج هو " مجلس الكنائس العالمي " .

وبعد ذلك ذكرت نموذجاً من المؤتمرات التبشيرية ذكرا الدوافع الأساسية لانعقاد هذه المؤتمرات وهى :

- ١ - المواجهة الفورية لليقظة الإسلامية .
- ٢ - احكام السيطرة على بلاد الشرق المسلم لاستغلال خيراته .
- ٣ - نشر المسيحية في بلاد الإسلام .
- ٤ - زرع الكنائس في كافة أقطار الإسلام .

وذكرت مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م كنموذج يوضح وسائل التبشير مع الإشارة إلى المباحث التى نوقشت فيه ثم مؤتمر أدنبرج سنة ١٩١٠م ، والغاية من عقد هذا المؤتمر كما أعلن أحد قادته هى البحث فى مسائل العالم الخارج عن النصرانية ، ثم مؤتمر لكنو بالهند سنة ١٩١١م ، مع ذكر برنامج المؤتمر ، ونماذج للتقارير حيث تناولت التقارير مكة ، والأزهر الشريف بمصر ، والدعوة المهدية وقرر أعضاء المؤتمر انشاء مدرسة بمصر تنافس الأزهر ثم أشرت إلى المؤتمر الأفخارستى سنة ١٩٣١م الذى عقد فى مدينة قرطاجنة (قرب تونس) وقد حدث فيه ماثير مشاعر المسلمين وذكرت مؤتمر لوزان لتنصير العالم عام ١٩٢٤م ثم

مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين ، وفي نهاية المطاف جاءوا بفكرة التقارب الإسلامي المسيحي وهم يستخدمونها وسيلة لنشر المسيحية بعد تنويم المسلمين .

الباب الثانى :

" ركائز التبشير " ويتكون هذا الباب من أربعة فصول :

الفصل الاول :

المراكز التبشيرية فى العالم الإسلامى

وبينت فى هذا الفصل أن المبشرين سلكوا طريقين لصنع مراكز ثابتة فى بلاد الإسلام يعتمدون عليها فى القيام بأعمالهم التنصيرية .

الطريق الأول : إنشاء مؤسسات ثابتة لهم فى الأقطار الإسلامية :

وفى مقدمة المؤسسات التنصيرية الكنيسة ثم المؤسسات الأخرى التى تقدم خدمات ملموسة وتضطر إليها الجماهير كالمدرسة والمستشفى ، ولكل إرسالية مركز خاص فى البلد الموجهة فيه فللإرسالية الإنجليزىة مركز ، وللأمريكية مركز وهكذا ، وهذه المراكز يتجه إليها المسيحيون طلبا للإرشاد والمعونة كما أنها تمد المبشرين بما يلزمهم من احتياجات ومعلومات للقيام بمهامهم التبشيرية .

وكل إرسالية لها مؤسساتها الخاصة بها ، وقد اقتضى الحديث عن الكنيسة - كمؤسسة مسيحية - بيان أصلها والعهود التى مرت بها والعاملين فيها وأدوارهم التبشيرية والقيادية ثم الرابطة بين الجامع والكنائس ، وذكر إرساليات التبشير التابعة للكنيسة الإنجيلية مع إعطاء صورة عن الجهاز الكنسى والجهات العليا الموجهة للكنائس فى العالم الإسلامى .

الطريق الثانى : إنشاء مراكز خاصة بالتبشير لتخريج القسس والمبشرين :

ومن المراكز المنشأة فى بلاد الإسلام ، مركز تدريب المبشرين بإفريقيا - والمقام بمصر بكونستينا (طره) ، ومن مراكز تدريب المبشرين بآسيا ، والمقامة " بإندونيسيا " مركز لتدريب المبشرين فى " لاونج " شرقى جاوا ، ومركز إعداد القسس فى " سوارايا " فى جاوا وبعد ذلك ذكرت بعض النماذج لمحاولات الأقليات المسيحية شد انتباه المسلمين إلى النصرانية

ومنها ما حدث في مصر من ادعاء ظهور العذراء ، ونبأ العثور على رفات النبي يحيى عليه الصلاة والسلام .

الفصل الثاني :

الجماعات التبشيرية ودورها في نشر المسيحية .

وفي هذا الفصل أشرت إلى البداية للجماعات التبشيرية وثوغلها في بلاد المسلمين ودورها التبشيري ثم رتبها مع ذكر دور كل منها في نشر المسيحية وخاصة في البلاد الإسلامية .

- ١ - الآباء البندكتيون .
- ٢ - الآباء الفرنسيسكانيون .
- ٣ - الدومينيكان .
- ٤ - الآباء الكبوشيون .
- ٥ - الآباء الكرمليون .
- ٦ - الجزويت .

وكل جماعة من هذه الجماعات قامت بدور في نشر المسيحية فبنت المدارس ، وأنشأت المطابع ، وأصدرت المجلات ، وغير ذلك لاستخدامها في الدور التبشيري ، ولهذه الجماعات أيضا دور في ظهور الحركة المرسلية الحديثة .

الفصل الثالث :

البابوية ودورها في التبشير وحماية البشرين .

البابوية ركيزة هامة للتبشير في العالم أجمع وكان لها دور في القرون الوسطى ثم في عصر النهضة ثم بعد القرن الثامن عشر وقد تعرضت للحديث عنه بإيجاز وبينت أنه منذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية للقضاء على المسلمين في الأندلس .

وبهذه الصورة أوجدت نوعا من التعصب البغيض بتحريضها لملوك النصارى لمحاربة المسلمين كما أنها قدمت العون والرعاية للبشرين ، ولذا يطلق المسيحيون على البابا (أنوسنت الثالث) ١١٩٨م أبو التبشير ، وقد قام البابا " بيوس السابع " ١٧٤٣م - ١٨٠٠م " بإحياء جمعية اليسوعيين وأعاد إنشاء جمعية الرسالات في الخارج .

وللفاتيكان نشاط واضح في تدعيم الكنائس وتوحيدها من أجل نشر المسيحية وقد ظهر هذا في المجمع الفاتيكاني الأول كما ظهر التعاون والتعاطف مع اليهود في المجمع الفاتيكاني الثاني ، وقد قامت البابوية في السنوات الأخيرة بتحركات واسعة النطاق في كل من آسيا وإفريقيا وخاصة في عهد البابا يوحنا بولس الثاني .

الفصل الرابع :

مساندة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودي المسيحي ضد المسلمين .

وفي هذا كشفت الستار عن علاقة الصهاينة بالنصارى موضحا أنها علاقة منافع ذاتية وأن اليهود يضررون الشر لأتباع عيسى عليه السلام كما يضررونه للإنسانية جمعاء ، لكن القيادة المسيحية أملا منها في المساندة اليهودية للحركة التبشيرية تعاونت مع الزعماء الصهاينة وفي مقابل ذلك تسعى الصهيونية لتوجيه دفعة الفاتيكان حسب إرادتها وقد تحقق هذا بالفعل .

الباب الثالث :

آثار التبشير في العالم الإسلامي .

الفصل الأول :

ظهور النزعات الجنسية والقومية .

فقد ظهرت النزعات الجنسية من جديد في أرض الإسلام على أيدي المبشرين والمستشرقين بعد أن أمانتها الإسلام ، وكان من بدايات التشيع الشعبي ما حدث من الحبر اليهودي " عبد الله بن سبأ " في إيجاد هذا اللون من التشيع وقد أطلت الشعوبية برأسها في العهد العباسي إلا أن أمراء المسلمين وعلماءهم وقفوا بالمرصاد لدعاتها وشلوا حركتهم .

وجاء أعداء المسلمين في العصر الحاضر إلى أمة الإسلام بشعوبية حديثة تفرق الأمة الواحدة وتقسّمها إلى دويلات وتصنف جماعتها الإسلامية المحترمة بالإسلام إلى أصناف بالية تعود إلى عصور ماضية ، محا الإسلام بنوره كل أثر مظلم لها لكن المستشرقين والمبشرين يريدون بعثها من جديد فصر فرعونية ، ولبنان فينيقية ، وإيران فارسية ، وبلاد المغرب بربرية .

وفتحوا أبواب الطائفية ، والفرق الدينية على مصراعيه بإثارة الخلاف بين السنة والشيعة وإشاعة اضطهاد الأقليات المسيحية المقيمة ببلاد الإسلام وقد تحرك المبشرون من منطق فكرى معاد للمسلمين ، وساروا فى ركب الاستعمار الذى زرع الشعوبية اليهودية فى أرض الإسلام فى فلسطين ، وكملت ارسالياته الدور فى نشر كل مايفكك المسلمين فقد أفسحت فرنسا المجال للبعثات التبشيرية لتنصير البربر ، وبث دعاية أن البربر شعب مستقل وأن العرب غزاة دخلاء على هذا الشعب .

ثم تحدثت عن ظهور القومية : وذكرت أن المبشرين اتخذوا من الدعوة القومية ذريعة لتقسيم الأمة الإسلامية فظاهر الدعوة جمع الصفوف العربية لكنها فى واقع الأمر سلخ للأمة العربية من الأمة الإسلامية ، وهذا ماحدث فقد انشطرت دولة الخلافة إلى قومية طورانية ، وقومية عربية .

ونادى بالقومية الطورانية اتباع الفكر التبشيري الغربى ومن تربو فى مدارس التبشيرية من أمثال ضياء كوك ألب (١٨٧٥ أو ١٨٧٦ - ١٩٢٤م) ومصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ - ١٩٣٨م) وعصمت اينونو (١٨٨٤ - ١٩٧٣م) وغيرهم كل هؤلاء نادوا بالقومية الطورانية وأعلنوا اسم (تركيا) بدلا من دولة الخلافة المسماة " بالدولة العلية العثمانية " وقلدوا الغرب فى الشكليات ، وانسلخوا من تعاليم الإسلام كما ظل دعاة القومية العربية ومعظمهم من النصارى ومن يسير فى فلكهم ينفخون فى بوق القومية العربية حتى انقسمت الأمة العربية إلى دويلات ، وتمكن الاستعمار مع الصهيونية العالمية من اقتطاع جزء عزيز من أرض الأمة الإسلامية ، وتسليمه هدية لليهود ، وهذه شريرة من شمار الدعوات القومية .

وزاد تفكك الأمة الإسلامية بإثارة النعرات الطائفية والخلافات الدينية بين السنة والشيعة ، وبين الأكراد والعرب .

الفصل الثانى :

نماذج من آثار التبشير فى بلاد الإسلام .

وذكرت نماذج لآثار التبشير فى بعض بلدان قارة آسيا على سبيل المثال إندونيسيا فقد تمكن المنصرون فيها من تنصير قرية مسلمة فى " بونوروبو " بشرق جاوة ، واتبعوا أخطر أسلوب فى تنصير إندونيسيا حيث يقومون ببناء قرى فى أماكن الغابات بعد اجتثاثها وإعدادها ، وبناء مدارس وكنائس مسيحية بها وجعل القرية مهيأة للسكن وجعل ادارتها

في أيدي النصارى ، ثم ينقل المسلمون من الأماكن المكتظة بالسكان إلى القرى العمرانية الجديدة فلا يجدون إلا التنصير حلاً لمشاكلهم وقضاء حوائجهم ، وتعرضت لآثار التبشير "باليزيا" و "الفلبين" وما يحدث بالهند ، ثم آثار التبشير في دول الخليج العربي ثم ذكر نماذج لآثار التبشير في إفريقيا ، واخترت من غرب إفريقيا "موريتانيا" ، "ونيجيريا" مينا آثار التبشير الخطيرة في هذه المنطقة من القارة الإسلامية مع ذكر آثاره السيئة في إفريقيا الوسطى ، وجنوب إفريقيا وما صنعه التبشير في شرق إفريقيا في كل من "كينيا" و "أثيوبيا" الحبة "السودان" ، وبصر ثم بلاد المغرب الإسلامي ملاحظاً أن الإسلام دخل إفريقيا من الشرق ، والتبشير مع التغريب جاءها من الغرب .

الفصل الثالث :

تسرب الفكر التبشيري في الثقافة الإسلامية .

فقد تسرب الفكر التبشيري إلى ثقافة الإسلام ، عن طريق المبشرين والمستشرقين وبواسطة مدارسهم ، وصحافتهم وتبعهم في ذلك من تربو في محاضن الغرب حتى وجدنا من ينادي بإحلال العامية محل اللغة العربية ومن ينادي "بسفور المرأة" على أنه نوع من التحضر ، ومن يصف السلفيين بالرجعية . وهكذا

الختامة :

وفيها تحدثت :

أولاً :

عن مواجهة الغزو التبشيري .

ثانياً :

عن أهم نتائج البحث .

تمهيد

في الرسائل الثلاث من ناحية العموم
أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير .

ويشتمل على :-

- ١ - الرسالة اليهودية من ناحية العموم أو الخصوص
وعلاقتها بالتبشير .
- ٢ - الرسالة المسيحية من ناحية العموم أو الخصوص
وعلاقتها بالتبشير .
- ٣ - الرسالة الخاتمة من ناحية العموم أو الخصوص
وعلاقتها بالتبشير .

فى الرسالات الثلاث من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

موضوع عموم الرسالة السماوية الموحى بها إلى نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو خصوصها من الموضوعات التى تحتاج إلى بيان شاف كاف ، وخصوصا فى العصر الحالى الذى كثر فيه النقاش والجدل حول الرسالات من هذه الزاوية ولـهذا أناقش هذا الموضوع باعتبار أهميته أولا وعلاقته بالتبشير ثانيا ، مع النظر فى كل رسالة على حده بعيدا عن المؤثرات حتى تكون نتيجة البحث قائمة على الحقائق العلمية المعترف بها .

أولا : الرسالة اليهودية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

بعد القراءة والاطلاع على القسم الأول من العهد القديم وهو ما يشار إليه بالأسفار الخمسة - سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر التثنية ، سفر اللاويين ، سفر العدد - لم أعث على نص يدل على التبشير باليهودية لغير أبنائها بل وجدت من الفقرات ما يؤكد قصر هذه الملة على بنى إسرائيل حين أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يذهب إلى بنى إسرائيل الذين انتقلوا إلى مصر لإنقاذهم من بطش فرعون وقومه ، ودعوتهم جميعا إلى الإيمان برسالته : (فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر ، فقال إني أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك حينئذ - تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم فإذا قالوا لى ما اسمه فمأذا أقول لهم فقال الله لموسى أهيه^(١) الذى أهيه وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى

(١) أهيه : اسم عبرى معناه " الكائن " وهذه كلمة عبرية فى حروف عبرية ويرى علماء اللاهوت أن الرب أطلقه على نفسه ، والاسم العبرى الذى يطلق عادة على الرب هو اسم " يهوه " ويترجم عادة بالسرب ويقول زكى شنودة فى توجيه العبارتين " أهيه " " يهوه " فالله حين يتحدث عن نفسه يقول ما معناه " أنا الموجود " أو " أنا الكائن " أما حين يتحدث اليهود عنه فهو يريد أن يقولوا ما معناه " هو الموجود " أو " هو الكائن " .

يراجع معنى " أهيه " فى قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ، ومن اللاهوتيين ص - ١٢٨ ط ٦ طبع بيروت ١٩٨١م بتصرف .

ويراجع فى توجيه العبارتين " أهيه " " يهوه " اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ص - ٢٩٣ ط (١) طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٢٤م .

إليكم ، وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل يَهْوَه إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دَوْرٍ قَدَوْرٍ . (١)

فقول موسى عليه السلام إله آبائكم أرسلنى إليكم وقول الله لموسى ليخبرهم أهيه أو يهوه أرسلنى إليكم وتكرار هذه العبارة بصورتها الواردة فى النص المقدس يدل على خصوصية هذه الملة بهؤلاء القوم دون سواهم من البشر ، وحين النظر فى الأسفار التاريخية وهى اثنا عشر سفرا ، وأسفار الأنبياء وعددها خمسة أسفار نرى عدم تعرضها لعموم الرسالة أو التبشير بها بين الأمم ، وتبقى أسفار الأنبياء وهى تنتمى " العهد القديم " وعددها سبعة عشر سفرا ، وفيها تلميحات تدل على نشر اليهودية بين الأمم كما أن بها من النصوص الدالة على تخصيصها ببني اسرائيل فقط ، وتتموج فقط لما يدل على نشرها خارج حدود بني اسرائيل قول إشعياء (واجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى ترشيش*) وقول ولود* (النازعين فى القوس إلى توال وياوان إلى الجزائر البعيدة التى لم تسمع خبرى ولا رأيت مجدى فيخبرون بسجدى بين الأمم) . (٢)

وفى المقابل نذكر النموذج الدال على قصر الرسالة على بني اسرائيل مسن قول حزقيال : فدخل فى روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم

(١) سفر الخروج (٣ : ١١ - ١٥) .

(*) ترشيش : اسم مدينة تونس التى بإفريقية بالرومية ، مراد الإطلاح على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (وهو مختصر معجم البلدان) تحقيق على محمد البجاوى ج ١ ص ٢٥٨ ط (١) طبع دار إحياء الكتب العربية ١٣٢٣ هـ = ١٩٥٤ م .

(*) " وقول " و " لود " قبيلتان فى إفريقية إلى جهة الجنوب من مصر و " توال " قبيلة سكنها بين البحر الأسود وبحر قزوين و " ياوان " هم سكان بلاد اليونان والجزائر البعيدة المسراد بها البعيدة عن تلك الأمم ، يراجع كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم (لنخبة من علماء اللاهوت) ج ٨ ص ٣٩٤ ، صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى طبع بيروت ١٩٧٣ م .

(٢) سفر إشعياء (٦٦ : ١٩) .

معنى وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى اسرائيل إلى أمة متعمدة ، قصد
تمردت على هم وآباؤهم عصوا على ذات هذا اليوم . (١)

ومن كثرة النصوص الدالة على لزوم رسالة اليهود بهم خاصة نزداد يقيننا
أن نصراشعيا الذى يستخلص منه تبليغ غير اليهود بمجد الله إما أن يكون من
بنات أفكار تلاميذه الذين يسجلون عنه وإما أن يكون رأى له أضافوه إلى نبوءاته
ويرجح ذلك مايقوله فى وصف اشعيا "موريس بوكاي" إنه يسود الأحداث لأن الملوك
يستشيرونه إنه نبي العظمة وإلى مؤلفاته تضاف نبوءاته التى نشرها تلاميذه حتى
القرن الثالث قبل الميلاد . (٢)

فلا يعدو الأمر أن تكون هذه فكرة طارئة خصوصا وأن صاحبها نبي من أنبياء
بنى اسرائيل الذين يقال فى شأنهم " وجميع هؤلاء من الانبياء اسرائيليون وأرسلوا
إلى بنى اسرائيل باعدا " يونس " فإنه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل إلى نينوى (٣)
وهو النبي " يونس " المذكور فى القرآن الكريم . (٤)

وليس المجال متاحا لعرض تفنيد كتب القوم وإلا فإنه يكفينا أن كثيرا من
علماء المسلمين حين تعرضوا لنقد العهد القديم اكتفوا بنقد الأسفار الخمسة وركزوا عليها

- (١) سفر حزقيال (٢ : ٢ - ٤) .
(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف
الحديثة) ص ٣٥ طبع دار المعارف ١٩٧٩ م .
(٣) نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو ، وهى قرية " يونس بن متى " عليه السلام بالموصل ، وسواد بالكوفة ناصية يقال لها نينوى منها كربلاء الذى قتل بها الحسين رضى الله عنه (معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) المجلد الخامس طبع دار صادر بيروت ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

- (٤) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام دكتور / عيسى عبد الواحد وفى ص ١٥ ط ٢ مطبعة دار السلام العرسى بالقاهرة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

لأنها أساس الشريعة عند اليهود بل والنصارى لأن عيسى عليه الصلاة والسلام لسم
يصح بنسخ التوراة وإنما صرح بأنه يريد الإصلاح .

فإذا كشف ما فيها من تضارب واختلاف واختلاق ، وظهر للجميع أنها ليست
كلها وحيا من الله فمن باب أولى بقية أسفار أنبياء بني إسرائيل .

خصوصية رسالة " موسى " عليه الصلاة والسلام :

المعول عليه عند اليهود رسالة موسى عليه الصلاة والسلام فهو رسول من الرسل
الكرام ، وهو الذى نزلت عليه التوراة بما فيها من تشريع ، فإذا ثبتت خصوصية
رسالته فمن باب أولى يكون ذلك لغيره من رسل وأنبياء بني إسرائيل ، والنبوة كما
نعلم تكليف وكل نبي مكلف حسب مقدرته ، وصاحب الهداية حكم بنجاة من لم تبلغهم
الدعوة ومن لم تأت بهم رسل وجعل لكل رسالة زمانا ومكانا وهو الذى جعل رسالة
سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " امتداد الزمان والمكان ، وحدث رسالة موسى
عليه السلام بالزمان والمكان فدائرة دعوة موسى عليه السلام بنص القرآن الكريم بسنى
إسرائيل : (وإذا قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم
فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) (١) .

ولم يتعد موسى عليه الصلاة والسلام هذه الدائرة إلى دعوة فرعون إلا بأمر ربه
حين خاطبه بقوله عز وجل (اذهب الى فرعون إنه طغى) (٢) وقتها أدرك موسى
عليه السلام عظم المهمة الملقاة على عاتقه فرجا ربه عز وجل أن يمدد بما يعينه على
هذه المهمة الشاقة (قال رب اشرح لى صدرى • ويسر لى أمري • وأحلل عقدة من
لسانى • يفهم أقولى • واجعل لى وزيراً من أهلى • هارون أخى • أشدد به أزرى • وأشركه
فى أمري) (٣) .

وفى ضوء هذه الآيات البينات يقول الإمام الألوسى : وذلك أنه عليه السلام علم
من الأمر بالذهاب إليه والتعليل بالعلة المذكورة (وهى قوله تعالى : إنه طغى) أنه

(١) سورة الصف الآية ٥ .

(٢) سورة طه الآية ٢٤ .

(٣) المرجع السابق الآيات ٢٥ - ٢٢ .

كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال مالا يحتمله إلا ذو جأش رابسط
وصدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره وأن يسهل عليه مع ذلك أمره حتى يتغلب
على الصعاب التي تواجهه بجميل الصبر ، ويتمكن من تبليغ الدعوة على أكمل وجه (١) .

وتوجه أيضا إلى ربه عز وجل طالبا أن يرزقه من فصاحة اللسان ما يفهم به المدعو
دعوته ، سائلا مساعدة أخيه هارون له ، كي يتمكن من أداء الرسالة بمعاونته ومشاركته
ولقد حقق الله تعالى سئله ، فنبهنى للباحث أن يفهم أن أمور الرسائل ليست محل
اجتهادات فهم يبلغون ما أمروا بتبليغه إلى من أرسلوا إليهم ، والله تبارك وتعالى
يقول :

(ولقد ءاتينا موسى تسع آيات بينات فسنل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني
لأظنك ياموسى مسحورا) (٢) .

فوضح أن رسالة موسى عليه السلام خاصة ببنى إسرائيل وفرعون وقومه ، وما يدل
على خصوصية الرسائل السابقة والمقدمة فى الزمان على الرسالة الخاتمة توافق رسالتين
فى فترة ما ، كما حدث مع إبراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام .

وإذا كان المعول عليه فى الاستشهاد على خصوص ملة اليهود هو القرآن الكريم
لأنه الكتاب الوحيد الذى سلم من التحريف ، فإن الأسفار الخمسة التى يطلق عليها
توراة موسى عليه الصلاة والسلام ، كما ذكرت سابقا خالية مما يدل على عمومها أو نشرها
خارج حدودها ، ولذا يقول حسنى يوسف الأطير :

ويسأل سائل : هل أباح موسى إخراج شريعته من نطاقها الإسرائيلى وحدودها العنصرية
القاصرة على نسل يعقوب إلى النطاق العالمى للأمم جميعا ؟
والنقى الجازم هو الجواب لهذا السؤال من علماء الرسائل الكتابية الثلاث (٣) ، وإذا تأكد
لنا أن رسالة اليهود ليست عامة ، ولا تحوى أوامر صريحة بالتبشير بها خارج الدائرة
الإسرائيلية فمتى ظهر التبشير بها ؟

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع الثانى للعلامة أبى الفضل شهاب
الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٢٠ هـ ج ١٦ ص ١٨١

طأطبع بيروت بلبنان بتصرف .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠١ .

(٣) عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ص ١٤ ط ١ مطبعة دار البيان
ببصر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

متى ظهر التبشير باليهودية ؟

الإجابة على السؤال المطروح تدفعنا أن نشير بإيجاز إلى أصل اليهود فهم ينتمون إلى الخليل إبراهيم عليه السلام المنتسب إلى الجنس السامي (*) ، وقد نشأ قبل الميلاد بنحو ألفي عام ، بمدينة " أور " الكلدانية ، والتي تعرف اليوم " بالعراق " ورحل إبراهيم من تلك المدينة بعد وحى الله تعالى إليه إلى أن وصل أرض " كنعان " المسماة حالياً " فلسطين " ولما وصلها وجد الكنعانيين المنتسبين إلى " كنعان بن حام " مقيمين بها ، كما أخبر الكتاب المقدس : " واجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة (١) ، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض " (١) ، ويقال إن الآمانيين حلوا هذه البقعة بين سنة ٢٢٥٠ و ٢٣٠٠ ق م . (٢)

ويطلق المؤرخون على إبراهيم وعشيرته الذين جاءوا معه إلى فلسطين اسم العبرانيين نسبة إلى عبورهم نهر الفرات (أو الأردن) في طريقهم إلى أرض كنعان (٣) وقد رزق إبراهيم عليه السلام بابنه الأول إسماعيل من زوجته هاجر ثم من الله تعالى عليه وعلى زوجته ساره بعد كبرهما بإسحاق فأنجب إسحاق يعقوب ، فولد لسه اثنا عشر ولداً من الذكور هم الأسباط من بينهم " يوسف " الذي اشتراه عزيز مصر وتربى في بيته وتبوأ منصباً كبيراً بمصر .

- (*) هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن فالج بن عابر بن شالح بن -
أرنكشاد بن سام (اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة
كتابهم المقدس ، زكي شنوده ص ٣ .
- (*) بلوطة مورة : أجمة من البلوط عند حبرون أي الخليل وكان مسكناً للآموريين فأخذه
إبراهيم عليه السلام وطنا له باتفاق معهم (السنن القويم في تفسير أسفار العهد
القديم ج ١ ص ١٢١) (تفسير سفرى التكوين والخروج) بإيجاز .
- (١) سفر التكوين (١٢ : ٦) .
- (٢) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس المجلد الأول ج ١ ص ٢٥٧ المطبعة العمومية
الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٣ م . باختصار .
- (٣) الصهيونية والاستعمار دكتور / محمود حسن صالح منس ص ٥ بدون عدد للطبعة
طبع مطبعة مخيمر بمصر ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

" وفى سنة (١٦٥٦ ق م) نزع يعقوب بأولاده إلى مصر بسبب انتشار القحط بفلسطين ، فتكاثر الإسرائيليون فى مصر إلا أنهم تعرضوا لاضطهاد فرعون انتقاماً منهم لتعاونهم مع الهكسوس غزاة مصر فتخرج بهم موسى عليه السلام إلى فلسطين^(١) وظل الشعب العبرى أسباطاً متفرقة حتى عهد النبى داود عام ١٠٠٠ ق م فوحدهم ووسع ملكهم وفتح ييوس^(٢) " القدس " التى تحول اسمها أورشليم أى مدينة السلام وخلفه ابنه سليمان (٩٦٠ - ٩٣٥ ق م) فبنى الهيكل ثم بعد موت " سليمان " عليه السلام انقسمت الدولة إلى مملكة يهوذا فى الجنوب وأورشليم " ومملكة اسرائيل فى الشمال " السامرة " واستحكم النزاع بين الملكتين ، حتى زحف " سرجون " الأشورى ملك نينوى سنة ٧٢١ ق م على المملكة الشمالية وقضى عليها ، كما استولى " نبوخذ نصر " البابلى على المملكة الجنوبية سنة ٥٨٦ ق م فهدم الهيكل^(٣) ، وأحرق أورشليم ، وأرسل ملكها ومعظم اليهود أسرى إلى بابل وهو ما يعرف بالشتات الأول .

ومنذ ذلك الحين وتفرق اليهود فى بلاد متعددة بينما تعتبر فلسطين خلت منهم تماماً إلى أن جاء " قورش " الفارس وحكم بابل سنة ٥٣٨ ق م فسمح لليهود بالرجوع إلى أورشليم أى بعد نصف قرن من الزمان تقريباً ، فلم يعد منهم إلا النزر اليسير وبعد سلسلة من حكم الفرس غزاها الاسكندر المقدونى ثم العرب الأنباط ٩٠ ق م حتى احتلها الرومان قبل القرن الأول الميلادى بقليل وصارت ولاية رومانية .

وفى سنة ٧٠ م ثار اليهود الموجودون فى فلسطين على الحكم الرومانى فأنزل بهم " تيطس " الرومانى النكال والعذاب ألواناً ، وهو ما يعرف بالشتات الثانى ومن المؤرخين

(١) المرجع السابق ص ٥ ٤ ٦ .

(٢) سميت " ييوس " أو مدينة اليبوسيين نسبة لليبوسيين وهم إحدى القبائل الفلسطينية القديمة (إسرائيل ركيزة الاستعمار بين المسلمين للدكتور حسن ظاظا ص ٧٩ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(٣) الهيكل الثانى بناء اليهود فى أورشليم عام ٥٣٦ ق م عقب عودتهم من المنفى أما الهيكل الأول فكان قد بناء سليمان ودمر حوالى عام ٥٨٦ ق م ثم بدأ " هيرودس " فى بناء الهيكل الثالث الذى دمره الرومان عند استيلائهم على أورشليم حوالى سنة ٨٠ م ، وكانت هذه الهياكل لعبادة يهوه . اليهود بين الدين والتاريخ دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بنى اسرائيل صابر عبد الرحمن طعيمة ص ٣٢٤ ط ١ طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ١٩٧٢ م .

من يعتبره الثالث ويعتبر فتوح الإسكندر بداية الشتات الثاني فيقول : أما الشتات الثاني من شتات اليهود فيتعاصر مع المرحلة الهلينية التي بعد قرنين من السيادة الفارسية تبدأ بفتوح الإسكندر وتستمر مع السلوقيين والبطالسة ثم البيزنطيين والاتجاه العام في هذا الشتات نحو الغرب في هذه المرة . (١)

على أن شتاتهم في العهد الروماني تزايد حين ادعى بركوكيا " ألي الكوكسب " في عام ١٣٦ للميلاد أنه المسيح المنتظر ، وثار في وجه الرومان وعات في فلسطين فساداً ، فجرد عليه الإمبراطور " هادريان " حملة عاتية ظلت تتعقب اليهود وتحيق بهم أنكى العذاب والدمار طوال عامين كاملين (٢) .

ولم يقتصر الأمر على هذا التنكيل بل استمر في أرض الشتات بأوربا يقول الدكتور حسن ظاظا : واضطهدتهم أوربا المسيحية في العصور الوسطى أشد الإضطهاد (٣) .

٢- فكرة التهشير اليهودي :

يلاحظ أن اليهود لم ينعموا بالراحة النسبية إلا فترة وجيزة ، وهي فترة داود ، وسليمان عليهما السلام وذلك بالنسبة للزمن الممتد من (١٦٥٦ ق.م) إلى (٥٨٦ ق.م) والقدر ١٠٧٠ سنة ، ولذا بدأت فكرة التهشير باليهودية في القرن الثامن قبل الميلاد على يد إشعيا وسرعان ما أميتت لتمسكهم بحرفية التاموس ، ولستعلائهم على غيرهم ولتشدد " حزقيال " ومن سار على دربه من زعماء اليهود ، وماترجم عن و ١٠٠ لالمسلي يشهد بما أقول : فإنه يبدو من الثابت تاريخياً أن العادات التي ينطوي عليها مشل اليهود الأعلى في القداسة الطقسية لاسيما الختان ، وقوانين الطعام ، والأسبات وتحريم الزواج من غير اليهود ، هذه العادات كانت أكبر عون على خلق شعور قوى بقومية أساسها الدين يتفرد بها اليهود عن سائر الأمم (٤) .

(١) اليهود أنثروبولوجيا الدكتور جمال حمدان ص ١٧ طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦٧م

(٢) الصهيونية بين الدين والسياسة . عبد السميع الهراوي ص ١٩٣ بدون عدد للطبعة مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م

(٣) إسرائيل ركيزة الإستعمار بين المسلمين ص ٣٩ .

(٤) تاريخ العالم نشره بالإنجليزية السيرجون ١٠ هامرتن وأشرقت وزارة التربية والتعليم على ترجمته للعربية (المجلد الثالث) (الفصل التاسع والستون - سقوط أورشليم وأهميته العالمية) ترجمة د / فؤاد أندراوس ص ٦٤١ .

وكان لقلّة عدد اليهود وشعورهم بالضعف ، وللعادات المذكورة سابقا وتسكهم بها أثر بالغ في انعزالهم عن الأمم وفي احساسهم بأنهم أمة متميزة عن بقية الأمم .

بـ- فكرة التبشير اليهودى بعد الشتات الرومانى :

قبل هذا الشتات كان الشتات المعاصر للعهد الهلينى (*) وملاحظ فيه أن اليهود لم يذوبوا فى الوثنية ، وددت نواياهم فى جذب البشرية إلى تعاليمهم يقولون :
 • السلى ما ترجمته :
 وبدأت اليهودية الآن تستوعب الأميين بدلا من أن تستوعبها الهلينية
 وظهرت حركة تبشير يهودية نشيطة جدا أثارت أشد الاهتمام وقد أعلن سنكا " أن العالم كله يندفع نحو التقاليد اليهودية " وهى مهالفة تدل على أهمية الحركة وتحدث النبوءات السلبية عن اليهود وشعورهم بأنهم مدعون " لهداية البشر الهالكين " (١) .

لكن هذه الحركة لم تحقق الأثر المرجو منها ، وإن قحت ثغرة للزواج الخفى أو المخالف للتعاليم مما كثر عدد اليهود .

أما بالنسبة لتاريخ اليهود بعد الشتات الرومانى ، وقيامهم بالتبشير فنجد الآتى :-

١- أن يهود الشتات الرومانى قد تفرقوا فى أنحاء العالم الرومانى إلى إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا حتى وصلوا إلى الراين وتركز كثير منهم فى فرانكفورت بالذات ، وقد تزايد عددهم لدرجة تلفت النظر مما يدل على أن زيادتهم كانت بطريق التحول فقد قدر عدد اليهود وقت خروجهم فى العهد الرومانى ، وشتاتهم فى أنحاء الإمبراطورية بأربعين ألفا ، وفى القرن الخامس الميلادى تراوح عددهم بين ٤ - ٧ ملايين ، ومعنى هذا أن اليهود فى فترة من شتاتهم تقدر بأربعة قرون تقريبا تضاعف عددهم وتكاثروا بين ١٠٠ - ١٨٠ مرة وكل هذا يعطى دلالة قاطعة على أن نوههم لم يكن بطريق

(*) العهد الهلينى : يبدأ بفتح الإسكندر سنة ٣٣٢ ق.م إلى زحف القيصر الرومانى " يوبى " على فلسطين واحتلالها سنة ٦٦ ق.م وهى فترة زمنية تقدر بـ ٢٦٦ سنة (يراجع : إسرائيل وكيزة الإستعمار بين المسلمين ص ٩٧ ، ٩٨) .

(١) تاريخ العالم (المجلد الثالث) ص ٦٥٩ .

التكاثر الطبيعي وإنما تم بالتبشير والتحول (١) .

فاليهود الموجودون حالياً خليط من مختلف السلالات ، وليسوا من نسل يعقوب فقط ولذا يقول " لاهورزو " إن يهود العالم الجديد هم أدنى إلى الجنس الآرى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر ، وجاء هؤلاء اليهودون من جميع الأفاق ، فمنهم - " الفلاشا " - سكان الحبشة ، ومنهم الألمان ذوو السحنة الألمانية المعينة ومنهم - " الثامل " - أى اليهود السود فى الهند ومنهم " الخزر " - من الجنس التركى ، ومن المستحيل ، أن نتصور أن اليهود ذوو الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو الكستنائى ، وذو العيون الصافية اللون الزرقاء ممن تلقاهم اليوم فى أوروبا الوسطى يمتون بصلة القرابة - وأغنى قرابة الدم - إلى إسرائيل أرض الميعاد أو يهود فلسطين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار نهـرسـر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم (٢) .

٢- أن يهود الخزر الموجودين فى شمال تركيا وجنوب روسيا خصوصاً ما بين بحر الخزر (بحر قزوين) والسواحل الشمالية للبحر الأسود حتى نهردنبير كان لهم دور فى نشر الديانة اليهودية فقد شهدت منطقة جنوب روسيا منذ القرن السابع الميلادى قيام دولة خالتر تسمى دولة الخزر وقد استمرت هذه الدولة حتى القرن الثانى عشر ولا تمتاز موقعها الجغرافى قصدها التجار المسلمون والمسيحيون واليهود ، وجرى تنافس بين أتباع الرسالات الثلاث كل يحاول نشر رسالته ، وجاء القرن الثامن الميلادى ليشهد كثرة الداخلين فى الإسلام والمسيحية من أهل الخزر ، حيث الدولة العباسية لها آمال فى دخول الخزر جميعاً فى الاسلام ، والدولة البيزنطية لها أطماع فى جذبهم إلى المسيحية ، وخشى " الخاقان " زعيم الخزر من نفوذ هاتين الدولتين وظن أنه إن اعتقد بملة أحدها خضع لنفوذها ، فاعتنق اليهودية مع أسرته وجل الطبقة الحاكمة والناس على دين ملوكهم كما يقال فكان هذا سبباً فى انتشار اليهودية بين الخزر ، يقول الدكتور / محمود حسن صالح منسى: وقد سقطت دولة الخزر على أيدي الدولة الروسية سنة ١٦٠١م وانتشر اليهود فى داخل

(١) اليهود أنثروبولوجياً د / جمال حمدان ص ٢٢ بتصرف واختصار .

(*) جاء هؤلاء اليهود إلى الحبشة هرباً من مظالم الملك بختنصر ملك " آشور وبابل " بعد خراب أورشليم وسكنوا شمال الحبشة وطلق عليهم الأقباش " الفلاشا " أى اليهود المنفيون (كتاب - حاضر الحبشة ومستقبلها رمزي تادرس ص ١١٢ بدون عدد للطبعة مطبعة مصر بالجباله - بدون تاريخ ، بتصرف)

(٢) الصهيونية العالمية وأرض الميعاد تأليف / على إمام عطيه ص ١٥١ مطابع الشعب بمصر

روسيا ، وكان اليهود الروس الذين هاجر كثير منهم إلى فلسطين في القرنين التاسع عشر والعشرين من يهود الخزر أو من الذين تهودوا على أيديهم ، وليسوا جميعا من نسل إسرائيل الذين كانوا يعيشون في فلسطين قبل الشتات الثاني ^(١) . وكان سعى اليهود لتحويل الوثنيين إلى اليهودية في منطقة جنوب روسيا ليس مجرد افتناع ديني ، وإنما لأغراض سياسية ومنافع شخصية بحثة حولها اليهود على مدار الزمن لخدمة أهدافهم العدوانية والتوسعية وإن من الواضح أن الديانة اليهودية ليس في أسفارها المعتمدة ما يدل على التبشير بها بين غير أتباعها ، إلا أن أبناءها حاولوا ترويجها بين الأمم ليعوضوا ما حاق بهم من إربادة ، جعلتهم قلة ذليلة ، كما أنهم يسمعون في القرن العشرين لضم أناس لليهودية لاحبا منهم في ذلك ، وإنما لملء الفراغ العددي ، ولوضع هؤلاء الجدد وقودا للحرب الدائرة بينهم وبين المسلمين في فلسطين ، وهذا ما سيكشف عنه بقية البحث .

التبشير باليهودية في العصر الحاضر :

تحاول الصهيونية بكافة الطرق سد العجز العددي ، لتبقى إسرائيل على أرض الواقع ، ولحمل السهام أجمع على التسليم بإسرائيل الوطن والشعب معا ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف سارت في خطين :

الأول : الهجرة :

فبالرغم من قيام الصهيونية الموجودة الآن بفلسطين على الهجرة إلا أن باب الهجرة مازال على مصراعيه وكلمة : مجلة الأمة القطرية تشهد بذلك ثم توالى الهجرات ولم تنقطع ففي عام ١٩٥٠م هاجر إلى " إسرائيل " ستون ألف يهودي من اليمن عبر جسر جوى بين عدن و " إسرائيل " ومن ثم كانت الهجرة الثانية من العراق عام ١٩٥١م عن طريق قبرص والهجرة الثالثة جاءت من شمال إفريقيا بين عامي ١٩٥٦م ، ١٩٦٢م عن طريق فرنسا وكانت ستة وسبعين ألف يهودي وتستقبل " إسرائيل " الآن الهجرة الرابعة (يهود الفلاشا) من الحبشة ^(٢) ، ويتم التخطيط السري لما يسمى بالهجرة الخامسة فقد ذكرت صحيفة لوموند الفرنسية أن محادثات دولية سرية حول مغادرة ١٥ ألف يهودي سوفيتي عبر بولندا إلى إسرائيل ^(٣) ، والبقية تأتي فالأمل مازال قائما من النيل إلى الفرات .

(١) الصهيونية والاستعمار ص - ١٠ يتصرف .

(٢) مجلة " الأمة " (السنة الخامسة - العدد ٥٤) ص ٦ (من مقال بعنوان : إسرائيل

تستقبل الهجرة الرابعة) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) أهرام " الخميس " العدد (٣٦١٦٣) ص - ١ ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م .

الثاني : الزيادة الكمية لليهود :

رأت الصهيونية أن الهجرة وحدها غير كافية ، وسوف تنفذ هجرة اليهود الفقراء وتضطر إلى سحب الأغنياء الموجودين بالدول الأوروبية ، وهم العون لها ، والمسدد المالي ووسائل الضغط المستمر على العالم الغربي لتحقيق مصالح الصهيونية على حساب الأمة الإسلامية .

لذا سلكت التبشير باليهودية طريقا لها ، بواسطة تلتهم ماتحتاجه من الرجال نتيجة لعدوانها الدائم ، وقد نوه الدكتور / محمد عبد الله إلى سلوكها هذا الطريق في مقاله : " التبشير باليهودية وسياسة التوسع الإسرائيلي " في الأسبوع الأول من شهر كانون الأول لعام ١٩٨١م عقد مجلس اتحاد المعابد العبرية الأمريكي ، وهو منظمة تتألف من (٧٣٥) معبدا يهوديا مؤتمره النصف سنوي في مدينة " بوسطن " .

وكان الموضوع الرئيسي للمؤتمر التبشير باليهودية بين غير اليهود ونتيجة للمؤتمر المذكور صادق المجلس على الخطة المقترحة للتبشير والتي قدمتها لجنة مكونة من (٢٦) عضوا كانت قد تشكلت منذ عام ١٩٧٨م ولقد ركزت الخطة على أن يجرى التبشير بين أولئك الذين ينحدرون من زواج نصف يهودي ، وبين الأمريكيين الذين لا يهتمون بدين آخر .

وقد كانت الأسباب المعلنة لهذه الخطوة التاريخية الغريبة أن اليهود فسي الماضي لم يهتموا بالتبشير بدينهم ، إلا أن ارتفاع الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم ، بالإضافة إلى عوامل أخرى أوجبت مراجعة موقف اليهود التقليدي الذي أغلق باب اليهودية أمام الآخرين (١) .

وقد لخص كاتب المقال ما أسماه بعوامل أخرى في الآتي :

الأول : انتشار الإسلام في أمريكا انتشارا قد يكون له أثره المستقبلي بحيث يصبح المسلمون إذا نظموهم أمرهم مجموعة تنافس اليهود في القارة الأمريكية .

الثاني : هو الحاجة إلى القوى البشرية المقاتلة في معركة إسرائيل مع العرب (٢) ، وأضيف إلى ما ذكره .

العامل الثالث : وهو نشر أفكار الصهاينة التي ، تخدع بواسطتها الشباب تحت دعاوى براءة ، كالحرية ، والسلام ، والمساواة فينجذب نحوها الشباب فلا يستطيع حتى يجسد

(١) مجلة الأمة (السنة الثانية - العدد العشرون) ص ١٤٠٢٠١٤ هـ = ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق ص ١٥

الحرية انطلاقاً للناحية الغريزية التي تدمر كيانه ، ويكتشف السلام سلب حقوقه بلا مقاومة منه ، ويرى المساواة فقراً حاضراً يقتسمه الناس باعدا الشعب المختار كائز الدرهم والدينار .

وبدا واضحاً أن نشر اليهودية مخطط سياسى من أجل زيادة الكم وليس له سند من الدين والدليل على ذلك لزوم اليهود للتعصب ، والانطواء البغيض الذى لستم يقارقههم .

فاليهود قد آثروا العزلة الفكرية والاجتماعية حيث يتجمعون فى أحياء خاصة من المدن تعرف عادة فى معظم أقطار أوروبا وأمريكا باسم الجيتو^(١) Ghetto وتعرف فى ألمانيا باسم حارة اليهود Judengoss وفى أسبانيا باسم جودريا Juderia وفى مصر باسم حارة اليهود ، وفى المغرب باسم الملة وفى اليمن باسم القاع قاع ، وفى تركيا يهودى محلى بينما يطلق اليهود على غيرهم من سائر الأمم اسم الجويم أى الأميين أو الأجانب ويعنى فى عرفهم الكفرة والأنجاس وهو مشتق من الكلمة العبرية (جوى) أى أمة^(٢) .

ومن منطلق النظرة اليهودية الضيقة ، نعلم أن قيامهم بالتبشير باليهودية ورغبتهم فى إدخال غير اليهود فى ملتهم لأساس له فى الدين ، ولادليل يؤيده من واقع حياتهم المتوقفة ، ويكفى أنهم لايعترفون بعمى عليه السلام وهو رسول إليهم وقد قال الشهرستانى فى وصفهم :

واليهود تدعى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة ، وهى ابتدأت بموسى وتمت به ، فلم يكن قبله من شريعته إلا حدود عقلية ، وأحكام مصلحية ولم يجيزوا النسخ أصلاً قالوا فلا يكون بعده شريعة أخرى .^(٣)

(١) اشتق اسم الجيتو من الكلمة الإيطالية السامية جورجيتو وهى اسم حارة فى مدينته البندقية خصصت لسكنى اليهود بمعزل عن غيرهم من المواطنين منذ عام ١٦٠٦م ثم حوّل الاسم إلى جيتو وأصبح يعنى اصطلاحاً حارة اليهود أو الحى اليهودى .
(الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٦١ بالهامش) .

(١) المرجع السابق

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ ومعه الملل والنحل للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨هـ ج ٣ ص ١٤ مطبعة محمد على صبيح وأولاده بسيدان الأزهر بالقاهرة بدون تاريخ .

فلا يجوز لباحث أن يسلم بعالمية اليهودية ولو مكانا فقط وإلا وقع في خطأ فادح لأنهم لم يعترفوا بشريعة قبلها ولا بعدها فكانه شاركهم الرأي في أنها الدين الوحيد وليس الأمر كذلك ، فكل القرائن تؤكد خصوصيتها زمانا ومكانا حتى أسفارها بالرغم مما اعترافها من تحريف وتغيير تشهد في جملتها بذلك .

ثانيا : الرسالة المسيحية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

علم مما سبق أن موسى عليه السلام أرسل إلى قومه خاصة ولبن أمه ربه بدعوتهم كفرعون وقومه ، وقد بيعت الرسول إلى قومه وإلى غيرهم ممن تربطه بهم صلة قررب ومجاورة كما حدث مع " شعيب " عليه السلام ، فقد أرسل إلى قومه " مدين " والمسي أصحاب الأيكة بالمجاورة ، بناء على التعليمات الربانية ، ولقد أرسل " عيسى " عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصة وهناك حقيقة لا يجب إغفالها وهي أن الراغب في الإيمان بالله ورسوله ليس من حق أحد أن يمنعه من الإيمان ، بدعوى أن الرسالة مقصورة على جنس بعينه ، وهذا ماذى المسيح عليه السلام أن ينهى على الإسرائيليين منعهم من أراد الدخول في دينهم ، بقوله : (ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة مداخلتم أنتم والداخلون منعتموهم) (١)

وهناك من المسيحيين من يفسر النص المذكور بأن الناموسيين حرفوا معانى الناموس ولا سيما معانى ما قيل في المسيح فلم ينتفعوا بعلمهم وبالتالي لم ينفدوا غيرهم (٢) فالمسيح يدعو عليهم بالهلاك من أجل فعلهم المذموم .

ولما كانت دعوة " عيسى " عليه السلام خاصة ببني إسرائيل ومع خصوصيتها لم يكن هناك مانع يحجز دخول غير الإسرائيليين فيها ، لكنها كرسالة محددة لم تحمل بسين طياتها أوامر حقيقية تنادى بالتبشير بها خارج نطاق بني إسرائيل .

دعوة المسيح عليه السلام مقصورة على اليهود بنص الأناجيل

الدارس للأناجيل يعلم يقيناً أن دعوة المسيح عليه السلام مقصورة على اليهود فقط وليست عالمية كما يزعم دعاة النصرانية ، يقول المستشار / محمد عزت اسماعيل الطهطاوى :

(١) إنجيل لوقا (١١ : ٥٢)

(٢) يراجع : الكنز الجليل في تفسير الإنجيل دكتور / وليم إدي ج ٢ ص ٢٥٥ (شرح إنجيل مرقس ولوقا) - صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى طبع بيروت ١٩٧٣ م .

وكل البشائر قبل مولده وسعده تشير إلى أن رعايته خاصة بالشعب الإسرائيلي والادلة على ذلك كثيرة منها :

١ - أنه ورد بانجيل متى إخبار من الله عزوجل أنه سيخرج من بيت لحم من يروى أمة إسرائيل : " وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر شعبى إسرائيل " (١) .

٢ - حين بشر الملاك السيدة مريم العذراء بولادة يسوع أخبرها بأنه سيملك على بيت يعقوب إلى أن يتوفاه الله تعالى " فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستجبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، هذا يكون عظيمًا وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد " (٢) .

٣ - لقد أعلن المسيح عليه السلام بعد بعثته خصوص رسالته ببني إسرائيل دون سواهم (فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) (٣) .

٤ - اختار المسيح عليه السلام اثني عشر تلميذا من بين اليهود فقط وأوصاهم أن يدينوا اليهود دون سواهم ، وسجل متى ذلك فى محاوره بين السيد المسيح وأحد تلاميذه بقوله " فأجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا فقال يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديس متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر " (٤) .

٥ - عندما أرسل المسيح عليه السلام تلاميذه المذكورين أوصاهم بدعوة بني إسرائيل فقط وحذرهم من نقل دعوته إلى الأمم والشعوب الأخرى .
وشهادة متى تثبت ذلك : (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا إلى طرسق أم لاتصوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة) (٥) .

(١) انجيل متى (٦: ٢) .

(٢) انجيل لوقا (١: ٣٠ - ٣٣) .

(٣) انجيل متى (١٥ : ٢٤) .

(٤) المرجع السابق (١٩ : ٢٧ و ٢٨) .

(٥) المرجع السابق (١٠ : ٥ و ٦) .

٦ - بين المسيح في انجيل يوحنا أنه أرسل لخاصته وهم شعب اليهودية
(إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله) (١) .

٧ - ولما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بلفظ مينا أن رسالته خاصة
بشعبها ، وأنه أراد أن يجعل من نفسه مظلة له (يا أورشليم يافاتلة الأنبياء وراجمة
الموسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فرخها تحت جناحيها
ولم تريدوا) (٢) ، (٣) .

٨ - إن عبارة تبشير الأمم (تلمذوا جميع الأمم) (٤) لم ترد عن المسيح
وقت حياته كلها التي عاشها على الأرض ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه وقتئذ ، وكونهم
زعموا أنها صدرت منه بعد القتل والصلب كما يدعون يشير إلى أنها من قبيل الرؤيا
والأحلام أو الأوهام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان كلية إلى تلك العبارة
المنسوب صدرها للمسيح عليه السلام ، ويؤكد ماقلته الآتى :

(١) أن العبارة تتضمن ألفاظ التثليث (وهى اسم الآب والابن والروح القدس) .
وهذا يناقض ماشرح به المسيح حال حياته على الأرض من توحيد لله تعالى ، وإقرار
بأن الحياة الحقيقية معرفة الوجدانية بقوله : " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك
أنت الإله الحقيقى وحدك يسوع المسيح الذى أرسلته " (٥) .

فهذا القول نفى تام للتثليث والأقانيم الثلاثة واعتراف صريح من المسيح بأنفسه
رسول الله وأن الألوهية لله وحده (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (٦) .

(ب) إن عقيدة التثليث والألوهية المسيح لم تنظر إلا فى القرن الرابع الميلادى سنة ٣٢٥م ،
وإن الألوهية الروح القدس لم تنظر إلا فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ما يقطع ببيان
هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى إنجيل متى .

(١) انجيل يوحنا (١ : ١١)

(٢) انجيل متى (٢٣ : ٣٧)

(٣) اقتبست فكرة هذه المعلومات من (كتاب : النصرانية والإسلام عالمية الإسلام
ودوامه إلى قيام الساعة للمستشار / محمد عزت اسماعيل الطمهاوى ص ٢٨٩-٢٩٢
بدون عدد للطبعة مطبعة التقدم بالقاهرة ١٩٧٧م)

(٤) يراجع انجيل متى (٢٨ من القفر ١٩) . (٥) انجيل يوحنا (١٧ : ٣) .

(٦) سورة محمد من الآية ١٩ .

(ج) إن فكرة قيام المسيح من بين الأموات بعد حادثة الصلب المزعومة ، هينة على الوهم وقد تعارضت الأنجيل وتناقضت في عرضها مما يجعلنا لانعترف بحدوثها . (١)

ويقول الشيخ رحمه الله بن خليل الرحمن : وعلم من بعض الأقوال أن قيام المسيح من الأموات أيضا باطل وقصة موته وصلبه في هذه الأنجيل المصنوعة من أكاذيب أهل التثليث . (٢)

والقرآن الكريم قوله الفصل (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) (٣) .

فالقرآن الكريم أخبر بأن المسيح عليه السلام نجا من القتل والصلب ، وكرمه الله تعالى برفعه إليه فلاستطيع يد من قومه ولا يراه أحد حقيقة إلا وقت أن يسأذن الله تعالى قرب قيام الساعة حين ينزل المسيح إلى الأرض .

التشير بالمسيحيه أمر اتفق عليه بعد المسيح عليه السلام :

لما ضيق اليهود الخناق على " عيسى " عليه السلام ، وعادوا الدعوة وصاحبها ودبروا مؤامرة دنيئة للتخلص منه ، لتودي به في النهاية حسب اعتقاد النصارى إلى خشبة الصليب ظلما وعدوانا ، كما نكلوا باتباعه المخلصين ، مما جعلهم يجدون طلبا للنجاة برقابهم فرارا من ظلم اليهود وتسلطهم الدائم فاتفق بعض حواريه وتلاميذه على الخروج بالدعوة من دائرة اليهودية إلى الأمم ليجدوا متنفسا لهم من قهر اليهود ومكرهم والوشاية بهم لدى الحكام فادعوا أن المسيح قام من قبره وخاطب التلاميذ الذين عاينوه كما يزعمون بقوله : (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعدوهم باسم الاب والابن والروح القدس) (٤) ، ويختم هذا النص بلفظ " إله واحد آمين " ويحدثنا خير بالنصرانية هداه الله تعالى للإسلام بقوله : والمدقق في النصوص الكتابية يرى إضافة هي " إليه واحد آمين " ، ويشار إليها في الحاشية بأن هذه الإضافة لم توجد أصلا في النسخ

(١) يراجع : كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) اظهر الحق - ج ١ ص ٧٤ طبع بالمطبعة الخيرية بالقاهرة بدون تاريخ بتصرف .

(٣) سورة النساء الايتان ١٥٢ ، ١٥٨ .

(٤) انجيل متى (٢٨ : ١٩) .

الأصلية القديمة ، بل وجدت في الترجمات .^(١)

ومن غير المعقول أن يأمر " المسيح " عليه السلام تلاميذه أن يبشروا باسم الأقانيس الثلاثة ، كما أنه من غير السكّن اجتماعها في شخص واحد ، وكل منها يقوم بدور معين ولنا أن نستأنس بالأنايا يوانس وهو يدل على أن الثلاثة واحد بقوله عن المسيح : قال لهم باسم الآب وليس بأسماء الآب والابن والروح القدس لأنهم إله واحد .^(٢)

ولما كان عالم اللاهوت القمص / ميخائيل مينا يشير إلى أن كل واحد من الثلاثة قائم بذاته ، وهو يعرف الأقانوم : بأنه كلمة سريانية الأصل تشير في معناها إلى كائن حسي قدير مستقل بذاته ينسب أفعاله إلى نفسه ، فقد ظهر التضارب في تفسير النص بين علماء الملة ، لكن ميخائيل مينا يردد على عقبيه ليفسر الأقانوم بما يخدم قضيّة التثليث حسب زعمهم فيظهر الحق الأبلغ ، ويسقط باطله الأعرج وذلك أثناء تدليله على أن الأقانوم الثلاثة صفات متميزة بقوله : إننا نجد كل اقنوم من هؤلاء الأقانوم الثلاثة يخاطب الآخر أو يتكلم عنه ففي أثناء الصناديق الأقانوم الأول مشيراً إلى الأقانوم الثاني قائلاً (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) .^(٣)

وفي إقامة معارضة من بين الأموات خاطب الأقانوم الثاني الأقانوم الأول بقوله (أشكرك أيها الآب لأنك سمعت لي)^(٤) ، وعندما أراد الأقانوم الثاني أن يتكلم عن الأقانوم الثالث قال (ذاك يمجّدني لأنه يأخذ مالي ويخبركم)^(٥) ، (٦) .

ولننقل قوله المرادف لهذه النصوص ، وهو كاف لنسف قضية التثليث وإن كان هو لا يريد ذلك وإنما أورد لإثباتها في ذات واحدة فقال نيافته : ومن المسلم به أن أسماء وصفات الشخص الواحد المختلفة لا يمكنها أن تتخاطب معاً ، أو تتكلم عن بعضها بعضاً بأمر مبررة كما رأينا الأقانوم الثلاثة في هذه النصوص تتكلم وتتخاطب فسبب

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية الأستاذ / إبراهيم خليل أحمد

ص ١٦ بدون عدد للطبعة ، مكتبة الوعى العرس بالفجالة بالقاهرة ١٩٧٢م .

(٢) إيماننا الأقدس (سلسلة محاضرات الصوم الأربعينى - ٢) الأنايا يوانس أسقف الغربية

ص ١١٩ بدون عدد للطبعة - طابع دار العالم العرس بالقاهرة ١٩٧٩م .

(٣) انجيل متى (٣ : من الفقرة ١٢) .

(٤) انجيل يوحنا (١١ : من الفقرة ٤١) ونصها (أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي) .

(٥) المرجع السابق (١٦ : ١٤) .

(٦) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأثوذكسية المجلد الأول ص ١٦١

ط (٥) مطبعة الأمانة بشبرا بالقاهرة ١٩٧٤م .

جوهر وحدانية الإله الواحد ^(١) ، ولما كان من غير الممكن اجتماع هؤلاء الأقانيم الثلاثة في شخص واحد ، مع أن كلا منها يقوم بدور خاص ، ويلقى أوامر للآخر ، وغير معقول أن ينادى المسيح في تلاميذه ليشرحوا الأمم باسم أقانيم ثلاثة كل له رأيه وعمله ، فلم يبق إلا اثبات أن النص لم يرد على لسان المسيح عليه السلام نتيجة لرسول كريم من هذا الخيل والخلط ، وإذا كان الاستاذ / إبراهيم خليل أحمد يرى زيادة " إله واحد آمين " للنص ، فإن المدققين من الباحثين المسيحيين يرون عدم ثبوت النص بالكامل كما سنعرف فيما يأتي .

النصوص الإنجيلية التبشيرية في الميزان :

الأنجيل التي سجلت أن المسيح أمر بنشر رسالته للأمم :

١ - متى : حيث قال على لسان المسيح " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلوهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " ^(٢) .

٢ - لوقا : الذي ذكر كلام المسيح عليه السلام للرسول " وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ، أو يقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم " ^(٣) .

٣ - مرقس : الذي أشار أن المسيح ظهر للأحد عشر تلميذا ، ووصيهم لقساوة قلوبهم وعدم إيمانهم ثم أمرهم بنشر الإنجيل في العالم (وقال لهم اذهبوا إلى كل العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) ^(٤) .

وهذا النص ضمن خواتيم إنجيل مرقس التي لأصل لها يرجع إليه بشهادة عالم مسيحي خبير بخفايا النصرانية ، أذكر ماجاء على لسانه " ولنا نستطيع الجزم بقول إن كان قد ذكر في الأصل في بشارة مرقس ، لأن البشارة ينقصها خاتمتها التي لا بد أن تكون تمزقت عرضا والآيات اثنتا عشرة الأخيرة في الترجمة العربية لا وجود لها فسي

(١) المرجع السابق .

(٢) انجيل متى (٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .

(٣) انجيل لوقا (٢٤ : ٤٦ ، ٤٧) .

(٤) انجيل مرقس (١٦ : ١٥) .

أقدم المخطوطات ، وهى قد أُضيفت فى تاريخ متأخر لتكملة القصة (١) .

فالفقرات الاثنتا عشرة من الإصحاح السادس عشر وهو الأخير من انجيل مرقس لأصل لها ، وقد نقل أحمد عبد الوهاب أن النسخة القياسية المراجعة للكتاب المقدس كانت على صواب تام فى معاملتها لهذه الأعداد من ٩ إلى ٢٠ على أنها غير شرعية ولذلك نقلتها من الأصل إلى الهامش، إن هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها الزمنى بالضبط ولكنها قبلت كجزء من انجيل مرقس حوالى عام ٨٠م ، كما أن مؤلفها غير معروف البته . (٢)

وفى شأن أواخر انجيل متى يقول أيضا أحمد عبد الوهاب: ولكن يهمنى الحديث فقط عن خاتمة التى يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه فهى تنسب للمسيح عليه الصلاة والسلام قوله لتلاميذه (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) (٣) .

والشك فى صحة هذا النص الذى تمسكوا به ، أرجعه العالم المسيحى " أدولف هرنك " إلى أمين :

١ - لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

٢ - أن صيغة التثنية هذه (التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل وهو الشئ الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصا . (٤)

(١) تفسير سفر أعمال الرسل تأليف دكتور لورانس براون ترجمة جيب سعيد ص ٤٦ بدون عدد للطبعة ، المطبعة العصرية بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر أحمد عبد الوهاب ص ١٧ بدون عدد للطبعة دار غريب للطباعة بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م . نقلا عن D.E Nineham.

Saintmark , Penguin Books, p.449-London 1963 .

(٣) المرجع السابق ص ١٨ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨ نقلا عن Adolf Harnack : History Of dogma

contable and Company, p.79, London , 1961 .

والآمران المذكوران كافيان في تزيف النص وعدم صحته كما أنه لايعول على مقاله " لوقا " في خاصة انجيله ، وأنه يركز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجيـع الأمم .

يقول حسنى يوسف الأطير : إن ما يوهن من قيمة هذا النص أن كاتبه " لوقا " أسمى دخيل لم ير المسيح ولاكان من تلاميذه ، واعتنق النصرانية على يد " بولس " الذى لم يكن هو أيضا تلميذا له ، وهو الداعية لتبشير الأمم فمن الطبيعي أن يتلمذ عليه خاصة وأن كليهما خصم للشهودين^(١) المنكرين لذلك .^(٢)

ولما كان كلا الانجيليين سابقا في الزمان على " انجيل لوقا " فاحتمال أن ماحدث بهما من زيادة هذه النصوص حدث مثله في نفس الإنجيل ، ونصل في نهاية الموضوع إلى أن المناداة بالمسيحية لكل الأمم أمر اتفق عليه بعد المسيح لأساس له في رسالته وهذا ماكشفه مجمع أورشليم المنعقد سنة ٥٠ ميلادية .

نشر المسيحية بعد " مجمع أورشليم " :

المهتم بأمر المسيحية يرى أنها لم تتعد نطاق الإسرائيليين إلا بعد مجمع أورشليم ، وقد كان " بولس " و " برنابا " يبشران أهل الختان في بدء الأمر حتى بحث موضوع الختان فتغير حال التبشير وانتقل إلى الأمم ، وبشيرة إلى هذه الحقيقة صاحب كتاب " الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة " ^(٣) بقوله : ثم عين " بولس " و " برنابا " والبعض من الذين كانوا يعملون بالختان ليصعدوا إلى أورشليم لكي يبحث عن قضية الختان هذه - لدى الجيـع فلما جاءوا إلى أورشليم اقبلهم الرسل بفرح عظيم .

(١) اليهودون تعبير اصطلاحى : يطلق على اليهود المتنصرين .

(٢) عقائد النصارى الموحدين ص ٩٣ .

(٣) ترجم حديثا من اللغة اليونانية عن مختصر تاريخ " استفانوس قوميطن " المقتطف من تاريخ " ملانيوس " مطران أثينا الكنائس ص ٢٠ طبع في أورشليم بمطبعة القبر المقدس البطريركية المختصة بدير الروم العامر سنة ١٨٦٧م .

ثم انعقد مجمع أورشليم وذلك في السنة الخمسين لميلاد المسيح دقق فيه في البحث عن هذا الأمر فبرهن فيه بطرس أن الأمم يخلصون بنعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح كما يخلصون هم أيضا وأنه لا ينبغي أن يضعوا نيرا ثقيلا على أعناق التلاميذ .

فكان قبول غير المختونين في النصرانية أمر مرفوض حتى أباح " المجمع " دخولهم فيها ، ويؤكد المجمع السابق أن الرسل لم ينتشروا ببشارتهم خارج أورشليم إلا بعد ذلك " المجمع " بقوله : وإلى ذلك الحين كان الرسل يطوفون كاريين بالإنجيل فسي ماحول أورشليم فقط ، ثم يعودون راجعين إليها ولكنهم بعد المجمع المذكور تفرقوا ماضين إلى الكرازة^(١) فتحرك بطرس مبشرا في أماكن عدة ، ومثله بولس ومجمع التلاميذ الذين يطلقون عليهم الرسل كل سار في اتجاه معين ولكل ايقال : وأما باقى الرسل " فتوما " منهم كرز بالإنجيل في بلاد الهند ، " ويوحنا " في آسيا الصغرى^(*) " واندراوس " في سيكتية^(*) ، وفي البيزنطية^(*) حيث صار أول أسقف .

(١) الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة ص ٢١ .

(*) آسيا بكسر السين وياز وألف (مقصورة) كلمة يونانية فقد كان اليونان يقسمون الأرض إلى مغرب وشرق بالنسبة لمستقبل الجنوب فما كان عن يمينه فهو المغرب وما كان عن شماله فهو المشرق وما استقبل هاتين القطعتين من المشرق فهو آسيا .

وبعض الناس يقسم آسيا قسمين : صغرى وهي العراق وفارس والجبال وخراسان وكبرى وهي الهند والصين والترك ، مراد الإطلاع على أسماء الأماكن .
والبقاع ج ١ ص ٤ حرف الهزة والألف باختصار .

(*) سيكتيا : بلاد قديمة اختلف المؤرخون في تحديد ها فبعضهم يرى أنها البلاد الواقعة بين نهر " الدنيبر " و " الدون " وأنها تمتد إلى أواسط آسيا شرقا .

وأما سيكتيا آسيا : فهي ما يلي " الدون " شرقا إلى أواسط آسيا فهي تقسمها جبال هماليا شطرين ، وسكانها قبائل متجولة من شمال البحر الأسود وبحر قزوين (يراجع : دائرة المعارف بطرس البستاني المجلد التاسع ص ٦١٠ طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧٥) .

(*) بزنطية : أو بزنطيم مدينة يونانية قديمة على شاطئ البسفور على قسم من موقع القسطنطينية الحديثة (دائرة المعارف للبستاني المجلد الخامس ص ٧٥٨) .

ثم ترك هناك " استاخيس " خليفة عنه ومضى متبعاً رسالته و " فيليبس " كرز في آسيا العليا " و برثلماوس " في أرمينية الكبرى (*) ، و متى " في بلاد العجم و " سيمون " في ما بين النهرين و " يهوذا " في بلاد العرب ، و " متياس " في بلاد الحبشة و " يعقوب " بن زبدي في إسبانيا (١) ووضح ما تقدم :

١ - أن رسالة عيسى " عليه السلام " لم تحمل في طياتها ما يدل على عالميتها ولم يحدث عنه أنه بشر بها خارج فلسطين .

٢ - أن حوارى المسيح " عليه السلام " لم يخرجوا بالتبشير عن دائرة اليهود إلا بعد مجمع أورشلیم .

٣ - فكرة نشر المسيحية بين الأمم من اختراع التلاميذ لأساس لها صحيح ولا مرجع لها مستقيم تعتمد عليه .

ولما كانت المسيحية محرفة ، والانجيل الحقيقى قد اختفى ، فى سراديب مظلمة وذهبت تعاليم المسيح مع الرياح العائية وضاعت فى مآهات الصراعات الدموية ، وتحت مطارق المضطهدين فلم يبق للجميع إلا أن يحتكم إلى المعجزة الخالدة وهى " القرآن الكريم " فهو الفيصل ، وقوله الفصل : (وإن قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٢) .

" الأنبا شنودة " (*) وعبارة " مرقس " :

فى مقال لتوفيق الحكيم : بعنوان (دفتر الجيب) (٣) أفزعت توفيق الحكيم عبارة انجيل لوقا القائلة عن المسيح : جئت لألقى نارا على الأرض ..

(*) أرمينية الكبرى : ويقال لها : " أرمينية " الحقيقية وتقع شرق الفرات ويحدها نهر دجلة من الجنوب ، وآشور وأطروباتيه من الشرق وإيبيريا من الشمال يراجع المرجع السابق المجلد الثالث ص - ١٣١ .

(١) الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة ص ١٦ و ١٧ .

(٢) سيورة الصف الآية ٦ .

(*) الأنبا شنودة : ولد فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٣م بقرية سلام من أعمال أسيوط وتسمى نظير جيد ، والتحق بكلية الآداب وتخرج منها سنة ١٩٤٧م ومن القسم اللئلى بالكليركية سنة ١٩٤٩م وترهب يدبر السريان فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٤م باسم الراهب انطونيوس ورسوم قساسته ١٩٥٦م وعمل سكرتيراً للبابا كيرلس السادس لفترة وجيزة عاد بعدها إلى الدير ورسوم اسقفاً فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢م وأخرج بعد سياسته مجلة شهرية باسم " الكرازة " ولكنها توقفت بعد سنتين من صدورها ونصب بطريركاً باسم البابا شنودة الثالث فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م فأعاد مجلة الكرازة وجعلها أسبوعية وصار يشرف بنفسه على تحريرها (باباوات الكرسي الاسكندرى ١٨٠٩ - ١٩٧١ مع موجز لمعاصريهم من أساقفة الأقاليم بقلم القمص تاو وروس السريان ص ٢٤٠ ط ١ مطبعة حجازى ١٩٧٧ .

(٦) أهرام الاثنين العدد (٣٦١٥٣) ص ٧ و ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .

أنتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً وتمازلاً
وسأل المتفقين المسيحيين فلم يجد عندهم ما يريح نفسه كما ذكره فتوجه إلى كبيرهم
بالسؤال " الأنبا شنودة " .

واستغل الأنبا شنودة فرصة الرد على الحكيم ، لإثبات عالمية المسيحية ولباقية
حاول جعل هذا الأمر ضمن الإجابة على السؤال ، فقال عن المسيح : إنه جاء
ينشر عبادة الله في العالم كله ، بكل وثنيته ولذلك قال لتلاميذه " إذهبوا إلى
العالم أجمع واركزوا بالإنجيل للخليقة كلها " (١) .

وقد سبق أن تحدثت عن هذه الفقرة ، وبينت أن بضع فقرات قبلها وما بعدها
لا أصل له يرجع إليه بشهادة مفكرين مسيحيين وقد تلى الفقرة المذكورة مباشرة : (من
آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين
باسمى ويتكلمون باللسنة جديدة ، يحملون حيات وإن شربوا شيئاً ميتاً لا يضرهم ويضعون
أيديهم على المرضى فيبرأون) (٢) .

وسأكتفى بملخص لما رد به ابن حزم من قديم الزمان على هذا الكلام :

١ - فالقول للتلاميذ بشروا بالإنجيل ، يدل على إنجيل خاص
أتاهم به المسيح والقوم عندهم عدة من الأناجيل المتخايرة يعتمدون منها أربعة
وكلها ألقت بعد رفع المسيح بزمن طويل فأين إنجيل المسيح الذي أمر
التلاميذ أن يبشروا به على حد زعمهم ؟

٢ - لقد وعد المؤمنين على أيدي التلاميذ بالتكلم بلغات لم يعرفوها
وبنفس الجن عن الصابيين به ، وشفاء المرضى ، وإن شربوا شيئاً ميتاً
لا يضرهم إلى غير ذلك وربما طردوا الجن ببعض التعاويذ أو تمكن الحواة
منهم بامساك الثعابين ، أو أبرأ بعضهم المرضى بالتطبيب إن شاء الله
تعالى لكن ليس منهم ولا من التلاميذ من تكلم بلغسة لم يتعلمها أو تناول

(١) أهرام الإثنين العدد (٢٦١٦٠) رد البابا شنودة على المقال
السابق لتوفيق الحكيم ص ٧ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م .

(٢) إنجيل مرقس (١٦ : ١٦ - ١٩) .

سما ولم يؤذ ، وقد قيل : إن يوحنا^(١) صاحب الإنجيل قتل بالسم وحاشى لنسبى
 الله عيسى عليه السلام أن يكذب على الله ، ويخبر بمواعيد لا تحدث فى واقع
 الحياة^(٢) ، واعتقد أن الأنبياء شهود بحصافته لا يغفل عن ذلك ، ولا يغيب عن علمه
 فقد أنجيل المسيح فكيف يأمر المسيح تلاميذه بنشر انجيل يعلم أنه لابقاء له ؟ أو كيف
 يعلم أن إنجيله سيختفى برفعه ويأمرهم بنشره ؟ كفى استخفافا بالعقول ومراعاة
 باتباع المعقول (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما
 أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس
 على القوم الكافرين) .^(٣)

ثالثا : الرسالة الخاتمة من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية بالقرآن الكريم الذى أنزله على محمد صلى
 الله عليه وسلم " يحوى من المعجزات ما يساير رقى الإنسانية فى كل العصور ، وفيه
 من التشريعات الإلهية ما يضى طريق البشرية ، وقد تكفل الله بصونه ، وحفظه
 (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .^(١)

ويتبع القرآن الكريم مباشرة هدى النبى " صلى الله عليه وسلم " السنة النبوية المطهرة
 فيها تبيان ما أجمل القرآن الكريم ، وتفسير ما يحتاج إلى توضيح ، وهى فى النبوة
 تروى الظما وتداوى النفوس ، وتنزل مشاكل الحياة ، ولقد بعث الله عز وجل رسوله
 الخاتم صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين (الإنس والجن) وإلى الملائكة تشريعا أو تكليفا
 يليق بهم .

~~والله اعلم بالصواب~~

(*) وقول ابن حزم : وهم معترفون بأن يوحنا صاحب الإنجيل قتل بالسم : لعله يقصد
 به مرقس (فاسمه يوحنا وأما مرقس فلقبه) وهو الذى مات مقتولا يقول زكى شنودة
 فى شان موته : " راح يدعو للإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلسون
 به ومعذوبته حتى مات شهيدا " وهو من التلاميذ .
 أما يوحنا ابن زبدى فأمه سالومى ، أخت السيدة مريم أم المسيح فهو من الحواريين
 وتوفى بين سنتى ٩٨ و ١٠٠ . يراجع تاريخ الأقباط : لزكى شنودة ج ١ ص ٢٦ ط ١
 مطبعة فايقه محفوظ للتدريب المهنى بحدائق القبة بالقاهرة ١٩٦٢ م ، والأسفار المقدسة
 فى الأديان السابقة ص ٦٩ و ٧٤ .

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ بتصرف .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٨ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

~~السلامة التي جعلها الله على كل شيء~~
~~السلامة التي جعلها الله على كل شيء~~
 قال صلى الله عليه وسلم ~~من آمن بالله ورسوله~~
~~السلامة التي جعلها الله على كل شيء~~

~~فمن آمن بالله ورسوله~~
~~فمن آمن بالله ورسوله~~
~~فمن آمن بالله ورسوله~~
~~فمن آمن بالله ورسوله~~

وقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) (٢) (٣)
 وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٤) .

ورسالة هذا شأنها تعترف بكل ما هو حق ، وتبطل الباطل وكتابتها محفوظة
 بحناية الله عز وجل ، جديرة بالعمومية والشمول فهي تسع الزمان والمكان ، وتصلح
 شأن المخلوق أي كان ومن أجل هذا نص القرآن الكريم على نشر الدعوة ، وحض
 النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه على القيام بهذا الأمر : (قل هذه سبيلي
 أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٥) .

(*) الحديث : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم"
 " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
 وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأتيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل
 وأجلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة
 وأعطيت الشفاعة " .

صحيح البخاري (كتاب الشعب - ٤٢) لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل
 بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزیه البخاري الجعفي (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) ج ٢
 ص ١١٩ كتاب الصلاة - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " جعلت لي الأرض
 مسجدا وطهورا " مطابيع الشعب ١٣٧٨ هـ ، وورد في رواية لمسلم بصيغة فيها :
 " وأرسلت إلى الخلق كافة " صحيح مسلم بشرح النووي للإمام ابن الحسين
 مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) ج ٥ ص ٥ (كتاب
 المساجد ومواضع الصلاة) ، المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩ هـ .

(١) ~~في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا~~
~~في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا~~
~~في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا~~

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٤) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

ويقول الله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) . (١)

فهاتان الآيتان تحملان كل مؤمن عالم مسئولية الدعوة الإسلامية وتبليغها بأمانة لكل من لم تبغعه الدعوة إلى يوم الدين ، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى هذا الأمر الإلهي خير قيام فدعى إلى الله عز وجل بنفسه ، وبعث رسله إلى الحكام كما سيأتى فى مفهوم التبشير فى الإسلام .

وكان صلى الله عليه وسلم للعالمين نذيراً يقول الله تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) (٢) ، وخاطب صلى الله عليه وسلم الناس كافة مقتدياً بأمر ربه عز وجل (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمسى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) . (٣)

وجاء الحديث الشريف بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم وخصوص غيرها من الرسالات بما لا يدع مجالاً للتأويل ، فعن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيتما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى المغنم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة) وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة . (٤)

وكونه خصص بهؤلاء الخمس دون غيره ، فلا ينبغي لأحد من الأنبياء أن يشاركه فى واحدة منها ، ومن يجوز مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم فى البعثة العامة فلا يمانع بالتالى مشاركته فى الشئ الذى خص به "صلى الله عليه وسلم" فى بقية الأمور الواردة فى الحديث وقد أكد الحديث خصوص الرسالات السابقة (وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة) فلا يسوغ لأحد أن يزول هذا النص كأن يقول المراد بالقوم أهل زمانه

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ١ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٤) صحيح البخارى (كتاب الشعب) ج ١ ص ٩١ ، ٩٢ (كتاب التيمم)

صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٣ ، ٤ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .

وإلا فإن اللفظ ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع وكان المراد به بنى جنسهم وهم أناس مخصوصون قال الله تعالى : (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) (١) .

فمن يجزؤ أن يقول إن قوم فرعون أهل زمانه ؟ إن القرآن الكريم يبين لنا أن الحق أرسل رسلاً إلى بنى إسرائيل خاصة وليس رسولا واحدا وهذا لا يقلل من شأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أو من شأن رسالتهم ، ولا يعظم من شأن من أرسل إليهم وإنما لتكون الحجة قائمة ، ومدعمة والله عز وجل يقول : (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) (٢) .

ويخبرنا الله عز وجل أنه أرسل إلى كل أمة بقوله تبارك وتعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (٣) .

ويشير المولى عز وجل إلى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لكل الناس بقوله تعالى : (بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (٤)

" دور المسلمين في نشر الدعوة "

لما كان أتباع محمد صلى الله عليه وسلم مأمورين بالدعوة إلى الله وتوضيحه الحق للعالم حتى لا يقعوا تحت طائلة التقصير والتفريط في تبليغ الهدى ونشره ، والواقع يشهد بغفلة المسلمين عن رسالتهم ، وإهمالهم في تبليغها للدنيا كلها قولا وعملا ، ولولا جهد فردى مشكور لبعض الهيئات الإسلامية والجمعيات الإسلامية لانقطع صوت الإسلام عن كثير من الأماكن النائية تحت وطأة وسائل التشويش الغربية ، وصيحات النزعات الشيوعية ، وقد سنحت لي الفرصة أثناء الاطلاع في دار الكتب المصرية بقراءة تقرير سنوى لجمعية التبشير الإسلامية لجميع بلاد ملايو عن سنة ١٩٣٦م .

-
- (١) سورة الزخرف الآية ٥١ .
 - (٢) سورة البائدة الآية ٢٠ .
 - (٣) سورة النحل الآية ٢٦ .
 - (٤) سورة النحل الآية ٤٤ .

وفيه ثناء على مشاهير الدعاة المسلمين الصادقين : أمثال صاحب الفضيلة العلامة شاه محمد عبد العلم صاحب الصديق القادري الششتى فى مدينة " ميروط " ففى الهند فإنه قام بمفرده ومن غير تعضيد مالى من أية جمعية بباهر الأعمال فى الهند وبورما وملايو وجاوا وإفريقية الجنوبية وإفريقية الشرقية واليابان والصين وما إلى ذلك من الأقاليم . (١)

وهو عمل طيب • وأجر عظيم لمن يقوم باتباع تعاليم الإسلام ونشر رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام • وإذا كان سلفنا الصالح لم يقصر فى التبليغ ونشر الدعوة بالرغم من صعوبات الاتصال بالمدعوين • فإن وسائل الاتصال متاحة وما علينا فسرارى وجماعات أم ودول إلا أن ننظم أنفسنا ونضحى من أجل هذه الرسالة • ولانتخلف عن الميدان فيملاً الباطل الفراغ بوسائله • ووساوسه • ونضيع أنفسنا وغيرنا والمسئولية فى النهاية تقع على عاتقنا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ويكفى فى هذا المجال عرض القليل من الكلام الحسن للأستاذ مهدي استانبولى الذى يكشف فيه عن خطر إهمال التبشير فى ديار الغرب ويذكر أن الغرب غالباً يخفى نواياه الدينية • تحت ستار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل ولكن غايتهم الحقيقية هى القضاء على الإسلام والمسلمين ثم يتساءل والآن ما العمل ؟ وكيف النجاة من أخطار الغربيين وغزوهم ؟ • ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم واستعداد كاستعدادهم ؟ •

السبيل إلى ذلك التبشير بالإسلام فى البلدان الغربية لا اطلاع الغربيين على عظمة الإسلام وإنسانيته وسماحته وسمو مبادئه • ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له • وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن • فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الدنيا المعروفة وقتلوا وملأوها عدلاً ورحمة بعد ما ملئت جوراً وهمجيسة وهو لا يزال - وإلى الأبد - يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة •

وينبغي أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وأرقى وسائل الإعلام ونذكر فيما يلى نسايج منها لبيان مزايا الإسلام وحاجة الغرب إليه

(١) التقرير السنوى لجمعية التبشير الإسلامية لجميع بلاد ملايو عن السنة المنتهية

فى يوليو ١٩٣٦م ص ٢٧ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٥ هـ =

١٩٣٦م •

كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

- ١ - استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية .
- ٢ - الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين وإطلاعهم على الإسلام .
- ٣ - صنع الأفلام السينمائية وعرضها في الغرب .
- ٤ - المسارح التمثيلية .
- ٥ - تأليف الكتب والنشرات البسيطة عن الإسلام .
- ٦ - إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال .
- ٧ - التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الإسلام .
- ٨ - تقوية الإذاعات العربية لا يصلح صوت الإسلام إلى أسمع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة .

ويحسن إلى جانب ما سبق إعلام الغربيين بما جاء في كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومغفقات عن التقدم والرقى . (١)

وهذا هو الطريق الجاد لتوصيل رسالة الإسلام إلى كافة أرجاء الأرض ، أما أن نترك المجال لمن انتهى زمن رسالتهم ليجهلوا ديار الإسلام مبشرين ، وداعين في الدين ، فهذا مالا يكون من خير أمة أخرجت للناس .

وسعد : فقد بات واضحاً أن الرسالة إلى بني إسرائيل خاصة ، وأنها لا تحمل بين طياتها أوامر حقيقية للتبشير بها إلى كل الأمم ، وأن الرسالة الخاتمة عامة ، وأتباعها مأمورون بتبليغها للناس كافة إلى أن يربث الله الأرض ومن عليها .

لذا : أنتقل إلى بيان التبشير بالمسيحية وأهدافه في الباب الأول من الرسالة .
والله المستعان .

(١) مجلة الوعي الإسلامي (السنة التاسعة - العدد ١٨) إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ص ٣٤ ، ٣٥ سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م بتصرف .

الباب الأول

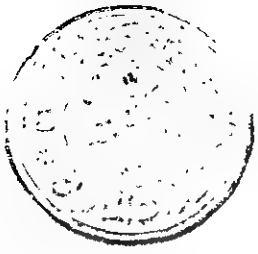
التبشير وأهدافه

ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول :-

١ - الفصل الأول :-
التبشير وصلته بالحركة الصليبية .

٢ - الفصل الثاني :-
أهداف التبشير ووسائله .

٣ - الفصل الثالث :-
نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها .



الفصل الأول

التبشير • وصلته بالحركة الصليبية

بعد التمهيد أثرت أن أتناول في هذا الفصل مفهوم التبشير بالتوضيح والتحليل من مفهوم اسلاحي أولاً ثم من وجهة النظر المسيحية ثانياً • وأردفت ذلك بالحديث عن دائرة التبشير المسيحي • بيناً أنها كانت منحصرة في بني إسرائيل بعد رفع المسيح عليه السلام ما يقرب من ربع قرن من الزمان ولما كان " بولس " صاحب فكرة نشر المسيحية بين الأمم • تحدث عنه وعن ثقافته • ذاكراً أنه بشر اليهود في بدء أمره ثم غير مساره التبشيري فجاء إلى كل الناس • في الوقت الذي خرب فيه المسيحية من داخلها فمزج تعاليمها بالوثنية • وأعمل معوله في هدمها بقوة فنادى بأن المسيح ابن الله وأشاع صلبه تكفيراً عن خطايا البشر •

وأشرت في الفصل المذكور إلى مجموعة من الفرق المسيحية الموحدة وغير الموحدة بيننا أن غوغاء العامة وعصا السلطان اجتمعتا سوياً مع الفرق الغير موحدة لئلا تدعو التوحيد والقضاء على أنصارها ولولا ذلك لانكشف الظلام أمام النصارى وهدوا جميعاً إلى التوحيد الحق •

وتطرق الحديث عن قسطنطين كحاكم لروما ناصر المسيحية في وثنيته • واعترف بها ضمن الديانات الموجودة في الدولة فأكسبها قوة شكلية إلى أن جاء " ثيودوسيوس الكبير " فاعترف بها ديانة رسمية للبلاد في نهاية القرن الرابع الميلادي ثم أنهى هذا الفصل بالحديث عن صلة التبشير بالحروب الصليبية ودور الباباوات في هذه الحروب ومانتج عنها من تبشير منظم له مدارس وكراس في الجامعات وأساتذة متخصصون يوجهون دفته بخطط مدروسة •

وهذا إجمال أعود إليه بالتفصيل فيما يأتي بعد •

المفهوم الاسلامى للتبشير

للتبشير فى لغة العرب معان عدة والذى يعيننا من معانيه اللغوية مايشير إلى التبليغ والإخبار .

والتبشير يكون بالخير والشر ^(١) يقول الله تعالى : " يبشركم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم " ^(٢) ، ويقول الله تعالى : " فبشركم بعذاب أليم " ^(٣) .

والبشير : البشر الذى يبشر القوم بأمر خير أو شر ^(٤) قال الله عز وجل " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرِّسَالِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ^(٥) . وفى ضوء هذه الآية الكريمة يقول ابن كثير : أى لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر بشير ونذير يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ^(٦) .

والبشارة : أول خبر يرد على الإنسان بما يسره ، وقيل إنها بما يسرويعنهم إلا أن استعمالها فيما يسر أكثر واشتقاقها من البشرة وهى ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر ^(٧) . فتلقى المرء للخبر أياً كان نوعه يظهر أثره على ملامح الوجه من بهجة أو تقطيب حسب نوع الخبر يقال : بشرون أخبروه بما يسر فانبسطت بشرة وجهه ^(٨) .

(١) لسان العرب للإمام : أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرىقى المصرى ٦٣٠ - ٧١١ هـ تحقيق محمد عبد الله على الكبير وآخرون المجلد الأول

ص ٢٨٢ مادة " بشر " طبع دار المعارف بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

(٢) سورة التوبة الآية ٢١ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٣٤ .

(٤) لسان العرب ص ٢٨٢ .

(٥) سورة المائدة الآية ١٩٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل

ابن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ج ٢ ص ٣٦ نشر مكتبة الدعوة الإسلامية

بالأزهر ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للقاضى العالم نشوان بن سعيد الحميرى اليمنى تصحيح القاضى عبد الله بن عبد الكريم الجرافى اليمنى ج ١ ص ١٦٢ بدون عدد للطبعة طبعة بيروت

(٨) معجم متن اللغة " موسوعة لغوية حديثه " للشيخ أحمد رضا المجلد الأول حرف الباء ص ٢٩٦

مطابع دار صادر ودار بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستجيباً لأمر ربه عز وجل : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ^(١) فلم تصرفه مؤامرات اليهود والمنافقين في داخل المدينة ، وكيد المشركين من خارجها ، عن التبشير بالدعوة الإسلامية فبعث الرسل بالكتب إلى الملوك والأمراء .

وأخبر " صلى الله عليه وسلم " أصحابه رضوان الله عليهم أنه مرسل إلى قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشي ملك الحبشة ، والقوقس ملك القبط بمصر والحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحيمري ملك اليمن ، وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام ^(٢).

علا يقول الله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ^(٣) وفي هذا دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالتبشير وجعله فرضاً لازماً على اتباع النبي " صلى الله عليه وسلم " من العلماء العاملين ، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في شرح الآية السابقة أن الخير الإسلام والمعروف طاعة الله والمنكر معصيته ^(٤) ، ويمكن أن نعرف التبشير في الاصطلاح على ضوء ما ذكرناه دعوة للدخول في دين البشير ، وقد كان لأتباع عيسى عليه السلام نشاط واضح في ميدان التبشير ويشير الدكتور / يوسف القرضاوي إلى تفضيل النصارى لهذا الاسم بقوله : وقد اختار المنصورون هذا الاسم لأن الانجيل معناه " البشارة " باليونانية ، فأصبح " التبشير " اصطلاحاً على دعوة الناس للدخول في ديانة النصرانية وإن كان اصطلاح التنصير متداولاً رغم أنه ليس كل تبشير تنصييراً فقد ينتج التبشير تنصييراً وقد لا ينتج ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال علماءنا . ^(٥)

ومن ضوء التعريف اللغوي والاصطلاحي يمكن أن نقول إن مفهوم التبشير عام لا يختص برسالة بعينها أو دين بعينه أو ملة بذاتها ، أو نحلة برسماها فإذا خصص

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٦ .

(٢) يراجع السيرة النبوية لابن هشام " أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ج ٤ ص ١٨٨ طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ١٣٩١ هـ = ٢١٩٧١ م

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الشان ج ٤ ص ٢١ .

(٥) مجلة " الأمة " القطرية من محاضرة للدكتور يوسف القرضاوي بعنوان : التبشير في العالم الاسلامي كيف نواجهه ؟ ص ٢٨ العدد ٤١ - السنة الرابعة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

التعريف بقولنا " التبشير في العالم الاسلامي " عرف القصد من ذلك بأنه التبشير برسالة عيسى عليه السلام ليس كما أنزلها الله رسالة هادية ، وإنما فكراً محرفاً يخدم الاتجاه الغربي ، ويقضى على المفاهيم الإسلامية ويساعد الاستعمار الأوربي في إحكام قبضته على العالم كله .

ولذا سلك أتباع المسيحية لتحقيق هذا الغرض جانبين :

الأول : التبشير بالصورة المعروفة .

الثاني : الدراسة المستمرة والتجديد لأحدث الوسائل لتشويه الإسلام بالذات شتم الطعن بعد ذلك في اللل والنحل الأخرى وإن كنا نطلق على التبشير الدعسوة للدخول في النصرانية فهذا مقبول في أول الأمر أى قبل سنة ١٩٢٥ م .

أما بعدها ، وخصوصاً بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فمسن الخطأ أن نطلق عليه هذا التعريف فقط لأنه تجاوزه إلى أمور أخرى وقد كشف اللثام عن ذلك الأستاذ / محمود محمد شاكر وهو يوضح من يحصر التبشير في هذا المفهوم القاصر بقوله : فمن تمام الجهل أن يظن المرء أن معنى " التبشير " هو اقتصاص فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة إلى دينهم ، من حيث هو عقيدة يسمعونها المرء فيرضها أو ينكرها فهذا أمر " باطل " أشد البطلان لامن حيث الواقع فحسب بل من حيث شرح " المبشرون " أنفسهم معنى " التبشير " عندهم ، وهم الممارسون له وهم لذلك أدري به وأشد بطلاناً أن يتصور امرؤ أن " التبشير " بمعزل عن الغزو الحربي والغزو الاقتصادي والغزو الفكري والسياسي ، وعن محاولة الجنس الأوربي " المسيحي " أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم مادامت له حضارة .

وأشدُّ بطلاناً منهما جميعاً أن يخطر ببال أحد أن " التبشير " قد غاب عن كثير من الدعوات التي قام بها أصحابها ينادون بضروب من الإصلاح في بلاد العرب وفي بلاد الإسلام وفي غيرها من البلاد ، وأنه لم يضع فيها أصبعه ليحول معنى " الإصلاح " إلى معنى من التدمير والهدم والتحطيم .^(١)

وتركز الحركة التبشيرية جهدها على المسلم ، فتحاول خلعها من الدائرة الإسلامية بكل الوسائل ، لتدور به في دوائر مفرقة من حلقات الفكر البشري نطلق عليها أسما متعددة علمانية ، وجودية ، فوضوية ، وذلك حتى يفقد اتزانه فلا يهتدي لمكان يستند عليه بل لا يعرف اتجاهها يسير فيه ، فيسهل احتواءه والسيطرة عليه .

(١) أباطيل وأسار . محمود محمد شاكر ج ١ ص ٢٦٤ - ١٨٥ ط ٢ مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٧٢ م .

المفهوم المسيحي للتبشير

لننصاري نظرة خاصة في مفهوم التبشير ، يستطيع الباحث أن يحددها من مراجعهم ، فهم يقولون : بشر تبشيرا أبلغ الخبر الطيب (١) .

ويذكرون في كتبهم أن المسيح كان يبشر ويعلم في الهيكل وخارجه وكثيرا ما كان يعظ الجوع من البحر أو على الجبل (٢) ، ولفظ مبشر : تطلق هذه الكلمة فسي العهد الجديد على من يعظ ببشارة الخلاص منتقلا من مكان إلى آخر ، لا يستقر فسي مكان مخصوص إنما هم التجول يعظ بالانجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح (٣) وقسام رفقاء بولس بهذا الدور خير قيام ، فارتحلوا من بلدة إلى أخرى في خدمة التبشير كما ذكر سفر أعمال الرسل قولهم : (ثم خرجنا في القد نحن رفقاء بولس وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشر إذ كان واحدا من السبعة وأقمنا عنده) (٤) .

ويبدو واضحا ما تقدم أن من يعظ بالانجيل ، ويبشر بالخلاص يعد مبشرا عند المسيحيين ، وهم يعتبرون قول يوحنا باقتراب ملكوت السماوات تبشيرا برسالة المسيح عليه السلام ، فوقت أن كان طباريوس قيصرا امبراطورا في رومية وميلاطس واليا خامسا على اليهودية (وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في بركة اليهودية قائلاً تنوبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات) (٥) .

وكان تبشيره غايته في زعمهم إعداد الناس لقبول بشارة المسيح الأقرب إليه وتسم في البرية شرق أورشليم قرب بحر لوط وهو المكان الذي تربي فيه يوحنا (٦) .

وإذا كان يوحنا بشر بقرب ملكوت السماوات ودعا الإسرائيليين إلى قبول دعوتة فإن المسيح حين أرسل أمر تلاميذه الإثنى عشر وأوصاهم بدعوة بني اسرائيل خاصة بقرب هذا الملكوت قائلاً : * إلى طريق أتم لاتعضوا وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق .

(٤) سفر أعمال الرسل (٢١ : ٨) .

(٥) انجيل متى (٣ : ١ و ٢) .

(٦) الكنز الجليل في تفسير الانجيل ج ١ ص ٢٥ بتصرف .

اقترب ملكوت السموات * (١) ، وملكوت الله أو ملكوت السماوات * (٢) يقول عنه النصارى : إنه هو ملكوت المسيح ، ملكوتا روحيا .

أما المسلمون فيقولون : إنه هو ملكوت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ملكوتا أرضيا بسجد و سلطان (٣) .

وهكذا بدأ التبشير بالنصرانية فرديا ، وكان غايته الوعظ بالانجيل وبشرى الخلاص واقترب ملكوت السماوات وتحرك حوارى المسيح فى هذا المسار فلم يحيدوا عنه حتى دخل بولس فى زمرة المسيحية ، فسار على نفس الدرب فى أول الأمر ، وحت معاونه على القيام بهذه المهمة ، يشهد بذلك رسالته إلى تيموثاوس وفيها (أكرز بالكلمة اكشف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب وَّخ انتهر عِظْ بِكُلِّ أُنَاةٍ وتعليم) (٤) إلى أن يقول له أيضا : (وأما أنت فاصح فى كلِّ شئ واحتمل المشقات أعملْ عَمَلَ الْمَشْرِه تَمَّ خَدْمَتَكَ) (٥) ولم يقتصر بولس على دعوة رفقاءه إلى التبشير وإنما أرسلهم حاملين أخبارا مختلفة بخصوص بشرى الخلاص ليعلموها للإخوة البعيدين عنه ، وأمرهم فى نفس الوقت أن يعودوا إليه بعد ذلك بأخبار المرسل إليهم وها هو قول بولس :

(على أنى أرجو فى الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعا تيموثاوس لى تطيب نفسى إذا عرفت أحوالكم لأن لى أحد نظير نفسيتهم بأحوالكم باخلاص إذا الجيسع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح ، وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الإنجيل ، هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوال حالا) . (٥)

ويضيف بولس فى رسالته إلى أهل أفسس أن الله قسم للناس وظائفهم فى الحياة فيقول : (وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مهشرين والبعض رعاة ومعلمين) (٦) ، والذين اختيروا للقيام بالتبشير هم فى الواقع مساعدون للرسل فى أعمالهم ورفاق لهم فى أمصارهم و " بولس " كثيرا ما يأخذهم معه فى الذهاب إلى

(١) انجيل متى (١٠ : ٥ - ٧) .

(٢) هذا التعبير خاص بمتى وهو يتشى مع النظرة اليهودية التى تعتبر الإشارة إلى الله بالاسم تجديفا ، يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " بين الإسلام والنصرانية دكتور / أحمد حجازى السقا ص ٧٥ ط ١ مطبعة دار التراث العربى ١٣٩٩ = ١٩٧٨ م .

(٣) الموضع السابق ص ٩٦ .

(٤) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (٤ : ٢) .

(٥) المرجع السابق (٤ : ٥) .

(٦) رسالة بولس إلى أهل فيلبى (٢ : ١٩ - ٢٣) .

(٦) رسالة بولس إلى أهل أفسس (٤ : ١١) .

المدن المتعددة ، ويجعلهم مستقبليهم في البلاد المختلفة (فراقه إلى أسيّا سَمَاتَرُسُ
البيرى ومن أهل تَسَالُونِيكى ارُسْتَرُخُسُ وَسَكُونْدُسُ وَغَايُوسُ الدَّرِيّ وَتِيْمُوثَاوُسُ ومن أهل أَسِيّا
تِيخِيكُسُ وَتَرُوفِيْمُسُ هَولَا سَبِقُوا وَانْتَظَرُونَا فِي تَرَرَا (١)) .

وهذا اتضح لنا مفهوم التبشير عند القوم من كلامهم المدون في كتبهم ، وعلينا
أنه يدور حول الوعد بالانجيل ، وشرى الخلاص ، وشرى اقتراب ملكوت الله وان البشرين
هم الذين يوصلون هذه المفاهيم إلى من أرسلوا إليهم فما هي الدائرة التي سار
فيها التبشير ؟ .

" دائرة التبشير السحى "

بعد أن ذكرت بإيجاز مفهوم التبشير ، أعود إلى دائرة التبشير السحى فنظرة
واقعية تؤكد للجميع هذه الحقيقة ، وهى خصوصية التبشير السحى ببنى إسرائيل فقد
نشأ المسيح عليه السلام فى بيئة يهودية تغذى بلبانها ، وارتوى من مائها ، وتنسب
من هوائها يقول شارل جينيير ماترجمته : ظهر بإقليم الجليل خلال حكم الامبراطور تيريريوس
شخص يدعى بيسوع الناصرى ، وصار يتحدث ويعمل حديث وعمل الرسل اليهود . (٢)

وكيف يخرج هن هذه الدائرة ؟ وهو نبى من بنى اسرائيل ، ورسول الله
إليهم وقد أعلن عن الهدف من رسالته ، وهو اتمام الناموس ، وتكميل ما نقص منه ، " لا تظنوا
أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء " ما جئت لأنقض بل لأكمل " (٣) .

وقد أدرك هذه الحقيقة المؤرخ السحى " شارل جينيير " فقال : المسيحية
إذن تنبع أساسا من حركة يهودية وهى تهدو أولا وعلى وجه التخصيص كظاهرة تهتم
الحياة الدينية لليهود ، وتتميز بها البيئة الفلسطينية - ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق
العالم اليهودى . (٤)

وكدأب اليهود مع رسلهم من قبل ، تعنتوا مع المسيح ، ولم يستجب لدعوته
منهم إلا النفر القليل ، وذلك فى فترة بعثته التى تربو على ثلاث سنين كما ذكر

(٥) تَرَرَاَس : هى بلدة تقع فى القسم الشمالى الغربى من آسيا تطل على البوسفور
بالقرب من آثار مدينة تروادة المشهورة قديما بحارة اليونانيين ، الكنز الجليل

فى تفسير الانجيل ج ٤ ص ٢١٢ بتصرف .

(١) سفر أعمال الرسل (٢٠ : ٤ و ٥) .

(٢) المسيحية (نشأتها وتطورها) شارل جينيير ترجمة الإمام / عبد الحليم محمود ص ٣٠

ط ٢ مطابع دار المعارف بالقاهرة بدون تاريخ .

(٣) إنجيل متى (٥ : ١٧) .

(٤) المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ٣٤ .

الشهرستاني : وقد أوحى إليه انطاقا في المهد ، وأوحى إليه ابلاغاً عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام . (١)

بعد هذه الفترة مباشرة رفع إلى السماء بينما كانت دعوته حبيسة في بيت إسرائيل ، يؤمن بها خفية نفر قليل ، وأتباع عيسى عليه السلام متفقدون في ذلك يقول ابن حزم : وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلاً فقط ، ونسوة منهم امرأة وكيل هردوس وغيرها كن ينفقن عليه أموالهن هكذا في نص انجيلهم وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده ، يدعون إلى دينه سرا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدماء إلى ملته ولا يظهر دينه . (٢)

وما يعجب له المرء ، ولا يصدق ذو عقل ، قولهم بعودة المسيح قبل أن يستم تلاميذه مهتهم التي كلفهم بها ، وهي دعوة بيت إسرائيل فنرى متى يقول عن المسيح (٣) عليه السلام : (...) فإني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان

ولذا يطرح السؤال الآتي : (إذا كانت عودة المسيح ستحدث بهذه السرعة قبل أن يتم التلاميذ تبشيرهم في مدن إسرائيل ، فمن الذي أمرهم بالكراسة بالإنجيل للخلقة كلها والعودة لم تحدث بعد ؟)

إن الإجابة على هذا السؤال واضحة تماماً ، وهي تتفق مع ماسبق بيانه من أن دائرة التبشير المسيحي الحقيقي لا تتجاوز بني إسرائيل (٤) .

وكان تلاميذ المسيح أدري من غيرهم بهذا الأمر ، فبعد رفع المسيح وخلال ربع قرن من الزمان أو يزيد ، نجد المسار التبشيري لم يتجاوز نطاق اليهود ، وحتى النشاط التبشيري المتحرك إلى اليونان ، وروما ، كان لدعوة يهود الشتات ، ولعلمهم تعقبوا اليهود المشردين انطلاقاً من إشارة المسيح أثناء محاورته مع اليهود ، والتي فهموا منها أن المسيح ذاهب لدعوة يهود المنفى في اليونان حيث قال : أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ستطلبوني ولا تجدوني وحيث أكون أنسا

(١) الملل والنحل للشهرستاني - هامش الفصل لابن حزم ج ٣ ص ٢٩ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٢١ .

(٣) انجيل متى (١٠ : من الفقرة ٢٣) .

(٤) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ١٩ باختصار .

لا تقدرُونَ أنْ تَأْتُوا فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَى أَيْنَ هَذَا مَزَعُ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى
لَا نَجِدَهُ نَحْنُ أَلَعَلَّهُ مَزَعُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ الْيُونَانِيِّينَ وَيَعْلَمُ الْيُونَانِيِّينَ (١) .

ويذكر لوقا صاحب سفر أعمال الرسل أن خليطا من اليهود جاءوا وأورشليم
للمشاركة في الاحتفال بعيد الخمسين - والذي يطلق عليه عيد الأسابيع - ومعه
أن يقول في شأنهم : " وكان يهود رجال اتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في
أورشليم " (٢) يعود فيحدد طوائفهم ومواطنهم فيقول : (قَرْتِيُون (٣) وَمَادِيُون وِغِلَامِيُون
وَالسَّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ، وَالْيَهُودِيَّةَ ، وَكَبِدُونِيَّةَ ، وَنَنْتَسَ ، وَأَسِيَّا ، وَفَرَجِيَّةَ ، وَبَيْفِيلِيَّةَ ،
وَمِصْرَ وَنَوَاحِيَ لِيَبَّةَ الَّتِي نَحْوَ الْقَيْرَوَانِ ، وَالرُّومَانِيُونِ الْمَسْتَوْطُونِ يَهُودٌ وَدَخَلَا رُكْرِيَّيُونِ
وَعَرَبٌ تَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلِسَانِنَا بِعَظَائِمِ اللَّهِ) (٤) .

وهذا الجع الحاشد من اليهود الذين حضروا من مختلف المدن والبلدان
يقول لورانس براون في شأنهم : كان أكثر الذين ذكروا هنا يهودا مولداً وذلك لأن اليهود

(١) انجيل يوحنا (٧: من الفقرة ٢٣ - ٣٥) .

(٢) سفر أعمال الرسل (٢ : ٥) .

(٣) الإشارة إلى معاني الكلمات التي تحتاج إلى توضيح في النص : قَرْتِيُون : " أهل
فَرْتِيَا " وَفَرْتِيَا قِسم من بلاد الفرس بجوار الخليج العربي .

وَمَادِيُون : أى أهالى مَادى وبلادهم تقع في الشمال الغربى من بلاد فارس ،
وجنوب بحر الخزر .

وِغِلَامِيُون : وهم سلالة غيلام بن سام وبلادهم كانت ولاية من مملكة فارس ، وتسمى
اليوم " كردستان " .

وَمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ : أى بين " نهري دجلة والفرات " واليهودية نسبة للأماكن
التي وجد بها اليهود وقتها .

وَكَبِدُونِيَّةَ : ولاية في آسيا الصغرى جهة الشرق .

وَنَنْتَسَ : ولاية في شمال آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأسود ، والمراد بلفظة
" آسيا " الجزء الغربى من آسيا الصغرى ، وفَرَجِيَّةَ : وبَيْفِيلِيَّةَ ولايتين فى

آسيا الصغرى ، ومِصْرُ هى البلاد المعروفة الواقعة في الجزء الشمالى الشرقى
من إفريقيا ، وليبيا : تقع غرب مصر في شمال إفريقيا ، والقَيْرَوَانُ مدينة في تونس
أسمها قبة بن نافع النهري وبنى بها " جامع القيروان " عام ٦٧١م بعد فتحه
للبلاد .

" قَرْتِيُون " من جزيرة كريت الواقعة في البحر الأبيض المتوسط على بعد خمسمائة
ميل من سوريا (يراجع الكنز الجليل في تفسير الانجيل ج ٤ ص ٢١ - ٢٢ بتصرف .

(٤) سفر أعمال الرسل ٢ : ٩ - ١٢ .

فى عصر المسيح كانوا قد تبعثوا فى كل أرجاء العالم (١) .

ومع تبعث اليهود فى العالم انتقل المبشرون متبعين لهم فى الشتات وهذا ما يلاحظ دائما وغالبا من حصر التبشير وقصره على اليهود يشير إلى هذا المفهوم قول : أحمد عبد الوهاب : وبعد قتل " استفانوس " وتشتت أغلب التلاميذ والتابعين استمر التبشير المسيحى منحصرا فى اليهود ، إلا ما كان يقوم به بعض الغرباء مثل القبارصة وغيرهم من تبشيريين اليونانيين ، أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية (٢) وقبرص وانطاكية ، وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط . (٢)

بولس الذى قام بنشر المسيحية بين الأمم كان فى بدء تنصره يشر بين اليهود دون سواهم .

نبذة عن " بولس " :

اسمه أول الأمر " شاول " وشهر بهذا الاسم العبرى أو الارامى فى سفر أعمال الرسل من أوله إلى الاصحاح الثالث عشر الذى عرف فى إحدى فقراته بـ " بولس " (٣) وشاع اسمه الجديد هذا بين الناطقين باليونانية ومعناه " الصغير " .

ولد بولس الرسول فى طرسوس فى ولاية كيليكية من أعمال الإمبراطورية الرومانية حيث قضى زمن طفولته وكان أبوه فريسيا من سيوط بنيامين . (٤)

-
- (١) تفسير سفر أعمال الرسل دكتور لورانس براون تعريب حبيب سعيد ص ٦٠ .
 (٢) " فينيقية " : لفظ أطلقه اليونان على هذه البقعة الضيقة من أرض الكنعانيين الواقعة عند سفح لبنان على ساحل البحر .
 و " قبرص " : جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط .
 و " انطاكية " : قصبة فضاء فى ولاية حلب على الضفة الجنوبية من العاصى تبعد ٥٥ ميلا عن حلب يراجع بالترتيب (الفينيقيون وركاز الذهب واكتشاف أميركا ، عبد الله يوسف النحاس ص ٧ ط ٢ مطبعة جريدة البصير ١٩٥٠ م .
 (٢) مرصد الاطلاع ج ٣ ص ١٠٦٣ (حرف القاف والباء) ، ودائرة المعارف لبطرس البستاني مجلد ٤ ص ٥٠٦ .
 (٣) سفر أعمال الرسل (١٣ : ٩) .
 (٤) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦ بتصريف واختصار شديد .

وقد حصل على الرعية الرومانية وهي منصب شرف وتقدير ولقب عظيم يحصل عليه الشخص إما بدفع مال للحاكم الروماني أو بتقديم عمل جليل للدولة ، وربما حصل "بولس" على هذا اللقب لعمل قدمه والده في خدمة الدولة فنال ابنه بسببه هذا الشرف

ثقافته :

تلقى بولس ثقافته الأولية في موطن راسه طرسوس ، ويقال : إنها كانت مركزاً للفلسفة الرواقية التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيراته عن الهادي المسيحية ، وبعد أن تشبع من هذا الجو المملوء بالثقافة العقلية أرسل إلى أورشليم عاصمة اليهودية في هذه الفترة ليحضر في الناموس . (١)

وكان لهذا التعليم أثره في عقلية "بولس" وبالتالي نالته المسيحية نصيباً وافيراً من ثقافته مهما قيل في ذلك ، ولا يزال الجدل يرتفع بين العلماء والمؤرخين حول نوع التربية التي تلقاها والمؤثرات التي تأثر بها قبل اعتناقه المسيحية ، وماتدين لسه المسيحية من أثر الفلسفة والنحلة الهلنستية . (٢)

دخول "بولس" في النصرانية :

هذا الشاب اليهودي الملة ، الروماني المنشأة تعصب لليهودية ، فحارب النصارى في كل مكان واضطهدهم في كل موقع ، وقصة تحوله إلى المسيحية فيها من الاختلافات ما يجعلها تسقط في ميدان الاستدلال العلمي ويتبقى ذكر نوع واحد من الاختلافات فقد ورد في سفر أعمال الرسل في الاصحاحين التاسع ، والثاني والعشرين أن المسيح عليه السلام أمر "بولس" بالذهاب إلى دمشق حين ابرق النور لتلقى الرسالة . (٣)

وفي الاصحاح السادس والعشرين أرسله فوراً قائلاً : " منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم " (٤) فأيهما نصدق إرساله فوراً ، أو انتظاره لتلقى الرسالة ؟ إنه يبدو للباحث أن "بولس" من الشخصيات التي تحب وتطلب الرفعة

(١) انظر جميع السابق ص ١٩٦ بتصرف .

(٢) تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها تأليف / أندريه إيمار ، السيرة الذاتية أوبواية ، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر ، فريدم داغر ص ٤٢٠ ط ١

بيروت - دار الارشاد للطباعة ١٩٦٤م . بتصرف يسير .

(٣) يراجع سفر أعمال الرسل (١٧: ٩) ، (٢٢: ١٠) .

(٤) المرجع السابق (٢٦ : ١٧) .

الدنيوية ولا يهتم الدين بالمرءة ، وأنه اخترع هذه القصة لتحقيق هذه الأهداف .
"بولس" مبشر لليهود أولاً :

انضم "بولس" لحوزة المسيحية فجأة ، ولتحقيق ما تنص عليه نفسه انخرط فسي سلك التبشير مع تلاميذ المسيح بالرغم من أنه لم يشرف بالتلمذة بين يدي المسيح واتجه إلى اليهود مقتصرًا على تبشيرهم وعاكفًا على مجامعهم ، ومستخدماً عبارات العهد القديم في أحاديثهم معهم فحين أبحر مع برنابا إلى قبرص ، توجهوا فوراً إلى مجامع اليهود يقول لوقا : " فهذان إذ أرسلنا من الروح القدس انحذرا إلى سلوكية(*) ومن هنسك سافرا في البحر إلى قبرص ، ولما صارا في سلاميس(*) ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود وكان معهما يوحنا خادما " . (١)

والفقرة الرابعة عشر من السفر المذكور ، تذكر تحرك بولس برهقته إلى انطاكية بيسديه(*) ، لوعظ أهلها ، على طريقة بولس في المرحلة الأولى من قيامه بالتبشير حيث يبدأ بمقدمة مختصرة من تاريخ العهد القديم ، وينتهى في السرد التاريخي عند داود الملك المثالي الأول ، الذي تنبأ عنه الأنبياء أن من سلالة سيأتي ملك المستقبل المثالي ، المسيا . (٢)

هذه مواعظ بولس في أماكن عبادة اليهود ، يطوف بها عليهم من مجمع لأخر يقول سليمان مظهر : وقضى خمسة وعشرين عاماً ينتقل من مدينة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر ، وحيثما ذهب كان يقصد معابد اليهود حيث يواصل فيها نشر تعاليم يسوع . (٣)

وكل تلاميذ المسيح كانوا على الدرب سائرين ، فلم يتقدم واحد منهم بالكرازة إلى غير اليهود في هذه الحقبة الزمنية وهذا ما ترجم عن "يوسابيوس القيصري" يؤكد

- (*) سلوكية : مدينة اسمها اليوم السويدية وهي قرب مصب العاصي ، وكانت يومئذ ميناء انطاكية يراجع: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ج ٤ ص ١٢٠ .
- (*) "سلاميس" مدينة على شاطئ جزيرة قبرص الشرقى . (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢٥) .
- (١) سفر أعمال الرسل ٣ : ٤ - ٥ .
- (*) "انطاكية بيسديه" تقع على تخوم ولاية بيسديه القديمة ويطلق عليها انطاكية بيسديه تمييزاً لها عن انطاكية سورية التي بدأ منها الرسل رحلتهم (تفسير سفر أعمال الرسل ص ١٦٨ بالهامش) .
- (٢) المرجع السابق ص ١٢٠ .
- (٣) قصة الديانات ص ٤٣٢ دار الوطن العربي للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ .

هذا الأمر :

وعندما تشتت كل التلاميذ - عدا الاثنى عشر - في كل اليهودية والسامرة ، ذهب البعض كما تقول الكتب الإلهية حتى فينيقية وقبرص وانطاكية ، ولكنهم إلى ذلك الوقت لم يجسروا على تقديم كلمة الإيمان إلى الأمم ولذلك كرزوا بها لليهود فقط . (١)

ومن يرد المزيد من المعرفة حول هذا النوع من التبشير ، ويطلع على رحلات "بولس" في هذا الضمار فليطالع سفر أعمال الرسل ليعلم الكثير عن سفريات هذا الرجل واكتفى لتتيم الموضوع على سبيل الاختصار بذكر ما حدث من وصول "بولس" "وسيلا" إلى تسالونيكي (٢) ودخولهما مجمع انبيهود ، ومناقشة "بولس" لليهود ثلاثة سبوت ثم وصوله برفقة "سيلا" ليلا إلى "بيريه" ووصوله وحده إلى أثينا وعودته منها إلى كورنثوس (٣) ثم أنفس ، وفي كل مرة يناقش ، أو يحاج ، أو يعظ اليهود حتى يختم سفر أعمال الرسل صفحة بولس بوصوله إلى روما وحواره مع اليهود ، ومحاولته اقناعهم بناموس موسى وتعاليم المسيح عليهما السلام ، وقد استجاب البعض وامتنع الآخرون ، وهذه صورة موجزة لدور "بولس" التبشيري في البداية ظهر لنا منها قصره المسيحية على بنى اسرائيل فكيف تحول بها إلى الأمم ، وصورة مخالفة لتعاليم المسيح عليه السلام ، ذلك ما أبخه بمشيئة الله تعالى فيما يلي .

بولس وتغيير المسار التبشيري :

ذكرت قبل ذلك بقليل دخول بولس في حوزة المسيحية فجأة ، ثم تبشيره بها في دائرة اليهود ، وكما دخل بولس المسيحية بغتة في وضح النهار لرؤية نهاريه " فإنه نقل التبشير بنفس الطريقة لغير اليهود في ظلام داس لرؤية ليليه " ، وهذا ما سجله لوقا : (وظهرت لبولس رؤيا في الليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول اعبر

(١) تاريخ الكنيسة ترجمة القس مرقس داود ص ٦٦ بدون عدد للطبعة مطبعة

الوحدة بالجالة القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) تسالونيكي : ولاية من تركيا تعرف الآن "بسلانيك" دائرة المعارف لبطرس البستاني مجلد ٦ ص ١١٤ باختصار .

(٣) "كورنثوس" وهي عاصمة مقاطعة اخائية في بلاد اليونان تقع على بعد ٤٠ ميلا غرب أثينا (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٦) يتصرف .

إلى مكدونيه^(*) وأغنا ، فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونيه متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم^(١) .

ويعتبر هذا الاتجاه مسار جديد في الخط التبشيري المسيحي يقول لورانس براون :
ومهما يكن من أمر فإن الدخول إلى ولاية جديدة كان بمثابة مرحلة جديدة في جهود
"بولس" التبشيرية^(٢) ، الذي ابتداء في مد الخط المسيحي من بني اسرائيل إلى
الأمميين ، متخذاً مقاومة اليهود له ، ومحاورتهم معه ذريعة ، لهذا السلوك فانفلست
من بينهم ونفى ثيابه مما علق بها من رجسهم كما ذكر سفر أعمال الرسل : وان كانوا
يقاومون ويجدون نفس ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم أنا برى من الآن أذهب إلى
الأمم .^(٣)

وصدر هذا الكلام منه بعد خروجه من أثينا ، ودخوله كورنثوس ، حيث دعس
اليهود ، فصدوه بعنف فتصرف بعصبية ردّاً على فعلهم ، وكأنه أراد ان يثبت لهم
أنه في استطاعته هداية غيرهم ، وليس الأمر مقصوراً عليهم ولذا يقول الدكتور / لورانس
براون : (وقد سار نشر الدعوة في كورنثوس في الطريق العادي ، فنادى "بولس" أولاً
بين اليهود ، مثبتاً أن المسيا هو يسوع ولكن لما تعست قلوبهم وعابوا في يسوع ، ترك
المجمع وأخذ يعمل بين الأمم وهو يقيم في بيت رجل متعبد لله يدعى تيطيوس يوستنس^(٤) .

ثم زار مرة أخرى مكدونيه وإخائية^(*) ، وانطلق إلى اورشليم عاقدا العزم على الذهاب
إلى رومية ، تحقيقاً لرؤية راها يقول لوقا : (وفي الليلة التالية وقف الرب وقال : ثق
يابولس لأنك كما شهدت في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً)^(٥) .

(*) مكدونيه : إقليم شهير ببلاد "أوربا" يحد من الجنوب إقليم تساليا ومن جهته

الشرق إقليم تراسه ومن الشمال والغرب سلسلة جبال فاصلة بينه وبين إقليم

بلغار (يراجع : كتاب اتحاد الملوك الألبا بتقديم الجمعيات في أوربا ترجمة

خليفه بن محمود ج ٢ ص ٣٣ " الخاتمة " طبع مطبعة بولاق بمصر ١٢٥٨ هـ .

(١) سفر أعمال الرسل (١٦ : ١ - ١٠) .

(٢) تفسير سفر أعمال الرسل ١٩٤ .

(٣) سفر أعمال الرسل (١٨ : ١٦) .

(٤) تفسير سفر أعمال الرسل ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(*) إخائية : إقليم كان في الأصل جزءاً من بلاد اليونان في الجنوب في شبه جزيرة

الباليونيس وفي زمن العهد الجديد كانت إخائية ولاية رومانية تشمل بلاد اليونان

الواقعة جنوب مكدونيه (يراجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣) .

(٥) سفر أعمال الرسل (٢٣ : ١١) .

وانطلق بولس مباشرة بمسيحية على هواء ، لا كما تحدث عنها المسيح فالمفهوم الصحيح للنصرانية الحققة ، هو إتمام مسيرة موسى عليه السلام وإعلان اليهود بمجسّي النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، لكن "بولس" لما صدمه اليهود ولم يستجيبوا لقوله طوّع المسيحية لأفكاره واتسعت دائرة تهشير جغرافيا كما اتسعت جنسيا ووصل قطرها من أورشليم إلى روما ، وكان منطقة : (بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله حتى أتى من أورشليم وماحولها إلى الليريكون^(١)) قد أكملت التهشير بإنجيل المسيح ولكن كنت محترضا أن أبشر هكذا ، ليس حيث سعى المسيح لثلا ابني على أساس آخر^(٢))

"بولس" نقض تعاليم المسيح عليه السلام :

لقد أعلن المسيح عليه السلام أن رسالته قائمة على أساس الناموس وقد ذكرت ذلك سابقا ، والناموس حرم كثيرا من الأطعمة ، والتي من بينها لحم الخنزير ، والبيوتنة وكل اللحوم المحرمة ذكرت في الاصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين ، وورد أيضا عطلة السبت في نفس السفر : (ستة أيام يُعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس عملا مالا تعملوا ...)^(٣) .

لكن "بولس" كان حريصا كما قال أن يبشر على طريقته ليس على طريقة المسيح ولم يعد بولس مقيدا بأن يوصى المنتصرين الأمم بالامتناع عن أكل لحم الخنزير والعمل يوم السبت ابتغاء مرضاة اليهود^(٤) .

وهكذا تتحرر المسيحية رويدا من قيود اليهودية ، وتصبح نحلة مسيرة تتقبلها أى أمة ، وبالطبع لم يرض اليهود بهذا المسلك واعترضوا طريق "بولس" فانبرى بطرس على الفور مؤيدا له يقول لوقا : (فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم أيها الرجال الإخوة انتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون والله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم الروح القدس كما لنا أيضا)^(٥) .

(هـ) الليريكون كانت إقليما رومانيا واقعا على الشاطئ الشرقى لبحر الأدرياتيك (تاريخ الكنيسة ، يو سابيوس القيصري ترجمة القس مرقس داود ص ١٠٦ بالهامش .

(١) رسالة بولس إلى رومية (١٥ : ١٩ و ٢٠) .

(٢) سفر اللاويين (٢٣ : من الفقرة ٢) .

(٣) تفسير سفر أعمال الرسل ص ١٧٣ .

(٤) سفر أعمال الرسل (١٥ : ٨ و ٩) .

ولا يستغرب حدوث هذا الكلام من "بطرس" وموقفه من "بولس" فقد وصفه المسيح عليه السلام بأنه شيطان ، وأنه حجر عثرة في طريقه لأنه يعمل ما يرضى الناس لا ما يرضى الرب ، يقول متى عن المسيح : فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس (١) ولا يفوتني أن أذكر بما قيل عنه إنه : هو أول من دعا إلى تغيير التوراة في "الشرعة" وقد غيرها هو ومن معه (٢) من أجل الرومان أولاً ، الذين أرادوا أن يدخلوهم في النصرانية بسهولة . (٣)

وهذا التحول الخطير وضعت بذور الأنجيل في التربة الرثينة الغربية كما وضعت سابقا في التربة اليهودية ، واستطاع "بولس" أن يحقق هدفه من هذا الباب فجعل النصرانية مظلة فوق من يستظل تحتها فقال (الدعوة التي دعى فيها كل واحد فليلبث فيها) . (٤)

فإذا دعى اليهودى إلى النصرانية وقبل الدعوة فليعمل بحسب شريعته التي دبر عليها وهي شريعة موسى ، وإذا دعى اليونانى إلى النصرانية وقبل الدعوة فليعمل بحسب قوانين بلاده التي تحكم المواطنين وحسب العادات والتقاليد التي دبر عليها فالمهم عنده أن يطلق على الفرد لفظ مسيحى فقط ، ويبرز فكره المثار إليه واضحا في رسالته إلى أهل كورنثوس حيث يدعو معاونيه إلى تقبل كل داخل في حظيرة المسيحية أيا كانت هويته ، وأيا كان سلوكه حتى بعد الدخول فيها فيقول : (كونوا بلا عثرة لليهود وللليونانيين ولكنيسة الله كما أنا أيضا ارضى الجميع فى كل شىء غير طالب بما يوافق نفسى بل الكثيرين لى يخلصوا) (٥) .

وما زال لهذا الفكر أثر قائم لوقتنا الحاضر ، فالبشرون والبشرات لا يتورعون عن ارتكاب أى شىء فى سبيل نجاح خططهم بدعوى أنهم يخلصون غيرهم من العذاب والحرمان ، وما إلى ذلك .

-
- (١) انجيل متى (١٦ : ٢٣) .
 (٢) ويقصد بمن معه : بولس ، ومعقوب .
 (٣) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام واثبات نبوة نبيينا عليه الصلاة والسلام للإمام القرطبى تحقيق الدكتور / أحمد حجازى السقا ج ١ ص ٤٢٩ مطابع دار التراث العربى بالقاهرة بدون تاريخ .
 (٤) رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس (٧ : ٢٠) .
 (٥) المرجع السابق (١٠ : ٣٢ و ٣٣) .

يرى الدارس في تاريخ المسيحية ، أنها كرسالة سماوية أصابها التحريف وقد تسلسل التغيير لها رويدا رويدا ، وظهر بصورة ملفتة للنظر على يد "بولس" الذي طوع المسيحية للفلسفة الإغريقية ، وساعده في هذا المضمار ثقافته الفلسفية التي تلقاها في مسقط رأسه "طرسوس" ، ولذا لم يرغب دوره في تحويل المسيحية عن العالم الاسلامي الجليل الشهير ستاني حيث ذكره بعد كلامه عن المسيح : وصعد إلى السماء وكان وصيه شمعون (x) الصفا وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا غير أن فولوس (x) شوش أمره وصير نفسه شريكا له وغير أوضاع علمه وخطاه بكلام الفلاسفة ووسوس خاطره . (١)

ويؤكد حقيقة مزج المسيحية بالفلسفة الإغريقية باحث من مفكرى الغرب المسيحي مشيرا إلى ما تركته رسائل بولس من معالم تنطق بهذه الحقيقة قائلا : وقد أدى اتصال الكنيسة بالعالم الهليني منذ البداية إلى محاولات لتفسير غوامض العقيدة المسيحية بالفلسفة الإغريقية وأنت تلمس آثار هذه المحاولات حتى في رسائل القديس بولس . (٢)

وبذا وصل تأثير الوثنية في الرسالة النصرانية إلى هذا الحد ، قدمجت تعاليم عيسى بالأنكار الوثنية ، وتمت عملية المزج في البوتقة البوليسية ، حتى إذا تم الانصهار خرجت بتشكيكة جديدة ، هي مسيحية بولس ، التي فيها المسيح الرب ، وابن الله ولا دهشة لأحد بعد توجيه النصيحة للمبشرين بالقول الآتي :

إن عمل المرسل المسيحي ليس أن يدعو الناس من الهيكل الوثني إلى كنيسة الله بل أن يشعل فتيلة الله المدخنة في الهيكل الوثني ، ويصب بعض الزيت من التعاليم المسيحية فيضي المصباح بلمعان جديد . (٣)

(x) شمعون الصفا : اسمه الأصلي سمعان ، دعاه المسيح لمصاحبه ، وسماه " كيفا " وهي كلمة آرمية معناها في هذه اللفظة " الحجر أو الصخرة " ثم ترجم هذا الاسم إلى اللاتينية في كلمة معناها الصخرة في هذه اللفظة ، هي : " بطرس " وهي رئيس الحواريين وله جهود واضحة في التبشير بالمسيحية في عهد المسيح ومن بعده في كثير من البلاد (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام دكتور على عبد الواحد واني ص ٦٨ ، ٦٩ . (x) فولوس : المقصود به " بولس "

(١) الفصل وسهامشة الملل والنحل للشهرستاني ج ٣ ص ٣٢ .

(٢) تاريخ العالم نشره بالانجليزية السيرجون . ١ . هامرتين المترجم بوزارة التربية والتعليم المجلد الرابع ص ٣٦٢ .

(٣) تفسير سفر أعمال الرسل ص ٢٠٧ .

وبهذا العمل تتلاشى المسيحية وتذوب بل تحترق وتضير رمادا يتطاير وسط
رياح الوثنية ، وهيهات لها أن تنير أو تلمع كما يزعم ، وهكذا يستمر التيار في مجراه
فتنتهى حياة "بولس" وتبقى تعاليمه ، ينقلها جيل عن جيل ، مع اضافات وتحسينات
من عند انفسهم ، يظنون انها تتمشى مع التطور الزمنى ، ولكنها فى الواقع انتكاسة
للعقل ورجوع بالانسانية السوية الى الوراء ، وكان "لبولس" الدور الاكبر ، واليسد
الطولى فى صنع الانتكاسة البشرية فى جانب العقيدة وتحريف الملة المسيحية ، فبالرغم
من اعتراف المسيح عليه السلام بتوحيد الله تعالى وشهادته على نفسه بانه رسول الله
حيث يقول (٠٠٠) إن أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد (١)
ويقول الله تعالى : (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتنكم بالحكمة ولأبين لكم
بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم) . (٢)

بالرغم من هذا يجيء "بولس" ليقول : إن المسيح ابن الله ، والمسيح الرب
كما ورد فى رسالته لأهل رومية : (وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة
بالقيامة من الأموات ، يسوع المسيح ربنا ٠٠٠) (٣) ، ويقول أيضا : (مبارك الله
أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية) . (٤)

ويشيع مهزلة صلب المسيح فداء للبشرية الائمة ، شاكرا به أن قدم ابنه قربانا
لخطيئة بنى آدم ، قائلا : (شاكر بين الآب الذى أهدنا كشركة ميراث القديسين فى
النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذى لنا فيه
الفداء بدمه غفران الخطايا) . (٥)

وحياى هذه الافتراءات ، أذكر بقول الله عز وجل : (وقالت اليهود عزيز ابن
الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ينهاهون قول الذين كفروا
من قبل قائلهم الله أنى يوفقون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (٦) وقوله
تعالى (ألا تزرعوا زرا أخرى) . (٧)

(١) انجيل مرقس (١٢ : من الفقرة ٢٩) .

(٢) سورة الزخرف الايتان ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) رومية (١ : من الفقرة ٤) .

(٤) رسالة بولس الثانية إلى كورنثيوس (١ : ٣) .

(٥) رسالة بولس إلى كولوسى (١ : ١٢ - ١٤) .

(٦) سورة التوبة الايتان ٣٠ ، ٣١ .

(٧) سورة النجم الآية ٣٨ .

مسار المسيحية بعد بولس :

انتهت حياة بولس ، ومضى أثارها ، والتي من أفضعها ادعاء ألوهية المسيح وقد علمنا أنه تآثر بالفلسفة في عصره ، وتابعه في السير على منواله يوحنا ، صاحب الإنجيل ، هذا الرجل اقتبس فكرة " الأفلاطونية " في تعدد الآلهة ، وساعده نفس إخراجها إلى حيز الوجود ، أن إنجيله آخر الأناجيل المعتمدة تدوينا فقد ظهر على مسرح التاريخ حوالي سنة ٩٥ أو ٩٨ م .

" فما من شك في أن كاتب هذا الإنجيل الذي روى فيه حياة المسيح متأثر بالأفلاطونية فهو لا يصور لنا المسيح كما صورته الأناجيل الثلاثة الأولى ، ابن الإنسان وحسب إنما هو عنده " الكلمة " أو " اللوغوس " والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، وترى المسيح يعلن وجوده الأزلي بقوله : " قيل أن يكون إبراهيم أنا كائن " (١) (٢) .

وإذن فقد شقت هذه الفكرة - أي كون المسيح هو الكلمة الإلهي - طريقها إلى الكنيسة في هذا الوقت المبكر ، على أن الكنيسة لم تكن في ذلك الوقت قد كونت عقيدة ثابتة عن علاقة الكلمة بالله من جهة ، وعلاقته بالمسيح الإنسان من جهة أخرى " (٣)

ونظرا لانتشار المسيحية في هذه الحقبة التاريخية في بلاد يبرز فيها تعدد الآلهة ، فقد ظهر تعدد الآلهة في مصر في صورة آلهة ثلاثة كل إله له دور يقوم به .

يقول الدكتور روف شلسبي : وخصصوا لكل إله وظيفة :

أوزيريس : وظيفته الإنبيات والخصوبة فهو إله النيل .

ايزيس : وظيفتها الحكمة والتشريع والسحر والوفاء والإخلاص .

توت : وظيفته العلم والتدبير . (٤)

وعلى نفس الشاكلة كان اليونانيون ، والرومانيون ، يعددون الآلهة وإن قلنا إنهم

نقلوا كثيرا من مظاهر معتقداتهم عن المصريين القدماء لانكون قد تعدينا الصواب : يقول المرحوم الدكتور / محمد أبوزهره : اعتقد الرومان ، كما اعتقد اليونان من قبل بأن كل

(١) إنجيل يوحنا (٨ : من الفقرة ٥٨) .

(٢) يراجع تاريخ العالم ج ٤ ص ٣٦٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) آلهة في الأسواق (دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق) ص ٢٥٨ ط ٣

الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة بالقاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

ما يحدث فى هذا العالم هو ما قضت به إرادة خالق له ، ولكمهم لم يمتقدوا بوحداية الخالق ، بل عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التى تتجلى فيها أوامر الهتهم ونواهيها ، فهناك رب بنيت البذر ، وآخر يحصى الحقل وثالث يحرس الثمار ، وهكذا ولكل رب اسمه وجنسه وعمله فعندهم للسماء إله وللشجاعة إله ، كما عند اليونان وسموا إله السماء جوبتر وإله الحرب مارس ، وإله الشجاعة هركوليس وهو مايس عند اليونان هركليس ، وقد اقتبسوا أيضا بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء . (١)

وكل هذه الأفكار المضللة تسربت إلى المسيحية وتسربت بها المسيحية بصورة حيرت العقول ، وكان لمدرسة الإسكندرية المسيحية نشاط بارز فى هذا المضمار .
مدرسة الإسكندرية (*) والمارس المسيحى :

تت عملية التقريب بين المسيحية والوثنية ، بل والخلط بينهما فى مدرسة الإسكندرية وكانت نهاية القرن الثانى الميلادى مسرحا لارتداء المسيحية ثوب الفلسفة الإغريقية — يقول الدكتور / إبراهيم نصحي : وما يجدر بالذكر أنه فى القرنين الثانى والثالث قامت الإسكندرية بدور كبير فى التقريب بين أسس الأفكار فى الوثنية والأفكار التى انبثقت من المسيحية فإلى جانب " الجامعة " القديمة التى استمرت تتابع دراساتها الوثنية نشطت المدرسة المسيحية الكبرى التى أسسها بنقلينوس (Pantacrus) وكانت أصول الايمان تُعلم فيها عن طريق السؤال والجواب . (٢)

وللمرء أن يتصور مدى تأثير هذه المدرسة بالوثنية وبالتالى تلاميذها ، إذا علمنا أن أحد الذين تولوا عبادتها وقع أسيرا للأفلاطونية ، فى الوقت الذى كان يحاربها فى الساحة الكبرى للصراع الإسكندرية لاروما .

- (١) مقارنات الأديان (الديانات القديمة) الدكتور / محمد أبو زهرة ص ١٤ بدون عدد للطبع ، دار النصر للطباعة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .
- (٢) مدرسة الإسكندرية : يبدو أنها أنشئت أصلا لتعليم الموعوظين أى الراغبين فى الدخول إلى الايمان ثم اتسعت وقد لعبت هذه المدرسة دورا داما فى التاريخ الكنسى تحت إدارة الكليسا الإسكندرية (تلميذ بنقلينوس) كما أدارها أيضا " أوريجانوس " " هركلاس " و " يوتسيوس " و " ديديموس " وغيرهم حتى القرن الرابع حيث توارت (تاريخ الكنيسة — يوسابيوس القيصرى ص ٢٢٥ بالهامش مع التصرف) .
- (٢) تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى) المجلد الثانى تأليف نخبة من العلماء ص ١٣٩ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بدون تاريخ .

وقد دون هذا كتاب تاريخ العالم : ففي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية الجدلية *Catechetical School* بدأ " بنتاينوس " و " كليمنت " في ختام القرن الثاني يفصلان الأفكار المسيحية مستعينين بالفلسفة الاغريقية . وكان من تلاميذها " أوريجانوس " أبو اللاهوت المسيحي الذي تولى عمادة هذه المدرسة سنة ٢٠٣م وحسبنا أن نقول عن تعاليمه في هذا المجال إنه وقع تحت تأثير دعاة الأفلاطونية الحديثة بينما كان يحاول محاربتهم وترجم عقيدة الكنيسة إلى آراء تحمل طابع تفكيرهم . (١)

الأثر المباشر لهذه الفلسفات :

تركزت هذه الفلسفة آثارا خطيرة على المسيحية . من أهمها : تغلل مظاهر الوثنية في هذه الرسالة السماوية . فأجهزت على صلب الدعوة النصرانية . وحجبت نور التوحيد بظلمات متراكمة بعضها فوق بعض . وكلما اخترقت مصابيح الموحدين ظلمة وجدت أخرى وكان يوسع دعاة التوحيد بعد العناء والجهد المضى أن يخرقوا هذه الظلمات ويزيلوا كل الحجب . فبرى العامة والخاصة التوحيد نورا يتلأأ . لكنهم حسين اقتربوا من نهاية الشوط . وجدوا سيف السلطان مسلطا على الرقاب وحاميا للوثنية مسن كل باب وكان قسطنطين قائد الرومانيين الوثنيين . حاس حى المسيحيين . هو الدرع الامين لطائفة المضلين . فزاد معالم المسيحية تحريفا . فأكمل دور " بولس " وحقق ما عجز عن تحقيقه .

هذا بالإضافة إلى ما حدث بين المسيحيين من جراء هذه الفلسفة فقد شهد القرن الثانى الميلادى انقسامات خطيرة في صفوفهم وتعدد مخيف لفرقهم ظل فترة كبيرة مسن الزمن ما اضطررهم قسطنطين لعقد مؤتمر للحد من صراعمهم . وذلك في نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادى ولكن نتعرف على أهم المؤثرات في المسيحية لهذه الفترة لابد من الإشارة إلى مجموعة من هذه الفرق المتنازعة .
والتي يمكن اجمالها في الآتى :

- ١ - طائفة ظلت رافعة لواء التوحيد نورا يضيء الظلمات ويكشف السحب الكثيفه .
- ٢ - طائفة مالت عن التوحيد وتخبطت في ظلمات الشرك وفقدت الرؤية الواضحة في سحب الوثنية وتأثرت بالفلسفات الأرضيه .

أهم فرق الطائفة الثانية :

أ - فرقة المرقيونيين : وهي تنسب إلى مرقيون أو مرسيون وهو من رجال القرن الثاني الميلادي ، وكان قسيسا ، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود الإلهين أحدهما الإله العادل ، والآخر إله الخير الذي ظهر متشلا في المسيح وخلص الإنسانية من خطاياها ، ويظهره بطلت جميع الآلهة الأولى .

وقد تعسفت هذه الفرقة فطرحت أسفار العهد القديم ، ومعظم أسفار العهد الجديد وحرمت الزواج على جميع أفرادها رجالا ونساء فتنافست تدرجيا حتى انقرضت تماما في القرن العاشر الميلادي .^(١)

ب - فرقة البربرانيين : وهي قديمة النشأة كسابقتها ، وهي امتدادها بعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، ونشأت منها فرق تؤمن بأنكارها ، واتباع البربرانيين : يقولون بألوهية المسيح وأنه من دون الله عز وجل .^(٢)

وقد نزل بشأنها قرآنا يتلى إلى قيام الساعة : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) .^(٣)

ج - فرقة إيليان وهم صنف من اليعقوبية ، ولما كانت اليعقوبية تؤله المسيح كذلك الأليانية ، وهم يزيدون على اليعقوبية في نظرتهم الخاصة بشأن المسيح عليه السلام وتفسيرهم الخيالي لمولده يقول الشهرستاني فيهم : وزعم قوم من اليعقوبية أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا لكنها مرت بها كالماء في الميزاب ، وما ظهر من شخص المسيح عليه السلام في الأعين هو كالخيال والصورة في المرآة ولا فما كان جسما متجسما كتييفا في الحقيقة ، وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان وهو لا يقال لهم الأليانية ، وهم قوم بالشام واليمن والأرمينية قالوا وإنما صلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا .^(٤)

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة ص ١٠٦ بتصرف واختصار .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ص ٣٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل بالهامش الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٣ .

د - فرقة التثليث والوهية المسيح :

وقد ذهبت إلى أن الاله ثلاثة أقانيم وهى الآب والابن والروح القدس ، وبرزت هذه الفكرة فى خواتيم القرن الثالث ، وهذا ما دعى صاحب تاريخ العالم إلى القول : ويلاحظ أن عقيدة التثليث - أى القول بأن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم فى الله واحد - كان لها الغلبة فى روما قبل أن يختم القرن الثالث ^(١) ، وظلت فكرة مطروحة للنقاش والرد حتى انعقد المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م - أى لمدة تسعين بالتقريب - فقرروا فيه أن الآب وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم ^(٢) وهذا تكامل للقوم ثالوثهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أهم فرق الطائفة الأولى :

أ - فرقة أيبون : وهى تفر شريعة موسى عليه الصلاة والسلام وترى المسيح عليه السلام مجرد بشر رسول ، وتم انقراض هذه الفرقة فى أواخر القرن الرابع الميلادى . ^(٣)

ب - فرقة " بولس الششاطى " : كان " بولس " تلميذا من تلاميذ مدرسة الاسكندرية ورسم فيما بعد اسقفا للكرسى انطاكية سنة ٢٦٠م تقريبا ، وكان يؤمن بعقيدة " أرتيمسون " القائلة بأن المسيح كان مجرد إنسان وأنه كان يمتلك قوة الهية من وقت ميلاده ، وتقدس المخالفون لقوله مجامع متعددة فى انطاكية ، للنظر فى أمره حتى تمكنوا من خلعهم حوالى سنة ٢٦٨م . ^(٤)

وكان هدفهم من وراء خلعهم ذبح مقالة التوحيد ، بطرد قائلها ورفضه ، ولو كان من يأخذون منه أمور دينهم ، كهذا القس الجريء فى الحق ، والذي يقول فيه ابن حزم : وكان بطريركيا بانطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله التوحيد السجود الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله ، كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله تعالى فى بطن

(١) ج ٤ ص ٣٦٣ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٣ .

(٣) الأسفار القدسة فى الأدیان السابقة للإسلام ص ١٠٨ باختصار وتصرف .

(٤) تاريخ الكنيسة ص ٣٤٣ بالهامش مع التصرف .

مريم من غير ذكر • وأتته انسان لا إلهية فيه • وكان يقول لأدري ما الكلمة ولا الروح القدس ^(١) • وشاءت ارادة الله أن تنتقل مقالة "بولس" المذكور بالرغم من اضطهاد قائلها ولعننه وطرده كما نعلم •

ج - فرقة أريوس : على الرغم من اضطهاد "بولس الشمشاطى" ورفض مقالته فسيان لوقيان تلميذ "بولس" تمسك بأراء استاذ • ولخص قوله أن الكلمة صار أقتوما فى يسوع المسيح • فالسيح ليس إلهيا لأن الجوهر الإلهي • وهو الكلمة خلقها الله • واتخذت جسد المسيح • فلم يعد المسيح هو الإله الواحد ولم تعد له طبيعته • ^(٢)

وتلقف "أريوس" تلميذ مدرسة الاسكندرية - فكرة لوقيان بعقليته الواسعة ومسيرته النيرة • وأخذ على عاتقه صد كل فرقة تقول بالتعدد • يقول عنه الدكتور / على عبد الواحد وافي : وقد أخذ على نفسه أوائل القرن الرابع الميلادى مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بالوهية المسيح ونوته للآب فقام يقرر أن المسيح ليس إلهيا ولا ابنا لله إنما هو بشر مخلوق • ^(٣)

ويصور صاحب تاريخ العالم حماسه ، وخوفه من ضياع التوحيد بمواقعية لانظسسير لها فيقول : فألقى بنفسه فى المعركة مدفوعا بغيرته على وحدانية الاله وساطته •

فكان لمشاركته فيها من النتائج مازرع أركان الكنيسة والإمبراطورية جسيما ^(٤) • وهبت كنيسة الاسكندرية فى وجهه " ولم تأل جهدا فى محاربه وسحابة أرائه • وكالعادة حكمت عليه بالطرد من الكنيسة فلم يوهن ذلك من قوته • فقد كان أتباعه وناصروه كثيرين ومنتشرين فى الاسكندرية • وأسيوط • وفلسطين • ومقدونية والقسطنطينية " ^(٥) •

ومن سوء حظ المسيحيين تدخل قسطنطين • فقد كان يوسع أتباع الحق أن ينصروه على الباطل لكن عصا السلطان • وغواة العامة مكنتا مناصرى الباطل من تحقيق هدفهم • فقد أدرك قسطنطين خطورة الأمر واتساع دائرة النزاع فعقد مجمع "نيقيه"

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٣٩ •

(٢) تاريخ العالم ج ٤ ص ٣٦٤ • ٣٦٥ بتصرف •

(٣) الأسفار المقدسة فى الأيان السابقة للإسلام ص ١٠٩ •

(٤) تاريخ العالم ج ٤ ص ٣٦٥ •

(٥) يراجع الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٠٩ بتصرف •

الشهير وتم فيه الإجهاز على كل قول ينطق بوحداية الله ، ومنذ حدوث هذا المؤتمر لعصرنا الحاضر ومفكرو المسيحية في مأزق حرج لا يعرفون بابا للخروج منه ، حيث أقر مجمع نيقية ألوهية المسيح وتلته مجامع أخرى ثلثت الألوهية كما علم وأخذت المسيحية تتنقل من الدائرة " البوليسية " إلى الدائرة القسطنطينية ، ومن ينصب فيها وصارت مسيحية الملوك منذ تدخل قسطنطين فمن هو قسطنطين ؟ •

من هو قسطنطين ؟ :

هو قسطنطين بن قسطنطينوس كلوروس^(*) له الدور الكبير في ظهور المسيحية فقد ظهرت بالإمبراطورية الرومانية في عهده بعد خفاء وجاهر بها أتباعها بعد استتار " وهو أول ملوك الطبقة الثانية وهم المنتصرة " ويعرف بأمه هيلاني واليه ينسب وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي أظهر دين النصرانية^(١) ، وقد أراد أن يستنصر بالمسيحيين في حربه ضد خصومه فأكسب المسيحية قوة ولو أنها قوة شكلية إلا أنها أثرت في انتشارها وزرعها في الوقت الذي أثرت فيه على تعاليمها

كيف اكتسبت المسيحية قوتها ؟

في عام ٣١٢م بدأ المسيحيون يتنفسون الصعداء فقد أصدر الإمبراطور الرومانى " قسطنطين " منشور " ميلان " (١) بموافقة " ليكنيوس " (٢) ، امبراطور الشرق ، وهذا المنشور يمنح بموجبــــــــــــه الحرية الدينية لجميع رعايا الإمبراطورية بالإضافة إلى ذلك قرر المنشور أن تدفع التعويضات للمسيحيين عن جميع أملاكهم المنقودة ، وأن تبني الكنائس المسيحية من جديد وتعمر (٣) وهذا المنشور ورقة رابحة قد مهأ قسطنطين ليظفر بالحكم وحده بلا منازع فبعد عام من صدوره قرر مهاجمة امبراطور الشرق ثم تقابلا في معركة متكافئةـــــــــــــــــــــة ، رجحت فيها

(٢) يقول صاحب " الدرة النفيسة في شرح حال الكيسة ص ٢٥ " إن قسطنطين - قسطنديوس -

خلوروس" وهو موافق لما ذكر بأعلى الصفحة مع اختلاف يسير نتيجة لترجمة الكلمة إلى العربية.

(۱) کتاب "التنبیه والارشاد" لابن الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی ص ۱۳۲ طبع

بمطبعة بريل في مدينة " ليدن " عام ١٦٧٢م بتصرف يسير .

(*) ميلان : أو " ميلانو " حاليا . Milano مدينة في شمال إيطاليا شهيرة بقبة كاتدرايتها

المجلد في العلوم لمجموعة من الأساتذة ذوي الاختصاص ص ٧٠١ ط ٨ المطبعة

الكاثوليكية - بيروت ١٩٧٦ •

(٣٤) ليكنيوس : امبراطور روماني في القسم الشرقي (٣٠٧ - ٣٢٤ م) اتفق مع قسطنطين على

سياسة التسامح مع المسيحيين ثم تراجع عنها فحاربه قسطنطين وقلته ، المرجع السابق ص ٢٢١

(٢) "صراع عبر الزمان" أو المسيحية معركة متواصلة تأليف السيد ه. مايل وريترن نقله إلى العربية القس

ایلیا خوری ص ۴۰ مطبعة النيل المسيحية بدون تاریخ

كفة امبراطور الغرب بعض الشيء ، فاضطرا سويا إلى اتفاق وضعت الحدود فيه بينهما فكان " لليكينيوس " جزء من أوربا بينما ظفر " قسطنطين " بجل أوربا وظل يعد الجيش لمعركة فاصلة مع خصمه مهينا لأسباب النصر من تنظيم للإدارة وتدريب للجيش وتسليحه . بالإضافة إلى تحببه للمسيحيين ، لكسب ودهم ، حتى إذا وقعت الواقعة جعلهم حريا بين المسيحية والوثنية ، فبالرغم من عنف المعركة لم تستمر أكثر من عام ففسي سنة ٣٢٣م لقي الامبراطور الشرقى شر هزيمة ومات منتحرا بينما حكم قسطنطين الإمبراطورية موحدة مدى أربعة عشر عاما بلا منازع وحقق في هذه الفترة أمورا كثيرة من أهمها :

١ - تأكيد قرار " ميلان " بقرار تسامح نهائى جديد سنة ٣٢٤م ، كان له أثره البالغ على المسيحيين والمسيحية .

٢ - الاعتراف بالمسيحية ضمن الديانات المعترف بها في الإمبراطورية وهذا ما حدث في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م .

٣ - نقل عاصمة الإمبراطورية من روما في الغرب إلى القسطنطينية في الشرق عام ٣٣٠م وظل يحكم منها امبراطورته حتى وافته المنية عام ٣٣٧م .

٤ - بدأت المسيحية في الحقبة الأخيرة من حكم " قسطنطين " تأخذ دورها في الإمبراطورية مسيطرة للجو السياسى والاجتماعى ، وانتهى عهد دخول الناس في المسيحية عن اقتناع إلا ماندر ومنذ عهد قسطنطين وللعصر الحاضر والمسيحية مفروضة بالسلطان السياسى في الظاهر مرة ، وفى الخفاء مرة أخرى وخير شاهد على هذا كتاب " تراث العصور الوسطى " حيث يقول مؤلفه : ذلك أنه إذا استعرضنا تاريخ انتشار المسيحية منذ أيام قسطنطين رأينا أن ذلك الانتشار تم بإضافة أنواج من الناس لبدخول أقوام معينين في حظيرتها ومع التسليم ببعض الاستثناءات الواضحة من هذه القاعدة كان اعتناق الناس عبوا للمسيحية - على حد قول التعبير الحديث - علا من أعمال الدولة ، حيث اضطلع الملوك وغيرهم من أرباب السلطان السياسى بادخال رعاياهم معهم في الدين أو باخضاع جماعات غريبه عنهم لمشيئتهم الدينية عن طريق الفتح ، استجابة ولارب لنشاط المبشرين ، وتنفيذا فيما بعد لرغبة البابويه .^(١)

كما كان للدوافع المادية أثرها في دخول كثير من الوثنيين في المسيحية فيسـد السلطان مع العطاء المالى قد ساعدا على فوز هذه البلسة بالنجاح ولو أنه في الواقع نجاح مزيف ، وهذا ما شهد به موريس يقارنى :

(١) ج كرامب ، اجاكوب ترجم بإشراف وزارة التعليم العالى راجع ترجمته: محمد بدران ، ومحمد مصطفى زيادة ج ١ ص ٤٥ مطبعة مخيم بالقاهرة ١٩٦٥م .

إن ما أخذت المسيحية تنعم به من مراعاة السلطات العامة منذ اهداء قسطنطين قد ساهم ولاشك في تضخم صفوفها ، بانضمام كثيرين إليها ، مندفعين بدوافع مادية أكبر منها دينية وهذا خطر يقع فيه كل مذهب يفوز بالنجاح . (١)

وينبغي أن لا يغيب عن الباحث في الملة النصرانية حقيقتان أولاهما أن قسطنطين قد جعل نفسه حاس حى المسيحيين لا المسيحية ، وثانيتهما * أنه لم يقبل المعمودية إلا وهو على فراش الموت * (٢) كذلك ظل طوال حياته محتفظا بلقبه الوثني فهو الكاهن الأعظم ، وكان يعتبر يوم الأحد يوم إله الشمس الذي لا يقهر . (٣)

وهذا يؤكد وثنيته في الباطن ، بل في الظاهر أيضا وكونه أبدى ميلا للمسيحيين إنما هو في الواقع سياسة اتخذها لتحقيق مآربه ، وقبول زعماء الكنيسة لذلك منه تسرع من تبادل المنافع .

وإذا كان الربع الأول من القرن الرابع الميلادي شهد بضم المسيحية ضمن النخسل واللبل المعترف بها في روما ، فإنه لم يكد ينتهى هذا القرن حتى صارت الديانة الرسمية للإمبراطورية على يد الإمبراطور " ثيودوسيوس الكبير " (٣٧٨ - ٣٩٥) . (٤)

وظلت المسيحية سائدة في الدولة الرومانية ، ومتغلغلة في الدول الغربية بالرغم من الصراعات بين طوائفها وبين رجال الدين مع بعضهم البعض ، ثم بين البابوية والأباطرة ، حتى جاء الاسلام بنوره وحدث اللقاء بين المسيحيين والمسلمين بأرض الحبشة في القرن السابع الميلادي .

-
- (١) تاريخ الكنيسة * المجامع المسكونية الأولى والغزوات الكبرى * نقله عن الفرنسية الأب ج. عقيقي اليسوعي ج ٢ ص ٤٥ بدون عدد للطبعة ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .
 - (٢) يراجع " معالم تاريخ الإنسانية هـ ج . ويلز : ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ج ٣ ص ٧١٢ ط ٢ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٧٢ م .
 - (٣) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في " مدينة الله " د / اسحاق عبيد ، د / جورج شحاته قنواى ص ٥٥ . بدون عدد للطبعة - مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ م . باختصار .
 - (٤) تاريخ الحضارة المصرية ص ٢١٧ يتصرف .

اللقاء الأول بأرض الحبشة :

فى السنة الخامسة للبعثة النبوية أشار الرسول " صلى الله عليه وسلم " على أصحابه بالمهجرة الى الحبشة ، ونفذ الصحابة أمر النبي صلى الله عليه وسلم والتقى أتباع محمد " صلى الله عليه وسلم " باتباع عيسى " عليه الصلاة والسلام " على الساحة والرحمة ثم تلى ذلك لقاء " بيت المقدس " حين تولى عمر بن الخطاب عقد الصلح ، وتم فتسح إيليا سنة سبع عشرة من الهجرة وحدث اللقاء الثالث فى فتح مصر حين كان أميرها من قبل هرقل هو " المقوقس " ثم وصل عمرو بن العاصى إلى مصر سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية ، وفى هذه اللقاءات كان الكرم والتسامح سنة بارزة بين أتباع النبيين الكريمين ، وقد علق على هذه المقابلات مع المقارنة بغيرها من المقابلات العدوانية نفس أسلوب فياض الكاتب : عبد الحميد الكاتب قائلا :

وكان هذا أول لقاء بين الاسلام والمسيحية وبين المسلمين والمسيحيين وكان لقاء كريما بين أتباع دينين كتابيين ، يختلف أحدهما عن الآخر فى بعض المعتقدات ولكنهما يلتقيان فى تعظيم عيسى بن العذراء البتول ، مثلما يلتقيان فى كثير من المبادئ الأخلاقية التى يحض عليها دين أوحى به الله .

ولكن ما أبعد الفرق بين هذا اللقاء وما جرى فيه من تعاطف ومودة وبين ما جرى بعد هذا من لقاءات أو مواجهات ومصادمات على مدى عصور متتالية .

ما أبعد الفرق بين اللقاء الأول وغيره من اللقاءات التى تمت فى صدر الاسلام فى " بيت المقدس " وفى " مصر " وبين اللقاءات التى كانت معارك وحروباً ومذابح فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة المسيحية فى أوروبا ، وشنها الحكام والأمراء المسيحيون من أوروبا .

وأقطع من هذا وأبشع أعمال التنكيل والتعذيب ، وحرب الإبادة التى قام بها الملوك والملكات ، وماركها البابوات فى روما ، ودفع إليها الناس فى طيش وجنون حتى قضوا على الإسلام (*) والمسلمين فى الأندلس . (١)

(*) لا يستطيع مخلوق أن يقضى على الاسلام .

(١) أخبار اليوم ص ١٠ العدد ٢٠١٢ (السنة الثالثة والثلاثون) ١٥ رمضان ١٤٠٣ هـ = ٢٥ يونيه ١٩٨٣ م .

ونج عن هذا حركة تبشيرية ظاهرها الدعوة إلى المسيحية والرحمة بها طنها الدعوة إلى الاستعمار والعذاب ، وهذا تولد العداة بين أتباع الرسولين وحل محل الرفاسى وروستدائرة الشقاق وإنما لحرب صليبية وغزوات تبشيرية نحاول عرضها فى ثوبها الحقيقى فيما يلى :

الصلة بين الحروب الصليبية والتبشير

الحروب الصليبية مرحلة من مراحل عدوان الغرب النصرانى على الشرق الإسلامى ولها دوافع سبقتها ، وأثار أعقبها وصلة هذه الحروب بالتبشير تختلف بحسب نظر الباحث واجتهاده فى تعقب أحداث التاريخ وتحليله لسلسلته المتوالية ، والذي يهم البحث أن نبين ما أفرزته الحروب الصليبية من تدعيم للحركة التبشيرية فما أنتجته هذه الحروب ترتب عليه الأثر المشاهد فى العالم الإسلامى فى العصر الحالى ، من التأخر ، والتفكك ، وفحصاد الحرب الصليبية قد أتى أكله فى القرن العشرين الميلادى .

دوافع الحروب الصليبية :

منذ القرون الأولى للهجرة النبوية ورقعة الإسلام فى اتساع مستمر ، وقد بلغ المسند الإسلامى مداه فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فقد ثبت أركانه فى الشرق ببلاد الصين ، وفى الغرب بقلب فرنسا ، وأثار هذا التقدم حفيظة الغرب ، يقول الدكتور / جمال الدين الشيال : ولم يكد يبدأ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حتى بدأ الغرب الأوربى المسيحى يضيق بالعرب والإسلام ، ويعلن عن رغبته فى عدم السماح لدين آخر غير المسيحية بالبقاء فى أوربا ^(١) ، وبدأ بالقدمة ، فأشعلها حرباً شعواء على المسلمين فى أوربا ، وذاق المسلمون الأندلس أصحاب الحضارة الانسانية الراقية مرارة التعصب الصليبى ، فسقطت المدن الأندلسية فى أيدي الصليبيين الواحدة تلو الأخرى ، طليطلة ، ثم سرقسطة ، ثم صقلية كما استطاع البيزنطيون بتحريض من البابا بندكت الثامن - أن يحتلوا جزيرة سردينيا ^(٢) ، ونجح الأوربيون فى القضاء على المسلمين فى أوربا ، ولم يكتفوا بذلك ، بل علت الاصوات فى الغرب بدعوة أهل أوربا لاقتحام قلب العالم الإسلامى والاستيلاء على بيت المقدس وكان السلاجقة

(١) التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ص ١٢ بدون عدد

للطبعة طبع المؤسسة التجارية للطباعة ببيروت ١٩٦٩م .

(٢) المرجع السابق يتصرف .

المسلمون قد حكموا بلاد الأناضول وآسيا الصغرى بعد طرد البيزنطيين وانتزعوا بيت المقدس عام ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م من الفاطميين ، وبالغ الحجاج المسيحيون في وصف تعصب السلاجقة الأتراك ووصفهم بسوء المعاملة حتى اثاروا أهل أوروبا على المسلمين بينما الأمر لا يتعدى حرص السلاجقة على الإسلام والمسلمين ، والتزامهم بحماية بيت المقدس من كل معتد أثيم ، لكن الصيحات الصليبية قدوشن الحرب العدوانية ضد مسلمى الشرق بداية من القرن الخامس الهجرى إلى القرن السابع (نهاية الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى) بالتقريب ، وكان الدافع المباشر لمن أشعلوا الحرب انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين والاستيلاء بعد ذلك على ثروات الشرق ، وصيغته بالمسيحية الكاثوليكية ولقد بين الدكتور / جوزيف نسيم يوسف : سير الحركة الصليبية مع كشف الستار وطرح الأقنعة الستى تختبئ بها بقوله : لقد اتجهت الحركة منذ بدايتها إلى تحقيق هذه الأهداف فهى حركة استعمارية بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان ، هى استعمار عسكرى اتخذ القوة المسلحة وسيلة لتحقيق أهداف العدوان .

وهى استعمار استيطانى يهدف إلى الاستيلاء على الأراضى واستبعاد النفوس البشرية وهى استعمار اقتصادى استغلالى مظهره نهب ثروات البلاد والاستثمار بخيراتها وهى استعمار ثقافى يسعى إلى فرض الحضارة الغربية اللاتينية على العالم العربى وهى أخيراً تعصب دينى يتشئل فى محاولات أوروبا نشر الكاثوليكية فى العالم العربى عن طريق الحروب الصليبية ، والبعثات التبشيرية وكما يبدو من تسميتها وشعارها ومن مسلكها وتصرفاتها وبهذه الروح عبرت الحركة بوضوح عن نفسها ^(١) كما يتضح من الإعلان عنها ، ومن العلامة المميزة لها ، ومن منبعها .

البابا " اريان " ^(*) والحركة الصليبية

كانت الدولة البيزنطية فى غاية الضعف بعد سبعة قرون قضتها راسخة القدم فى ملتقى الطرق المارة بين أوروبا وآسيا ، وحين أصابها الهولن لاضطرابها داخليا وتناحر طوائفها فاجتمعت الكتلة الروسية على شواطئها من جهة الغرب حتى دقوا أبوابها فى أوروبا بينما كان الأتراك يقطعون أوصال ولاياتها الآسيوية واقترب الزحف التركى من مدينة مانزكرت ^(*) بأرمينيا البيزنطية .

(١) العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى د / جوزيف نسيم يوسف ص ٨٦ ط ١ مطابع رويال بالإسكندرية ١٩٦٣ م .

(*) " اريان الثانى " : ولد فى ضاحية من فرنسا نحو سنة ١٠٤٢ م وتقلد كرسى البابوية عام ١٠٨٨ م وتوفى فى روما سنة ١٠٩٩ م (يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد ٤ ص ٦٠٤) .

(*) " مانزكرت " : اسمها الحالى ملازجرت وهى : مدينة فى شمال شرقى تركيا على مقربة من بحيرة وان . وقعت فيها معركة شهيرة تغلب فيها السلاجقة بقيادة الب أرسلان على البيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانس ٤ (سنة ١٠٧١ م) فانفتحت أبواب آسيا أمامهم (يراجع النجد فى العلوم ص ٦٣٠ و ٦٨٢) .

وكاد الجيش البيزنطى أن يقضى عليه عند ما تزكرت عام ١٠٧١ م واستولى السلاجقة على حمص وأنطاكية (١٠٨٥ م) وطرسوس ، ونيقية ذات الماضى التاريخى الدينى وأخذوا يتطلعون من وراء مضيق البسفور إلى القسطنطينية نفسها ، واستطاع " الكسيوس الأول " (١٠٨١ - ١١١٨) أن يحتفظ بجزء من آسية الصغرى بعقد صلح مذل وكادت القسطنطينية أن تسقط فى أيدي الترك ولما لم يستطع " الكسيوس " صد الغارات التركية والزود عن أملاكه بعث برسله إلى " أربان الثانى " وإلى مجلس " بياسنزا " Riacenza يستحث أوروبا اللاتينية لتساعده على صد هجمات الترك ^(١) ، وتلقى البابا أربان الدعوة لمحاربة المسلمين بالترحاب ، فقد صادفت هوى فى نفسه لأنها جاءت فى وقت استحسنت فيه حلقة النزاع بين البابوية والامبراطورية ، فأعتقد أنها المخرج لانتصار السلطة الدينية على السلطة الزمنية ولرفعة شأن الكنيسة بعد الانحطاط والتروى ولطرد المسلمين من بيست المقدس ثم واثته الفرصة بقرب انعقاد مجمع فى مدينة كليرمون ^(*) الواقعة بوسط فرنسا يتولى هو رئاسته .

مجمع كليرمونت

سمى المجمع باسم المدينة المنعقد بها وفترة انعقاده عشرة أيام من ١٨ نوفمبر إلى ٢٨ نوفمبر سنة ١٠٩٥ ، وشهده نحو ثلثمائة من رجال الدين الذين تشعبت أعمالهم وأصدر فى هذه المدة قرارات عامة ضد التقليد العلمانى . ^(*)

- (١) قصة الحضارة أول ديورانت ترجمة محمد بدران المجلد الرابع عصر الإيمان ص ١٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ م بتصرف .
- (*) تعرف هذه المدينة حالياً باسم كليرمون فران Uler Mont Ferrand وهى تقع فى وسط فرنسا وتنقسم إلى قسمين أحدهما جهلى مرتفع والثانى سهل منبسطة (العرب والروم واللاتين ٥٥٠ هامش ص ٤٧) .
- (*) مسألة التقليد العلمانى : المقصود بالتقليد العلمانى هو أن يقوم الحكام العلمانيون من أباطرة وملوك بتقليد رجال الدين مهام مناصبهم الدينية والمعنوية أن القساوسة الكنسى نص منذ القدم على أن يكون تعيين القساوسة بواسطة أساقفتهم .

وأن يقسم القساوسة وغيرهم من رعايا الأسقفية بانتخاب الأسقف منهم يعتمد " البابا " هذا الاختيار ، لكن الأوضاع تغيرت على مر الأيام فتولس الأباطرة تعيين القساوسة (أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسى) د / سعيد عبد الفتاح عاشور ج (١) ص ٣٤٢ ط (٨) طبع دار الطباعة الحديثة بالقاهرة ١٩٨١ م .

والسمعانية(*) ، وزواج القس(*) ، وقرارات خاصة منها حرمان الملك الفرنسي فيليب من الكنيسة لاثهامه بالزنا ، وحرمان أسقف كومبراي لما عرف به من السمعانية والتسليم بقيادة كنيسة ليون على كنيستي سنس(*) Sens. ورينس(*) ، والذي يعني هنا أن البابا خصص يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر قبل نهاية المؤتمر بيوم لالقاء النبا الهام وحض الحاضرين على دعوة الناس لسماعه . (١)

اعلان البابا الهام

حضر جمهور غفير من القسس ، ومختلف الطبقات وبلغ من كثرتهم أن ضاقت عليهم الكاتدرائية التي انعقد بها المجمع بما رحبت فنقلوا منها كرسى البابوية ، ووضعوه على منصة مرتفعة خارج الباب الشرقى للمدينة وأمام الجمع الحاشد والمحشود قام ايربان الثانى فى حماس متدفق ، مخطرا سامية : (أيها المسيحيون إن تلك

(*) السمعانية أو السيمونية : وهى استحصال أو بيع الأُمُور المقدسة بواسطة المال ونسبت إلى سمعان أو سيمون الساحر ، والذي ولد فى " جنون " قرى السامرة وهى المعروفة الآن باسم قرية " جيت " فى جوار نابلس والسمعانية من الجرائم الدينية الخطيرة فقد تمكن كثير من الفاسدين من شراء الوظائف الدينية بالمال فشوهت الكنيسة وضاعت سمعتها وقد حكم مجمع خلقدونية المسكون الرابع على مرتكبي السمعانية أن يفصلوا فى مناصبهم وثبت الحكم مجمع سنة ٤٥٩م فى القسطنطينية كما أصدرت المجمع الدينية التى عقدت سنة ١٠٥٩م قرارات مشددة ضد السيمونية والاتجار فى المناصب الدينية (يراجع دائرة المعارف للبستانى المجلد العاشر " ص ٣٤٩ ، أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٣٤١) .

(*) أما عن زواج رجال الدين فالمعروف أن معظم الأساقفة ظلوا عزابا فى حين أقبل على الزواج معظم القساوسة وصغار رجال الدين والواقع أنه لم يوجد قانون كنسى يفرض حياة العزوة على رجال الكنيسة وإن وجدت بعض تشريعات فى أوائل العصر المسيحى تؤيد مبدأ العزوة (أوربا العصور الوسطى ص ٣٤٢) .

(*) " سنس " حى صناعى فى بلدة برشلونه التى تقع فى جزيرة ايبيريا (بلاد الاندلس) وتشتهر بالتجارة والصناعة (يراجع الحلل السندسية فى الأخبار والاثار الاندلسية للأمير سكيب أرسلان ج ٢ ص ٢٧٢ بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٥٥ هـ) .

(*) رينس : من المدن التاريخية فى فرنسا تقع شمال البلاد (المنجد فى العلوم ص ٣١٠) .

(١) تاريخ الحروب الصليبية ستيفن رنسيان ترجمة دكتور / السيد الباز العرينى ج ٢ ص ١٦٠ ط (١) طبعة بيروت - بلبنان ١٩٦٨م بتصرف .

الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها وتلك المغارة المرمية المختصة بفادينا وذاك الجبل الذي عليه تألم ومات من أجلنا وذلك الضريح الذي تنازل لأن يدفن فيه ضحية للمسوت كلها أضحت ميراثا لشعب غريب ، وغاب كل بهاها الاصلى وهياكلها قد خربت وأشعة نورها الساطعة تحولت إلى ظلام حالك وهي تستحق الندب الشديد والبكاء ، ولم يعد لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية والمشرق الذي هو المهد والينبوع المقدس لإيماننا لم يعد مشهدا إلا لانتخارات أعمال المسلمين ، وجهات آسيا الأكثر ثروة وغنى ، قد التحقت بالظلام الى الكره والفقر المهين .

وانطاكية (*) وأنسس (*) ونيقية (*) قد صارت مدن الاسماعيليين والأتراك قد مهدوا ولايتهم الى حدود " هاليپوتوس " لابل الى ابواب القسطنطينية .

ومن هناك ذراع هؤلاء الشعوب الشديد يتهدد بأن يستولى على كل مالـك الغرب (١) . وليس هذا كل خطابه وإنما جزء يسير منه ، ولقد دعى في نفس الخطصاب مسيحي الغرب أن يطرحوا العداة فيما بينهم ، ثم يتوجهوا محاربين يدا واحدة ضد المسلمين ، وبالغ في الصاعب التي تعترض حجاج المسيحية ، ووعد المحاربين بحماية عائلاتهم وأموالهم ، ومنحهم صكوك الغفران مقابل العدوان ، ولم ينس الصليب في هذا الجو السلوى بالحماس فأمر بجعله علامة بارزة في الحرب ، وحرر أساقفة فرنسا لنشر صيحة القتال ، وأنهى التحرشات بهذا النداء " فلينطلق المسيحيون بالغرب لتجسدة الشرق " . (١)

نتيجة بيان "ايران"

١ - الاستجابة السريعة للحرب : فقد جاء خطاب " ايران " مؤثرا حيث حضهم فيه على إنهاء الحرب فيما بينهم ، وتوجيهها إلى المسلمين ، وأثار عواطفهم بإعطائهم صورة قاتمة ومخالفة للحقيقة عن معاملة المسلمين للمسيحيين وخصوصا زوار بيت المقدس ولعلمه بولوج قومه في المعاصي منح صكوك الغفران لمن يقتل في سبيل الصليب ، فلبى

(*) انطاكية : سبق التعريف بها ص ٤٢ بالهامش

(*) وأنسس ويقال لها أنسس : بلد بشغرتوس ، وطرسوس : مدينة بشغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم (يراجع مراد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ج ١ ص ١٠١ (حرف الهزة والفاء) ، ج ٢ ص ٨٨٤ (حرف الطاء والراء) .
(*) ونيقية عاصمة بشتية بآسيا الصغرى وهي التي عقد بها المجمع العام في أيام قسطنطين عام ٣٢٥م وشبه تقع شرق ميسيا على شاطئ البحر الأسود (يراجع الكثر الجليل في تفسير الانجيل ج ٤ ص ٢١٢) .

(١) المرجع السابق ص ٦ بتصرف ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٦ ص ٦٠ . موسوعة العصور الوسطى (العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى في العصور الوسطى - الدكتور / عادل زيتون ص ٨٤ ، ٨٥ ط ١ مطبعة دار دمشق بدمشق ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

المستمعون النداء بهتافات مدوية " هكذا أراد الله " Deusievolt ولم يكند البابا ينتهى من خطابه ، حتى نهض من مجلسه أسقف لى بويه Lepuy فركسع أمام عرش البابا ، والتمس منه الإذن بأن يلحق بالحملة المقدسة وتزاحم مئات مسن الحاضرين لينتهجوا مثاله ، ثم ركع الكاردينال " جريجورى " على ركبتيه وأخذ يتلو بصوت جمهورى قداس الاعتراف confiteor فيرددده وراءه جموع الحاضرين فلما انتهت الصلاة نهض "ايربان" مرة أخرى وتلا التحلل وأمر سامعيه بالانصراف إلى بلادهم (١).

وهذا المشهد يبين بوضوح تأثير رجال الدين المسيحى فى هذه الحقبة التاريخية على أتباع ملتهم ، ويكشف استغلالهم للمواقف لخدمة مصالحهم بطريقة عجيبة ولو علس جماجم الشعب المسيحى .

٢ - قيام المبشرين بالدعوة للحرب : قام بعض الأساقفة بالتجول فى بلاد الغرب لدعوة أهلها لهذه الحرب " ومن هؤلاء المبشرين " روبرت أربرسيل " الذى أنشأ طائفة " فونتيفرول " بل أشد من ذلك فأقام به الراهب الطواف المعروف باسم بطرس (٢) هو الذى أطلق عليه الناس بطرس الصغير لقصر قامته ، ويطرس السائح لكثرة أسفاره وعرفوه بعد ذلك باسم بطرس الناسك لشدة زهده ، وخشونة مظهره ، ولقد طوف فى كثير من بلاد الغرب يحثهم على الحرب وكون مريدين له فى كل بلدة زارها ليقوموا بدوره فى دعوة الناس ، وأينما توجه بطرس ونوابه غادر الرجال والنساء دورهم كيما يتبعوه ، فلم يكد يبلغ كلونيا حتى بلغ عدد اتباعه ١٥ ألف شخص (٣).

وهذا يعطينا دليلا واضحا على أن من يطلقون عليهم دعاة سلام ومحبة هم فى الواقع دعاة حرب وخصام .

٣ - قيادة الكنيسة للحملة : عقد " اربان " العزم على أن تقود الكنيسة الحملة الصليبية ولم يدر بخلده أن ذلك جرم فى حق المسيحية ، ستسجله فيما بعد الكتب التاريخية ولذا اتخذوا قرارا بالاجماع بأن يكون أسقف لى بويه (٤) قائدا للحملة (٥) وهو جدير بهذا المكان ، موثوق به من قبل الجميع وقد أثبتت التجربة أنه مبشر بارع ودبلوماسى ماهر على أنه لم يقتصر الأمر على قيادة الكنيسة للحملة وإنما عاونها

(١) تاريخ الحروب الصليبية ص ١٦٢ بدو صرف .

(٢) بطرس الناسك نحو (١٠٥٠ - ١١١٥ م) راهب فرنسى نادى بالحملة الصليبية الأولى وسار على رأسها ١٠٩٦ م (النجد فى الملمص ص ١٣٥) .

(٣) يراجع المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٤) يسمى هذا الأسقف : أدهيردى منتيل - المرجع السابق هاشم ص ١٦٤ .

(٥) المرجع السابق .

بعض الامراء ، ومنهم " ريموند كينت تولوز " وهو أول من طلب ذلك فقبل منه الاشتراك في الحرب ، فتعاون في اخلاص مع الأسقف المذكور ، وهكذا اثير خطاب " اربان الثاني " الثرة المرة بقيادة الكنيسة للحملة الحربية الصليبية وهي الشرفة على القيادة الروحية فهدم صرخا من صرخ المسيحية ونقض بندا من بنود المسيحية ، وهو الدعوة الى السلام فتبنت الكنيسة الدعوة الى الحرب ، وحملت مشاغل العدوان .

الفترة الزمنية للحروب الصليبية :

تعددت وجهات نظر المؤرخين في تحديد الفترة التاريخية للحروب الصليبية فمنهم من يرمى أنها بدأت منذ سطعت شمس الاسلام ، وتم نورها شبه الجزيرة العربية من غير اعتبار لزمان أو مكان ، وفتة من المؤرخين تعتبر الحرب ضد المسلمين نفسى بلاد الاندلس ، هي الاخرى حروب صليبية ، والكثرة منهم ترى امتداد زمنها من نهاية القرن الحادى عشر الميلادى إلى أخريات القرن الثالث عشر ، ويضيف البعض الحروب التى حدثت في القرن الرابع عشر الميلادى ضمن الحروب الصليبية ، والواقع يشهد بأن بدايتها عام ١٠٩٥م منذ دعا اليها " اربان الثاني " وأمر المقاتلين بحمل شارة الصليب ، وهى التى من أجلها سميت بالحروب الصليبية ، وهذا الامر لا يمنع من أن لهذه الحروب مقدمات بدأت منذ فجر النبوة الاسلامية ، كما اعتبرت سنة ١٢٩١م نهاية لها لان السلطان الاشرف خليل قد استولى على مدينة " عكا " آخر معاقل الغرب فى نفس العام ، وأن كان هذا لا يمنع من أن آثار هذه الحروب باقى إلى ما بعد القرن الثالث عشر .

الحروب الصليبية

بعد ذكر دوافع الحروب الصليبية ، والإشارة الى فترتها الزمنية نعود إلى السى ايجاز الحملات الشهيرة دون التعرض التفصيلى لها ، لان الذى يفيد البحث هو النتائج المترتبة على الحروب الصليبية .

١ - الحرب الصليبية الأولى :

وتنقسم إلى حملتين :
١ - حملة شعبية : وهى حملة غير منظمة ، تكونت من مجموعات شعبية من مختلف البلدان ، أثارهم الرهبان ، فخرجوا من وادى الدانوب متجهين إلى السى

القسطنطينية • كل مجموعة تسير على هواها • ترتكب من الفظائع ما يعجز عن وصفه
البيان • من نهب للأموال وسفك للدماء • وانتهاك للحرمان • حتى لحق بهم بطرس الناسك
بحشد كبير عند القسطنطينية • وجبر الجميع البسفور الى مدينة نيقية • حيث لاقوا
مصيرهم المحتوم يقول هـ جـ ويلز ما ترجمته : وهناك لم يهزمهم السلاجقة فقط بل ذبحوهم
عن بكرة أبيهم • ^(١) فلاقوا حتقهم جزاء وثاقا •

٢ - حملة منتظمة : جاءت مجموعات هذه الحملة عام ١٠٩٢م من معظم بلدان
الغرب تحت لواء الأبراء الذين شاركوا فيها أمثال " جود وفروادى بيون " وأخوة " بودوين " و
" موهند " • وابن اخته " ريمون تانكرد " و " ريموند كونت تولوز " وقد ذكرت سابقا
أنه أول من انضم من الأبراء لمعاونة قيادة الكتيبة • وزحف الكثير منهم إلى أنطاكية
واستولوا عليها بعد مقتل كثير من أهلها • واستأنفوا السير إلى القدس فدخلوها
عنوة في يونيو سنة ١٠٩٩م بعد حصار دام أربعين يوما انتهى بذبح سبعين ألفا من
سكانها يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في وصف دخولهم المدينة : وقد حدث على
أثر دخول الصليبيين مذبحه شنيعة قتل فيها أكثر من سبعين ألفا حتى خاضت خيولهم
في بحر من الدماء كما ذكر جودفري في رسالته إلى البابا يهنئه فيها بالظفر • ^(٢)

وهذه الصورة المؤلمة لكل غيور • والتشفي الواضح من قبل المغيرين انتبهت
الحلقة الأولى من الحروب الصليبية • ولم يكن النصر فيها يرجع إلى قوة الغرب وإنما
مرجعه إلى الآتى :

١ - ضعف القوى الإسلامية في الشرق الأدنى وانحلال أمورها ذلك أن دولة
السلاجقة التي حطمت قوة الروم قويا تزكرت "لم تلبث أن تعرضت للذبول السريع—
بحيث لم تكد تحل سنة ١٠٩٢م إلا وكانت قد انقسمت إلى خمس ممالك متنافسة وقد أدى
ضعف دولة السلاجقة وما دار بين ملوكها من حروب أهلية إلى انتشار الغرضى فى
بلاد الشام والعراق بوجه خاص •

٢ - فى ذلك الوقت كانت الخلافتان الإسلاميتان اللتان تنازعا شعور المسلمين
فى الشرق الأدنى • وهما الخلافة العباسية فى بغداد • والخلافة الفاطمية فى القاهرة

(١) معالم تاريخ الإنعانية المجلد الثالث ص ٨٨٤ •

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (العصر العباسى الثانى

فى مصر والمغرب والأندلس) ج ١ ص ٢٤٧ ط ٢ مطبعة المعرفة بالقاهرة ١٩٨٢م •

تمران بدور واضح من الضعف .

٣ - أدى النزاع بين الخلافتين إلى ظهور إمارات تحت سيطرة أمراء كل واحد منهم يحاول الاستقلال بإمارته ، فعم التفكك صفوف المسلمين فلما وصل الصليبيون إلى بلاد الشام في أواخر سنة ١٠٩٧م وجدوا أمامهم قوى إسلامية ضعيفة ، أنهكها النزاع المذهبي وباعدت بينها المنافسات والأطماع مما مكن الصليبيين من تحقيق مكاسب سهلة وسريعة في آن واحد .^(١)

ب - الحرب الصليبية الثانية

كما نفخت البابوية في أبواق الحرب الصليبية الأولى صنعت مثل ذلك في الثانية فاستغاث القديس " برنار " ^(٢) بالبابا " يوجينوس " ^(٣) الثالث لينادي مرة أخرى بحمل السلاح .

ولما كان البابا مشغولا بالنزاع مع الخارجين على الدين في رومه نفسها طلب من القديس " برنار " أوف كليرفو أن يقوم هو نفسه بالدعوة لها ، واتخذ " برنار " سبيلـه مباشرة إلى الملك " لويس السابع " وأقنعه بأن يحمل الصليب ، ثم وقف والملك إلى جانبه وأخذ يخطب الجمع الحاشد في فيزلاي (١١٤٦م) ولم يكد يتم خطبته حتى تطوع الجمع كله لحمل السلاح وبهذا اشترك " لويس السابع " الفرنسي في هذه الحرب ، والإمبراطور " هنري الثالث " امبراطور ألمانيا ^(٤) وتحرك لويس بجيشه إلى الشام بطريق البحر حتى وصلوا إنطاكية وسار الجيش الألماني إلى عكا ثم اتفق الجيشان على الاستيلاء على دمشق عندئذ فاجأهم قوات " عماد الدين زنكي " وأحاطت بهم من كل جانب تحت قيادة ابنه سيف الدين زنكي ، الذي خلفه في ولاية الموصل ونور الدين محمود الذي خلفه فيما بعد في ولاية حلب واضطر الصليبيون إلى التقهقر ، وأرغم كثراد الثالث إمبراطور ألمانيا على العودة إلى بلاده بسبب مرضه وتبعه ملك فرنسا بعد قليل وانتهت هذه الحسرة بإخفاق الصليبيين والذي يلفت النظر هنا ، أن هذه الحرب أشعلها رجال الدين كسابقتها لكن نتيجتها وقعت مخالفة للحرب الأولى فأعطت دفعة قوية للمسلمين جمعت صفوفهم وكان النصر فيها حليفهم .

(١) أعضاء جديدة على الحروب الصليبية دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٢٦ ، ٢٧ بدون عدد للطبعة مطابع دار القلم بالقاهرة ١٩٦٤م .

(٢) " برنار " أو " برنروس " (القديس) (١٠٩٠ - ١١٥٣م) راهب فرنسي قام بإصلاح الحياة الرهبانية فأُسـر دير كليرفو " بفرنسا " ودعا إلى الحملة الصليبية الثانية (يراجع المنجد في العلوم ص ١٢٧) .

(٣) " يوجينوس الثالث " أو " أوجانيوس الثالث " : ولد نحو سنة ١١٠٠م وجلس على كرسي البابوية سنة ١١٤٥م ، وكان من المرتبين للحرب الصليبية الثانية وتوفي عام ١١٦٣م . يراجع دائرة المعارف للبستاني مجلد (٤) ص ٥٩٢ .

(٤) قصة الحضارة ج ١٥ ص ٣٠ بتصرف واختصار .

ج - الحرب الصليبية الثالثة

وهي امتداد للحرب الصليبية الثانية ، وشأكت إرادة الله أن يحكم " مصر " صلاح الدين الأيوبي " فوحد صف مصر وبغداد ، وجمع شتات الشام ، ثم دعى إلى الجهاد المقدس ، وبفضل الوحدة الإسلامية ، والقيادة المؤنسة ، هزمت الصليبية في موقعة حطين سنة ١١٨٧م ، ولم يكتف صلاح الدين بذلك ، وإنما تعقب الصليبيين .

يقول الدكتور / سميد عبد الفتاح عاشور : فاستولى على ما كان بأيديهم من مدن وموانئ ساحلية جنوبى عكا ، ليقطع الصلة بينهم وبين الغرب الأوربي كما استولى على مدينة " بيت المقدس " ذاتها سنة ١١٨٧م .^(١)

وأثار هذا الحديث شعور الغربيين بالرغم من تسامح " صلاح الدين " ورأفته في معاملة المسيحيين ، فأخبار حطين وضياع بيت المقدس حركت الشعور العام في غسرب أوروبا .

ولم تلبث أن وصلت إلى الشرق الحملة الصليبية الثالثة ، وعلى رأسها " فردريك باربروسا " امبراطور ألمانيا ، " ريتشارد - الملقب قلب الأسد " ملك إنجلترا ، " وفيليب أغسطس " ملك فرنسا ، وقد وضعوا خطة لاسترداد بيت المقدس ، فأرسل " ريتشارد " إلى " صلاح الدين " يطلب الصلح .

وهكذا دخل الفريقان في مفاوضات أدت إلى عقد صلح " الرملة " في أوائل سبتمبر سنة ١١٩٢م ، وهو الصلح الذي حفظ للمسلمين بيت المقدس مع السماح لحجاج المسيحيين بحرية الحج والزيارة .^(٢)

د - الحرب الصليبية الرابعة

هذه الحرب لم يقدر لها النجاح ، وذلك لأن كلا من الملك " ريتشارد " ملك إنجلترا ، والملك الفرنسي فيليب عادا من الحرب الثالثة إلى بلادهما وكل منهما انشغل بالاصلاحات الداخلية ، ووقف كل منهما للآخر بالمرصاد .

(١) أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ ، ٣٥ .

" ولذا لما أرسل البابا " اينوشنيوس الثالث " (٨) منشورا لكل منهما يحضه فيه على تخليص القدس من قبضة المسلمين لم يهتما بمنشور البابا " (١) .

ومن لبي دعوة البابا من أمراء النمسا وألمانيا ، لم يتمكنوا من المجيء إلى القدس يقول هـ . ج ويلز : ولم تصل معظم الحملة الصليبية الرابعة إلى الأرض المقدسة بثبات ، خرجت من البندقية (١٢٠٢ م) واستولت على " زارا " وعسكرت في القسطنطينية (١٢٠٣ م) وأخيرا نهبت المدينة (١٢٠٤) وكانت الحملة هجوما مشتركا صريحا على الإمبراطورية البيزنطية ، فاستولت البندقية على شطر كبير من شواطئ الإمبراطورية وجزرها ، وأقيم أمير لاتيني هــو " بلدوين " الفلاندرى إمبراطور بالقسطنطينية . (٢) ، وكانت نهاية الحملة على هــذه الصورة ، على أن الأمر لم يقتصر على هذا الحد من السعار فلما سئم البالغون الاشتجابسة لمطلب الحرب كانت " حملة الأطفال " التى قضى الجوع والطريق على الكثير منهم وبيع باقى الغلمان فى سوق الرقيق فى ثغور " تونس " و " مصر " . (٣)

باقى الحملات الصليبية :

ثم كانت الحملة الخامسة على مصر بعد أخذ ورد ، عادت من حيث أتت " ثم كانت الحرب السادسة (١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) وانتهت برحيل فردريك الثانى قائد الحملة من بيت المقدس عائدا إلى ايطاليا ، وتبعها الحملة السابعة (١٢٤٨ - ١٢٥٤ م) وقادها لويس التاسع متوجها إلى مصر ، وحاول الاستيلاء على دمياط ١٢٤٨ م ، ثم وقع أسيرا فى موقعة المنصورة (١٢٥٠ م) وتم إطلاق سراحه بعد ذلك نظير فدية فرحل إلى عكا وأقام بها أربع سنين رحل بعدها السيسى أوربا ، ولم يحدث أن خرجت بيت المقدس من قبضة المسلمين حتى عام (١٩١٨ م) .

ثم الحملة الثامنة : وهى حملة على تونس قام بها لويس التاسع ملك فرنسا بعد العفو عنه عام (١٢٦٧ - ١٢٧٠ م) ، ولكنه قضى نحبه أمام تونس (١٢٧٠ م) كمداء وحسرة وبهسا سقطت امارات الصليبية الواحدة تلو الاخرى (٤) ، وهكذا انتهت الحملات أو الحروب الصليبية الشان بهزيمة الفرنجة وعودتهم إلى أوربا لكنها تركت أثارا فاما هى آثارها على العالم الإسلامى ؟ والعالم أجمع ؟

(٨) " اينوشنيوس الثالث " تقلد كرسى البابوية من سنة ١١٩٨ م الى سنة ١٢١٦ م دائسرة

المعارف لليسانى مجلد (٥) ص ٨ .

(١) الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ص ٢١٧ و ٢١٨ بتصصرف .

(٢) معالم تاريخ الانسانية - المجلد الثالث ص ٨٩٠ .

(٣) المستشرقون نجيب العقيق ج ١ ص ٦٣ ط (٣) طبع دار المعارف ١٩٦٤ م بتصصرف .

(٤) يراجع المرجع السابق ص ٦٣ و ٦٤ باختصار .

نتائج الحروب الصليبية

١ - أكدت الحروب الصليبية أن القوة العسكرية لا تفلح مع الشرق الإسلامي ، فالعرب الصليبية قد استمرت فترة زمنية كبيرة ومع ذلك لم يحتطع الغرب بقوة أن يحكم قبضته على الشرق المسلم ، وبقيت مدينة " بيت المقدس " بأيدي المسلمين لعام (١١١٨ م) .

٢ - أثرت هذه الحروب على الكنيسة ، والبابوية ، بل على المسيحيين والسيحية عموماً ، وكانت عاملاً مشجعاً على ظهور حركة الإصلاح الديني سافرة .

٣ - لفتت أنظار الأوربيين للبحث عن منافذ سهلة للوصول لقارنى آسيا وإفريقيا في محاولة لاستغلال ثروات القارتين فظهرت الرحلات الاستكشافية المدعومة بالأموال الأوربية ومن ذلك ماربوا " ولهم ريمركورى " بمعوث الملك التاسع إلى خان المغول من مغامراته الجريئة في آسيا الوسطى .

وفي سنة ١٢٢١ م بدأ " ماركو بولو " رحلته الشهيرة في آسيا فمر بالموصل بغداد وخراسان ، حتى وصل إلى بلاط خان المغول ، وهناك أوقفه الخان بمعوثا إلى بعض البلدان الآسيوية مثل بورما والصين والهند وفارس ، فوصل البندقية سنة ١٢١٥ م حيث كتب رحلته التي ضمنها كثيراً من مشاهداته ومغامراته .^(١)

وأطلق أهل الغرب على الرحلة في القرن الرابع عشر فسال لعابهم ، وهمسوا بالبحث عن سبيل يوصلهم إلى السيطرة على القارة الآسيوية ، ولم تقصر الكشوف الجغرافية الاستعمارية على آسيا ، فقد ازداد " هنرى الملاح " شغفا بثروات إفريقيا زيادة على تعصبه الديني الذي أشار إليه "بانيكار" بقوله : وقد غدى منذ أيام طفولته بلبن تصوف ديني مسيحي عسكري يخالطه بغض مبرر للإسلام^(٢) . فدفعه حقه إلى السى محاولة السيطرة على بلاد الإسلام ونهب ثرواتها ، فوضع المعالم وكان هدفه منذ حوالى ١٤١٢ م وضع الخطة الاستراتيجية الكبرى التي تطوق جناح الإسلام ، وتحمل العالم المسيحي رأساً إلى المحيط الهندي .^(٣)

(١) الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ج ٢ ص ١٢١٢ ط ٤ طبع دار الطباعة الحديثة بالقاهرة ١٩٨٢ م .

(٢) آسيا والسيطرة الغربية تأليف ك.م. بانيكار - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة أحمد خاكي ص ٢٥ بدون عدد للطبعة طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

(٣) المرجع السابق .

قدرب رجاله البحرّيين على فن الملاحة • وبنّا السفن يقول الدكتور زاهر رياض :
ولم يلبث أن وجه جهودة نحو جنوب بحر الظلمات بجوار الساحل الإفريقى • وكسبان
التقدم بطيئا فى أول الأمر • إذ لم يصل سنة ١٤٣٤م إلا إلى "رأس بوجادور" وحاول
اكتشاف الساحل الإفريقى الصحراوى ولكن خلال السنين القصيرة التالية اكتشف "جزر ماديرا"
وسموية جزر " أزورس " فكانت أول مستعمرات برتغالية فيما وراء البحار • (١)

واستطاع ملاحو البرتغال أن يحققوا الحلم الكبير للقوة البرتغالية المسيحية بكشف
معظم القارة الإفريقية • فوصلوا الرأس الأبيض فى ١٤٤١م والرأس الأخضر فى سنة ١٤٤٦م
ومصب السنغال • ثم وصلوا " سيراليون " سنة ١٤٦٠م وهى السنة التى مات فيها " هنرى"
ونفذوا بتجارتهم إلى "مالى" • (٢) ويقول الدكتور زاهر رياض :

وواصلت البرتغال سياستها الكشفية والاستعمارية تحت حكم " جون الثانى " السذى
كان يرمى إلى إيجاد ملكة مسيحية فى غرب إفريقيا ليتخذها قاعدة يتوغل منها خلال القارة
إلى الهند (٣) وهذه هى النية الحقيقية من وراء الكشوف الأوربية التى لم تقف عند حدود
بل واصلت سيرها إلى ساحل غانا وعبرت خط الاستواء • وهكذا إلى أن جاء " فاسكودى
جاما " وعاود الرحلة فوصل إلى نهاية القارة فى سنة ١٤١٨ وأطلق عليها اسم رأس الرجاء
الصالح ودار حول القارة حتى وصل إلى الساحل الشرقى • (٤)

ولا يفوتنى أن : أذكر بأن هؤلاء المكتشفين سبقهم إلى هذه الكشوف العرب وهم
قد استفادوا من العرب بالأدلاء والمعلوم التوضيحية العربية • وأذكر من هؤلاء المسير
السعودى • أبو الريحان البيرونى الفلكى المشهور • وابن بطوطة • وابن ماجد • (٥)

وهذه النخبة الكريمة وصلت لهذه المناطق قبل كشوف الغربيين بعدة قرون من أجل
العلم والمعرفة لاطلبا للمال والسيطرة بخلاف من دفعتهم الأطماع الشخصية والتوسعية
فأعقت كشوفهم حركة استعمارية ومبعثات تبشيرية كما سنعلم أنها كانت تصهيدا مباشرا
للمحركة التبشيرية المنظمة •

(١) استعمار إفريقيا د / زاهر رياض ص ٢١ بدون عدد للطبعة طبع الدار القريسية
للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م •

(٢) المرجع السابق • وموجز تاريخ إفريقيا - رولاند أوليفر • وجون فيج ترجمة دكتورة
دولت أحمد صادق • مراجعة دكتور / محمد السيد غلاب ص ١٢٦ بدون عدد
للطباعة مطابع كوستا توياس بالقاهرة ١٩٦٥ م •

(٣) استعمار إفريقيا ص ٢٢ •

(٤) المرجع السابق •

(٥) الفينيقيون وركاز الذهب واكتشاف أميركا ص ٢٨ - ٢١ بتصرف •

٤ - أفرزت الحروب الصليبية حركة تبشيرية منظمة ظلت تسلك بكل الطرق إلى بلاد الإسلام ، لتؤدي الدور الذي عجزت عن القيام به الحروب واتخذت هذه الحركة التبشيرية اتجاهها جديدا عندما فكر لويس التاسع ملك فرنسا في نشر المسيحية بين المغول جميعها ، وبذلك يقع المسلمون في الشرق الأدنى بين شقي الرحى ولا يجدون مناصا من اعتناق المسيحية ولذلك أرسل لويس التاسع بالاشتراك مع " البابا أنوسنت الرابع " (*) أحد المبشرين الفرنسيين واسمه وليم روبر كوري إلى خان المغول لاقتناعه وقومه بالدخول في المسيحية . (١)

وبدأ الاتجاه يزداد إلى تعليم المبشرين اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية وإلى إنشاء كراسي وأقسام في دور التعليم لمعرفة عادات وتقاليد الأمة الإسلامية ودراسة مناخها الجغرافي ، وتأهيل " جمعيات مسيحية " مكونة من أفراد كل تخصص فيما يحقق هدفا من هذه الأهداف ثم إرسالهم إلى الشرق ، كذلك أشار لويس التاسع على البابا " أنوسنت الرابع " بإنشاء جمعية التبشير الأولى ١٢٥٣ م ، وهي الجمعية التي ضمت عددا كبيرا من المبشرين الفرنسيين والدومينكان .

على أن أهم شخصية أدت دورا كبيرا لخدمة التبشير في القرن الثالث عشر كانت شخصية " ريموند لول " وهو أسباني كرس حياته لمهمة التبشير بالمسيحية بين المسلمين بالذات ، فافتتح ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالث المقدس سنة ١٢٧٦ وهناك أخذ يعد مجموعة من المبشرين للقيام بمهمتهم وأهم وسائل الاعداد كانت تعليمهم اللغة العربية وبعد أن قضى " ريموند " عشر سنوات في اعداد أوعوانه أوفدهم إلى شمال أفريقية ، فضلا عن بلاد المغول والأرمن للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية . (٢)

ولقد طرد " ريموند لول " من شمال إفريقيا ، بسبب نشاطه التبشيري المحموم لكنه كلما ذكر الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور لم يتعظ وعاد إلى شمال إفريقيا سنة ١٣٠٧ لمعاودة الكرة ومحاولة نشر المسيحية بين المسلمين وخاصة البربر وفي تلك المدة نـسـزل " ريموند " في مدينة " بجاية " بالجزائر حيث استطاع أن يتصل ببعض العلماء المسلمين ويحالب مناظرتهم في موضوعات دينية وكان أن ثار الرأي العام الاسلامي في " بجاية " على أساليب ذلك المبشر ، فحكم عليه بالسجن ستة أشهر طرد بعدها

(*) أنوسنت الرابع : اختلف كرسى البابوية من عام (١٢٤٣ - ١٢٥٤ م) . يراجع دائرة المعارف للبستاني مجلد (٥) ص ٨ .

(١) الحركة الصليبية صفحة مشرقة ج ٢ ص ١٢١٥ .

(٢) المرجع السابق .

من البلاد^(١) ، ولكنه ترك لمسات واضحة ، وكانت له آراء التبشيرية وبغفل جهوده قرر مجمع قينا سنة ١٣١١م إنشاء ستة معاهد لتدريس اللغات الشرقية في أوروبا وذلك لأنه لا يمكن للبشر أن ينجح نجاحا مضمونا إلا إذا عرف لغة القوم الذين يبشر برسالته بينهم ومهما يكن من أمر فإن اتساع حركة التبشير بالمسيحية بين الشعوب الإسلامية في الشرق كله جاءات من نتائج الحروب الصليبية^(٢)

وكانت في صورة منظمة بعض الشيء ، ووفق خطة مدروسة بعد هذه الحروب لتعشش مع طبيعته من يبشر بينهم وبذا يعتبر هذا من أعظم ثمار تلك المعارك بالنسبة للدررب وأمرها بالنسبة للعالم الاسلامي ، حيث يتم التبشير " بالمسيحية الصليبية " التي تحمّل الحقد ، وتكن البغض لا لأمّة الإسلام فقط بل للانسانية جمعاء ، فبهاؤها الحرب واراقت الدماء ، والوصول الى النفع المادي من أي طريق .

وكان للاستشراق الدور الأكبر في تغذية الحركة التبشيرية بالمعلومات اللازمة لها لتؤدي دورها على أكمل وجه ، وظهر العمل البابوي في مؤتمر فينا واضحا في خدمة الأغراض الكنسية والذي تحول الى خدمة السياسة الغربية وهذا ما تحدث به الأستاذ أنور الجندى يشير إلى كل هذه المعاني :

لقد نشأ الاستشراق لمقاومة الامتداد والتوسع العربى الإسلامى هذا الامتداد الذى عبر إلى أوروبا وسيطر على أسبانيا واجتاح جزءاً من جنوب " فرنسا " حتى مدينة (بواتيه) أو بلاط الشهداء ، ونفذ إلى جزيرة " صقلية " وبدأ يسيطر على جنوب إيطاليا معقل المسيحية وكان من نتيجة ذلك أن تألف (مؤتمر فينا ١٣١١م) الذى ترأّسه البابا كليمان الخامس^(٣) وتقرر فيه تأسيس مدارس خاصة في برلين وبولون واكسفورد ، وسلمنكس تدرس فيها العربية والعبرانية والكلدانية لتخرج وعاد يستطيعون تنصير المسلمين أو تشكيكهم في عقائدهم .

وقد كان هذا العمل الذى بدأ في أحضان البابوات والكنيسة ثم تحول إلى خدمة الملوك ورجال السياسة يهدف إلى دراسة الشرق ولغاته وتاريخه والعقلية العربية^(٤) وتقدم نتيجة هذه الدراسة للبشرين ، ليكيفوا أنفسهم حسب ماتقتضيه ظروف الخدمة التنصيرية في أي منطقة من مناطق الشرق الإسلامى وبذا يتغلبوا على كثير من العقبات .

(١) أعضاء جديدة على الحروب الصليبية ص ٦٧ .

(٢) الحركة الصليبية صفحة مشرقة ص ١٢١٥ .

(٣) كليمان الخامس : ويسمى أكلينمنس (١٣٠٥ - ٥١٤م) من أصل فرنسى نقل كرسي البابوية من روما إلى أفينيون في " فرنسا " (يراجع : المنجد في العلوم ص ٥٩) .

(٤) الفكر العربى المعاصر في معركة التقريب والتبعية الثقافية أنور الجندى ص ٢٧٢ و ٢٧٣ بدون ذكر للطبعة ، مطبعة الرسالة بدون تاريخ .

٥ - تركت الحروب الصليبية أثرا فعالا على العالم الإسلامي كله ، فقد ساعدت الغرب في إتمام الإجهاز على المسلمين في الأندلس ، كما أنها أوقفت المد الإسلامي نحو أوريسا ووضعت سدودا أمام الإنسياب الإسلامي التجاوب مع الفطرة الانسانية أن يصل إلى العقليسة الغربية ، وهذا مادعا أحد مفكرى الغرب أن يقول :

لم تفشل إذن الحروب الصليبية إذا اعتبرنا المدى الواسع الذى وصلت إليه والميسدان الفسح الذى نتج عن فكرتها الأساسية بل هى لم تفشل تماما إذا اعتبرنا ماوفقت إلى آدائه من غرضها الاصلى : وهو حماية المسيحية عموما من خطر الإسلام فى شرق بحر الروم . (١) (٢)

وهى فى الواقع لم تحم المسيحية ، بقدر ماخدمت السياسة الغربية بل لوشت المسيحية بصليب مخضب بالدماء ، وبعثرت البقية الباقية من تعاليمها الرحيمة ، وصنعت منها مطيسة تستغل بواسطتها الأمم ، وتنهب خيرات الشعوب .

وعلى كل حال فينبغى للمسلمين أن لايفغلو عن هذا الأثر ويرددوا فشل الحروب الصليبية فى تحقيق هدفها ، لأن هذا خطأ فادح فآثرها على العالم الإسلامى مايزال باقيا يدق ناقوس الخطر إلى أن يأذن الله تعالى بالصحة الكبرى .

خلاصة هذا الفصل :

١ - التبشير بالمسيحية مر بمراحل :

أ - المرحلة الأولى : كان فيها موجها لليهود فقط ، وذلك فى وجود المسيح ، وبعد رفعه إلى السماء على يد تلاميذه .

ب - المرحلة الثانية : تحول فيها التبشير من اليهود فقط إلى كل الأمم على يد " بولس " ومن وافقه الرأى بعد مجمع أورشلیم سنة ٥٠ ميلادية .

ج - المرحلة الثالثة : وبدأيتها منذ انقراض " قسطنطين " بالمسيحية ضمن ديانات

(٢) " بحر الروم " الاسم العربى للبحر الأبيض المتوسط ويطلق على هذا البحر أسماء أخرى مثل " بحر المغرب " دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية عباس محمود وآخرون المجلد الثالث (مادة بحر خوارزم - بحر الروم) ص ٣٧٧ العدد الثانى ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م .

(١) تراث الإسلام تأليف شاخت ، وبوزورث ترجمة حسين مؤنس وزميلاه ج ١ ص ١٤٦ بدون عدد للطبعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م .

الدولة الرومانية • وفيها تدخل السلطان وزاد التدخل بعد أن صارت الديانة الرسمية • وتوطدت المسيحية في الغرب بالسلطان ترغيباً أو ترهيباً •
 د - المرحلة الرابعة : بعد الحروب الصليبية • وأثناءها فقد وجه التبشير إلى الشرق بمسيحية لم يجهدها من قبل • لأنها صيغت تماماً بالفلسفة الغربية • المخالفة لرسالات السماء وقد استغل الغرب في نشرها الأفراد • والجماعات وأخذ يطورها من حين لآخر • وينظم جماعتها بما يتلائم مع العصور بحيث تتشعب مع الحملات التبشيرية مع حياة الناس • السياسية • والاجتماعية • والاقتصادية • واستخدام كل وسيلة لتحقيق أهدافه التي سأكشف الستار عنها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى •

” الفصل الثانى ”

أهداف التبشير ووسائله

بعد بيان مفهوم التبشير وصلته بالحركة العالمية مع الإشارة إلى ما أفرزته الحروب العالمية من تبشير ضخم قائم على خطط مدروسة لتحقيق أهداف معلومة فى بلاد المسلمين ولتغيير المفاهيم الإسلامية فى عالم الإسلام،

يلزمنا توضيح الوسائل التى يستخدمونها فى تحقيق أهدافهم المرسومة • ومتابعة حركتهم ورصدها باستمرار لأنهم فى طريقهم لتفويض أغراضهم يطورون وسائلهم من حين لآخر •

وراجب الدعاء وولاية الأمور كل فى موقعه أن لا يستهينوا بالحركة التبشيرية • فالأمر يقتضى اليقظة التامة قبل فسوات الوقت •

فإن ما يحدث فى بلاد الإسلام وما يشاهد من تمزق لمسلمة قد أسهم الفكر التبشيري بنصيب وافى فيه فأهداف التبشير مرتبطة بأهداف الاستعمار إن لم تكن هى نفسها كما يتضح من ثنايا هذا الفصل •

أهداف التبشير

يبدل البشرون جهداً غير عادي في نشر أفكار الاستعمار وفي خدمة ساستهم وذلك في مقابل العون المادي والمعنوي الذي لا ينقطع ، ولا يجد الباحث صعوبة في كشف أغراض البشرون وأخطارها ، تلك الأغراض التي تعلن في ظاهرها التسامح بالسيحية والدعوة إليها ، ولكنها في باطنها تروج لأهداف المستعمرين والمستغلين وأصبح واضحاً للعيان استغلال الغرب للتبشير المسيحي ، باستخدامه كوسيلة لفسر السيطرة الاستعمارية من ناحية ، ولتخريب المفاهيم في عالم الإسلام من ناحية أخرى ويمكن تلخيص أهداف التبشير في العالم الإسلامي فيما يلي :

١- القضاء على وحدة المسلمين :

فالمهدف الأول للبشرون تفتيت وحدة المسلمين وتوهين قواهم ، وذلك باختلاق ما يؤدي إلى التفرقة بينهم ، واختلال صفوفهم ، لدرء خطر تجمعهم وتآلفهم ، وسلك البشرون طريق تغريق المسلمين والقضاء على وحدتهم قولاً وعملاً .
أما القول :

فظهرت التصريحات لقادة التبشير ، وأصح القس " كاليون صيمون " عن رغبة التبشير في تغريق المسلمين لما قال إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب المسلمة " كذا " وتساعد على التمسك من السيطرة الأوربية ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوربيين نفسي نور جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز اللذين هما فيها . (١)

ومقدر ما يستطيع الفكر الغربي من تجريد المسلمين من عناصر القوة ، والترابط بقدر ما يمكن من إحتوائهم والتصرف في كل شؤونهم على حسب رغبته ، لأنهم حينئذ لا تأثير لهم ولا وزن ، وهذا ما قاله " لورانس براون " ، إذا اتحد المسلمون فسوف

(١) التبشير والاستعمار د / مصطفى خالدي ، د / عمر فروخ ص ٣٧ ط (١) طبعته بيروت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً • وأمکن أن يصبحوا نعمةً له أيضا • أما إذا ظلوا متفرقين فإنهم يظلوا حينئذ بلا قوة ولا تأثير • (١)

وما ذكر من التصريحات في هذا الموضع قليل من كثير بالنسبة لما هو مدون في المراجع من أقوال البشرين وأعوانهم من المستشرقين ما جعل الدكتور محمد البهسي " رحمه الله " يشير إلى سلوك كل منهما المضاد للإسلام ولوحدة أهله بقوله : إن التبشير والاستشراق كلاهما دعاة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي فكلاهما دعاة إلى توهين القيم الإسلامية والغرض من شأن اللغة العربية الفصحى وتقطيع أوصال القرى بين الشعوب الإسلامية الحاضرة والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية • (٢)

هذا في مجال القول " قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون " (٣) .

أما مجال العمل :

فقد كان التبشير شحنةً ناسفةً وجهها الغرب للقضاء على الوحدة الإسلامية أو غزوة منظمة وجهتها أوربا إلى العالم الإسلامي لغايات سياسية على حد تعبير الدكتور / محمد حسين هيكل : الذي تسأل كيف كانت هذه البعثات غزواً سياسياً منظماً وجهته أوربا للشرق ؟ رأيت أن تركيا باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية الحائلة بامتدادها حول البحر الأبيض المتوسط دون غزو أوربا لأفريقيا وآسيا • كانت موضع نظر خاص من جانب دول أوربا • (٤)

فالتاريخ الصادق يشهد أن دولة الخلافة التركية أدت دوراً عظيماً لخدمة الإسلام وأهله حتى وهي في مراحل ضعفها في الوقت الذي كان يطلق عليها فيه الرجل المريض ذبّت عن بلاد الإسلام الأعداء يقول عبد الرحمن زكي :

كانت تركيا العثمانية تؤدي للعالم الإسلامي خدمة جليلة فقد ظلت خمسة قرون تتولى الدفاع عنه في الخط الأمامي ضد الغارات الأوروبية - التي تشبه الغارات الصليبية القديمة - وكان هذا الخط يمتد من شمالي القوقاز على سواحل البحر الأسود ثم يسدور

(١) المرجع السابق ص ٣٧ نقلاً عن كتاب الإسلام والإرماليات ص ٤٤ - ٤٨ •

(٢) البشرون والمستشرقون ص ٢ •

(٣) سورة آل عمران من الآية ١١٨ •

(٤) الشرق الجديد د / محمد حسين هيكل ص ٦٠ بدون عدد للطبعة مطابع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢م •

نصف دائرة عظيمة حتى يكمله شاطئ البحر الأدرياتيكي الشرقى .

ولو لم تك جند العثمانيين وافقة فى هذا الخط وقفه صلبة عديدة لاجتاحت جنود أوربا الوسطى الشرق الأوسط كله . ولحققت أحلام " رتشارد " و " لويس التاسع " ولاحتاج الشرق الأوسط إلى " صلاح الدين " مرة أخرى ليرد هذا الغارة . (١)

ولذا لم تتوان أوربا فى استغلال العوامل التى تجهض الدولة العثمانية من تشجيع اليونان . ودول البلقان للإنتفاض على تركيا واستخدام المناطق التى يتجمع فيها نسبة كبيرة من المسيحيين فى دولة الخلافة للإثارة والفتنة كما حدث فى لبنان مما سيعرف فيما بعد . وفوق كل هذا أثاروا مؤامرة القومية العربية داخل الولايات العربية التابعة لدولة الخلافة فى مقابل القومية الطورانية التى تبناها حزب الاتحاد والترقى بعد حزب تركيا الفتاة . وخدع الشريف " حسين " فانزلق إلى القومية العربية كقائد لها ظننا منه أنها الوجه الآخر للإسلام . وهدف القوم من وراء هذه المؤامرات تفريق الأمة الإسلامية عمليا بالقضاء على دولة الخلافة . " وكان التركيز أشد قوة ووضوحا على " العرب " باعتبارهم القوة الأساسية فى العالم الإسلامى . وحلقة لواء الفكر الإسلامى العربى الناصح ، وسمن بينهم انبعشت اليقظة ودعوة الإسلام المعطلة لمخطط النفوذ الاستعماري القائم أساسا على القضاء على مقدمات الفكر الإسلامى التى تحمل طابع المقاومة والاستقلالية . وذات الطابع الواضح والقيم التى تندمج ولا تذوب " (٢) .

وسار المخطط التبشيري الاستعماري فى مجراه ، وتحقق ما أراد . مشيروا الدعوات العنصرية والعصبيات الجاهلية ، وحدث الشرخ بين المسلمين من العرب والترك وتعميق وكانت له من الآثار الأليمة التى ما تزال بائنة حتى أياضا هذه فانفجرت صيحة القومية قبلية شطرت المسلمين فأضعفت الأتراك وجرت عليهم النكبات ، وأوهنت العرب وألحقت بهم الهزات . وقسمت أمتهم إلى دويلات ، ولا عجب إن علينا أن دعاة القومية العربية فى البداية كانوا من غير المسلمين . فقد تم على يد خمسة من طلاب الكلية الإنجيلية (البروتستانتية) فى " بيروت " والتى أسست فيما بعد الجامعة الأمريكية ، وكلهم من النصارى الذين اجتمعوا عام ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٥ م ، وشكلوا جمعية سرية (جمعية بيروت العربية) بالتعاون مع " محفل بيروت الماسوني " وجعلوا هدفها : دعوة العرب

(١) الشرق الأوسط (دراسة شاملة لبلدانه وأحواله الاقتصادية والاستراتيجية) ص ١١٥ بدون عدد للطبعة ، وذكر للطبعة ١٩٤٨ م .

(٢) اليقظة الإسلاميه فى مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى) أنور الجندى ص ٩٤ ط ١ دار العلوم للطباعة بالقاهرة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م بتصرف يسير .

لمحاربة الأتراك والثورة عليهم وقامت هذه الجمعية بصياغة هذه العنصرية على شكل عقيدة سياسية فى محاولة منها لاجتذاب المسلمين من العرب إلى صفوفها فلم تفلح فى ذلك فقد نفر المسلمون منها ومن مؤسسيها الذين كانوا يواصلون السعى بالتعاون مع البعثات التبشيرية لئلا ما أسموه بالشعور القومى بين العرب .^(١)

وظل الأمر على هذه الصورة ، وهى محاولة دفع العرب لمحاربة الأتراك ، ونفور العرب من نصارى الشام أصحاب المحاولة لاعتقادهم أن هذا من أثر البعثات التبشيرية المتأثرة بالفكرة الغربية ، واستمر الحال بهذا الشكل إلى أن وصل الاتحاديون للحكم بسقوط السلطان " عبد الحميد " .^(*) ، وتكروا للعرب بل للإسلام الذى يجمع العرب والترك فحل العداء محل الوثام ، وحدث الانفصال بين الأخوين ، وهو الثمرة السنتى جناها التبشير ثم قدمها هدية للاستعمار الغربى ، وللصهيونية العالمية ، ولذا يقبل الأستاذ أنور الجندى : وقد تحقق بذلك عام ١٩١٨م ما كانت تتطلع إليه أوربا منذ أجيال وقرون وهو القضاء على الدولة العثمانية باعتبارها وحدة جامعة ذات طابع إسلامى تجتمع العرب والترك وكذلك سقوط أجزاء العالم العربى نهائيا تحت الاستعمار الغربى وإقامة حاجز بشرى يفصل بين إفريقيا وآسيا .^(٢)

(١) مجلة " الأمة " ص ٥٨ (السنة الأولى - العدد الثالث) من مقال بعنوان : من فكرة (القرن الرابع عشر الهجرى) لجمعية تحرير المجلة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م بتصرف يسير ، كتاب يقظة العالم الإسلامى تأليف د. وقرنوى ترجمة بهيج شعبان ، وتعليق الشيخ سليمان طاهر ج ١ ص ١٧٣ بدون عدد للطبعة ، مطبعة دار الحكمة بيروت ١٣٢٥هـ = ١٩٥٦م بمعنى قريب منه .

(*) فالخلافة تعتبر أنها ألغيت فعلا من النواحي العملية - منذ نجحت الثورة ضد السلطان عبد الحميد فى عام ١٩٠٨م ، ثم عندما خلعت نهائيا فى العام التالى ١٩٠٩ وولت غيره فقد أصبح الضباط - أى رجال جمعية الاتحاد والترقى - هم حكام البلاد منذ ذلك الوقت - وهم الذين وقعت الهزيمة فى عهدهم - ولم يكن السلطان " محمد رشاد " الذى لقب " محمد الخامس " الذى خلف عبد الحميد إلا مجرد شبح ، ليس له إلا سلطة دينية أو روحية ، ثم تلاه " محمد السادس " بعد الحرب العالمية فعبد المجيد آخرهم (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم / محمد ضياء الدين الرئيس ط ١٢ دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٢) اليقظة الإسلاميه فى مواجهة الاستعمار ص ١١٠ .

النصرة القومية فكرة غربية

نبئت النصر القومية فى الغرب • وتمكنت القوة الغربية من جذب مجموعة من شباب الإسلام إليها • فأفترقت عقولهم من تعاليم الإسلام • وبلأنتها بالأفكار الهدامة • بدعوى التقدم • وبدلا من أن يجعل السلم العقيدة هدفه الأسى يغضب إن اعتدى عليها • ومقاتل من أجلها • جعل الوطن • والجنس • واللون وغير ذلك ما يولد العنصرية ويشيع الفرقة والتحزب هدفا أسى وقد سرب الغرب إلينا هذه الأفكار كما سنعرف فى الحديث عن الجماعات • وجند رجاله لإقناع الشباب المسلم بها • محاولا فك الراسط الإسلامى • يكشف عن هذه المحاولة كلام "جب" ولنسأل الآن : أين وجهة الإسلام ؟

مرس هذا السؤال هو أن نعرف هل سيقدر الإسلام على الاحتفاظ بالوحدة بسين شعوبه رغم الإنحلال السياسى وأمام غارة تشنها الأفكار الحديثة والعلم الأورس ؟

أترأى سيكون خصيما لها أم حليفا ؟ أهو آخذ فى الإنحلال إلى قوميات صغيرة تتأثر كل منها على حدتها بالمؤثرات الأوربية وتنهج طريقا خاصا بها ؟

إننى وإن كنت لا أستطيع البت فى الجزئيات فإنه يخيل لى أن بعض الفهماء ج العام سيسير مع التطور المقبل ^(١) • وملخص كلام "جب" أنه بعد تقطيع الروابط الإسلاميه بتغير المفاهيم الإسلاميه وإثارة الأحقاد • سينجح الغرب فى تفكيك المجتمع الإسلامى وهدم الكيان الإسلامى • وضياح المجتمع الإسلامى مطلب استعمارى يسعى الغرب لتحقيقه بكل الوسائل •

يقول الدكتور محمد محمد حسين : وكان بين ما اعتمد عليه فى ذلك من أساليب نشر الاهتمام بالأثار القديمة • وتوجيهه إلى تدعيم عصبية إقليبيه تتسم بالفلو والإسراف فى الدعوة إلى حصر الانتباه فى أوطان صغيرة • وعدم الاكتراث بما يجرى فى خارجها •

وقد كادت هذه الأساليب تنجح • فى الفترة التى تقع بين الحربين العالميتين الأولى والثانية • فى إيجاد هذه العقلية الإنصاليه بين المسلمين • حتى رأينا

(١) وجهة الإسلام نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الإسلامى تأليف هـ. أ. "جب" وآخران نقله عن الإنجليزية محمد عبد الهادى أبوريد • ص ١٨ • ١٩ ط ١١ المطبعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م • الإسلام والحضارة الغربية د / محمد محمد حسين ص ١٠٣ • ١٠٤ ط ٥ بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م •

بين العرب من يزعم أن بلده أقرب للغرب منه للشرق ورأينا بين المسلمين من يتكلم عن الإسلام الحديث والإسلام القديم • بل رأينا منهم من يتحدث عن الإسلام الهندي والإسلام التركي .^(١)

وكانت فكرة القوميات كارثة كبرى منيت بها أمة الإسلام وابتليت بها دولة الخلافة التي كانت بالرغم من أصابها من وهن قوة يحسب حسابها • ويخشى بأسها وجمعها فضلا عن أنها كانت رافدا ثقافيا لبلاد الغرب حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي وهو ما اعترف به المفكر الغربي " كويلرينج " : بأن تيار الإسلام الثقافي ظل متدفقا من الشرق المسلم إلى الغرب وبلغ قمته في القرن الثالث عشر الميلادي حتى أن أوروبا لم تتخلص من ضغط هذا التيار الديني الثقافي إلا بعد أن ارتد الأتراك على أعقابهم • بعد أن كانوا على أبواب فيينا سنة ١٦٨٣ م^(٢) .

وحين تحول الرائد من الغرب إلى الشرق • وترى دعاة القومية في مخاض الغرب كما حدث مع دعاة الحزبية في تركيا • ودعاة القومية العربية الذين تعلموا في مدارس التبشير البيروتية مع العلم أن جماعة تركيا • دبروا مؤامراتهم خارج الوطن وهذا كاف في معرفة تسهيل الغرب لحركات التمرد • وخلقها وتشجيع أصحابها • ففي ديسمبر عام ١٩٠٧م كما يذكر صاحب " موسوعة تاريخ العالم " : تم اجتماع مختلف الهيئات الثورية وجماعة تركيا الفتاة في " باريس " حيث دبروا خططا للعمل المشترك واتصلوا بضباط الجيش الساخطين •^(٣) وكل ذلك لتقويض الوحدة الإسلامية وفك شملها •

" تركيا الفتاة " :

الذين قاموا بإحياء حركة تركيا الفتاة وتطورها في الفترة من (١٨٩٦ - ١٩٠٨م) كان معظمهم من المعلمين في فرنسا • وسويسرا • وإنجلترا وكان هدفهم أن تشكل " تركيا من جديد على أساس قومي • لكن حركتهم بدأت بالفشل للخلاف الذي دب بينهم^(٤) وكان العرب في بدء حركتهم يقابلونها بالترحيب • ولكن لما تكشف أمرهم استاء العرب منهم يقول : ف • و • فرنو : وسر العرب أولا من نجاح ثورة تركيا الفتاة سنة

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٠٤ •

(٢) الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته (من مجموعات الألف كتاب رقم ١١٦) كويلرينج ترجمة د / عبد الرحمن محمد أيوب ص ٧ بدون عدد للطبعة مطبعة الرسالة بالنااهرة

بدون تاريخ •
(٣) إصدار وليام لانجراشرف على الترجمة د / مصطفى زيادة ج ٦ ص ١٩٠ مطابع الدار القومية

بصر ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م •

(٤) موسوعة تاريخ العالم •

١٠٨ لم لأتسم كانوا يأملون في الحصول على الاستقلال الإدارى والكثير من الإصلاحات ولكن الفرج قد أعقبه خيبة أمل مرة وأصبحت القطيعة بين " تركيا الفتاة " في القسطنطينية وبين الوطنيين العرب لا يمكن تلافيها . (١) ، وذلك مما عجل بشهايتها بالرغم من كثرة أتباعها .

" الاتحاد والترقى " :

رجال الاتحاد والترقى كشأن من سبقهم ، استوردوا مبادئهم من الغرب المسيحي وحاولوا غرسها في تربة إسلامية لا تقبل مثل هذه البذور الرديئة .

يقول د / محمد ضياء الدين الرئيس : ذلك أن أعضاء جمعية الاتحاد كانوا فسى الغالب من شباب تلقى تعليمه في بيئات الغرب ، وقضوا شطرا من حياتهم في عواصم أوربا ، فنشأوا مفتونين بنظم الغرب وثقافته ، وحشوا أدمغتهم بنظريات ومبادئ لا تصلح للتطبيق في غير موطنها .

كما أن من المحزن أن معرفتهم بالإسلام كانت ضئيلة ، وفهمهم لحقيقة مبادئه أو لطبيعة تاريخ أمتهم كان مضللا ، أو على غير أساس ومن الثابت أن " جمعية الاتحاد " كانت خاضعة لتأثير الجمعيات " الماسونية " وكان نفوذ اليهود غالباً وظاهراً وسط محيط تلك الجمعية . (٢)

فقد تأثر أصحاب " الاتحاد والترقى " بالفكر الغربى المادى و " بالماسونية " اللعينة ، فضاعوا بين الإثنين ، وكانت مصيبتهم مصيبتين ، تأثروا بفكر لا يصلح فسى بيئة الإسلام وساروا وراء " الماسون " الذى يعمل دائماً فى الظلم ، فاتجهوا قطعاً إلى غير وجهة الإسلام ، فأهملوا كل مايت للدين وأشعلوا نار العصبيية والحزبية فى بلاد المسلمين ، وكان صوتهم دائماً تركية للانتراك ، وانطبق عليهم قول الله عز وجل : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلناه كشل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فانقص القصص لهم يشفكرون) (٣) .

- (١) يقظة العالم الإسلامى ج ١ ص ١٧٣ ، ١٧٤ باختصار .
(٢) تباهير النهضة فى العالم الإسلامى أو " الشرق الأوسط فى التاريخ الحديث " ص ١٨٤ ، ١٨٥ ط ١ طبع دار الدعوة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
(٣) سورة الأعراف الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

دعاة القومية في القرن العشرين

دعاة القومية العربية • وشيرو النزعات الطائفية غالبيتهم في الواقع من المسيحيين وقد لفت هذا الأمر نظر الأستاذ / محمد محمود الصواف فتسأل في دحضه :
فهل باترى جاءت هذه الموافقة من قبيل الصدفة ؟ ؟ ؟ • وهى أن تجد غالبية زعماء هذه الدعوة من غير المسلمين وهم يدعون إليها المسلمين • وفى بلاد الإسلام ومجد الإسلام • وبلاد الخلافة الإسلامية العباسية والأموية وغيرهما • فزعيم حزب البعث العربى الاشتراكي " ميشيل عفلق " وهو غير مسلم • وزعيم حزب القوميين السوريين " أنطون سمادة " وهو غير مسلم وزعيم القوميين العرب " جورج حبش " وهو غير مسلم " وقسطنطين زريق " زعيم فريق آخر من القوميين وهو غير مسلم أيضا . (١)

وإنه من المؤلم حقا أن يطاع دعاة القومية • وجلهم من المسيحيين الذين يحملون الكيد للإسلام • ويصنعون الخطط لسحق المسلمين ويعملون جهدهم لإيقاع العداوة بين صفوفهم والله عز وجل يحذرنا من أن تستجيب لكيدهم : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) (٢) .

وإن كانت هذه الآية نزلت في طائفة من أهل الكتاب • حاولت أن تشعل نار الفتنة بين قبيلتي الأوس والخزرج المسلمين • فإنها ستحرق في كل العصور وعلسى توالى الأزمان فحين كانت نيجيريا تحت الاحتلال البريطانى • يقول عبد السلام شحاته :
وقد اضطرت بريطانيا لاستخدام المسلمين في نيجيريا مثلاً لأنهم كانوا على مستوى عال من التعليم لايتوفر في غيرهم ولكنها عجلت في الوقت نفسه على بث الفرقة بين قبائل الهوسا والفولانى • وهى القبائل المسلمة الحاكمة وبين القبائل الأخرى وذلك عن طريق الدعاية المسومة التى تشكك في أصل هذه القبائل والتى تحط من شأنها . (٣) • وذلك لبعث الفرقة داخل صفوفها لتضمن تفتيت البلد وانقسام أهله فتبقى لها السيطرة •

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٤٧ ط ٣ دار النصر للطباعة الإسلامية

بالقاهرة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٠

(٣) الإسلام والتحرر الإفرى ص ١٦ (العدد ٢٢ - السنة الثالثة) اصدار المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

مصر والجمعيات السرية

تعدد المحاولات في هذا الميدان ، وكانت مصر متقدمة في مجال الجمعيات السرية فوجد بها على سبيل المثال جمعيتان •

أ - الجمعية السرية للضباط :

وهي أولى الجمعيات السرية في مصر ظهرت عام ١٨٦٧م انضم إليها أحمد عرابي زعيم الثورة العربية وزملاؤه الضباط الذين قاموا بهذه الثورة وقدمت هذه الجمعية عريضة إلى إسماعيل مطالبة فيها بإصلاحات اقتصادية منها تخفيف الضرائب عن كاهل الفلاح ولم يكن من السهل على إسماعيل إذ ذاك أن يستجيب إلى هذه المطالب في وقت كان فيه غارقا في ديونه وكان بحاجة ماسة إلى هذه الضرائب وأخيرا أعلنت الجمعية السرية عن نفسها في عام ١٨٧١م ، وظهرت باسم " الحزب الوطني " وهو غير الحزب الوطني المنسوب إلى مصطفى كامل والذي تم إنشاؤه على يد هذا الزعيم في سنة ١٩٠٢م^(١).

ولم يقصد " عرابي " من الانضمام إلى هذه الجمعية تحقيق هدف استعماري أو مطالب شخصي ، فلاك في إخلاصه ، وحبه للوطن وتغانيه في سبيل إقرار العدالة ووقفه الشجاع في وجه الخديوي إسماعيل ونجله الخديوي توفيق خير شاهد على جرأته في الحق وكل ذلك رصيد طيب في سجله •

ب - جمعية مصر الفتاة :

وهي من الجمعيات السرية التي نشأت في مدينة الإسكندرية عام ١٨٧٥م وكان قوامها الشبان المثقفون في الأمة من غير ضباط الجيش ، وكان من أعضائها عبد الله النديم وأديب اسحق وسليم النقاش ، ثم بتأثير النديم تغير اسم هذه الجمعية السرية وأعلنت عن نفسها باسم الجمعية الخيرية الإسلامية •^(٢)

(١) قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين دكتور عبد اللطيف حمزة ص ٨٢ - ٨٣ بدون عدد للطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٢م •

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ •

ويلاحظ أن هذه الجمعيات كانت نتيجة مباشرة للاتصال بالأفكار الغربية فهدى عدوى غربية سمرت في بلاد الشرق فمثلا وجد في إيطاليا قبيل جمعية مصر الفتاة جمعية إيطاليا الفتاة ، وهي التي أنشأها مازيني (١٨٠٥ - ١٨٨٢م) الذي يلقي عندهم برسول الحرية والحركة القومية في إيطاليا ، وقد جعل شعارها " الله والشعب " فسوى بذلك بين الإيمان الوطني والإيمان الدينى . (١)

وإذا كان الغرب مر بمرحلة ، لم يعد الدين فيها كافيا لحل مشكلات الحياة أو متجاوبا مع متطلباتها ، فظهر بين مفكره من يسوى بين الإيمان بالدين والوطنيين وذلك لأن رسالة المسيح " عليه السلام " مؤقتة كسابقتها لاتصلح لغير زمانها وهذا مبلغ علمنا ، لكننا بالرغم من هذا نرفع دائما شعار من لاخير فيه لدينه لاخير فيسسه لوطنه فلا مجال عندنا لوضع الدين في كفة والوطن في أخرى لنساوى أو لنرجح .

فالدين أقوى رابطة بين الأفراد ، وهي تعلقو كل الروابط ، ونصاب بالدهشة حين تتسرب هذه الأفكار الغربية الضيقة ، في دوائر صغيرة من مثققي العرب لتكسبون خبيرة تسرى في دوائر أوسع فأوسع ، علما بأن رسالة سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " شملت ما يصلح دنيانا وأخرانا ونهتتا عن النظرة المحدودة من التحزب والتفرقة وتأمرنا بالاعتصام ، والوحدة .

يقول الله عز وجل : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (٢)

ويقول الله تبارك وتعالى : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ركنكم فانقون) (٣) ، وسع هذا الإرشاد القويم وقع بعض مثقفينا فريسة للتعاليم الغربية يقول هانز كوهن ما ترجمته تحت تأثير الأفكار الغربية وحركات إيطاليا الفتاة وأيرلندا الفتاة وألمانيا وروسيا الفتاة في أوروبا في منتصف القرن التاسع عشر نشأت على التوالي حركات تركيا الفتاة والهنسند الفتاة ، والصين الفتاة ، ومصر الفتاة . (٤)

(١) تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى تأليف : دكتور محمد قاسم ، دكتور حسين حسنى ص ١٢٥ بدون عدد للطبعة ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥٢ .

(٤) عصر القومية (من مجموعة الألف كتاب ٥٢٢) ترجمة : عبد الرحمن صدقي ومراجعة مصطفى خبيب ص ١٤٠ بدون عدد للطبعة ، مطبعة دار الحماى من الجيش بالقاهرة ١٩٦٤ م .

أثر المدارس الأجنبية في صنع القومية

كان للإرساليات التبشيرية أثر ملموس في صياغة عقلية تؤمن بالحركات العنصرية والدعوات القومية على الطريقة الغربية واتخذت من المدرسة ميدانا فسيحا لصنع الأشكال والقوالب لا للتعليم النافع بقصد التعلم وإلا لتغير حال العالم الإسلامي اليوم ونظمت متفحصة لدور الإرساليات في تركيا دولة الخلافة ، نضع نصب أعيننا الأمر الواقـع وهو ما يخبرنا به مؤلف كتاب عصر القومية بقوله : ولم تفتح المدارس الحديثة إلا بعد سنة ١٢٥٢م ، عندما أنشئت وزارة التعليم ، وكانت أهم هذه المدارس " الـليسيه الإمبراطورية " في جالانا (١٨٦٨م) ، حيث كان يدرب الموظفون المدنيون وتـستعمل الفرنسية لغـة التدريس ، ووجدت طبقة مثقفة تركية صغيرة ، شبيهة بالطبقة الروسية في أوائل القرن التاسع عشر ، وأصبحت من ذلك الوقت فصاعداً القوة الدافعة الأساسية ، لتغيير جذري في المجتمع التركي . (١)

وفي نفس هذه الفترة الزمنية ، كانت بوادر عودة المتعلمين من دولة الخلافة من بلاد الغرب ، فظهر أول رواد الأدب الحديثين إبراهيم سيناي ، وهو ابن أحد ضباط الجيش التركي جاء مشحوناً بتعاليم الغرب فترجم بعد خمسة أعوام قضاها بفرنسا كتاب " الشعراء الفرنسيين " وأنشأ أول صحيفة خاصة وقد بدأ تلخيصه ناتي في سنة ١٨٦٨م نشر أول صحيفة تركية حرة في لندن ، (الحرية) بعد حوالي عقد من بعد " الكسندر هيرزن " في نشر أول دورية روسية حرة ، وقد ساعدت روايات " نامق كمال " الوطنية رشعره المثير على إيقاظ الوعي القومي التركي . (٢)

واقصر تعليم الغرب لأبناء الشرق على خدمة أهداف الغرب ، من فكرة تقسيم بلاد المسلمين ، وبث الفرقة بين صفوفهم وإلى توجيه سياستهم حسب أهوائهم ، سواء كان تعليمهم للمسلمين في ديار الإسلام أو في ديار الغرب .

ولذا يقول الأستاذ / أنور الجندي : وقد أصبحت فروع الجامعتان الأمريكية والقديس يوسف الفرنسية مراكز هامة في الشرق الأوسط كله ليس للثقافة وحدها بل للسياسة المالية حيث يتعلم بها طلاب من الشام والعراق والسودان . (٣)

- (١) عصر القومية ص ١٤٨ بتصرف .
- (٢) المرجع السابق ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
- (٣) الإسلام في وجه التغريب " مخططات الاستشراق والتبشير " ص ٢٣ بدون عدد للطبعة مطابع الناشر العربي بالقاهرة بدون تاريخ .

فلا غرابة إن وجدنا دعاة القومية التركية الذين تعلموا في مدارس الغرب عاصروهم
دعاة القومية العربية الذين أثبتتهم مدارس الغرب الموجودة في الشرق .

٢- هدف سياسي (وهو خدمة السياسة الاستعمارية)

كان الهدف التبشيري ديني في أول الأمر ، وهو نشر المسيحية ولكن المبشرين
دأبوا على تحويله ، أو دمج في غيره من الأهداف السياسية والاستعمارية ونسبوا
تبادل الكتان نراهم يرجحون كفة الأهداف الاستعمارية على كفة نشر المسيحية كرسالة
سماوية يعتقدون فيها .

ولذا يعطى الأستاذ أنور الجندى : الصورة الواقعية لهذا السلوك بقوله :
ولذلك كان الهدف الأمريكي من التبشير هدفًا دينيًا أساسيًا ، ولكنه تحول إلى هدف
سياسي بعد أن بدأت أمريكا تتدخل في سياسة العالم العربي وخاصة موقفها من إسرائيل
بعد أن خلقتها وأمدتها بالحياة ، وقد استهدفت هذه الدعوة :
أ - التشكيك في الإسلام .

ب - القضاء على اللغة العربية وتغليب اللهجات العامية .
ج - كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية .

أما هدف المبشرين الفرنسيين (ومركزهم الجامعة اليسوعية في بيروت) فهم
خلق صداقة روحية مع فرنسا ، على أساس البرنامج الفرنسي الذي وضع عام ١٨٦٤م وهو
" معرفة فرنسا ومحبتها " وقد أعطى الاحتلال الفرنسي " لبيروت " فرصة كبيرة في سبيل
دعم هذا الهدف . (١)

ولو اقتصر الأمر على " معرفة فرنسا ومحبتها " دون مقابل باهظ لا يطاق لكنا
نحن المسلمين أول الداعين إليه ، فإسلامنا يأمرنا بذلك (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم
خبير) . (٢)

(١) الفكر العربي المعاصر في معركة التفريب والتبعية الثقافية ص ٢٨٩ بدون عدد للطبعة

وذكر للطبعة والتأريخ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

والدهشة تبلغ مداها حين يعلم المرء أن ثمن محبة فرنسا • مثلاً احتلالها لوطنة • وسخها لدينه • والتحكم في ساره واستنزاف ثرواته •

ومن شدة حرص المبشرين على خدمة الاستعمار • وتنفيذ رغبات ساسته • الذين يقومون بشمولهم مادياً • وحمايتهم عالياً • حاولوا العمل في اتجاهين :
الأول : إبعاد الإسلام عن مجال التأثير الاجتماعى والسياسى • والاقتصادى • باعتباره دينا ينظم حياة الإنسان لدنياً وأخراً وذلك فى محاولة منهم لتصويره على أنه دين عبادة لا يصلح للحياة والله عز وجل يبين للناس أنه دين يربط الإنسان بخالقه • وينظم علاقته بالحياة فى كافة شئونها : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) (١) •

الثانى : القضاء على الوحدة الإسلامية وذلك بخلق تيار قوى وجارف من الإقليميات • ومحاولة إرجاعها إلى نزعات على أساس التاريخ القديم • كالفرعونية • والآشورية • والفينيقية • -
 ليضنوا تقسيم الأمة الإسلامية الواحدة يقول الأستاذ / أنور الجندى :

ولقد أولى التبشير اهتمامه منذ وقت بعيد إلى (الجامعة الإسلامية) وتناولها بالبحث والدراسة • وخاصة فى مؤتمر سنة ١٩١١م بعد أن سقط السلطان عبد الحميد حامل لواء هذه الدعوة وسيطرة تركيا الفتاة من الاتحاديين أصحاب الدعوة إلى الجامعة الطورانية على أزمة الحكم • وانفتاح الطريق إلى النفوذ التبشيري والاستعماري والصهيوني جميعاً إلى قلب العالم الإسلامى •

وفى التقرير الذى كتبه " القس نلسن " • " والقس ورنر " نجد إشارة إلى المخطط الرامى إلى القضاء على الوحدة الإسلامية وهى الموجودة فى شعور كل مسلم حتى وإن كانت مفقودة على أرض الواقع • وهذا مانقل عن الذين وضعوا التقرير •

عنا يبنى هؤلاء آمالهم على الجامعة الإسلامية • لأن التربية الغربية المسيحية التى تقوم بها (الإرساليات التبشيرية) قد انبثت فى دماهم بفضل مدارس التبشيرية واحتياجات استمدتها حكومة هولندا - والإشارة هنا إلى إندونيسيا - من شأنها أن تززع آمال المسلمين . (٢)

(١) سورة القصص الآية ٧٧ •

(٢) الإسلام فى وجه التغريب - مخططات الاستشراف والتبشير ص ٢٥٤ •

وهذه صورة ناطقة : بالعداء الظاهر للإسلام وأتباعه • تؤكد نعتهم الاستعمار والتبشير • وتبرز الخدمة التي تقدمها " الارساليات " للمستعمرين • في بث أفكار التبشير • والتحزب وزاد القوم في عدائهم ليشمل كل ما يمت إلى الإسلام يقول الأستاذ / محمد محمود الصواف : وقد اتخذت الخصومة للإسلام ومكافحته من قبل هؤلاء الخصوم الألداء أمكالا وألوانا مختلفة حسب طبيعة الأحوال ومقتضيات الظروف • فتسارة تكون بالبهتان الكاذب ووضع الإسلام في قصص الاتهام • وتارة تكون مجادلة في الإسلام خاصة مع من خلى باله منه • وجهل مبادئه وأحكامه وآدابه من أبناء المسلمين وشباب العصر الحاضر وغيرهم وتارة تكون مناقشة في القرآن • وطعنا في بعض آياته البينات وأخرى تكون انتقاصا لقدرة النبي " صلى الله عليه وسلم " وصفه بنعموت يخجل الرجل الحقيقي والعالم الصادق من أن يذكرها أو ينسبها لإنسان فضلا عن نسبتها لنبي الإنسانية ورسول الكمال الإنساني النعموت رحمة للعالمين محمد بن عبد الله " صلى الله عليه وسلم " •

واتخذت الخصومة للإسلام ومكافحته سبيلا آخر هو طريق التبشير المهد للاستعمار فانتشر المبشرون في ديار الإسلام يدعون إلى المسيحية ويبشرون بها ومن ورائهم يشككون في الإسلام ويطعنون فيه وفي عدم صلاحيته للمجتمع الحديث بزعمهم • تمددهم دول الاستعمار بكل أسباب الحياة والنشاط • (١)

وسأنوه ببعض هذه الاتهامات مع الرد عليها فيما يأتي بعد •

٣ - محاولة تشويه الإسلام

خطة التبشير قائمة على أساس محاربة الدين الإسلامي • وذلك بالطعن في القرآن الكريم • والافتراء على خاتم النبيين سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " ثم طرح الشبهات والمغالطات حول القضايا الإسلامية الكبرى وفي مقدمتها الجهاد في الإسلام والمرأة من وجهة النظر الإسلامية • ولقد تمكنوا من إثارة الشكوك في كثير من النفوس • نظرا لأن كثيرين من المسلمين لم يدركوا فهم تعاليم الإسلام لوجود الأمية

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٣ باختصار •

الدينية ، وقلة الوسائل الفعالة لمحوها ، وهذا يمكن التفرصين بالإسلام وأهله الدوائر^٥ من تحقيق مرادهم .

وفي هذا الصدد يذكر : سعد جمعه ما ملخصه أنه لما كان سفيرا لبلسمه الأردن بواشنطن سنة ١٩٦٣م ، أثارت الصحف الأمريكية حملة ضارية ضد الإرساليات التبشيرية في إفريقيا التي انفتحت ملايين الدولارات ، دون أن تُدخِل في المسيحية ما يوازي هذه النفقات فهي لم تؤد الغرض المطلوب من وجودها ، ولم تكف الصحف بذلك وإنما عيّرت الإرساليات بأن الإسلام قد انتشر في قارة إفريقيا دون بعثات وإرساليات وبدون نفقات ، فكان جواب المبشرين على تلك الحملة : إنهم إن يكونوا أخفقا نفسى دعوتهم فهم قد نجحوا نجاحا ملحوظا في تشويه الإسلام في نفوس أصحابه من العامة^(١) .

"الطعن في القرآن الكريم"

ولا يتوانى المبشرون في طرح الشبهات حول الإسلام ، بالطعن في القرآن الكريم وهاهو أحدهم هـ ١٠ ر جيب يقول عن القرآن الكريم : إنه مجموعة الخطب السوارة على لسان محمد " صلى الله عليه وسلم " خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته .

وهي تشكل في حد ذاتها تعاليم دينية وأخلاقية مختصرة ، وحجج مقدمة ضد خصومه وتعليقات حول الاحداث المعاصرة وبعض الأحكام ذات الصبغة الاجتماعية والقانونية كان النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " يعتقد أن جميع هذه الآيات أوحيت إليه ولا تشكل في حد ذاتها فكرته الواعية^(٢) .

ومثل هذا الزعم يدل على إفلاسهم ، فلما لم يعد تنطلي على الناس فكسرة تعليم القرآن من الأخبار والرهبان ، وغير ذلك من الادعاءات لجأوا إلى فكرة الإحسان النفسى ظنا منهم أنهم جاءوا بما لم يعلمه الأوائل وهم في الواقع مقتدون بغيرهم من كفار مكة ، الذين سبقوهم إلى هذا الرأي^(٣) ، يقول الدكتور / دراز : ومن تتبع أنواع المجادلات التي حكاها القرآن عن الطاعنين فيه رأى أن نسبتهم القرآن إلى تعليم البشر كانت هي أقل الكلمات دورانا على ألسنتهم ، وأن أكثرها ورودا نفسى

(١) الله أو الدمار سعد جمعه ص ٢٠ ط ٣ مطابع المختار الإسلام ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م تصرف

(٢) الاتجاهات الحديثة في الإسلام تعريب جماعة من الأساتذة الجامعيين ص ٢٩٠ ٢٠٥ ط ١ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت لبنان بدون تاريخ .

(٣) راجع شبه المبشرين حول النبوة والدعوة - عرض ونقد - (رسالة ماجستير) رسالة

مخطوطة بكلية أصول الدين . محمد زين العابدين الطشور ص ١٢٨ . ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

جدلهم هي نسبه إلى نفس صاحبه على اضطرابهم في تحديد تلك الحال النفسانية التي صدر عنها القرآن : أشعر هي ، أم جنون ، أم أضغاث أحلام ؟ (١)

صور القرآن هذه الادعاءات ورد عليها بالقول الفصل (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) (٢) ، وكشف القرآن كذبهم بقول الله تعالى : أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (٣) ، ويقول تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا زكسر وقرآن مبين) (٤) .

ففكرة الوحي النفسى مرفوضة أساسا بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد بذلك :

١ - حالة نزول الوحي : فكل من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم " وجلس بجواره لحظات لقاء جبريل معه يسمع دويًا كدوي النحل أو صوتًا مثل صلصلة الجرس فهذا الصوت الحادث والمسموع من أين جاء ؟

والتلقى له صامت لا يحرك بنت شفاء كما أمره مولا (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه) (٥) يقول الألوسي : وكان صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليه جبريل عليه السلام القرآن يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة خوفًا أن يصعد عليه السلام ولم يحفظه " صلى الله عليه وسلم " فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك إذ ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها (٦) ، ويفهم من هذا أن هناك كان صوت الوحي المغاير لصوت النبی وهذا محسوس لمن عاصروا اتصال السماء بالأرض في حياة النبی " صلى الله عليه وسلم " وفترة الوحي .

٢ - حالة النبی في لحظات الوحي : فلما ملك الوحي ليس بالأمر الهين فحين الاتصال به وقت نزول القرآن تبدو علامات واضحة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتغير وجهه الشريف ، وتسيل قطرات الماء من جبينه كما ورد في الحديث

(١) النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن) للدكتور / محمد عبد الله دراز ص ٢ ط ٢

طبع دار القلم ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٥ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٧ .

(٤) سورة يس الآية ٦٩ .

(٥) سورة القيامة الآيات من ١٦ : ١٩ .

(٦) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٦٨ .

الشریف : عن عبادة بن الصامت قال : كان نبي الله " صلى الله عليه وسلم " إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتردد وجهه (x) (١) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول " قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا (٢) .

وأيا ما أحسه زيد بن ثابت وهو يكتب الوحي لحظة نزول جبريل عليه السلام بآية " غير أولى الضرر " وقوله : غشى النبي صلى الله عليه وسلم الوحي ووقع فخذه على فخذي حتى كادت تدق من ثقل الوحي (٣) . وهذه حالات شاهدة بوجود اتصال غير منظور إلا لمن نزل عليه الوحي لكن أثره ظاهر لكل من حضر وشاهد الحالة ممن ملاح وجه النبي أو احساس من بجواره كما حدث مع زيد .

٣ - الفرق الواضح بين النص القرآني والنص النبوي فمع أن النبي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا إلا أن العبارة من القرآن فيها من الإعجاز والبلاغة ما يقصر عن إدراكه البشر وكل مخلوقات الله أي كانوا لأنه تنزيل من حكيم حيسد فلا يبقى لشبهة الوحي النفس أثر . وسيظل تحدى القرآن دليل على وحي الرحمن (٤)

وحي الرحمن حوى ما يصلح البشرية من القوانين والنظم الاجتماعية والأخلاق السامية . ووضع الضوابط الكفيلة بصيانة أي مجتمع يتخذها دستورا له في حياته وكسل من يدعى القصور أو عدم التمام والإلزام في أي ناحية من نواحيه . نقول هات براهنك إن كنت صادقا .

افتراء حول النبي " صلى الله عليه وسلم "

ولما لم يستطع القوم أن يجابها القرآن الكريم نراهم لم يكفوا عن التشكيك فيه والافتراء حول النبي صلى الله عليه وسلم يكتفى في هذا الموضوع الإشارة إلى افتراء

(*) " تردد وجهه " " ردد " قيل في معناه : تردد لونه ، وتردد تلونه : نراه أحمر مسرة ومرة أخضر ومرة أصفر . ويتردد لونه من الغضب أي يتغير (لسان العرب مجلد ٣ ص ١٥٥٥ باب الراء)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٨٩ (كتاب الفضائل / باب طيب عرقه صلى الله عليه وسلم

(٢) صحيح البخاري كتاب الشعب ج ١ ص ٢٠٣ (باب كيف كان يد الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) روح المعاني ج ٥ ص ١٢١ .

(٤) شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة - عرض ونقد - ص ١٢٨ - ١٣٠ بتصرف .

" ميكا آسين بالاسيوس " حول قصة الاسراء والمعراج يقول : نشأت اسطورتنا الاسراء والمعراج الاسلاميتان عن آية قصيرة غير صريحة وردت في " القرآن " ^(١) ثم ذكر الآية الأولى من سورة الاسراء والحق ان الاسراء والمعراج رحلتان قدسيان أخبرنا بهما القرآن وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وشهد التاريخ الصادق بحدوثهما لسيد الخلق ، فليسا من قبيل الاساطير ، أو التخيلات النفسية يقول الله عز وجل : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بباركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) ^(٢) ، وفي شأن معراجه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : (وهو بالآفاق الأعلى) ثم دنا فتدلى ، فكان قساب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى أفتأرونه عيسى ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدره المنتهى) ^(٣) .

وذكر البخاري وسلم في صحيحهما إسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ، ثم معراجه إلى السموات العلى سماء بعد سماء ، وإلى سدره المنتهى حتى صار قاب قوسين أو أدنى فلامجال للشك في حدوثهما حقيقة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن معجزاته التي لا تتكرر وأولها وأبقاها القرآن الكريم ، وقد شهد التاريخ بحدوث الإسراء والمعراج لسيدنا رسول الله " صلى الله عليه وسلم " .

ومن الشبهات التي يحاول المبشرون نشرها في العالم الإسلامى والعالم الغربى :

أن الإسلام دين السيف ، وأنه قام على سفك الدماء والحروب فى الوصول إلى غايته ويقصدون من ذلك تحقيق غرضين :

الأول : تغيير المسلمين من الجهاد ، وخنوعهم للاستسلام تحت دعوى أن الإسلام دين سلام وهى حقيقة ، قبلها المسلمون المعاصرون استسلاما لاسلاما . .

الثانى : تخويف العالم الغربى من الإسلام عموما لأنه نقل إليهم على أنه دين يأمر بالقتال ، وأتباعه يمارسون هذا على أنه شريعة وأمر يجب تنفيذه فقط ، وفى تصوير الإسلام بهذه الصورة مغالطات لا تغتفر ، ولو نظرنا لرأينا أن حرب الإسلام فى جوهرها تحقيق السلام ، ويكفى أن حروب الرسول " صلى الله عليه وسلم " والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، كانت ضد الوثنية والأكاسرة والباطرة الطغاة ، فأُنقذت الإنسانية من ويلات الظلم وجبروت الحكم ، وبالرغم مما حققته من نتائج خيرة للبشرية

(١) آراء غربية فى مسائل شرقية تعريب عمر فاخورى ص ٤٢ بدون عدد للطبعة طبع

فى مطبعة المقيد بدمشق ١٩٢٥م .

(٢) سورة الاسراء الآية ١ .

(٣) سورة النجم الآيات من ٧ : ١٤ .

جمعا ، فإن قتلاها من القلة التي لا تكاد تذكر بالنسبة لما جرى في الحروب الصليبية التي جرها أنصار الصليبيين على العالم الإسلامي واكتوى بناها الشرق والغرب على السواء ، ويطول بنا الحديث لو عددنا الفظائع المرتكبة باسم المسيح عليه السلام والمسيح برئ منها ، ولاتزال الإنسانية تذكر ما أذاقها الغرب المتحضر من كؤوس مرة ، وليست حادثة قنبلة هورشيما الذرية ببعيدة عن أذهان العالم ، فأثارها باقية وشاهدها حية مهما حاول الغرب الصليبي بواسطة مجموعة من مفكريه إسدال الستار ، ولك هذه الجرائم في كثير من الخرق ، وإخفاء معالمها التي لا تخفى في صورة إشاعة مقالات المسوء حول الإسلام وتصويره بصورة جرح ينزف دما في كل مكان ، حتى يتم إخفاء ما ترتكبه الصليبية ووضعه في طي الكتمان ، وحتى لا أطيل في سرد الرد على افتراءات المستشرقين وترويج المبشرين لها ، أحيل القارئ الكريم على الباب الثالث من رسالة الماجستير^(١) التي رددت فيه على مزاعم القوم حول أسلوب الدعوة ، والحرب والسلام في نظر الاسلام بالإغافة إلى ماتم دحضه في الباب الأول والثاني من الرسالة من شبهات القوم حول الوحي القرآني ، والنبوة الإسلامية ، مع توضيح القول في زيجات النبي " صلى الله عليه وسلم " وتعدد الزوجات في الإسلام .

" محاولة إفساد المرأة المسلمة "

ما يزال القوم في حملتهم المركزة على النصف الثاني للمجتمع الإسلامي وهو المرأة وسأبين بشيئة الله تعالى دورهم في توجيه أفكار الفتيات في مراحل حياتهن العلمية في مهت تعليم البنات التي فيما بعد ، أما الدور الآن فعلى المرأة كزوجية ، وأم فالمبشرون لا يفتأون يرفعون شعار حقوق المرأة ، أو تحرير المرأة ويتبعهم فسي حمل هذه المسؤولية بأمانة أديال لهم في بلاد الإسلام وليس المجال لعرض محاسن الإسلام فيما صنع بالمرأة ، فالأمر واضح ، وما نعجب أشد العجب أن أسيادهم يستعبدون الشعوب برجالها ونسائها ، ولانجد توجيهها من " البابا " أو من دونه إلى هؤلاء الحكام المسيحيين بالنظر في حقوق الإنسان ، ودوماً التوجيهات الحسان إلى المرأة المسلمة

(١) شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة - عرض ونقد -

فى الشرق بكشف الأذرع والسيقان ، وسأواتها بالرجل فى المكابدة الخارجية فسى
المزاحمة بالمعاملات ، والأعمال والغريب فى أمر هؤلاء أن يضعوا موازنة بين حشمة
المرأة والتأخر ، وسفورها والتقدم ، وأقول لهم إن كانت نيتكم خيراً بأمة الإسلام
فصدروا لها " تكنولوجيا العصر " حتى تلحق بالركب وحين تفعلوا هذا يكون بعضا
من الوفاء لأمة قدمت لكم الحضارة والمعرفة فى العصور المظلمة ، وإن لم تتمكنوا
فاتركوا أمة الإسلام تخط طريقها بدون وضع المعوقات والعراقيل ، فلماذا حرصكم الشديد
على عرى المرأة ، وغنايتكم الفائقة بتحريرها ؟

إننا فى دهشة من هذه التصرفات ، دعوا نسوة الشرق لتعاليم دينهم ، ولرجال
وطنهم ، فكل أدري بمن يحيط به ، ولنعلنها مدوية ، لاتنخدع أيتها المرأة
المسلمة ببريق الغرب ، فعماسة المرأة الغربية ، وضاعها فى ضباب الفوضى ألقها
وأزق مجتمعها الذى تحول بالرغم من شدة النظام فيه ، ودقة تنفيذ القوانين إلى
مجموعات من اللصوص وتجار السموم ، ورائعى الأعراض ، ولاعبى القمار وصارت اللعبة
المفضلة للرجل فى هذا المجتمع المرأة ، بل صورة لابتزاز الأموال ، فى حفلات الرقص
فى نوادى العراة والعيان بالله ، فى دور الخنا ، فى أعمال الجاسوسية فى المتاجرة
الرخيصة .

فيا مسلمة الشرق والغرب عضى بالنواجذ على تعاليم الإسلام ، وقوى بدورك
كما أمر الله تعالى خير قيام ، وانتظري النتيجة عطاء سخيا مما لاتنفذ خزائن
ولا تلتفتى للأفكين ، وبدى يد العون للمجتمع الكريم فى حشمة ووقار ، تنعمس
بالاستقرار ، وتنايلن التكرم .

٤ - إفساد أخلاق المسلمين :

إنها محاولة لتدمير الأخلاق الإسلامية ، التى بُعث خاتم النبیین " صلى الله
عليه وسلم " لإتمامها حيث قال : (بُعثت لأتم مكارم الأخلاق)^(١) ، والقسم
يثيرون الاتجاه الغربي فى نفوس المسلمين فى صورة حرب معلنة على المسلمين صباح
مساء ، ولاعاصم منها إلا من عصم الله ، وإن بلادا إسلامية كثيرة ضاعت من أيدي
المسلمين ، ليس تحت وطأة الأعداء ، وشدة بأسهم ولكن بغياب العقول ، والوقوع
فى براثن الشهوات .

(١) رواه أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (تعليق العراقي على الإحياء ج ٢
— ١٥٥) .

ويضع الأستاذ الفاضل دكتور / عبد الودود شلبي أيدينا على خطة المسدود في الإجهاز علينا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام حين يتسأل علناً نفيق : أتعلمون كيف ضاعت الأندلس يا مسلمون ؟

وبجيب :

لقد أعد " الفرنجة " جيشاً لهذه المهمة ولكن قبل أن يتحرك هذا الجيش تنكر أحد جواسيسهم في صورة تاجر لقد أرادوا أن يعرفوا حال المسلمين أولاً ..

وفي أول خطوة داخل أراضى الأندلس الإسلامية التقى هذا الجاسوس المتنكر بصبي مسلم كان واقفاً يبكي تحت ظل شجرة قال الجاسوس للصبي : لماذا تبكي هل تريد طعاماً ، مالاً . أم تقبل منى هذه الهدية ؟ لقد أمسك الصبي المسلم بيد الجاسوس ثم ألقى بهديته على الأرض قائلاً : أظننى طفلاً حتى تضعه على هذه اللعبة ؟ !

لقد فوجئ الجاسوس بالإجابة واعتبرته دهشة ورعدة ثم أردف قائلاً : إذن لم تبكى ؟ أبكى لأنى أخرج صباح كل يوم للتدريب على الرمي في هذه المنطقة وقد رأيت طائرين فوق هذه الشجرة ، فأردت أن أصيدهما بضربة واحدة ، غير أن طائراً واحداً سقط بينما طار الآخر ونجا لهذا حزنت .

حزنت لأننى عجزت عن صيد طائرين بضربة وأخشى أن يفاجئنا أعداء الله فلا أقتل منهم الكثير بهذه الحرية ، واستدار الجاسوس راجعاً على الفور وأمام هيئة قيادة جيش الغزو قال لكبير كهنة العدو : هكذا يفكر الأطفال فكيف بالرجال من ذوي الخبرة في القتال ، وما العمل ؟

عليكم بالنساء والخبر إن هذا هو السلاح الحقيقي في معركة الغد وقد حدث فعلاً .. وبعد سنوات كثيرة طبعاً أصبح الأندلس " فردوساً " مفقوداً ، وتحول إلى " قصيدة " يترنم بها المسلمون أغنية ونشيداً . (١)

ولم يكف أستاذنا بهذا الحد من التحذير إنه يفتح أعيننا على مايجرى بيننا حتى لاتغمض الجفون أكثر من ذلك فلانبصر إلا الحديد في أيدينا وسيط الأعسداء تسيل دماً روثها نقول ليت ولاتنفع ليت .

(١) أميقراً أيها المسلمون. ١١ قبل أن تدفعوا الجزية دكتور عبد الودود شلبي ص ١٠٦
١٠٧ ط ٣ دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

يقول بعض القادسين من مدن الضفة الغربية في فلسطين المحتلة : إن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربى إلى الإختلاط باليهوديات ثم تشجع هؤلاء الفتيات على ممارسة الفاحشة مع هذا الشباب . ويقول الراوى : إن معظم الأفلام التى تعرض هناك أفلام جنسية صارخة وقد عمدت الحكومة الإسرائيلية إلى فتح بيوت للدعارة فى أماكن عمل الفلسطينيين وتجمعاتهم المختلفة .

إنه نفس المخطط ، ونفس الغاية ، ولا فرق شئ ذلك بين التبشير والصهيونية . ماذابقى بعد ذلك ؟

إنها الكارثة ، وهى قادمة ما بقيت أسرار المسلمين على ما هى عليه فى العالم الإسلامى بعامة وفى الخليج العربى بصفة خاصة . (١) ، وإن هدف البشريين سلب المسلمين من إسلامهم قبل كل شئ ، ولايتأتى ذلك إلا بشيوع الإنحلال ، بينهم وسوق السفريات إلى أوطانهم ، وقد أخذ المشرون على عاتقهم تنفيذ هذه المهمة ضمن مايقومون به من تخريب فى ديار الإسلام .

دور " زويمر " زعيم البشريين فى اشاعة الفساد (*)

لما وقف " صموئيل زويمر " رئيس جمعيات التبشير فى " مؤتمر القدس " سنة ١٩٣٥م والخاص بالتبشير خطيباً فى إخوانه النصريين ، أرجع الفضل فى صرف عقول الشباب المسلم عن كل ما هو جاد ، ونفد إلى إخوانه ، وكان من قوله : " أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطت بهم رعاية الرب بالتوفيق الجليل القدس لقد أديتم الرسالة التى نبطت بكم أحسن أداء ، ورفقتم لها أسس التوفيق وإن كان يخيل إلى أنكم مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يظن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

إننى أتركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة ، إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام أو رجل متخف بالأديان ، لا يبنى غير الحصول على قوتهم

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبدياً وأهله ص ٥٣ .

(٢) صموئيل زويمر : عاش من عام ١٨٦٧م إلى ١٩٥٢م وهو مستشرق أميركى محرر مجلة " عالم الإسلام " الانجليزية له مؤلفات عن العلاقات بين المسيحية والإسلام منها " يسوع فى إحياء الغزالي " (النجد فى العلوم ص ٣٤٠ بتصرف) .

وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وآخر ينبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ، ولكن مهمة التبشير التي ندبتمكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما - هكذا - وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله - وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتهم - بهذا تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ماقيم به في خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنتكم عليه وتهنتكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنة .

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الروع مكان التبشير والكنائس ، والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيم عليها الدول الأوروبية والأمريكية والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء إنكم أعددتكم بوسائلكم جميع العقول الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد ، إنكم أعددتكم شبابا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشر الإسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار لايهتم للعظام يحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوة وإذا جمع المال فللشهوة وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود بكل شئ .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتكم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحت بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب . (١)

وبهذه النهاية ختم زهير خطابة ، فمادام الناهيون والمستغلون رضوا عن المبشرين أصبحوا موضع بركات الرب فأبى رب هذا الذي يبارك عمل المفسدين ؟ ويرضى عن المستعمرين الظالمين ، سبحانه يارب العالمين قلت في القرآن الكريم :
(إِنْ اللَّهَ لَا يَصْلَحُ عَلَى الْمُفْسِدِينَ) . (٢)

(١) المخططات الاستعمارية لمكة فحة الإسلام ص ٥٨ ، ٥٩ ، قادة الغرب يقولون دبروا الإسلام أبعدوا أهله ، جلال العالم ص ٥٣ بدون عدد للطبعة (المختار الإسلامي للطبع والنشر) بالقاهرة ١٩٧٤ م .
(٢) سورة يونس من الآية ٨١ .

إن زعماء التبشير يدركون تماما دور الأخلاق في حياة المسلمين ويعلمون مدى -
تأثيرها على الحضارة بل أثرها الحضارى على العالم أجمع ، وهم يأتون إلينا بالإستعمار
بكل معانيه الإستيطاني ، والثقافى ، والإقتصادى ، . . من مدخل هدم القيم يقول
مرما ديوك باكتول :

إنّ المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي
نشروها بها سابقا ، بشرط أن يرجعوا إلى الاخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم
الأول لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم .^(١)

٥ - إحتواء حكّام المسلمين بالإلتفاف حولهم

وهو هدف إستعماري ، يهدف له المبشرون السبل بما يتاح لهم من إمكانيات
وسا يملكون من وسائل ، وسأ لهم من خبرة يقول جب : لقد فقد الإسلام سيطرته على
حياة المسلمين الاجتماعيه وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في
طقوس محدودة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيا عن غير وعى وانتباه ، وقد مضى هذا
التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطوير
يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامى ، وعلى الشباب منهم خاصة
كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلماني^(٢) .

ومن أجل صنع القادة كما يشاء الاستعمار ، التف حولهم المبشرون وأحاطوهم
بالرعاية ، فكانوا بأعين التبشير يرون ، وعلى عشاء يتكئون وهذا نوع من التدخل السياسى
الغرس لمصالح أم الغرب على حساب أمة الإسلام .

التبشير السياسى للقادة

ويخص هذا النوع لقادة البلاد ، لجذبهم تجاه مصالح الاستعمار وهو من
ألوان التبشير السهام ، يستخدمون فيه كافة الوسائل للوصول إلى قلوب معظم الحكّام
والقادة ، والوزراء ، وذوى الجاه ولا يتركون شجرة بدون أن ينفذوا منها إلى عقليّة
هؤلاء عن طريق الترجمة ، أو التعليم ، أو التطبيب ولو وصل الأمر للخدمة داخل
الدور والقصور .

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبعدوا أهله ص ٤٥ .

(٢) اراجع المرجع السابق ص ٤٢ .

وبلغت النظر إلى هذا اللون التبشيري الدكتور / فهمى الشناوى بقوله : لقد أحاط بالخدو " توفيق " وأبيه " إساعيل " رجال مثل " نوبار باشا " " ونجران " باشا " وطرس غالى " وأحاط " بفاروق " رجال مثل " كريم ثابت " والسياسى " أندراوس " وأحاط " بالنحاس " مكرم عبيد .

حتى داخل القصور ، وبين خدم الحرم كان يحيط بالملكات والأميرات نساء وأحيانا رجال مسيحيون ويهود ومن لا يبشر فليس مسيحيا ، والتبشير هنا لايعنى بالضرورة تحويل الملك أو الزعيم أو الأميرات إلى المسيحية ديننا معلنا ولكن تحويلهم بعيدا عن مصلحة الإسلام وفي خدمة المسيحية الدولية هو المطلوب والأكثر فعالية والأبعد أثرا .^(١)

ونجح الغرب فى القيام بهذا الدور ، وسخر بعض مسيحي الشرق لتشيله حتى تمكن من غرس مبادئ التربية الغربية وبث أفكارها فى كثير من ملوك وقادة المسلمين .

وفى النهاية اتخذ هؤلاء الحكام معاهد الغرب قبله لهم وأساتذة أوروبا أئمة لهم يتلقون النصيحة منهم ويشير الأستاذ ابراهيم خليل أحمد إلى بعضهم قائلا : ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

- ١ - الملك السابق فاروق (مصر) .
- ٢ - الملك فيصل^(٢) (العراق) .
- ٣ - الملك حسين (الأردن) .

ولعل الغرض من هذا كله أن يشبوا متشبعين بمبادئ الغرب مائلين له ، وبهذا تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية ، والقيم الوطنية العربية .^(٣)

٦ - اصطناع العداة بين النصرانية والإسلام

والواقع يؤكد أن الإسلام فى جوهره لايعادى (دعوة المسيح الحق) التى أوحى الله تعالىها إلى نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام وإنما يوجب على المسلمين الإحسان بالمسيح عليه السلام والتصديق برسالته ، كما يفرض عليهم الإيمان بكل الأنبياء والرسل بما فيهم

- (١) المختار الإسلامى ص ٥٩ من مقال بعنوان : المؤامرة على اسقاط الخلافة العثمانية (العدد ٢٩ السنة الخامسة) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م .
- (٢) فيصل ٢ ابن غازى عاش من عام ١٩٣٥ م إلى ١٩٥٨ م نودى به ملكا على العراق عام ١٩٥٣ م ثم قتل بانقلاب عسكري (يراجع المنجد فى العلوم ص ٥٣٦) .
- (٣) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية ص ٦٠ ، ٦١ بدون عدد للطبعة وبدون ذكر المطبعة ١٩٧٢ م .

خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والإيمان بأن الإسلام نسخ الشرائع السابقة كلها بما فيها النصرانية يقول الأستاذ / نذير حمدان :

ولكن المبشرين يصطنعون صراغا بين الرسالتين ، ويتكلفون أن يقيموا عسداً بين المسلمين والمسيحيين ، فالمستشرق الألماني (بيكر) يرى أن " هناك عداً مسن النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها (١) - فالقضية الحقيقية هي تعارض مصالح المبشرين التوسعية وتخوفهم على مصالحهم الكنسية وتغلغل النفوذ الاستعماري قبل أي اعتبار آخر . (٢)

والقوم يشعلون نار العداً كلما أحسوا بخمودها وكان الأليق بهم أن ينظفوا نقاط الالتقاء بين الإسلام والمسيحية ، ويعمقوا الصلة بين أتباع الأخوين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، حتى يصل الجميع إلى بر الأمان ولكن الحاجة في نفس يعقوب نجد التصريح من جانب التبشير وأدنا به بأن الصراع لا ينتهي ، وبأنه صراع بين الشرق والغرب وتتنامى القوم أن الرسالتين انبثقتا من الشرق ، فلاداعي لاصطناع استمرار العداوة من أمثال آلن مورهد القائل في كتابه النيل الأبيض :

لقد انتهت هذه القلاقل (ثورات عرابي والمهدى) كما رأينا بالهزيمة الساحقة للإسلام على ضفاف النيل ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقتة ليس إلا ومنذ سنة ١٩٠٠م وهنالك تقدم منتظم للإسلام في شرق ووسط أفريقيا ، وفي الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤنمين جددًا أكثر من المسيحيين كما قال " رولاند أوليفر " إنهم يكسبون السباق .

وأوغندا تعتبر الآن مسيحية ولكنها ستستقل قريباً وكل من مصر والسودان تحت حكم مسلم لذا فما من رجل عاقل يغامر بالقول بأن ذلك هو نهاية الأمر ، التناقض بين الدينين الشرق ضد الغرب ، يبدو كأنه جزء دائم من الواقع الإفريقي ، وهذا الصراع يعض أحيانا تحت الأرض وأحيانا فوقها ولكنه مستمر ومحتم كالنيل نفسه . (٣)

والواقع يشهد بخلاف هذا الكلام ، فالشرق المسلم في مجده كان للغرب نورا يزيل ظلم الحياة ، وكان كالنيل في نتاجه يروي الأرض فتنبث الحب والبقل وحسين

(١) مجلة منار الإسلام ص ١٢٠١٢ مقال بعنوان: بين التبشير والاستغراب (العدد

الثامن - السنة الخامسة) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

(٢) الغزو الفكري محمد جلال كشك ص ٣٨ ط ٤ مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ١٣٩٥ هـ =

١٩٧٥ م نقلا عن: النيل الأبيض تأليف آلن مورهد ، وترجمة محمد بدر الدين خليل ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ بدون عدد للطبعة طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

وأتت الفرصة الغرب فتقدم في ركب الحياة ، أشعلها نارا حامية تأكل الأخضر واليابس وتناسى رجاله تسامح الإسلام ، وكان الأجدر بفكرى الغرب أن يذكروا إخوانهم وعشيرتهم بأيادي الإسلام البيضاء ، بدلا من أن يثيروا فيهم البغضا والشحنا .

٧ - محاولة الاستيلاء على بيت المقدس

أراد الغربيون أن ينفسوا عما يجيش في صدورهم من استيلاء المسلمين على " القدس " ولذا يقول الأستاذ نذير حداد : فنشأ أن هزم الصليبيون بعد قرن من الزمان أنفوقها في محاولة الاستيلاء على " القدس " وغيرها وانتزاعها من أيدي المسلمين يقول اليسوعيون :

ألم تكن نحن ورثة الصليبيين ؟ أولم نرجع تحت راية الصليب لنمتأنف التمسرب التبشيري والتمدن المسيحي ، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي ، وباسم الكنيسة ملكسة المسيح ؟ (١) .

وظلت فكرة الاستيلاء على بيت المقدس تراود أفكار الغرب بعد هزيمته العسكرية في الحروب الصليبية ، وأخذ يستعد لتحقيق هدفه ، لفترة تمتد لعدة قرون كانت الأرض المقدسة بأيدي المماليك ثم بحوزة الأتراك المسلمين في القرن السادس عشر الميلادي ، ونسب الناس جميعا بوجود بيت المقدس في رعاية المسلمين ، حتى قربت نهاية الحرب العالمية الأولى ، عندما دخلت قوات الغزو الأوربي بلاد الشام .

وهكذا نرى أن هذا الأمل القديم من أجل غزو بيت المقدس ظل مطويا في زوايا النسيان مدى خمسة قرون إلى أن تمكنت القوات المتحالفة من دخوله في ١٩١٧م ، ولم يكن هذا خاتمة الصراع المرير في سبيل امتلاك هذه البقعة المقدسة إذ تجدد النزاع من أجلها مرة أخرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ولكن بعد أن كان هذا النزاع فيما مضى نزاعا بين المسيحية الغربية والعالم الإسلامي أصبح اليوم نزاعا بين إسرائيل تناصرها القوى الاستعمارية في العالم الغربي وبين دول الشرق العربي يشد أزرهم إيمانهم العميق بعدالة قضيتهم ووضوح حقهم

(١) مجلة منار الإسلام ص ١٢ من مقال بعنوان بين التبشير والاستغراب وقد سبق ذكر هذا المرجع .

وإذا كان ذلك هو ماضى الأراضى المقدسة وهذا حاضرها ، فلانعلم على وجهه
اليقين ماذا سيكون مصيرها فى المستقبل القريب أو البعيد ، وإن كانت الدلائل تسوِّد
بأنه سوف يكون مستقبلاً حافلاً بالتطورات الهامة والأحداث الجسام .

وقد بذل الغرب جهده وما يزال ، ليدوم له التحكم فى مصير المسلمين والمهيمنة
على أوطانهم " فاستغل الاستشراق والاستعمار والتبشير كذلك ليظل العالم العربى تابعاً
لألوان حضارته ويبقى تحت سيطرته وخاصة فلسطين وذلك لموقعها الجغرافى الممتاز الذى
جعلها عاملاً حيوياً فى التاريخ العالمى إذ تضم أغز الأماكن المقدسة للرسالات الثلاث :
اليهودية والمسيحية والإسلام على حدٍ سواء^(١) .

فإن على المسلمين واجب تجاه بيت المقدس بكل مقدساته وفى مقدمتها أولس
القلتين وثالث الحرمين " المسجد الأقصى " عليهم تطهير بيت المقدس من كل معتد أثيم
وتخليص مقدساته من قبضة الصهيونية الاستعمارية ، ليعود الأمن والأمان إلى مدينــة
السلام ، ومن يتقاعس عن الجهاد فى سبيل الله لتطهير هذه الأماكن من رجس المعتدين
فهو خائن لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومفرط فى الأمانة فعلى ولاية المسلمين وعلمائهم
أن يعيدوا للمسلمين المجد والعزة .

وسائل التبشير

تنوعت وسائل المبشرين للوصول إلى أغراضهم ، وتحقيق أهدافهم فلم يقتصروا
عند أسلوب بعينه ، وإنما استخدموا كل الأساليب المتاحة ، وهم دائماً فى طريق
التجديد ، وفى خدمة دولهم ، فهم فى نفس الوقت الذى يعملون فيه لنشر المسيحية
الغربية يوجهون جهودهم لخدمة مصالح الدول التى ابتعثتهم ، ولقد حدث فى عهد
الخدوي إسماعيل صاحب الفتوحات فى أرجاء السودان ، أن خشى الإنجليز من توسعته
فى السودان الشقيق .

يقول سيخايل شارويم : وجعلوا يعملون على ما تقتضيه مصالحهم ويتدبرون لمستقبل
الأيام فأرسلوا الكشاف ، والرواد ، من طريق الزنجبار ورأس الرجاء بعضهم فى زى المبشرين

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر دكتور / أحمد سmailوقتش
ص ١٤١ و ١٤٢ بدون عدد للطبعة ، طبع دار المعارف بمصر ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .

بالنصرانية وبعضهم باسم علماء الآثار وأصحاب علم طبقات الأرض . (١)

وهكذا يتضح أنهم ، فهم سخرة للدول الاستعمارية وأداة لتحقيق المآرب السياسية وهذه وسائلهم إجمالاً :

- ١ - التعليم في المدارس ، والكليات والمعاهد ، بعد إنشائها .
- ٢ - إنشاء المستشفيات ، والمستوصفات المجانية ، وتقديم الخدمات الطبية مجاناً .
- ٣ - وسائل الإعلام : من صحافة ، وإذاعة ، ودور النشر ، والطباعة .
- ٤ - المخيمات الكشفية ، والمعسكرات .
- ٥ - الجمعيات التبشيرية والخيرية التابعة للتبشير .
- ٦ - السلاجى .
- ٧ - الكتب ، والرسائل .
- ٨ - المؤتمرات .

وسأتحدث بإيجاز عن كل وسيلة من هذه الوسائل ليظهر بوضوح الدور التبشيري المستمر تحت الخدمات الإنسانية ، والرحمة بالبشرية .

١ - من أهم وسائل التبشير التعليم

وقد اتخذ المبشرون التعليم وسيلة من قديم الزمان ، وكانت الخطة بناء مدرسة مسيحية في أحد أقطار الإسلام ، وبحجة توسيع المدرسة يتم شراء ماحولها من أرض ، أو مساكن بأى وسيلة ، ويقام سور كبير حول المدرسة والأرض المشتراة ، وفي نفسا المدرسة تشيد الكنيسة ، فيجد التلميذ المدرسة تلاصق الكنيسة ، فيتعود على رؤية هذا المنظر ، وتنطبع في ذهنه هذه الصورة وإن لم يذهب لتأدية الشعائر فيها ———— مجاملة لأساتذته المسيحيين ، ومن البطارقة الذين برزوا في هذا الدور وطبقوه ببلاد الإسلام :

- ١ - البطريرك " كيرولس الرابع " (*) بابا الإسكندرية والمدارس التبشيرية :

يشهد تلميذ من تلاميذ المدرسة التي أنشأها بالدور الذي أداه هذا البطريرك

(١) الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ميخائيل شارويم ج ٤ ص ٣٧٦ ط ١ طبع

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م .

(*) كيرولس وهو داود بن توماس بن بشوت بن داود ولد سنة خمس وعشرين ومائتين وألف هجرية بقرية اسمها نجع أبوزقالي من قسم صومعة شغلان بإقليم أخميم بصعيد مصر (الكافي فسى

تاريخ مصر القديم والحديث ج ٤ ص ١٣٤) .

مفتخرا بأعماله ، قائلاً : فإنه عزم أن يجمع جميع أبناء الملة ، ويضعهم في دار أنشأها بالقبيلة " وسماها " دار العلوم " وقد عين لدخول التلاميذ يوم كذا ونودي بذلك فسي الناس بالكنيسة الكبرى . (١)

وبدها البطيريك ، استمال محفظي القرآن الكريم من المسلمين بالقرية حسنى لا يؤلبوا أهل القرية على المسيحيين ، ويكشفوا خطته الماكرة ، وحتى يضمن دخول أولاد المسلمين بالمدرسة وهو المقصود الأول وأناط بهم التعليم الابتدائي ، على أن يضم الأولاد النجباء بعد اختبارهم إلى جانب التلاميذ المسيحيين ليتلقوا بقية تعليمهم على يد أساتذة مسيحيين ، وهذا ما قاله التلميذ المذكور : وجعل لامتحان تلامذتهم أياماً معدودة في كل ستة شهور فمن وجد منهم ناجحاً ضم إلى صفوف المدرسة ، فلم يمس على ذلك إلا القليل حتى دخل من هؤلاء في صفوف المدرسة نيف وتسعون تلميذاً وبائة ممن كانوا خارجاً وظهرت عليهم علامات النجابه ودلائل الفلاح فتكلموا بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والنبطية وجودوا اللغة العربية . (٢)

دوره في بناء المدارس :

أدرك " داود " الصومعي نفعة التعليم للمسيحية ، ودوره في التبشير بها فسلط جهده في إنشاء المدارس التي تخدم أغراض المسيحية منذ عهد مبكر ، فحين كان مطراناً عاماً أنشأ مدرسة في الدار البطيريك " بالقاهره " ، وجعل فيها التعليم مجاناً لكل الطبقات وبعد جلوسه على السدة الباباوية عمل على توسيعها وزيادة فصولها حتى تستوعب أكبر عدد من الطالبة وافتتحها رسمياً بحضور وجهاء الدولة سنة ١٨٥٥م وكان يقوم بكل مطالب الطالبة مع دفع مرتبات المدرسين . (٣)

وحتى لا تغفل الفتيات المسلمات ، من الدعوة إلى حظيرة المسيحية قام بإنشاء بعض مدارس للتلميذات وهذا ما قاله صموئيل تاووضروس في تعداد له لآثره ولم يقف البطيريك المصلح عند هذا الحد ، بل أنشأ مدرستين أخريين في حارة السقاين ، واحدة للبنين والأخرى للبنات علاوة على مدرسة أولية لهن في حي الأزكيه وهكذا كانت مدرسة الأقباط الكبرى التي يتعلم فيها المسيحي بجانب المسلم أول مدرسة أهلية تمتلكها الكنيسة فسي

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٣) باباوات الكرسي الإسكندري ١٨٠٩ - ١٩٢١م مع موجز لمعاصريهم من أساقفة الأقاليم

صموئيل تاووضروس ص ٤٦ و ٤٧ .

القاهرة بل وفي مصر ، كما كانت مدارس البنات الأولى من نوعها التي شهدتها البلاد في وقت مبكر من نهضتها .^(١)

وليت أمر البابا وقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى القيام بنفسه بدور تبشيري يفوق الخيال ففي نهاية العام الدراسي كل سنة يعد حفلا يدعو إليه كبار المسئولين بمصر ، ويحضره جميع التلاميذ وبإلها من فرصة ذهبية حيث يقوم بنفسه أمام هذا الجمع بتوزيع الجوائز فهو فارس الميدان ، وقتها سيفهم التلاميذ بنين وبنات أنه كل شيء عند كبار رجال الدولة ، وبالتالي يتطرق إلى عقولهم التساؤل : لو كان على باطل فمسا الذي جعل كبار الدولة يقفون من خلفه ويسمحون له أن يكون سيد الحفل والموقف وهم شهـود .

ويكفي القارئ الكريم ، أن يتلو وصف هذا الحفل كما ورد على لسان صاحب " الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث " حيث قال : وكان في نهاية كل سنتيولم الولايسم العظيمة ويدعو كبار القوم والوجهاء ، والعلماء ، لامتحان التلاميذ ثم يفرق الجوائز من نياشين الذهب والفضة ونفيس الكتب وبعد الموائد الفاخرة ، وكان إذا سمع من أحد التلاميذ كلمة وأعجبه وضعها أو استكبرها على قائلها لصغره وعدم بلوغه حد النقصد فرح به فرحا عظيما واستعادها مرارا وأخبر بها كل من يراه في يومه ويقول سمعت اليوم فلان بن فلان يقول كيت وكيت فسرني جدا إدراكه وتحقق لي نجاحه إن شاء الله .^(٢)

ب- البطريرك الإنطاكي كيرلس الثامن ودوره في نشر التعليم المسيحي :^(٣)

فور وصول هذا البطريرك إلى كرسى البطريركية في ٣ مايو سنة ١٨٨٥م اتجه للتعليم كما يقال وابتدأ ببلاد الشام فوسع مدرستى الصليبيه ، والشرعوس الابتدائيتين وأنشأ مدرسة ثالثة في القبط ومدرستين بابتدائيتين للبنات ، وبلغ عدد التلاميذ في السنة الأولى لحبريته نحو ١٥٠٠ تلميذا وتلميذة ، إلا أنه ماكان يرضى بهذه المدارس الابتدائية فعزم على إنشاء مدرسة عالية وأخذ ينهض هم رعيته لمعاونته على هذا العمل الهـبـور ف تبرع الخواجات بخص وهم عيون الطائفة بإحدى دورهم في الصليبيه لتكـون مدرسة داخلية وتقدر النفقات بعد ذلك بأربعة آلاف ليرة أخذ يعمل لإيجاد هـا .^(٤)

(١) المرجع السابق ص ٤٧ ، الكافي في تاريخ مصر ج ٤ ص ١٣٣ .

(٢) الكافي في تاريخ مصر ص ٥٠ ج ٤ ص ١٣٣ .

(٣) كيرلس ٨ هو سيمان جحا ولد في سنة ١٨٤٠م بمدينة حلب الشهباء من والديسن

كريمن نقيين هما حنا جحا وكثيرتا بيطار وكلاهما من أكرم العائلات الحلبية (تاريخ

نشأة المسيحية ص ٤٩) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك تأليف مـرى بك قسيس

ص ٤٩ بدون عدد للطبعة - مطبعة الأمانة بالفجالة بالقاهرة ١٩٢٨م .

(٤) المرجع السابق ص ٥٠ .

وفي عام ١٩٠٤م كان هذا البطريرك في زيارة لبابا روما ، يقول : متري بك قسيس :
وعندما أزعج على الرجوع صاحبه قداسة البابا رسالة جوابية للسلطان عبد الحميد فعاد بها
غبطته للآستانة فأهداه السلطان الوسام العثماني المصنع مكافأة على إخلاصه وصدافته
وأعمال غبطته بدمشق .

ثم قفل غبطته إلى سوريا فوصل دمشق في أغسطس سنة ١٩٠٥م وعاد إلى مواسلة
أعماله الإصلاحية في الكرسي الإنطاكي فوجه اهتمامه بنوع خاص إلى المدرسة البطريركية
بدمشق فحولها إلى مدرسة عالية داخلية ، وتوفى إلى مشترى السور الأثر السيجي الكائن
بجوار البطريركخانه والكنيسة ، وهو السور الذي تدلى منه بولس الرسول عندما فر من دمشق
تخلصا من بطش حاكمها به على ما في أعمال الرسل ، وأقام صورا عظيما حول الكنيسة
والمدرسة والبطريركخانه ، وإذا كانت كنيسة دمشق مدينة بمبلغ ألفي ليرة فرنسية عمل يانصيب
خيرى فنجح نجاحا عظيما تمكن معه من وفاة الدين كله ، ووجه نظرة اهتمام إلى
حوران فوسع بناء المدرسة فيها وأسس مدرسة للبنات وعندما انتقل إلى بيروت رأى المدرسة
البطريركية تداعى للخراب فجدد القسم الأكبر منها وانفق على ذلك مالا طائلا وفسي
الوقت نفسه بنى كنيسة المعرة واشترى أملاكا لوقفها على مدرستي البطريركية في بيروت
" وعين تراز الإكليركية " وفي سنة ١٩٠٧م سار غبطته لزيارة أبروشيته الأورشليمية فقضى
نحو من خمسة أشهر عاملا على النظر في شئونها وفي هذه المدة بنى بطريركخانه جيلسة
في " يافا " وكنيسة وطريركخانه في بيت لحم وكنيسة في السلط وأسس مدرسة بجوارها وأقام
كنيسة في عين بقرب السلط وغير ذلك . (١)

وهذه الصورة اتضح لنا أنه أضاف إلى إنشاء العديد من المدارس المسيحية
وبناء الكنائس بجوارها تطلعاته التوسعية ، ومحاولة تضيق الخناق على المسلمين
بشراء الأراضي ووقفها على المدارس الخاصة بالبطريركية ، ولاغربة في ذلك فقد نهج
منهج كيرلس الرابع بابا الإسكندرية ، الذي اختار اسمه لنفسه عند سياحته ، وتوسّع
في الرغبات المسيحية غير المحدودة ، فلم يقصر نشاطه على بلاد الشام بل امتد إلى مصر .

نشأة المدرسة البطريركية لطائفة الروم الكاثوليك في مصر :

واصل " كيرلس الثامن " نشاطه في قطر مصر مطبقا ما كان يمتعه ببلاد الشام
بدهاء ، فيقال في ذكر دوره في مصر في خدمة طائفته : وعندما بلغ غبطته القطر
المصري توجهت عزمته لتأسيس مدرسة بطريركية فيها تليق لعظمة الطائفة .

وبالفعل نفذ فكرته الطيبة وافتتح المدرسة في شارع الفجالة وأخذ لها دارا كان اشترى ثلثها سليم بك وسمعان بك صيدناوى فتنازلا عن ايجارها للمدرسة وبقي الثلث الثالث بين سعادة الوجيه باسيلي بك موصيلى والست تفيده قسيس وأوقفوها للمدرسة كما وعدوا بذلك غبطته ، وهذا ليس بكثير على مكارمهم وسلم هذه المدرسة للاكليروس البطريركى وشهدب اليوم (أى يومها) نيفا وثلاثمائة تلميذا .^(١)

ومن البطارقة الذين لهم دور بارز في فتح المدارس التبشيرية ببلاد الإسلام " غريغوريوس^(٢) يوسف " الذى سبق البطريركين المذكورين من قبل في هذا السدور فحين تولى البطريركية الإنطاكية في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٦٤م برز نشاطه التبشيرى المستتر حول المدارس الداخلية والجمعيات الخيرية .

ففى سنة ارتقائه العرش البطريركى نفسها وضع أساس المدرسة البطريركية فسى بيروت وأنشأ ثلاث مدارس كبرى داخلية ، ومدارس كثيرة خارجية ، ومثلها كتاتيب للأحداث والبنات فى عموم الأبرشيات ، وأقام جمعيات للفقراء فى أكثر حواضر سوريا ومصر .^(٢) ، فالتبشير بواسطة التعليم مشروع باباوى من أساسه ، وفى جميع مراحل .

مفهوم التعليم التبشيرى :

اتجه القوم لغزو الإسلام فكربا لمشقة الغزو العسكرى ولعلمهم أنه يولد مقاومة لاطاقة لهم بها ، فبعد الحروب الصليبية الدامية ، تحولوا إلى الغزو الثقافى فأعطوه أهمية قصوى بجانب الغزو الحربى عند الضرورة ، فكان تعلم اللغة العربية ، واللهجات المحلية لأُم الشرق الإسلامى ، وتعلم اللغات الشرقية عموما حتى يتمكنوا من نقل فكرهم إلى هذه الأمم ، وأرسلوا البعثات التبشيرية التعليمية لنشر أفكار الغرب المسيحى وكان التركيز على تعليم النشى ، فالصغار قلوبهم غضة ونفوسهم بريئة ، وعقولهم مستجيبة والتأثير فيها أعظم والوصول إليها أقرب فلا عجب أن يقول أحد المبشرين : إن الأثر الفعال فى الإسلام يبدأ باكرا جدا ، من أجل ذلك يجب أن يحصل الأطفال الصغار

(١) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٢) غريغوريوس يوسف : ولد فى بلدة رشيد بجوار الإسكندرية سنة ١٨٢٣ وهو ابن

يوسف سيور من أعيان دمشق وكانت وفاته فى دمشق يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٩٨م

" المرجع السابق ٤٤ ، ٤٦ باختصار .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٥ .

إلى المسيح قبل بلوغهم من الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية .^(١)

ومن أجل إرضاع الأطفال تعاليم المسيح " عليه السلام " على الطريقة الغربية
اهتم التبشير بدور الحضارة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية عموماً ، " فكل مولود يولد
على الفطرة " والذي يغير سلوكه ويحول فطرته ، التربية ، وبإلها من فرصة لدعاة
المسيحية ، وهم بدون شك خير من يغتنم الفرص وقد أبانت البشارة " أنا مليحان " عن
ذلك أحسن الإبانة إذ قالت :

إنّ المدرس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي ، وهذا التأثير
يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم .^(٢)

وامتد هذا اللون من التعليم إلى الكبار ، لكي يكونوا أداة طيعة للغرب في
تنفيذ خططه ، بعد صبغهم بثقافته وتلوينهم بحضارته الخادعة ، ولقد كان المستعمرون
الغربيون يعلمون أبناء البلاد لتسخيرهم في خدمة أغراضهم .

التعليم التبشيري في خدمة الغرب :

ومن أجل ذلك فتحوا المدارس ، وتفننوا في جمع المال للإنفاق على معلميهما
وإن كان واقع الأمر يشهد أنهم لا يدفعون من مالهم الخاص وإنما ما استنزفوه من خيرات
الشعوب ، ليستخدموه في مصلحتهم الخاصة ، وتشير التعاليم الصادرة إلى حاكم إحدى
المستعمرات في عام ١٧٦٥م .

إلى أن كل مؤسسة أوربية لابد أن تكون في خدمة الاستعمار حيث ورد فيها " أن
جميع المستعمرات التي أسستها الدول الأوربية المختلفة لم توجد إلا لمنفعة الدول
المستعمرة " .^(٣)

ومعنى هذا أن المستعمر يعد الإنسان في البلاد التي تحت تصرفه ليكون نفسه
خدمته فلا يعطيه من التعليم الجرمية التي تؤهله لأن يكون عالمًا متفوقًا وقد أشرت في مفهوم

(١) مجلة " الوعي الإسلامي " تصدر بالكويت شهرياً كل شهر عيسى (السنة ١٥ العدد ١٨٠)

ص ٥٨ من مقالة للأستاذ / عزت محمد إبراهيم بعنوان " التبشير وما يتمتر وراءه من
أغراض " ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

(٢) أباطيل وأسوار محمود محمد شاكر ج ١ ، ٢ ، ٣ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) إفريقيا النائرة البيرتيفود جري تعريب : نجده هاجر، سعيد الغزص ٥٩ ط ١ مطابع
دار الكشاف - بيروت ١٩٦٠ م .

التبشير ، أن توهم " التبشير " دعوة للدين المسيحي فقط ، أمر باطل ، بل هــو
أحد أدوات الاستعمار الغربي في آسيا وإفريقيا .

فليس التعليم لذاته وسيلة عند المبشرين ، وإنما هو غاية تبرر الوسيلة ، هــو
غاية تدعّم الاستعمار وتثبت أفكاره وتحكم سيطرته ، والتعليم بهذا ستار يحقق المآرب .

ويكفى في التدليل على هذا ما قاله كاتب مسيحي : هــلا تقدر يوما الحرب الصامتة
التي تشنها الحكومات ، كلما دعت الحاجة على مبشرينا عندما يحاولون فتح مدارس ومساعدة
الطلاب ؟

اسألوا إذن الأب " برتو " الذي كان لمدة عشر سنوات مفتشا للمدارس المسيحية
في إفريقيا الفرنسية ، وهو يقول لكم بصراحته المعهودة ما يتعرض له مبشر لا يخضع
لميثاق الاستعمار ، وكم يقاسى إذا انصرف إلى تسليح الإفريقيين بما يحتاجون إليه
من علم وثقافة . (١)

ويتساءل نفس الكاتب في دهشة عن المر الذي من أجله يحيى طلاب المدارس
المسيحية كل صباح العلم الفرنسى ، ثم عن طلب الكاهن إلى المؤمنين بالمسيح أن يصلوا
من أجل مسيحي الأبرشيه ومن أجل فرنسا فيقول : لماذا حشر اسم فرنسا في كل
ذلك دون أن نذكر البلد الذي نعيش فيه وننتسب إليه ؟

وأظنه لا يجهل الإجابة فهم يعلمون التلاميذ الاتجاه نحو الغرب بكل ماتحمله
الكلمة من معان ، وهاهو مؤثر لباحث مسيحي ينطق : وزاد من خطورة كل ذلك أن
جميع المدارس الأجنبية دون استثناء قد أسهمت بنصيب كبير في إضعاف اللغة
العربية لدى تلاميذها وهى لغة البلاد التى قامت فيها هذه المدارس .

فقد أسهمت فى تنشئة شباننا على معرفة اللغات الأجنبية والجهل بلغتهم
الوطنية وأسهمت إلى حد كبير بتلقين أبنائنا تاريخ أوروبا ، والدول الأجنبية المختلفة
وإمبراطورياتهم وتعجيدهم ونسيت أو تناست أن تلقن هذا النشء ذاته تاريخ أو جغرافية
وطنه . (٢)

(١) إفريقيا الثالثة ص ١١٠ .

(٢) تاريخ التعليم الأجنبي في القرنين التاسع عشر والعشرين جرجس سلامة ص ٢٠

طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

والنتيجة تخرج أفواج من المتعلمين يعلمون لغة الغرب وتاريخه وحضارته ويشمخون على غيرهم من بنى جنسهم ممن تعلموا العربية في المعاهد الإسلامية ، وينظّمون إليهم نظرة ازدراء كما أنهم لا يعرفون لغة دينهم ، ولاتاريخ وطنهم ومشاكل مجتمعهم وكل هذه فواصل بينهم وبين مجتمعهم صنعها البشرون بمهارة ، وتراهم ينتهزون الفروض للتأثير على الأمة الإسلامية ولا تفوتهم فرصة تربية الفتيات على الطريقة الغربية فهم يعلمون أنهن أمهات في المستقبل ، ومربيات للأجيال ، والتربية التبشيرية تعرف الطريق المختصر إلى قلوبهن الغضة ، ولذا تقول أنا مليجان " عن كلية البنات في القاهرة :

" في صفوف كلية البنات القبطية في القاهرة ، بنات أبائهن باشاوات وكسوات وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة " (١)

ما أسهل أن يتسرب الفساد إلى قلوبهن ، في هذا السن وما أيسر أن يدفعن إلى الإباحية والفوضى بعد العمل على ما يفسد فطرتهم ، ومن أجل هذا الغرض أنشئت مدارس تبشيرية خصيصا لتعليم الفتيات .

مدارس البنات :

تأكد أن التبشير أداة طيعة للاستعمار ، والنظرة الاستعمارية بعيدة المدى ، فسخرت البشريين لتحقيق ما تصبو إليه ، ولما كان التعليم من أجدى الوسائل وأعظمها أثرا في سرعة بث أفكار الدول الاستعمارية ، والفتاة تلميذة اليوم زوجة الغد ، مربية أجيال المستقبل ، فإذا صيغت عقليتها ونفسيتهما وفق تعاليم التبشير على أيدي الرهبان والراهبات كانت خطرا من العسير مقاومته ، خطرا على الشباب بسلوكها الماجن والمستهتر وعلى زوجها ببعدها عن مفاهيم الإسلام ، وعلى أبنائها بتنشئتهم على تقاليد وعادات غريبة هذا يكون دورها أشد من دور البشريين والبشرات في اختراق حصن الإسلام المنيع ، ولإدراك الغرب لدور المرأة اهتم بمدارس الفتيات (فأنشأ أول مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية في بيروت سنة ١٨٣٠م وكان من أوائل عمل التبشير في مصر في أواخر عصر إسماعيل ١٨٧٠م تقريبا) أنشأ مدرسة للبنات في أسيوط كما نشر مدارس البنات

(١) أباطيل وأسار ج ١ ص ٢٥٤ .

فى سورىة والسودان) . (١)

ولم يكن الغرض من تعليم الفتيات التهذيب ، والعلم ، وإلا كان ثمة هــسـذا النوع من التعليم يرقى المجتمع وهذا لم يحدث ، لأن القصد التدمير الأخلاقى والجذب نحو الغرب فى مظاهره البراقة لافى اتباع مناهج العلم والتقدم ، ولحبك الدور كان بالمدارس أقسام داخلية ، حسب توصية المبشرين حتى يكون التمكن من الفتيات أشد ، ووقعهن تحت تأثير النفوذ المسيحى أقرب ، وهذه واقعة تاريخية تكشف مهمة المدارس التبشيرية الداخلية ، وخطتها فى تعليم البنات يقول الأستاذ / أنور الجندى :

وقد أشار الدكتور هيكل عام ١٩٣٢ الى دور الإرساليات التبشيرية فى مجال تعليم الفتاة المسلمة وتربيتها وما يفرض عليهن من ضرورة أداء الصلوات ، وساقاله : إن بنسات الأستاذ أحمد علوية المحامى بأسىوط وكن فى إحدى مدارس التبشير قد لاحظ أبواهن عليهن قلقا وارتباكا أدى إلى حالة عصبية جعلت الكبرى منهن تبكى حين سألها والدها عما بها وأخيرا قالت وبعد إلحاح : إنها لكثرة ما تسمع عن الدين المسيحى ولما يشاربه من عبارات موجزة ومن طرف خفى تشعر وهى مسلمة صالحة تحب الإسلام ورسوله " صلى الله عليه وسلم " بشئ من تزعزع العقيدة هو الذى يدعوها لذلك الذى تعاني من ألم وحزن ، فإن الصلاة التى يؤديها التلاميذ والطلبة كل يوم وما يشعرون به من عطف الأساتذة والمعلمات إزاءهم وإزاءهن تجعلهم يميلون إلى دين ينافس فى قلوبهم وأفئدتهم دين آبائهم وأجدادهم ، ويورثهم هذا القلق ، وينتهى بهم هذا التطاحن بين العقيدتين آخر الأمر إلى إسكات الضمير الدينى إسكاتا هو الإلحاد واللاأدريه والشك وهو الرغبة عن دينهم إلى دين معلمهم وأساتذتهم .

وقد كتب الأستاذ أحمد علوية إلى الكلية الملحقة بها بناته مراعاة العاطفة الدينية للطلبات " فلانجبوا كريماتى وهن مسلمات على حضور الصلاة فى كنيسة المدرسة وعلى حفظ الإنجيل وحضور الاجتماعات التى تبحث فى الأمور الدينية وقد أرسلت إليه الناظرة (١٩٣٢/٢/٢٧م) تقول : " إنها تأسف لعدم إمكانها إجابة طلبه لأنه مخالف للقواعد التى وضعتها الإرسالية لجميع مدارسها وليس فى مقدور مدرسة واحدة أن تسيير على غير ما هو متبع فى غيرها " .

(١) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) ص ١٢٩ ، ١٨٠ .

وكانت النتيجة أن سحب الرجل بناته من المدرسة . (١) • وكثيرات بالطبع وقعن تحت التأثير المسيحي • وسقطن في الهاوية ومانعانيه اليوم من ظهور بعض الشبان والشابات المتخذين الوجودية مذهبا • إنما هو نتاج هذه التربية •

وحوادث الأربعينات في القرن العشرين الميلادي تكشف لنا مدى ما وصلت إليه التربية المسيحية من إسفاف • فهي تحاول بطريقة الإستدراج والإغواء • دفع المسلمات إلى الرذيلة ومن الحوادث المؤلمة ما وقع في مدرستهم المسماة " مدرسة السلام " ببورسعيد من أن مبشرة أجنبية هنالك • كانت تستهوى فتاة مسلمة إلى النصرانية • ولما لم يجدها الاستهواء بالقول نفعا عمدت إلى تعذيبها بالضرب • حتى اضطرت الفتاة تحت هذا الإرهاق إلى التظاهر بالدخول في النصرانية وظهر على مارتها الصحف أيضا أنهم توسلوا إلى تنصير فتاة مسلمة بتأثير التنويم المغناطيسي • وزوجوها من داعية لهم نصراني زعموا لأنها أنه مسلم • (٢)

وهذه الحوادث وأمثالها تحتاج إلى وقفة مخلصه من كل مسلم غيور على دينه وأمتيه فيحافظ على أولاده من مثل هذه المدارس • ويرعى الله في تربيتهم • وعلى المسؤولين أن يجعلوا أمثال هذه المدارس خاضعة لإشراف الدولة في كل بلد إسلامي •

الكليات والجامعات

لما كانت العقلية التبشيرية تضع في حسابها • أن من بين التلاميذ والتليسدات من سيلتحق بالجامعة بعد استكمال الدراسة الثانوية وهي تريد أن تحتم تشكيلهم بمعرفتها وتصنعهم بأعينها فوضعت برامج لإعداد من سيقوم بتدريسهم جيّدًا • من الناحية الاجتماعية والنفسية ليعرف المداخل التي يؤثر بها في عقلية هؤلاء الشباب • وأعدت معاهد لهذا الغرض كما ذكر في كتاب " تاريخ البشرية " وصارت معاهد تدريب النفس تضع في برامجها دراسات اجتماعية • وكان هذا في أول الأمر في معاهد الفرق البروتستنتية الأكثر تحررًا ثم عم في غيرها سواء عند البروتستنت أو الكاثوليك • (٣)

وبعد ذلك يقوم هؤلاء المدرسون بتعليم الطلاب حسب مفاهيم خاصة • ومن أجل هذا تؤسس الكليات فتم في عام ١٨٦٠م تأسيس كلية روبرت • ذروة أعمال الإرسالية الأمريكية

(١) الإسلام في وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) ص ١٨٠ • ١٨١ •

(٢) مجلة نور الإسلام المجلد الرابع ج ٣ ص ٢١٠ من مقال بقلم التحرير عنوانه (حول

حوادث التبشير) مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م •

(٣) المجلد السادس (التطور العلمي والثقافي) إعداد اللجنة الدولية لترجمة ومراجعة : عثمان

نويه وزميلاه ج ٣ ص ٣٠ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م •

فى تركيا ، ومنذ عام ١٨٢٠م أسس "سيرس هاملين" مدرسة "بييك" فى ١٨٤٠م ومدرسة البنات ، التى سميت فيما بعد بكلية القسطنطينية للبنات ١٨٧٠م. (١) ، ولما وصل المبشرون البروتستانت الأولون الآتون من مالطة إلى بيروت سنة ١٨٢٠م رسلًا للبروتستانتية الأمريكية وجدوا تمسك البلاد بإسلامها ، وعرفوا أن نجاحهم فى نشر المسيحية سيكون محدودًا ، إن لم يحولوا نشاطهم إلى الحقل الثقافى ، ويصنف نشاطهم فى "فرنويقوله" :

وقد أنشأ الأمريكيون مطبعة فى بيروت ، وطبعوا كتبًا مدرسية باللغة العربية ، ونشروا فى بضع عشرات من السنين عدة مدارس تضم زهاء ألف من التلاميذ العرب وتستطيع (الكلية البروتستانتية السورية المؤسسة سنة ١٨٦٦م) ، التى كانت نواة للجامعة الأمريكية فى بيروت اليوم ، أن تفتخر بأنها أول جامعة عربية فى الشرق العربى . (٢)

واقضى أثرهم على نفس الدرب اليسوعيون كما هو مذكور فى كتاب يقظة العالم الإسلامى : وبعد بضع سنوات من قيام المؤسسة الأمريكية ، جاء اليسوعيون بدورهم وأسسوا "جامعة القديس يوسف" .

وفى هاتين الجامعتين ، فى المرفأ اللبناى ، تعلم قسم كبير من النخبة الفكرية فى البلاد العربية ليصبحوا أطباء ، ومحامين وقنيين وموظفين فى الحكومة (٣) ، وهكذا لم تخل المعاقل الإسلامية الكبرى من كلية بل من جامعة أجنبية يؤدى فيها التبشير أعظم أدواره . ويرحم الله تعالى الأستاذ محمد البهى فقد ذكر من مؤسساتهم التبشيرية فى الشرق الإسلامى "جامعة القديس" المعروفة الآن بالجامعة اليسوعية ثم "الجامعة الأمريكية" ببيروت ، التى كانت أولًا كلية ببيروت ثم سميت (الكلية السورية الإنجيلية) وهى جامعة بروتستانتية ، والكلية الأمريكية بالقاهرة التى أصبحت فيما بعد "الجامعة الأمريكية" وقد كان القصد من إنشائها أن تكون قريبة من المركز الإسلامى الكبير وهو الجامع الأزهر وكلية روبرت فى استنبول التى أصبحت تسمى (بالجامعة الأمريكية) هناك .

والكلية الفرنسية فى لاهور ، وأسست فى لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الإسلامى فى تكوينه فى شبه القارة الهندية . (٤) ، والمهدف من وراء إنشاء هذه الكليات والجامعات فى بلاد الإسلام جذب أبناء المسلمين إليها ، فتمكن مدارس التبشير

(١) موسوعة تاريخ العالم أصدرها وليام لانجر - أشرف على الترجمة الدكتور / محمد مصطفى زيادة ج ٥ ص ١٩٠١ مطابع الدار القومية بصر ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥م .

(٢) يقظة العالم الإسلامى ص ١٧١ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم الدكتور محمد البهى ص ٢١ ، ٢٢ مطبعة وزارة الأوقاف ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م .

من تشكيلهم كما تريد ، وقد ذكر القس (تروبريدج) فى تقرير له : إن فى استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير ، وبين جدران الكلية الإنجيلية فى بيروت (١) ١٠٤ من المسلمين وفى كلية الآستانة ٥٠ وفى كلية المبشرين فى كدك بأشما فى الآستانة أيضا ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر إذن خفى بجواز التردد على الكلية الأولى والثانية . (٢)

وفى الوقت الحاضر قد تزايد العدد بدرجة كبيرة ، وبالطبع لا يدخل هذه الكليات فى الغالب إلا أولاد الطبقات المقتدرة فى المجتمع ، وهم يوهلونهم فى الغالب لتولى العديد من المناصب فى بلدهم ، وهنا ممكن الخطر ويزيد من خطورة هذا النوع من التعليم عدم رقابة الدولة له .

القصد من إنشاء الجامعة الأمريكية

فى الوقت الذى حمل فيه الغرب على الأزهر هجوما عنيفا ، ووجه الحرب على الإسلام فى صورة شيوخ الأزهر وأبنائه ابتداء من وصفهم بالجمود ، وعدم مسايرة الحياة وتطورها إلى السخرية منهم فى كل وسائل الإعلام ، ثم الهجوم السافر بواسطة أذناب الاستعمار على صفحات الجرائد ، وكان التفكير الجاد فى خلق جامعة تبشيرية بحيث تكون فى خدمة الإرساليات وتدرس بها الدراسات الشرقية ، والمقررات التعليمية الموجودة بالكتب الإسلامية وقصد القوم من إنشاء مثل هذه الجامعة سلب فاعلية الأزهر وهو ما أفصح عنه أحد أعضاء مؤتمر القاهرة التبشيرية حيث وضع دور الأزهر وتأثيره على العالم الإسلامى فى كل مكان وقيل أن يختم حديثه : تسأل عما إذا كان الأزهر يتهدد الكنيسة المسيح بالخطر وعرض اقتراحا يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة الغربية .

ثم قال : إن فى الامكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى أن تختص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية اسلامية ليتسكن هؤلاء من القيام بخدمة جليلية فى تنصير المسلمين الآخرين وختم كلامه قائلا : ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى

(١) هى الجامعة الأمريكية وكانت تسمى (الكلية السورية الانجيلية) ويرمزون لها بهذه الحروف S . P . C

(٢) الغارة على العالم الإسلامى تأليف أول شاتيليه تلخيص وترجمة محبى الدين الخطيب ، ومساعد الباتى ص ٦٦ و ٦٧ ط (٤) المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٩٨ هـ .

اختيار مصر مركز عمل لنا لتسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية . (١)

وبعد هذا المؤتمر كان التركيز من جانب المبشرين لخلق هذه المؤسسة بأي صورة فأثناء انعقاد المؤتمر التبشيري الدولي بالقاهرة عام ١١٠م قال أحد الأعضاء ما ترجمته : أقول ذلك بدون تحامل على مشروعات سيكون لها مكانها بالتأكيد ، ولكنها كما اعتقد لن تكون أكثر من إضافة أو متعة لما أشير إليه وفي القاهرة فقط من ثم فإن هذه المدرسة يمكن أن تبدأ وتبقى . (٢)

وبار الكلام المذكور فيما بعد واقعاً ملموساً ، فشيدت الجامعة الأمريكية بالقاهرة وعلى مقربة من ميدان التحرير ليسهل الوصول إليها ، والاتجاه منها إلى أي مكان بالقاهرة فوقعها في ميدان ملتقى خطوط القاهرة ، كما وأنها قريب من دار الكتب القديمة الموجودة بباب الخلق ، بل إنها أشد قرباً لدار الكتب الجديدة المنشأة على كورنيش النيل بالقرب من " محطة الرمل " بالقاهرة ، وكل هذه سيزات تشجع على الالتحاق بها ، بعكس جامعة القاهرة الموجودة بالجيزة ، فطالب القاهرة ، لا بد من عبوره نهر النيل للوصول إليها ، سواء بواسطة سيارات النقل ، أو سفن البحر .

مؤسسات أخرى بالقاهرة :

بالإضافة إلى الجامعة الأمريكية ، توجد مؤسسات عديدة أخرى بالقاهرة معقل الإسلام وبلد الأزهر الشريف ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - المعهد الشرقي بدير الدمنيكان بشارع صنع الطرابيش بالعباسية بالقاهرة وملحق به مكتبة حديثة من طابقين يوجد بها العديد من المراجع الإسلامية ، والمسيحية العتيقة وقد زرت هذه المكتبة أثناء البحث ، واطلعت على بعض المراجع فيها .

٢ - معهد دار السلام بكنيسة دار السلام بحصر القديمة

٣ - المعهد الفرنسي بالمنيرة .

٤ - مدارس الفرنسيسكان بالفجالة .

(١) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) الوثيقة الإسلام الخطر نص الخطاب الذي ألقاه و هـ . ت جايرد نر في مؤتمر أدنبره للتبشير (التنصير) الدولي المنعقد بالقاهرة عشية السبت ١٨ يونيو ١٩١٠م ترجمة محمود الشاذلي ص ٢٥ " المختار الإسلامي " سنة ١٩٨٥م .

٥- مدارس الفرير بالخرنقش .

وهذه المؤسسات - سواء ما يتبع المذهب البروتستانتي أو المذهب الكاثوليكي - ملحق بها مطابع كمطبعة النبل المسيحية التي يملكها البروتستانت بشارع الأصبغ بالزيتون .

وهذه المؤسسات تخضع مباشرة للنفوذ الأمريكي الإنجليزي الفرنسي ^(١) ، ويضاف إلى هذه المؤسسات كلية رئيس للبنات وهي تقيم حفلاً سنوياً لتوزيع دبلوماتها ويحضره غالباً وزير التربية والتعليم المصري ، كما يحضره السفير الأمريكي وبعض شركاء الخدمة ومندوبي الكنيسة المشيخية المتحدة الذين اشتركوا في الخدمة كما يذكرون في كتبهم .

٢ - المستشفيات والمستوصفات الخاضعة للإرساليات :

اتخذ أطباء الإرساليات المسيحية التطبيب وسيلة لنشر الإنجيل والمبشرون يصرحون بذلك ، فقد كتب ش . أ . موريسون في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية يقول :
" نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين في المستشفيات أن تأتي بهم إلى المعرفة المنقذة ، معرفة ربنا يسوع المسيح ، وأن - ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية " ويرى الكاتب أن للتبشير بين هؤلاء المرضى طريقين .

وهو يفضل أن يزور الطبيب المبرمج (السلام) حتى يكون هذا المريض واسطة لجمع عدد غفير من المسلمين عنده في انتظار زيارة الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة في طول مصر وعرضها . ^(٢)

وحينئذ يكون التأثير على الحاضرين ، وكسب ثقتهم بداية للإحياءات النفسية ناهيك عن المريض ، وما يختلج في نفسه من مشاعر طيبة لمن يقف بجواره وهو نفس محنته ، وأوقات ألمه وشدة ، وربما تمكن الطبيب من الاستحواذ على مشاعر هذا الإنسان الضعيف ، في لحظات تطبيبه ، وإزالة آلامه ، خصوصاً حين يكون المريض في مرحلة الصغر أو في ضائقة مع المرض ، فيسهل انقياده ، ويتأكد هذا ما يحدث فعلاً فحين بحث مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ م .

مسألة إرساليات التبشير الطبية :

ذكر المستر " هاربر " حكاية طفلة مسلمة عني المبرمج بمرضها في مستشفى مصر القديمة ، ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانتيه في باب اللوق ، وكانت نهايتها

- (١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية ص ٥٣ .
- (٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٥٩ ، ٦٠ يتصرف يسير .

أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى ، وذكر أيضا عن رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لإثارة الجلبة والضوضاء ، واتفق أنه بمجرد فدخل مستشفى المبشرين وبعد أن لبث فيه مدة شفى وخرج منه ، فصار يحضر المحاضرات فى هذه المرة ولكن بخشوع زائد ، وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانياً على المذهب البروتستانتى .

ثم قام الدكتور " أراهاس " طبيب إرسالية التبشير فى " طرابلس " الشام فقال : إنه مر عليه اثنان وثلاثون عاماً وهو فى مهنته فلم يفشل إلا مرتين فقط وذلك عقب منسح الحكومة العثمانية ، أو أحد الشيوخ لاثنتين من زبائنه من الحضور إليه ، وأورد احصاءً لزبائنه فقال : إن ٦٨% (فى المائة) منهم مسلمون ونصف هؤلاء من النساء .

وفى أول سنة مجيئه إلى حيث يبشر بلغ عدد زبائنه ١٧٥ وفى آخر سنة كان عددهم ٢٥٠٠ وختم كلامه قائلاً : يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك . (١)

وبالرغم من قلة من يدخل فى النصرانية عن طريق هذه الوسيلة إلا أنها بسبب مفتوح يجب غلقه وعلى الطب الإسلامى أن يسلأ الفراغ ، وإذا كان المبشرون فى منطقة الخليج قد تمكنوا عن طريق التطبيب من تنصير أربعة أشخاص فى فترة زمنية طويلة من سنة ١٩٢٥ - ١٩٧٤ كما يقال . (١)

فلا ينبغي لنا أن نستهين بذلك ، فكما قال الشاعر : ومعظم النار من مستصغر الشرر والقوم يستخدمون هذه الوسيلة بذلك سواء فى الطب الخاص أو المستشفى ، وسواء كان القائم بالخدمة الطبية طبيباً أو سرطاً ذكراً أو أنثى ، ويرى المشاهد لدورهم أثر التضحية والجهد واضحا .

دور المستشفى والمستوصف

الفرصة للتبشير تكون متاحة داخل مبنى خاص ، حيث يستطيع الطبيب المبشر أن يملأ على المريض ما يدور بخاطره ضمن روثة العلاج ، فالمرضى بمفرده مع من

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٢٣ .

(٢) التبشير فى منطقة الخليج العربى (دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى : تأليف د / عبد المالك خلف التميمى ص ٢٣٢ ط ١ شركة كاظمة للنشر والترجمة بالكويت ١٩٨٢م بتصرف .

يعالجه • والجو مهياً للحديث الخاص فمع إعطاء المريض زجاجة من الدواء كهدية وببسان ما فيها من فوائد صحية • وكيفية استخدامها تكون النصائح المسيحية • وهكذا يمسحج السم بالعسل •

" وفى هذه الحال يكون كل من دخل المستشفى أو أتى إلى المستشفى للمعالجة قد تلقى من طبيبه المبشر تلك الكرازة التى توجهه نحو المسيح " (١) •

وليت الأمر يقتصر على الطبيب المبشر الذى يعالج المرضى بل يتعداه ليصل إلى القسيس الذى يحضر إلى المستشفى فى أوقات منتظمة لإلقاء الدروس الدينية • التى يسبقها إعداد • وترتيب • ومن ثم يتوافد المرضى على العيادة الخارجية • ويقوم الكاتب وهـسو واعظ إنجيلي بتحرير بطاقة للمريض • كما تقوم الممرضة بمعرفة شخصية المريض وظروفه الخاصة • هذه التحريات كلها تصل تباعاً إلى مكتب قسيس المستشفى لتبويبها وتصنيفها •

ويلقى واعظ من قبل قسيس المستشفى قصة دينية قصيرة على جمهور المرضى المنتظرين فى خيمة الاجتماع • فإذا دخل المريض المستشفى فإنه يستمع لدرس ديني فى أصيل كل يوم • وقد يتبعه عرض بالقانوس السحري • ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها والتسلى بها • (١)

وفى نفس المكان يحضر درس القسيس بعض الأطباء المسيحيين والمرضات • وما يكاد الدرس ينتهى إلا والأتباع ينكبون على أبيهم بالصافحة • والقبلات الحارة • وتظل صورة الموكب حتى يخسرج من المستشفى فى حفاوة بالغة • وذلك ليتعود المسلمون على احترامه من خلال ما يشاهدون • وهذه صورة من صور التبشير •

وللسياسة التبشيرية خطة جغرافية • فى تحديد المبنى المراد اتخاذ مستشفى وغالبا مايراعى فيها الموقع المؤثر • وطرق المواصلات ثم يتم تزويده بالآلات الحديثة • والمعدات الطبية اللازمة • وتراعى النظافة الداخلية • وسعة المكان وسرعة تقديم الخدمة الطبية • ويكفى نقل صورة للمقارنة بين مستشفى حكومي وآخر تبشيري تظهر فيها حكمسة اختيار الموقع •

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٦٠ • ٦١ نغلاعن Harrison Da in

Arabia , by Pauiw . Harrison I4I . London I942 .

(٢) الاستشراف والتبشير وصلتهما بالإمبريالية ص ٢٤ •

مقارنة بين مستشفى قصر العيني ومستشفى هرمل^(٩)

إن مستشفى قصر العيني يخضع لروتين معين • وموظفوا المستشفى وأطبائهم مسئولون أمام الجهات العليا عما يعملون • والإمكانات في المستشفى محدودة • فإذا مات جاسوز المرضى عدد أسرته رفعت إتاخة الفصة لهم بالنزول به •

وهنا تظهر السياسة الماكرة في قرب مستشفى هرمل من مستشفى قصر العيني إن يتوجه المرضى الجائرون - في مرارة نفس وفي خور وضعف كارهين - إلى مستشفى هرمل • وهناك يجدون من الإبتسامات والترحيبات ما ينسيبهم مرارة المرض وقسوتهم ويرون الفرق في المعاملة دون أن يدركوا أن موظفي مستشفى القصر العيني مقيسدون بتعليمات - ولوائح لا يمكن تحطيمها إطلاقاً •

ويطمئن المريض إلى مستشفى هرمل وإلى موظفيه • وهنا يبدأ معه النشاط التبشيري السافر في أسلوب الصداقة والمحبة والإنسانية • والمريض منذ اللحظة التي يدخل فيها مستشفى هرمل تدون له بطاقة شخصية لمعرفة كل شيء عنه •^(١)

ومن واقع هذه البطاقة يتم التعامل مع صاحبها • لإزالة آلامه النفسية أيضاً • وحل ضوائقه المادية • لاسيما وأن المعالج له وافر المعرفة •

وقد نقل الأستاذ / علي رياض^(٩) كما ذكر الدكتور / عبد الودود شلبي صورة واقعية لما شاهده بنفسه في مستشفى هرمل أثناء زيارته لأحد أقرانه المريض، فوجد المرضي

(٩) مستشفى هرمل : منسوبة للدكتور هرمل أول مدير لها ويطلقون عليه رئيس البشرين وموقعها بصر القديمة على مسافة خمسمائة متر بعد كوبري الملك الصالح وبنائها ضخم فسيح كامل المعدات يوجد بها قسم لعلاج مرضى البلهارسيا والإنكلستوسا يسع الآلاف من المرضى • وملحق بها " مدرسة الأحد " يجمعون الصبية بها بكافّة وسائل الإغراء وتلقى عليهم مباشرة من العاملات بالمستشفى قصة من الإنجيل وتقوم بتحفيظهم أناشيد وترايل مسيحية يترنم بها الصبية • ثم يوزعون الهدايا على الأطفال المواظبين على حضور دروس الأحد وعلى الذين يجيدون حفظ التراتيل المسيحية وهكذا يخرسون المسيحية في نفوس الناشئين الصغار دون علم أهلهم كما لا تدرى الحكومة من ذلك شيئاً • والقرب من المستشفى نادياً لجذب الشباب وتنصيرهم وكل ذلك تابع للإرسالية الإنجليزية (يراجع: خفايا البشريين في تنصير أبناء المسلمين • تأليف: أحمد محمد سالمان • وهو مجموعة طريقة تحتوي على بيان حيل البشريين في تنصير أبناء المسلمين به رسالة على بطلان التثليث • بقلم عبد الرحمن أفندي رضا كحيلة ص ١٧ • ٢٤ طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ •

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية ص ٥٧ •

(٩) مساعد المستشار الثقافي لرئيس دولة الإمارات •

جالسين على الأرض وقد وقف أحد الأطباء خطيباً يبشر : يقول الأستاذ على :
لقد بدأ الطبيب حديثه قائلاً : أليس قرآنكم يقول عن المسيح : أنه يبرى الأكمه
والأبرص ويحيى الموتى ؟

فقال البعض من المرضى : نعم ..

قال المبشر : فلماذا إذن لاتدعون المسيح ليشفيكم ويخلص أرواحكم ؟ إن المبشر كان يتكلم
هنا على طريقة " فويل للمصلين " دون تكملة بقية السورة فما كان من الأخ على إلا أن تصدى
له قائلاً : نعم .. كان المسيح يبرى الأكمه والأبرص ويحيى الموتى لكن بقدرة الله وإرادته
ويأذنه فما كان من الطبيب المبشر إلا أن أنهى محاضرتة .. ثم طارد الأخ " على " حتى
أخرجته من المستشفى . (١)

خطورة الطبيب المبشر :

يمكن حصر خطورة الطبيب المبشر فى شقين :

١ - الناحية العلمية المدعمة بالخبرة الناتجة من التعامل مع النوعيات المختلفة من
المرضى • فهو يعرف أقصر الطرق للسيطرة على الضحية • ويرى الشبك حين يكون الصيد
الشمين •

٢ - إيمانه العميق بأنه يتقرب بعمله للمسيح • وينفذ توجيهات الأسفار المقدسة
فى نظره • والتى من بينها : وأما أنت فأصبح فى كل شئ • إحتل المشقات إعمل عمل
المبشر ثم خدمتك • (٢)

واعتقاده أنه يعمل من أجل المسيح فقط • (أيها الإخوة لست أحسب نفسى
أنى قد أدركت • ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء • واستند إلى ما هو
قُدَّام أسعى نحو الغرس لأجل جِعَالَةٍ دَعَوَى اللَّهِ الْعَلِيَّا فى المسيح يَسُوع) (٣) •

ولذا نجد التفانى فى العمل • ثم المحاولة الدائبة فى تنفيذ مهامهم طواعية
أضف إلى كل هذا الحماية المكفولة لمن يقومون بالخدمة وتشجيع دولهم • ووقوف مؤسسات
التبشير من خلفهم تساندتهم بالخطط • وتدهمهم بالمال • وبالمعدات اللازمة •

(١) أفيقوا أيها المسلمون .. !! قبل أن تدفعوا الجزية ص ٤٧ • ٤٨ •

(٢) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (٤ : ٥) •

(٣) رسالة " بولس " إلى أهل فيلبى (٣ : ١٣ ١٤) •

٣ - وسائل الإعلام : من صحافة وإذاعة :

لمعرفة الغرب بأهمية الكلمة وتأثيرها بذل جهده في محاولة دائمة للسيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام وتوجيه نفوذها في بلاد الإسلام ، وأشار لذلك الأستاذ محمود محمد ماركبوله : " الصحافة والاستيلاء عليها ، وتتبعها بلا ريب ، سائر وسائل الإعلام والتوجيه التي انتشرت في هذا العصر الأخير فحسبك أن تقرأ مقالته المبشر " ولسن كاسن " وإن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط ، أو تهينه لقبول ما ينشر عليه بل هي تخلق الرأي العام .

وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص ، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر ، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية مأجورة في أكثر الأحيان ، أو بلا أجر في أحوال نادرة . (١)

وأثناء الحديث سأعرض لنموذج من صحافة التبشير والتغريب أو التي كان لها الدور التبشيري الكبير في الماضي وبدأ يضمحل الآن .

١ - استخدام التبشير للصحافة :

استخدم المبشرون الصحافة كوسيلة لبث أفكار الاستعمار وتمكين السيطرة الغربية في بلاد الإسلام وتدعيم المسيحيين بكل أنواع الدعم ، والعمل على بذر النزاع بين أمم الإسلام وفي المقدمة يذكر " بيرونندو " : تأتي الصحف التي أنشأها لبنانيون مسيحيون في مصر كالأهرام التي أنشأها تقلا ١٨٦١م وهي مازالت في مقدمة الصحف العربية إلى يومنا هذا ، والمقام لصاحبها " فارس نمر " و " خليل ثابت " ودار الهلال " لزبدان " وغيرها وغيرها . (٢)

ومن الصحافة التي كانت تقوم بالعمل التبشيري المنظم في حيلة ومكر " المختطف " ويذكر أحد أعضائها الدكتور " فارس نمر " (٣) أنه حضر من الشام مسرع زميليه

(١) أباطيل وأسار ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ باختصار .

(٢) النصارى في الشرق (سلسلة الثقافة السياسية) ص ٢٤ ط ١ طبع مطابع الاتحاد - بيروت ١٩٤٦م .

(٣) فارس نمر هو : فارس " باشا " بن نمر فارس أبي ناعسه ولد في حاصبيا من أعمال ولاية سوريا في ٦ يناير " كانون الثاني ١٨٥٦م ، وقد تلقى بعض العلوم في المدارس الإنجليزية وتخرج من " الكلية السورية " بيروت سنة ١٨٧٤م وشارك يعقوب صروف في إنشاء " مجلة المختطف " الشهرية " بيروت سنة ١٨٧٦م ثم انتقل إلى مصر في أواخر ١٨٨٤م فأصدر المجلة ففسى التاهره ١٨٨٥م مع زميله ثم انضم إليهما شاهين مكاريوس فأنشأوا جريدة " المختطف " اليومية بصبريراجع : تاريخ الصحافة بقلم " الفيكونت فيليب د طرازى ج ٢ ص ١٢٨ بدون عدد للناشر : طبع المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩١٣م ، الإعلام تأليف خير الدين الزركلى مجلد ٥ ص ١٢٧ ط ٦ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤م .

" يعقوب صروف " (٩) ، و " شاهين مكاريوس " (١٠) تلبية لدعوة كبار مصر الذين اقترحوا عليهم اصدار اختلف في مصر (١) ، وكل هذا تغطية لدورهم ، وهؤلاء الثلاثة خدموا للسياسة الاستعمارية ويزيد مكاريوس بولا خاص للماسونية ، ويعترف صحفي مسيحي بمناصرتهم للإنجليز بقوله : وان تاريخ فارس مصر وصروف ومكاريوس منذ وصولهم إلى مصر يزيد هذه النظرية التي تنرم على الناس اظهار محاسن الحكم الإنجليزي والعمل على اصدار صحف كمشيرة مقنونة (اللطائف المعلوم ، اللطائف للآداب ، النظم للسياسة) والناداة بها عليه مصر من حربه ، والتزيد بها تزج تحت بلاد الشام من ضغط وعسف في ظل السيادة العثمانية وتمنى وقوع سوريا في حالة تشبه ما عليه مصر ، أى احتلال إنجليزى آخر ، وهكذا ينجس الإنجليز في التزايد لبسط نفوذهم في حدود على منطقة أخرى من مناطق الشرق العربى . (١)

وقد قام عدد من مسيحي الشرق بإنشاء صحف في الغرب منذ عدة سنوات ، ويطلق عليها اسم الصحف المهاجرة نسبة إلى أصحابها الذين هجروا الشرق وأقاموا ببلاد الغرب ومن هذه الصحف المتعصبة ضد الإسلام ، أو الموالية للغرب ما يأتى :

نماذج للصحف المهاجرة المعادية للإسلام

- ١ - مجلة " المستقبل " وتصدر في باريس .
- ٢ - مجلة " النهار العربى والدولى " وتصدر في باريس أيضا .
- ٣ - مجلة " الوطن العربى " وكان صدرها كسابقتها .

وأعطى المسلم الصحفي : حلمى محمد القاعود : فكرة للتأري عن كل مجلة بيننا الدور الخطير لكل منها ، والذي يتضح من محاولاتهم الدائمة لإفساد المرأة المسلمة بكل الوسائل ، وهم يسمونها المرأة الشرقية استنكافا عنهم للفظ المسلمة ثم المحاولات

(٩) يعقوب صروف : هو يعقوب بن تقولا صروف ولد في ١٨ يوليو تموز سنة ١٨٥٢م في قرية " الحدث " ببلبنان وتخرج مع أول فرقة من " الكلية السورية " في بيروت سنة ١٨٧٠ م .
يراجع المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٠) شاهين مكاريوس (١٢٦٩ = ١٣٢٨ هـ = ١٨٥٣ - ١٩١٠ م) ولد في قرية ابل السقي من (مرج عيون - بلبنان) ونشأ في بيروت ثم رحل إلى مصر مع زميله يعقوب ، وفارس وتسد خدم الماسونية يكتبه والتي من بينها " الجواهر المصون في مشاهير الماسون " و " الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية " و " الدلائل المكنون في غرائب الماسون " و " الآداب الماسونية " وكلها نشر جريدة اللطائف التي أنشأها : يراجع " الأعلام " مجلد ٣ ص ١٥٣ .

(١) يقظة العالم الإسلامى ج ١ ص ١٧٣ .

(٢) الصحافة المصرية ويوقفها من الاحتلال الإنجليزي تأليف الدكتور سامى عزيز ص ١٨٨ بدون عدد للطبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م .

المسترة " للدعوة إلى القومية العربية " في ثوب المفاهيم الغربية وليس من منطلق إسلامي ومن خلال فحصه لبعض العينات من هذه المجلات الأسبوعية ، وَضَحَ الخط التبشيري بهذه الصحف فأثناء تحليله للعدد رقم ٢٢١ من مجلة " المستقبل " الصادر بباريس بتاريخ ١٦ آيار - مايو ١٩٨١م تعرض لمقال بقلم " فؤاد مطر " عنوانه (عندما يعترف الفاتيكان بنظامية التحرير) فوصفه بأنه مقال خادع وسرف في السفذاجه إذ يعطى " البابا " أهمية كبرى في حل مشكلة فلسطين ، ويضفى عليه من الأخلاقيات والملاح ما لا يملكه ، وفضلاً عن ذلك فإنه يطرح مفهوماً عن طريق الأيحاء فحواه ، بأن الغرب المسيحي يملك كل شيء وأن على العرب المسلمين الإرتواء في أحضانه واستجدائه^(١)

ولاغربة في أن يصدر هذا التصرف من كاتب مسيحي ، وفي مجلة منشؤها " نبيل خوري " وهو نصراني يحمل بذور التعصب والبغضاء لكل ما هو مسلم وإسلام كما يقال عنه وما يؤكده ذلك إشارات بموقف " البابا شنودة " زعيم الأقباط في مصر واعتباره بطلاً ، فضلاً عن الإشادة بسلوك بعض الأقباط وتحركاتهم التآمرية ضد الإسلام والمسلمين داخل مصر وخارجها .^(٢)

والغريب موقف الصحافة الإسلامية في العالم كله ، في عدم يقطتها وفي تركها مثل هذه الصحف تغزو الأسواق العالمية بهذا الفكر المعوج دون كشفها ، ورفع الستار عن أهدافها المدمرة ، والمخطط لها من قبل أعداء الإسلام ، ويكفي عرض النموذج الثاني من الصحافة المفرضة ، لإظهار الهدف أوضح ما يكون ، فحين تناول صاحب كتاب " الصحافة المهاجرة " بالبحث العدد رقم ٢٠٠ من " مجلة النهار العربي والدولي " - الأسبوعية والتي تصدر في باريس بتاريخ الأحد ٨ آذار (مارس ١٩٨١م) نظر صفحته الشؤون الدولية وكان ما قال : وأخطر ما في هذه الصفحة الرسم الكاريكاتوري الذي يتحدث عن زيارة " البابا " للفلبين وشرق آسيا ، وفي الصورة يظهر بابا الفاتيكان وهو يقسم صليبا " لإنسان فلبيني أو شرق آسيوي أضواء الجوع والفقر والمرض ، وتحليل الصورة لا يحتاج إلى ذكاء خارق لأنها ببساطة دعوة صريحة إلى " التبشير " أو " التنصير " بمعنى أدق وإضفاء ملامح الإنسانية الرقيقة على شخصية " البابا " وسلوكه .^(٣)

(١) الصحافة المهاجرة " دراسة وتحليل " حلمي محمد القاعود ص ١٢٥ ، ١٢٦ بدون

عدد للطبعة دار العلوم للطباعة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٦ .

استغلال معاناة الإعلام الإسلامى

وقد استغل التّوم ضعف الإعلام فى دول الإسلام • وقصوره • وقلة الموارد المستقـى تمكن إعلام الإسلام من الوصول إلى كل الآذان • ومختلف الجنسيات بكل اللغات واللهجات فهم يواصلون جهدهم لترسيخ فكرهم التبشيري والاستعماري من خلال وسائل الإعلام يساعدهم فى ذلك كثرة المال وتوفر الإمكانيات وكثرة وكالات الأنباء • ودور الصحافة والنشر • ولناخذ على سبيل المثال قارة إفريقيا التى تعاني من سيطرة وسائل الإعلام الأجنبية • حيث تقول الدكتورة عواطف عبد الرحمن :

وقد شهدت إفريقيا فى السنوات التى تلت الاستقلال (خلال عقد الستينات) عدة مؤتمرات تناولت تطوير وسائل الاتصال وإنشاء وكالات أنباء وطنية وتطوير استخدام الإذاعة والتليفزيون فى أغراض التنمية الاجتماعية • والثقافة • وتحقيق الوحدة بين شعوب القارة وقد أسفر ذلك عن إنشاء ثلاثة تجمعات تتولى الإشراف على وسائل الاتصال الإفريقية وهى اتحاد الصحفيين الإفريقيين فى باماكو ١٩٦١م واتحاد الإذاعات الإفريقية فى داكـار ١٩٦٢م واتحاد وكالات الأنباء الإفريقية فى تونس ١٩٦٢م .

واستطاعت هذه التجمعات الإعلامية من خلال العديد من الدراسات التى قامت بها للإعلام الإفريقى أن ترصد أهم السلبات التى يعاني منها الإعلام الإفريقى ففسى المرحلة الراهنة وتتلخص فيما يلى :

- ١ - نقص الكوادر المتخصصة والمدرّبة ونقص الأجهزة الإعلامية الحديثة •
- ٢ - سيطرة وكالات الأنباء الغربية على أجهزة الإعلام الإفريقية •
- ٣ - وقوع وكالات الإعلان الإفريقية فى أيدي الشركات الأجنبية •
- ٤ - ارتفاع أسعار الورق والمواد الطباعة وارتفاع قيمة الاشتراكات فى وكالات الأنباء العالمية • (١)

وإذا كانت الباحثة تتحدث عن معاناة الإعلام الإفريقى بوجه عام • وتبين كيفية السيطرة عليه فى مقالها المستفيض • وتوضح كيفية توجيه الاقتصاد • والتجارة • والصناعة والثقافة من خلال مفهوم الشركات الأجنبية المملوكة لوسائل الإعلام فى القارة الإفريقية • وضع لنا ما نحتاج إلى بذله لتحرير الإعلام الإسلامى عامة فى كل اتجاهاته ليعسرف

(١) مجلة " عالم الفكر " ١٣٠ (المجلد الرابع عشر - العدد الرابع) يناير - فبراير مارس ١٩٨٤م من مقال بعنوان " الصحافة الإفريقية بين التبعية والاستقلال " •

الإنسان في العالم محاسن الإسلام في الإقتصاد وفي التجارة وفي كل المعاملات ، ومدى رعايته للإنسان نفسياً وبدنياً ، واحترامه للنفس البشرية والعقلية الإنسانية ، وتحريمه للإنسان من كل القيود ، والأثقال سواء كانت داخل النفس أو خارجها ، وتقديره للوقت ورفعته لقدر العلم والعلماء ، وموازنته الحقبة بين كل الطبقات الغنية والفقيرة ، القويمة والضعيفة ، البنين والبنات ، الذكور والإناث ، التجار والمستهلكين بما لم يسبق له مثيل من قبل ، ويوم أن يرى العالم هذه التحالف في نواحيها الإسلامي بلا شك سيبحث عن هذا الدين القيم ، ولن يلتفت إلى التلغيفات المشبوهة والمغرضة ، ولن تـسـرـج للتبشير ولا للباطل دعوة أيّاً كانت .

(ب) الإذاعة :

بجانب استخدام التبشير للصحافة ، كوسيلة إعلامية يثبت على صفحاتها أفكارها والمغرضة لم يهمل الإذاعة كوسيلة لها دورها ، وقطاعها العريض ، ومن خلالها يخاطب من يستطيع القراءة والكتابة ، والأصم ، ولم يكتف المبعثرون بنشر برامجهم عبر محطات الإذاعة في دولهم وما أكثرها وإنما لجأوا إلى محطات الإذاعة في دول آسيا وإفريقيا فاستحوذوا على العديد منها شراءً أو استئجاراً نظير منافع مادية ويشير إلى هذا الفعل محمد عبدالرحمن عوض قائلاً : ويوجد أكثر من خمسين محطة إذاعة تبشيرية في أنحاء العالم منها محطة "كويتو" في الإكوادور بأمريكا الجنوبية ، وأخرى في "منوفيا" في ليبيا ، وهناك اتحاد الإذاعات وسط إفريقيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، وتذيع بخمس عشرة لغة إفريقية عدا الإنجليزية والفرنسية والعربية وهناك إذاعة عبر العالم ومركزها "مونت كارلسو" ولها فرع في البحر الكاريبي وهناك محطات تبشيرية في كل من "قبرص" و "سويسرا" ، و "سري لانكا" و "مانيلا" ^(١) وأهل التبشير في حركة دائبة ، ودورهم مستمرة للسيطرة الشاملة على الإذاعة في عالم الإسلام ، وما يؤكد ذلك ما حدث في تقرير مجلس إدارة مدارس سنودس النيل بالقاهرة في ٢٦/٤/١٩٧٧م .

فقد خصص المجلس لجنة لدراسة التعامل مع هيئة إذاعة الشرق الأقصى وجنساء في البند الثالث - هيئة إذاعة الشرق الأقصى محطة "ميشيل" لازالت اللجنة تواصل

(١) أخطار التبشير في ديار المسلمين محمد عبدالرحمن عوض ص ٢١ و ٢٢ طبع دار الأنصار بالقاهرة رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٠٩٢ .

الدراسة للتعامل مع المحطة المذكورة^(١) ، وفي عهد الإمبراطور هيبلاسلاسي^(٢) عسارت إذاعة أديس أبابا تحت تصرف المبشرين في كل وقت "بالإضافة إلى أن إذاعة " أديس أبابا " قد تحولت إلى أقوى إذاعة في إفريقيا ومساعدة تجهيزات المخابرات الأمريكية تقسيم بيث رسائل الإنجيل كل يوم وطوال النهار الى كل إفريقيا واللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية والسواحلية ، ولغة شانينغا Chanyanja ولغة ياوربا Yaruba بالإضافة إلى عدد آخر من اللغات الإفريقية دون السماح بدقيقة واحدة لإذاعة القرآن الكريم " .^(٣)

(ج) استخدام دور النشر والطباعة :

من أجل نشر رسالة الإنجيل في أرجاء العالم وخاصة بلاد الإسلام ، إهتم المبشرون بدور النشر في عواصم بلاد الإسلام الكبرى وخاصة في القاهرة وبيروت وأنشأوا العديد من المطابع المسيحية في العاصمتين ، لطبع الكتب والنشرات المسيحية وتوزعها كما ذكر الأستاذان خالدى ، وفروخ .

أما القاهرة فأتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات في القطار المصري وفي جميع العالم الإسلامي ، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت ، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى .^(٤)

وترادفت التضحيات المادية والمعنوية ، لغمر الأسواق بطبعات الكتاب المقدس ، وتوزيعه مجاناً في بعض البلدان الإسلامية أو بيعه بثمان بخس لايساوى سعر التكلفة فضلاً عن ترجمته إلى العديد من اللغات ، فقد ذكر الكاتب التركي : ضياء ، أو يغور ماترجمته

(١) تقرير مجلس إدارة مدارس سنودس النيل : مرفوع إلى سنودس النيل الإنجيلي في دورته

(٨٧) المنعقدة بمدينة القاهرة في ١٩٧٧/٤/٢٦م ص ٣٩ مطبعة دار الجيل .

(٢) هيبلاسلاسي - معناه باللغة الأمهرية قوة الثالث واسمه تافري وهو من مواليد عام

١٨٩٢م " بأديس أبابا " وبعد تعليمه توج ملكاً على الحبشة عام ١٩٢٨م ثم تسوج

إمبراطوراً عام ١٩٣٠مراجع كتاب الوحدة الإفريقية محمد أبو الفتوح الخياط ص ١٠٥

طبع دار المعارف ١٩٦٤م .

(٣) أحقاد وأطماع التبشير في إفريقيا المسلمة تأليف / عماد الدين خليل ص ٥٩

ط ٢ مطابع المختار الإسلامي ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢١٤ .

لقد تجاوز مجموع ترجمات الكتاب المقدس خلال المائة والخسين سنة المنصرمة أكثر من (١١٣٠) ترجمة وما يقارب الألف لغة وبلغ مجموع نسخ الكتاب المقدس أكثر من مليار نسخة ولم يقتصر نشاط المبشرين على نشر الكتاب المقدس فقط بل تعدى ذلك إلى نشر الكثير من المجلات والكتب والنشرات التي تجاوز تعدادها المليارات .

فإذا أحصينا تكاليف طبع مليار نسخة من الكتاب المقدس لرأينا عظم التضحية
المادية التي يقوم بها المسيحيون •

إن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) يباع في " تركيا " مجلداً بمبلغ لا يتجاوز العشرين ليرة تركية^(١).

فإذا فرضنا أن هذا الثمن هو تكاليف الطبع فقط فيكون مجموع ما ينفقون على طبع مليار نسخة منه (٢٠) مليار ليرة تركية ، وإذا أضفنا ضعف هذا المبلغ لطبع الكتب والمنشورات والمجلات التي يقومون بنشرها لبلغ المجموع الكلى (٦٠) مليار ليرة تركية .

ويجب أن لا يغيب عن البال بأنهم ينشرون هذه المطبوعات باعترافهم بمسا
يقارب الـ (١١٣٠) لغة في العالم. (١)

وبدهش المرء حين يكشف النقاب عن توظيف المسيحيين لكل إمكاناتهم وتسخيرها لنشر الإنجيل ، بأحدث الوسائل الدكتور : الطيب زين العابدين بقوله : لقد سخرت الكنيسة إمكاناتها كلها لتنصير إفريقيا وفي اجتماع عقد منذ وقت قريب بـ " نيروبي " لكبار المسؤولين عن اتحاد جمعيات الإنجيل ، كشف النقاب عن جانب من توظيف تلك الإمكانيات فقد تبين أن الإنجيل الذي ترجم حتى الآن إلى (١٨٠٨) لغات ولهجات محلية في مختلف أنحاء العالم ، قد ترجم أيضا إلى (٤٩٨) لغة ولهجة محلية إفريقية وأن العمل يجري حاليا لترجمته إلى (٢٠٠) لغة ولهجة أخرى وأن اتحاد جمعيات الإنجيل سوف ينفذ مشروعاً يكلف ملايين الدولارات لترجمة الإنجيل إلى (١٥٠٠) لغة ولهجة إفريقية في غضون (٧) إلى (٨) سنوات وأن آخرين يعملون الآن على تسجيل الإنجيل

(١) أي ما يقارب الثمانمائة فلس عراقي في الوقت الحاضر (المعرب) ومقدارها ٤٢٠ دولار تقريباً .

(٢) جذور الصهيونية (السلسلة السياسية - ١٤) للكاتب التركي ضياء أو يغور ترجمة وتقديم إبراهيم الداوقى ص ٣٣ طبع وزارة الثقافة والإرشاد بغداد ١٩٦٦م.

على أشرطة "كاسيت" ليسهل تداوله بين الجماهير الإفريقية التي تتجاوز نسبة الأمية فيها حدود الـ (٧٥%) وسوف توزع مع الأشرطة أجهزة تعمل بالطاقة الشمسية • ونفس "كينيا" تباع النسخة الواحدة من الإنجيل بثلاثة دولارات ونصف الدولار بينما تعمل ثلثتها الحقيقية إلى ثمانية دولارات • (١)

ويخبر صاحب المقال ما أسفرت عنه هذه التضحيات وما يتبعها من وسائل في ترويض المسيحية • وسرعة انتشارها في إفريقيا حيث يقول :

وأمام هذه الإمكانيات والجديّة في توظيفها • لابد أن نعتز بأن الكنيسة - خاصة الكاثوليكية - استطاعت أن تحقق نجاحاً كبيراً في إفريقيا كما لابد من الاعتراف والإعجاب أيضاً - بأن الكاثوليك الأفارقة الذين لم يكن عددهم سنة ١٩٥١م يتجاوز (١) مليون نسمة (١% فقط من السكان) • يقدر اليوم بـ (٦٥) مليوناً ونسبة تزيد عمس من (١٦%) من مجموع سكان القارة • (٢)

٤ - المخيمات الكشفية :

يهتم البشرون بالأنشطة الطلابية المختلفة من اجتماعية ورياضية وبيروت فيها الفرصة لتعليم الإنجيل • وبت الأفكار المسيحية فالطلاب في مراحل التعليم لم تتشكل عقولهم بعد • ولم تتشرب تعاليم الإسلام جميعها • وعلى هذا يمكن استدراجهم وصبغ عقولهم من جديد • بعد تشكيلها حسب أهواء القوم • وهم لا يتركون ثغرة فمن بيوت للأطفال يشرف عليها مشرون • إلى مدارس تحت إشرافهم حتى أوقات الفراغ والترويح عن النفس خارج نطاق المدرسة في المخيمات • والمعسكرات الطلابية • والأندية الرياضية يلاحق التبشير أولاد المسلمين • بل يحاصروهم من كل جانب حتى لا يجد الطلاب أي فرصة للخروج من الشباك المنيعة •

" ولقد كان الفرتسيون في المغرب العربي يوسلون قسيسين يشرفون على مخيمات الكشفية ويوجهونها توجيهاً ظاهراً لا استحياء فيه ولقد عقد مؤتمران قبل عام ١٩٣٨ م لمنظمات الشباب المختلفة ومنها الكشافون • والمرشدات (للفتيان والفتيات) •

(١) مجلة (الأمة) من مقال للدكتور : الطيب زين العابدين تحت عنوان (مستقبل الإسلام في إفريقيا) ص ٦٣ (العدد ٦٥ - السنة السادسة) ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م •

(٢) المرجع السابق •

كان البرنامج فيها يدور خاصة حول هذه الموضوعات : " التوراة " كلمة اللسنة " الكنيسة " جسد المسيح " وفي عام ١٩٣٥م نظمت مؤسسة " الحزمة المغربية " بالتعاون مع " اللجنة التبشيرية لشبان فرنسا " مخيما تبشيريا نقل بعد مدة إلى جنوبي الجزائر وقد اشترك في هذا المؤتمر التبشيري ستون من زعماء (حزمة التبشير) في فرنسا وسويسرا . (١)

وهم في سعي دائم لإقامة أندية اجتماعية في البلاد الإسلامية والعربية ، ونسعى قاعة هذه الأندية لتتجمع خلالها المسيحية بكل الصور وهذا ما نبه إليه المستشار محمد عزت أساعيل الطهطاوي بقوله :

وهذه الأندية تضم بيوتا للشباب يتمكن المبشرون بواسطتها من إيلاء الصبيان الذين لا مأوى لهم ليدربوهم على أساليب المسيحية ، وفي النهاية يكون هؤلاء الصغار نواة حيية للنادي الكاثوليكية في أرض الإسلام ، وقد أقام القوم الكثير من النوادي في شمال إفريقيا وجنوب الجزائر (٢) ، وغالبا ما تنظم الحفلات المأجنة وتدار الكؤوس المحرمة ، على الحاضرين فالمهم محو كل أثر لمقيدة الإسلام في نفوس الناشئة حتى إذا جاء التبشير يلقى محاضراته ملا عقليه الحاضرين بما يريد ، ووجد كلامه مستساغا ولو ناقض كل البادئ الإنسانية كما يقال :

لا يهم القوم أن يتمتع الشباب بما في النوادي من أسباب التثقيف والترفيه السبري وإنما يهمهم أن تجتذب هذه الأماكن أناسا يستمعون إلى صوت البشر الانجليزي أو الأمريكي أو الفرنسي أو الهولندي أو غيره ، ليجد حب الغرب طريقه إلى قلوب الشرقيين على الأقل أما القوى المسيحية أو الإنسانية الغربية فيجب أن نهضت عنهما في الولايات المتحدة ومبادئ أوربه . (٣)

• - الجمعيات التبشيرية و " الخيرية " التابعة للتبشير :

نهضت فكرة الجمعيات التبشيرية في الغرب ، ثم توطئت وانتشرت في بلاد الشرق الإسلامي ، ووجهت نشاطها إلى أهل الإسلام ، وقد قيل أن المستر كاري لما نشر كتابه في التحريض على التبشير قبلت بالإستحسان فتح له باب الإكتتاب وذهب إلى

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢١٤ • ٢١٥ يتصرف يسير • التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ص ٣٣ •

(٢) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ص ٢٩ • ٣٠ يتصرف •

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٠٨ يتصرف يسير •

الهند لهذا الغرض وصارت الأمثال ترسل إليه ثم طلب أن يرسل له رجال يؤازرونه
في التبشير تأسست سنة ١٧١٥م " جمعية لندن التبشيرية " وما حثت أن تأسست
جمعيات على شاكلتها في " اسكتلندة " و " نيويورك " وانتشرت هذه الفكرة في ألمانيا
والدنمارك • وهولندا • والسويد • والنرويج • وسويسرا • وغيرها • وتأسست جمعيات
فرعية كثيرة مثل " جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية " • (١)

وصارت هذه الجمعيات في طريقها إلى الانتشار • والتفرغ إلى أخرى مشابهة
في العمل • ومختلفة في الاسم • وقد نقل عن ا • ل شاتيليه ما ترجمته : وفي سنة
١٨٥٥م أسست " جمعية الشبان المسيحيين " من الإنجليز والأمريكان ووظيفتها إدخال
ملكوت المسيح بين الشبان • وتعد تلاميذ المدارس النصرانية في " نورثفيلد " مؤتمرا
اجتمع فيه ٢٥٠ مندوبا عن ٨٠ مدرسة تكفلت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع في نشر الدين
المسيحي ومن هؤلاء تألقت " جمعية الشبان التطوعيين للتبشير في البلاد الأجنبية " • (٢)

والمقصود " بالبلاد الأجنبية " بلاد الإسلام كما ينظر إليها المبشرون وات الأمر
واضحا من إنشاء هذه الجمعيات من تعبيرات القائمين على أمرها والساهمين في
قيامها •

فقد أقام المبشرون جمعيات الشبان المسيحيين • وجمعيات الشابات المسيحيات
وعمل تلك الجمعيات في الظاهر القيام بأوجه النشاط الإجتماعي ولكنها في الحقيقة
أنشئت لتكون عونا على تغلغل التبشير المسيحي •

يقول أدريسون : إن عوامل التعليم المسيحي في مصر • تزيد قوة على قوتها
بمؤسستي جمعية الشبان (٣) المسيحية وجمعية الشابات المسيحيات - أن لهاتين الجمعيتين

(١) القارة على العالم الإسلامي - ١٢ • ١٤ باختصار ينظر •

(٢) المرجع السابق •

(٣) لقد تبدل اسم هاتين الجمعيتين فأصبح : الجمعية المسيحية للشبان والجمعية المسيحية
للشابات وفي هذا التبديل غرض غير خفي • إن معناها اللفظي الأول كان : جمعية
للشبان المسيحيين وحدهم وللشابات المسيحيات وحدهن أما الآن فالمعنى اللفظي
قد أصبح جمعية مسيحية (يديرها المسيحيون) للشبان (لكل الشبان) وللشابات
(لكل الشابات) على أن المقصد الحقيقي كان من قبل كما هو الآن • وهو -
الآن كما كان من قبل • التبشير والاستعمار في البلاد العربية - ٢٠١ بالهامش •

مراكز نشيطة وخصوصا في القاهرة والإسكندرية هذه الفروع تقدم للمسلمين مناسبات مختلفة للالعاب الرياضية ، وتهبى في المجتمع ألوانا من النشاط تندر في الشرق وفي هذا اقتراب من المسلمين بالتبشير .^(١)

ولقد أنشأوا بعد ذلك جمعيات تبشيرية لمختلف الأعمار الإنسانية ، وتساير النوعيات البشرية ، حسب أطوارها فأسسوا سنة ١٩٠٢ " جمعية تبشير الشبان " ومن وظائف هذه الجمعيات الأخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة إلى استماع صوت المبشرين ثم تقرر سنة ١٩٠٧ م أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول فأسست وأخذت تبشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن .^(٢) وحين نعم البروتستانت بالهدوء ، وأحسوا بشئ من الأمان بعد حروب طويلة بينهم وبين الكاثوليك ، كانت تهدأ لتنشط من جديد ولم تتوقف حتى عم الإرهاق الطائفتين فعقدوا صلح " وستغاليا " سنة ١٦٤٨ م .

وخلال الفترة الباقية من القرن السابع عشر نظم البروتستانت صفوفهم بعض الشيء فكانت البوادر لظهور النشاط الخاص بهم " ومن ثم أخذت الجمعيات التبشيرية تظهر إلى الوجود وكانت بريطانيا أسرع الدول إلى تنظيم هذا النشاط حين أصدر البرلمان قرارا في سنة ١٦٤٩ م بإنشاء (هيئة نشر المسيحية في إنجلترا الجديدة) ومن الواضح أن نشاطها كان متجها أكثر ما يكون إلى الدنيا الجديدة ، وتحول بعد ذلك إلى كل من لا يعتقد بالمسيحية في الخارج وشهد القرن الثامن عشر نشاطا تبشيريا ملحوظا .^(٣) ظهر أثره واضحا في إفريقيا الجنوبية وقام بالدور البارز مبشران إسكوتلانديان (" موفات " و " ليفنجستون ") فقد ذكر هوبير ديشان ما ترجمته :

ملفت الجراءة بالمبشر (روبرت موفات) أن أسس مركزا للتبشير بين قبائل بتشوانا وأن يقيم بين أظهرهم على بعد مئات الأميال عن موطن الرجل الأبيض في مستعمرة الرأس فاستخف به هؤلاء في بادئ الأمر ، ولكنهم لما رأوه انضم إليهم في الدفاع عن بلادهم ونجح في صد بعض الغزاة من القبائل الأخرى عنهم وكان سببا في انتصارهم دخلوا المسيحية واعتنقوها أفواجا أما " دافيد ليفنجستون " وهو زوج ابنته

(١) المرجع السابق .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص ١٤ بتصرف يسير .

(٣) " وستغاليا " أو " فستغاليا " إحدى مقاطعات بروسيا قديما في غرب ألمانيا ومعاودة " وستغاليا " : هي الإتفاقيات التي وضعت حدا لحرب الثلاثين سنة ١٦٤٨ م ، بين الإمبراطورية الألمانية من جهة وفرنسا و " السويد " من جهة أخرى وأطلقت الحرية الدينية لألمانيا الشمالية (يراجع المنجد في العلوم ص ٥٢٨) .

(٤) إستعمار إفريقيا ص ١٠١ و ١٠٢ بتصرف .

(موفات) فقد استطاع أن ينصر أحد ملوك (يتشوانا) واسمه (سبيليه) (١) .

ولقد كان " لفتجستون " مبشرا • ومستكشفا وطبيبا • وعلى أثر اكتشافاته الإفريقية تعددت الجمعيات التبشيرية • نتألفت أكثر من جمعية تبشيرية من أجل التبشير بالسيحية في الجهات التي اكتشفها • وكان من بينها " بعثة الجامعات إلى وسط إفريقيا " وأنشأت أول مركز تبشيري لها عند الزيمبزي في سنة ١٨٦١م • ثم اتخذت لها مركزا جديدا في " نياسالاند " .

وكذلك جمعية الكنائس الاسكتلندية • التي بدأت العمل في " نياسالاند " أيضا في سنة ١٨٧٤م • وتلتها " جمعية الكنييسة التبشيرية " التي بدأت نشاطها في منطقة " بحيرة تنجانيقا " ثم وجهت نشاطها إلى أوغندا • كما أخذت " جمعية لندن التبشيرية " في توجيه نشاطها من جد يد إلى روديسيا الجنوبية وأسست لها مركزا جديدا فسمى لنيانتي سنة ١٨٩٥م • وسار على درهم الفرنسيون فأسسوا جمعية باريس التبشيرية لنيانتي لتبشر نشاطها في مستعمرات فرنسا في جنوب إفريقيا • (٢)

وتوفقت هذه الجمعيات التبشيرية في القارة الإفريقية تحت ستار الخدمات الطبية والرعاية الاجتماعية • والعناية بالناحية التعليمية • فأنشأت العديد من المستشفيات والمدارس والجامعات وكلها أوكار للتبشير المكشوف أحيانا • والهستير حينما • بحيث أن يتصرف الإفريقي كل ما لا يتنافى مع التقاليد المسيحية • وأن يتقبل ما تمليه الروح الصليبية • وحين يرتاح لذلك تتوالى المعونات المشروطة وغيرها إلى هذه المراكز التبشيرية ويلاحظ أن هذه المعونات • جاءت نتيجة لما استغلوه من خيرات هذه البلاد من المسود الخام • والمحاصيل النادرة والطاقة البشرية المتاحة وعلى غرار الجمعيات التبشيرية أقام المسيحيون المقيمون في بلاد المسلمين ما يسمى بالجمعيات الخيرية •

نموذج للجمعيات الخيرية المسيحية في مصر :

تقيم المسيحيون القاطنون ببلاد الإسلام • دورسحي الغرب فأنشأوا في بلاد المسلمين ما يسمونه بالجمعيات القبطية الخيرية وأغراض هذه الجمعيات كما ورد على لسان

- (١) الديانات في إفريقيا السوداء (الألف كتاب - ٥٢) تأليف هيرديشان (حاكم المستعمرات) (سابقا - أستاذ بمعهد الأجناس البشرية ومعهد الدراسات السياسية ب جامعة باريس) تعريب أحمد صادق حيدى • دكتور محمد عبد الله دراز ص ١٥٨ • ١٥١ مطابع دار الكتاب المصري بالقاهرة ١٩٥٦م .
- (٢) استعمار إفريقيا ص ١٠٣ • ١٠٤ باختصار •

أصحابها :

إنشاء الكنائس ورعايتها • وبناء المدارس • والمستشفيات والمستوصفات والملاجئ • وعمل مشاغل خاصة بالحياكة وفن التطريز • وتدوين التقويم • وإصدار المجلات • وتصميم المطابع • ودور النشر • وتوزيع النشرات المسيحية • (١)

كما أن لكل جمعية عمل يميزها عن غيرها • فبعضها ما يشمل نشاطها

- ١ - الترشيح لانتخاب المجلس الملي •
- ٢ - مساعدة الجمعيات الناشئة •
- ٣ - بحث مشاكل الرهبان •
- ٤ - تنبيه المجلس الملي إلى بعض أعماله •
- ٥ - الرقابة على الكنائس من كافة الوجوه •
- ٦ - قيام الجمعية بترشيح البطريرك الحالي •

وبعضها ما يمتد نشاطه لجمع شمل العائلات المنشقة • وإصلاح ما بين الزوجين وسحابة إعادة من ترك المسيحية إليها مرة أخرى •

وبعض الجمعيات تقوم بتعليم أولاد الملاجئ الموسيقي • ثم تسعى لإلحاقهم بالفرق الموسيقية بالجيش بعد بلوغهم سن التجنيد • وهذا ما ذكره القوم عن نشاط جمعياتهم • أو بعضه وما لم يرد على لسان القوم ما يزيد في خدمة الأهداف التبشيرية التوسعية ألخصه في الآتي :

- ١ - شراء أراضٍ لبناء مثل هذه الجمعيات في المدن والمناطق السكانية • أو شراء ساكن جاهزة • أو تأجيرها لعمل الجمعيات •
- ٢ - شراء عمارات سكنية بأكملها ووقفها عليها •
- ٣ - شراء الأراضي السكنية • بل والزراعية ووقفها عليها •
- ٤ - توسيع دائرة العمل التبشيري عن طريق هذه الجمعيات حيث تضم صبية مسلمين يتعلمون المهن المختلفة • أو يؤتى بهم لاجئين ويترتب على الأمور الثلاثة الأول :
- ١ - توسيع رقعة الأراضي بالنسبة للقلّة المسيحية وتخفيف الرقعة المكنية والزراعية بالنسبة للكثرة المسلمة •

(١) الجمعيات التبشيرية ومدى اتساع أعمالها - رمزي تادرس ج ١ - المقدمة بدون عدد للطبعة مطبعة الأمانة بالقجالة بصرى بدون تاريخ بتصرف •

٢ - التحكم في الموارد التجارية نظرا لما تقوم به هذه الجمعيات من أنشطة إنتاجية لكثير من المنتجات والسلع .

وما هو أهم من ذلك أن هذه الجمعيات تتلقى مساعدات مالية من أموال المسلمين تختلف حسب الأنشطة المتاحة لها فظلملاجي • إغاثة • وأيضا لدور الحضانة والمشاغل وخلافة • وتصرف هذه الإعانات مباشرة من وزارة الشؤون الاجتماعية .

وإذا علمنا أن جل الموظفين بهذه الوزارة مسيحيون وأنهم يشرفون على هذه النشاطات ويقدرّون المساعدات والمعونات اللازمة لها تأكد لنا المطاء السخي • وسرعة التفتيش لوصول المعونات في وقتها • وعلى هذا أصبح واضحا أن مال المسلمين يستخدم لخدمة التبشير وتبشير المسلمين وأن ثروة الإسلام تنتقل بطريق مرسوم لأيدى القلة المسيحية ولو كان بيت مال المسلمين مقاما لما حدث مثل هذا .

جدول لذكر بعض الجمعيات - المذكورة في كتاب (الجمعيات القبطية ومدى اتساعها) بالنسبة لمصر :

الرقم	اسم الجمعية	بعض البيانات
١	الجمعية الخيرية القبطية	افتتحت بشارع القبيلة بالأزكيه يوم ١٨٨١/١/٨ م باسم " جمعية الساعي الخسورية " .
٢	جمعية التوفيق	أسست في أغسطس سنة ١٨٩١ م ولها فروع ثلاثة (في الإسكندرية - وطنطا - والفيوم)
٣	جمعية السلام	تأسست في ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م بحي القللي بالقاهرة .
٤	جمعية ثروة التوفيق القبطية	أنشئت عام ١٩٠٢ م في حي متواضع من أحياء الفجالة بالقاهرة .
٥	جمعية الإيمان	أسست سنة ١٨٩٩ م في خط حارة السقاين وانتقلت بعد سنة إلى الفجالة وفي سنة ١٩١٤ م أنشأت فرعا لها في حي جزيرة بدران بالقاهرة .
٦	جمعية الإخلاص بالإسكندرية	أنشئت بالإسكندرية في ١٤/٣/١٩٠٩ م .
٧	جمعية المحبة بالظاهر	
٨	جمعية الإخلاص بقم الخليج	أنشئت في ١٤ فبراير ١٩٣٠ م .

الرقم	اسم الجمعية	بعض البيانات
٩	جمعيات تربية الطفولة	وفي مقدمتها جمعية السيدات القبطية الرئيسة في ١٩٢٦/١/١٤٠م ولها فرع " في الإسكندرية " وشبه هذه الجمعية " جمعية صديقات الكتاب القدس " وترأسها حرم الدكتور / نجيب محفوظ باشا أسست ملجأها القائم في شارع الظاهر سنة ١٩٢١م وهو أول ملجأ أنشئ من نوعه في القاهرة لإيواء البنات اليتيمات .
١٠	جمعية ملجأ النظام	أسست سنة ١٩١٢م وأنشأ رجالها الملجأ في سنة ١٩١٩ .
١١	جمعية ملجأ الأيتام	
١٢	جمعية النشأة القبطية	
١٣	جمعية المحبة بشبرا	
١٤	جمعية الدفاع عن الكنيسة	
١٥	جمعية نهضة الكنائس	
١٦	جمعية أصدقاء الكتاب المقدس	
١٧	جمعية الراعي الصالح	تأسست في حي النجالة سنة ١٩٣١م .
١٨	جمعية أبناء الرسل	أسست ١٩٣١م بنادي الشباب الجامعي بشبرا .
١٩	جمعية كنيسة المليحة	أقيمت بحدائق القبة في سنة ١٩٣٩م .
٢٠	جمعية أبناء الكنيسة	تأسست في سنة ١٩٢٥م .
٢١	جمعية المحبة بسالوط	انشئت بمحافظة النيا بمركز سالوط في شهر يوليو سنة ١٩٣٤م .
٢٢	جمعية الحيساة	أسست في سنة ١٩٢٤م .
٢٣	اتحاد الجمعيات	

يضاف إلى النشاط النشط بهذه الجمعيات وما يوقف عليها من عار ومال وقسف
البركات الخيرية المسيحية الذي يخص ريعه لتشييد الكنائس والمدارس للإنفاق على
الكنائس ، وفتح الكشافة ، وكل ما يوجب في المسيحية ، وما ذكرته نموذج لما يحدث في
بلد إسلامي به أكبر جامعة إسلامية في العالم ، جل هذه الجمعيات مقامة في عاصمته
ومعنى ذلك أن بقية القطر به العديد من أمثال الجمعيات المذكورة ، وأن البلاد الإسلامية
الموجودة بها أقليات مسيحية يجري فيها أكثر مما يحدث في مصر ، خاصة إذا علمنا

ماكان مرقوا على الجمعيات المذكورة فى الجدول • وساحة الأرض المقام عليها مشىل هذه الجمعيات خصوصا فى المدن التى يعانى فيها الناس من أزمات المساكن فسادا يحدث لو ألفت الحكومة المصرية • نظرة ووزعت أماكن الإجتماعات لأقول الأماكن المقسام عليها مشروعات - على الأسر التى تسكن فى العراء ٢ • ثم العمل على الحد من إقامة مثل هذه الجمعيات المشبوهة فالأمر قد وصل حدا لا يحتل • ويتفق أن نطالع ماعداه أحد المسيحيين : فقد ذكر أنه فى فترة زمنية تقدر بخمس وأربعين عاما منذ منسبة ١٩٢٧ - ١٩٢٢م • أقامت جمعيات خلاص النفوس خمسين جمعية بدءا من جمعية " خلاص النفوس " بأسيوط ١٩٢٧م • إلى جمعية أبى قير عام ١٩٢٢م •

ويلاحظ أنه فى العشر سنوات من ١٩٥٢ حتى ١٩٦٢ تأسست ثلاثون جمعية (١) • ومعنى هذا زيادة العدد الكلى والتوسع فى الاستحواذ على الأرض فى بلاد الإسلام وحسبنا أن النوع المذكور من الجمعيات ضم مختلف الطوائف المسيحية • وركز هدفه منسبة فى أمرين :

الأول : الدعوة إلى التوبة والإيمان بالرب (المزعوم) يسوع المسيح تعالى الله عن زعمهم " سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا " (٢) •

الثانى : الدعوة إلى المحبة والإتحاد فى المسيح بعيدا عن الجدل الطائفى العقائدى • (٣)

وهذا ما أنصح به المتحدث عن جمعيات خلاص النفوس وأنشطتها المختلفة • ومنه ظهرت الخطة التبشيرية مافرة •

٦ - السلاجى :

إحتواء أولاد المسلمين • هدف أساسى من أهداف التبشير ولايعدم المبشرون الوسيلة للوصول إلى مايريدون فالساحة أمامهم خالية • وتحت ستار أعمال البر والخير وشعار الرفق بالطفولة • ورعايتها يتم التقاط أطفال المسلمين • ووضعهم فى محاضن التربية المسيحية •

وقد كتب ألتردرفلاس مقالا عنوانه " كيف نضم أطفال المسلمين فى الجزائر " ؟ ذكر فيه أن ملاجى • قد أنشئت فى عدد من أقطار الجزائر فى شمال إفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكماشهم وأيوأشهم أحيانا ثم قال إن هذه السبيل لاتجعل الأطفال نصارى لكنها

(١) يراجع " اليوبيل الذهبى لجمعيات خلاص النفوس " إعداد رزق جاد الله بدون عدد للطبعة طبع مطبعة الخلاص ١٩٧٧م •

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٣ •

(٣) المرجع السابق ص • بتصرف •

لاتبقيهم مسلمين كما بأنهم • وشمل هذه الجهود يبذلها البشرون في شألى إفريقيا
ومصر • (١)

وعلى سبيل المثال أنشأوا جمعيات لهذا الغرض فى القاهرة وجعلوا مهتمهم
رعاية أحد الملاجى • ومن بينها :
أ - جمعية ملجأ الأيتام :

أسست تلك الجمعية فى سنة ١١١٧م • لغرض على • هو إنشاء ملجأ لإيواء بعض
اليتامى • وتعليمهم تعليماً أولياً بسيطاً مع تدريبهم على صناعة السجاد فى البدء ثم
عادت فأغلقت مصنع السجاد وألفت فرقة موسيقية من هؤلاء اللاجئين تستطيع بإيرادهم
أن تقوم بإعالتهم • وفى نفس الوقت تلحق من تعلم الموسيقى بإحدى فرق الجيوش
الموسيقية بعد بلوغ السن القانونية • (٢)

ب - جمعية ملجأ النظام :

أقامت هذه الجمعية ملجأها فى شارع الظاهر بالقاهرة سنة ١١٢١م وخصص لإيواء
البنات اليتيمات • ويقال فى شأنه إنه بلغ من الإتقان وحسن الرعاية والنظام • وضخم
الكثيرات من اللاجئين • والمخرجات منه يجدن من الأعمال مايتناسب معهن من ناحية
التدريب • على أن الجمعية لها أغراض مختلفة تقوم بتنفيذها من إنشاء ملجأ للكيفسات
ومصانع يدوية وعلمية تتعجم ونعمرة الأيدي التى تشتغل • (٣)

كما أن لمثل هذه الجمعيات شروط خاصة بالنسبة للاجئين واللاجئات من ناحية
السن فلا بد من صغر السن حتى يكون تأثير التربية أقوى مايمكن • فيتم تشكيله بمهولة
ويفضل يتم الأبوين على من فقد أحدهما وهكذا • حتى يشب فى كنف التربية المسيحية
بلا اعتراض من أحد •

ويضاف إلى الجمعيات التى يوجد بها ملاجى تحت رعايتها ملاجى أخرى قائمة
بنفسها لاتتبع جمعيات ولها دور بارز فى نشر المسيحية • ومنها على سبيل العرض

-
- (١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ١١٤ •
(٢) الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها ج ١ ص ٢٤ باختصار •
(٣) المرجع السابق ص ٢٢ • ٢٣ باختصار شديد •

ما هو موجود بمصر •

١ - ملجأ ليليان تراشر بأسيوط •

٢ - والملجأ الإنجيلي بحلول الحمامات •

ملجأ تراشر بأسيوط

وسأحدث بإيجاز عن أحدهما وهو " ملجأ ليليان تراشر بأسيوط " (١) كما حككت صاحبة الملجأ الأمريكية الجنسية • والتي كانت تعمل من قبل في ملجأ بدينسنة (ماريون) في "كارولينا" بالولايات المتحدة الأمريكية ثم فكرت في الذهاب إلى بلاد الشرق الإسلامي • لتأدية هذا الدور في خدمة التبشير أترساعها لحاضرة لإحدى المرسلات العائدة من بلاد الهند • وكانت " ليليان تراشر " وقتها تبلغ من العمر الثالثة والعشرين • وكانت على وشك الدخول بزوجها • لكنها أكرت التبشير على السزواج وأرادت أن تخدم المسيحية من الموقع التي برزت فيه • وظهرت خبرتها وهو الملجأ فنقول عن نفسها :

توجهت إلى " أسيوط " وكان وصولي إليها في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٠م • ونسبي أسيوط قصدت إلى مكان جمعية القس " برلسفورد " على المريقة في الكنيسة الرسولية هناك أخذت أتعلم اللغة العربية • حتى أتمكن من التفاهم البسيط مع من يحيطون بي • (٢)

وبعد ذلك استأجرت بيتاً صغيراً • وفرشته بقليل من الأثاث وأحضرت بتيمة وفي ١٠ فبراير سنة ١٩١١م افتتحت الملجأ (٣) • وبعد خمس سنوات وفي عام ١٩١٦م تم شراء نصف فدان وأقيم عليه مايسى بـ (ملجأ الأيتام الخيري) بدلا من " ملجأ ليليان " تراشر • واستمرت المعونات والمساعدات تترادف على الملجأ حتى صار قلعة تبشيرية بالوجه القبلى بمصر •

" تضم مستشفى لعلاج اللاجئين عرف باسم (مستشفى جنى بنتون) وزود البنى جميعه بها كبنية مياه • توضع المياه إلى صهاريج • وماكينة إنارة كهربائية • وشيد قسم

(١) ملجأ الأيتام الخيري بأسيوط تأسس سنة ١٩١٠ تحت رقم ٥٢ ط ٤ مطبعة

بخيت وكتبتها بأسيوط (وهو كتيب للبشرة ليليان تراشر) • ١٩٦٠م •

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ •

(٣) المرجع السابق ص ٢٣ بتصرف •

باللجأ للأطفال الذين يحتاجون لعناية خاصة من الزجاج لدخول الشمس، وأرفسق باللجأ مزرعة أبقار مهجنة من خليط من النوع الجوس الأمريكي والنوع البلدى ، بالإضافة إلى ما احتواء اللجأ من مدرسة ابتدائية ، مقامة على مساحة تزيد عن ألفين مسـ من الأتار المربعة يحيط بها حديقة ، ومدرسة كبيرة للبنات والجميع يحضر الصلوات بتكيسة اللجأ الكبيرة ، ويتلقى المعظا وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، فقد بنى القسم بهذه المؤسسة مخبزا خاصا لعمل الخبز الطازج يوميا .

ولاغربة إن علمنا كما قالت البشارة صاحبة اللجأ أن منطقة أسيوط التعليميـة تدعمهم بالإعانات ، وتساعدهم بكل ما يحتاجون إليه .^(١)

٢ - الكتب والمجلات :

يصدر المسيحيون الكثير من الكتب والمجلات التى تحمل الطابع التبشيري مسـ منها ماينشر فى الغرب أو الشرق ، وستكتفى ببعض الكتب والمجلات التى تنشر وترزغ ببلاد المسلمين ، وتحمل اللون التبشيري الخفى والظاهر، ونبدأ بما يوجه إلى السـ الفئة المتعلقة بصفة خاصة ومنها مجموعة كتب معنونه بالعناوين الآتية :

١ - مسيحتنا فوق الزمان .

٢ - إيماننا الأقدس .

٣ - كتابنا المقدس ، ومسيحتنا القدوس .

وهذه المؤلفات الثلاث عبارة عن محاضرات ألقاها الأنبا يوانس : أسقف الغربية التابعة لجمهورية مصر العربية فى محافل عامة ، وهو يقول عن كتابه : " إيماننا الأقدس " مالمخصه : أنه عبارة عن سلسلة محاضرات الصوم الأربعين التى ألقاها بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية .

وأنها موجهة فى مضمونها إلى الطلبة المسيحيين ليردوا بها على أسئلة الطلاب المسلمين، وليشرحوا لهم المفاهيم المسيحية لبعض النقاط الغامضة فى التعاليم المسيحية .
والأصح هى محاولة لحمل الطلاب على تحمل مسئولية التبشير بالمسيحية بين أقرانهم وفيها ميزتين :

الأولى : إتناع الطلاب النصارى بصحة مايلقى عليهم من قضايا المسيحية ، المعقـدة

(١) يراجع المرجع السابق من صـ ٢٢ - ٤٦ .

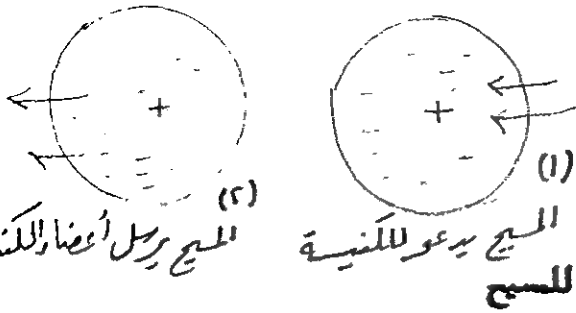
والتي لا يستسيغها العقل .

الثانيه : جعلهم في صورة المدافعين عن دينهم • يكسبهم حماسة فلا يرتدون عن دينهم حين يتكشف لهم الحق .

ومن المكتبات الموجهة للعامة سلسلة كتب شباب تحت العشرين (وفي العدد ١٠ - المعنون بالآتي : أنت والكنيسة) للقس : منيس عبد النور وهذا الكتيب عبارة عن دراسة في قالب حوار حول معنى الكنيسة • ورسالتها • وعملها • والعبادة فيها وهو تصدير لمناقشة جرت في إجتماع لنوعيات مختلفة من الشباب على مدى شهر .

والهدف من الحوار أن يقوم الشباب المسيحي تحت سن العشرين بدعوة الناس للدخول في النصرانية • ويظهر هذا بوضوح في الفصل الثالث " عمل الكنيسة " فتحت عنوان : (الكرازة بالمسيح ") يقول د / جورجس : هذه فعلا هي رسالة الكنيسة الأولى أن تنادي الناس ليعرفوا المسيح المخلص . (١)

ثم رسم الشكل التالي على السبورة • الدائرة هي الكنيسة التي يجذب الناس إليها المليب هو مركز الكنيسة الذي يجذب الناس إلى محبة الله • النقطة وسط الدائرة هم الناس الذين دخلوا حظيرة المسيح .



في الدائرة الأولى : يدعو المسيح الناس ليصبحوا أعضاء في الكنيسة وفي الدائرة الثانية : نراه يرسل أتباعه إلى العالم المحتاج ليدعو الناس للمسيح

وفي نفس الكتيب يقولون : الوعظ الجاهيز يشبه الصيد بالشبكة أما العمل الفردي فهو صيد الناس بالصنارة • والطريقتان لازمتان . (٣) • وأيضا من هذه الكتب ما يصدر بالقاهرة لشخصية تدعى (مكس ميشيل) من كتب بينها كتاب (حياة المسيح) (٤) وتبدأ مقدمته بـ " دعوة تعارف " ونهايته : (تجديد الطبيعة البشرية) .

وفي الختام للإستفسار عما يفتقر أو لزيد من المعلومات موضوع الكتابة يمكن مراجعة المؤلف على صندوق بريد ١٤ حدائق القبة بالقاهرة .

- (١) أنت والكنيسة (سلسلة كتب شباب تحت العشرين - ١٠) ص ٢٨ بدون عدد للطبعة طبع بمطبعة دار الطباعة القومية بالجيزة مودع بدار الكتب عام ١٩٧٦ م .
- (٢) المرجع السابق ص ٢٨ • ٢٩
- (٣) ص ٣٠ باختصار .
- (٤) ط ٤ دار يوسف كمال للطباعة حدائق القبة بالقاهرة ١٩٨٣ م .

ومن الكتيبات سلسلة " مقالات للشباب " إعداد المركز الأرثوذكسى للدراسات
السيحية ص ١٤ حدائق القبة القاهرة • وقد صدر من هذه السلسلة :

- ١ - القيامة والفرح مايو ١٩٨٠ •
- ٢ - امتلئوا بالروح يونيو ١٩٨٠ •
- ٣ - الحياة الجديدة يوليو ١٩٨٠ •
- ٤ - ليكونوا واحدا أغسطس ١٩٨٠ •
- ٥ - لم يحبوا حياتهم سبتمبر ١٩٨٠ •
- ٦ - تحقيق الكنيسة أكتوبر ١٩٨٠ م •

ولا يخلو كتيب من حمل الدعوة التبشيرية بين طياته وفي الكتيب السادس (تحقيق
الكنيسة نجد هذا السؤال : كيف أحدث صديقى عن المسيح ؟ • ويكون الجواب " أما
خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا • بل قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائما لجاربه
كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوعاءة وخوف " (١)

ونراه يطرح الأسئلة وجيب عنها بأسلوب مخالف للحقيقة ومن أمثلة ذلك :

السؤال الأول : كيف يكون المسيح إبنا لله ؟

السؤال الثانى : ما الدليل على صلب المسيح ؟ (٢)

وفي الإجابة على السؤال الثانى يحاول أن يدلل على أن الصلوب هو المسيح حقا
لاشبهه من كلام الإمام فخر الدين الرازى بعد اقتطاعه • وتحير • ويفهم من هذا
أنه يخاطب المسلمين بأن المسيح هو الصلوب من واقع شهادة علمائكم •

محرض المسيحيين على مناقشة المسلمين فى هذه الأمور وفتح باب للحوار بقصد
زعزعة المسلمين ويتضح هذا فى الإجابة على ما طرح من أسئلة • (٣)

ومن ثم حرص المؤلف على الرد على التساؤلات التى تعترض القارئ فى المسيحية
ودعاه عندئذ أن يستفسر بأن يكتب على المظروف س ج وترسل الخطابات على العنوان
البريدى للمركز الأرثوذكسى للدراسات السيحية وهو : ص ١٤ حدائق القبة بالقاهرة • (٤)

(١) رسالة بطرس الأولى (٣ : من الفقرة ١٤ • ١٥) •

(٢) تحقيق الكنيسة " سلسلة مقالات للشباب - ٦ " ص ٢٢ • دار يوسف كمال للطباعة
بالقاهرة ١٩٨٠ م •

(٣) يراجع المرجع السابق ص ٢٣ • ٢٤ • ٢٥ •

(٤) المرجع السابق هامش ص ٢٣ •

وحين تريد إنجيل يوحنا مجاناً : أكتب على المظروف " التوزيع المجانى للإنجيل " . (١)
ومن الكتب أيضاً كتاب (الكنيسة فى مجتمع القرية) " الأديب نجيب سلامة " ولا يخلو
الكتاب من دعوة الفلاح المسلم فى القرى والنجوع للدخول فى النصرانية ، وتحبيصة
بالطرق المباشرة وغير المباشرة فيها ، والصورة التبشيرية فى " الباب الثالث " ، وعنوانه
" الخدمة المسيحية فى القرية " .

وأثناء الحديث فى هذا الباب يقارن المؤلف بين المرأة فى الإسلام والمرأة فى
النصرانية من ناحية النظرة الدينية لها قائلاً : وفى الإسلام كان التدين مقصوراً على
أغلب الأحيان على الرجال ، ولم يقدرها فى المرأة أن تكون متدينة ، ولذا يكون هناك
حرص على تعليم الصلاة للذكور منذ طفولتهم دون الإناث وفى المسيحية سمح للمرأة أن تكون
متدينة وتذهب للكنيسة ولكن مع وجود حاجز بينها وبين الرجال . (٢)

والحق أن الإسلام حض الذكر والأنثى على تأدية شعائره وتكفل الله عز وجل أن لا يضيع
عمل عامل من ذكر أو أنثى وهى الرسول " صلى الله عليه وسلم " الرجال أن ينعموا
النساء من ارتياد المساجد للعبادة إذا لم يترتب على ذهابهن فتنة عن ابن عمر قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل فقال
ابن عبد الله بن عمر لا تدعهن يخرجن فيتخذنه دغلاً (٣) قال فزيره (٤) ابن عمر وقال
أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول لا تدعهن . (٥)

والسمح للنساء بالذهاب إلى المساجد لحضور الصلوات مشروط بالآ تخرج متطية ،
ولا مترنفة ، ولا ذات خلخل يسمع صوتها ، ولا ثياب فاخرة ، ولا مختلطة بالرجال وغير
ذلك ما فيه حفاظ على كرامة المرأة ، وحين تكون المقارنة فى وضعها السليم لا توضع
بين الإسلام والنصرانية فكلاهما رسالة سامية ولكن توضع فيما يجرى وقع بين المسلمين
والمسيحيين ، فقد تشدد البعض من المسلمين مع المرأة وحرمها من الذهاب للمسجد

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) الكنيسة فى مجتمع القرية : أديب نجيب سلامة ص ٤٢ بدون عدد للطبعة طبع دار
الطباعة القومية بالقاهرة بدون تاريخ .

(٣) دغلاً : هو بنتح الدال والغين المعجمة وهو الفساد والخداع والريبة .

(٤) قوله (فزيره) أى نهيره (المرجع السابق بالشرح ص ١٦٢ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ١٦١ ، ١٦٢ كتاب الصلاة باب خروج النساء

إلى المساجد) .

وذلك لقصور في الفهم ، ولعدم إدراك لدور المرأة المسلمة في المجتمع كما أطلقوا
السيحيون للمرأة الحبل على الغارب ، حتى وهي في أماكن العبادة ترى سافرة
متبرجة كأنها ستزف إلى بعلها .

وفي ميزان المفاضلة يقول صاحب العقل السوي إنَّ تصرف المسلم الذي يمنع محاربه
من الذهاب إلى المسجد (مع أن دينه لا يأمره بذلك) أفضل من تصرف المسيحي
الذي يترك محاربه يذهب إلى الكنيسة بهذه الصورة ، وإن كان الرجلان ارتكبا مخالفة
للتعاليم الدينية ، فلأمانع أن تخرج المسلمة إلى المسجد لتأدية الصلاة وسامع الموعظ
بالشروط المأمورة بها .

كما أنه لا مانع من ذهاب المسيحية إلى الكنيسة لتأدية شعائر دينها إذا التزمت
الحشمة ، ولاداعي إذن لطمع الإسلام من هذه الناحية .

بعض المجلات المسيحية

مجلة رسالة النور : أسسها القس صموئيل حبيب في سنة ١٩٥٦م . وهي أول مجلة
مسيحية تتخصص في التنمية الريفية ، وصدر عددها الأول في يوليو ١٩٥٦م . (١)

مجلة أجنحة النور : وهي مجلة شهرية تقدم دراسات متخصصة في اللاهوت وعلم
النفس المسيحي ، ودرس الكتاب ، والتاريخ ، وغيرها من مجالات الدراسة . (٢)

وقد صدر عددها الأول في إبريل ١٩٥٩م . ومن المجلات المسيحية أيضا " مجلة
الهدى " ، وهي مجلة الكنيسة الإنجيلية بمصر ، تشرف دار الثقافة على طباعتها
وتوزيعها .

ومجلة الصلاح (مجلة بطريركية الأقباط الكاثوليك) ، و " مجلة الكرازة " بخلاف
المجلات المسيحية الأخرى التي تصدر في الشرق والغرب والصحف والجرائد اليومية
والأسبوعية والتي من بينها " جريدة وطني " التي تصدر بمصر .

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٦ .

كما تصدر لهم بعض المجلات فى المناسبات الدينية • وهى من المجلات التبشيرية توجه إلى المسلمين فى القرى والنجوع ومثال لها ما يصدر عن : مركز التدريب للدياكونية الريفية بمطرانية بنى سيف :

حيث يكتب على صدر صحيفة الخلاق بالخط الواضح (لنذهب إلى القرى المجاورة لأكثر هناك أيضا لأننى لهذا خرجت) وعنوان المجلة " الرسالة الكنسية لخدمة الريف "

ولاتخل صفحات المجلة من دعوة أهل الريف إلى المسيحية • والخطورة الكامنة أن المجلة تتعرض لمواضيع يحتاج إليها القروى فهم تعالج الكثير من مشاكل القريين • وتهتم بما يلزمهم فتعرض لعلاج بعض الأمراض المنتشرة فى الريف • مع ذكر طرق الوقاية كما أنها تذكر طرق تكوين مشروع إنتاجى قروى بأبسط التكاليف • ولاتدع عددا مسن أعدادها بدون ذكر عيد من أعياد المسيحية • أو التعرف بقديس من أشهر القديسين وهكذا •

وعند ذكر الفهرس فقط للمدد ٦ من المجلة يتضح المراد

ص	فهرس الرسالة (١)
٣	١ - المقدمة
٤	٢ - النسب
٧	٣ - دراسة الكتاب
١١	٤ - العقائد
١٧	٥ - من ثمار الروح
١٩	٦ - ركن الأطفال
٢٤	٧ - من تراث الكنيسة
٢٨	٨ - خدمة القريه
٣١	٩ - دا' الكلب المعار
٣٣	١٠ - نحل العمل
٣٧	١١ - الأخبار
٣٩	١٢ - قديس الشهر

٨ - المؤتمرات التبشيرية :

بالرغم من تقدم الحضارة الغربية في النواحي المادية في هذا العصر إلا أنها جوفاء في الناحية الروحية ، لاحتياجها من الإيمان والعقيدة ، والشئ المثلث للنظر أنها وجدت ملحدة في كل شئ ، إلا مع المسلمين فهي صليبية مسيحية ، تتحالف فيها السلطة العلمانية مع السلطة الكنسية ، ويتقمص رجل العلمانية في هذه الحضارة دور الراهب إذا لزم الأمر .

وحرص الاستعمار من البداية ودائما على استخدام الكنيسة كوسيلة لتحقيق أهدافه وبالذات الكنيسة الشرقية ، ومن أجل صالحه ذلل العقبات ، وسهد الطريق للتبشرين سواء كانوا من قبل السلطة البابوية ، أو من الجماعات المرسلية فتمكنوا من القيام بدورهم في بلاد الإسلام ، وعقدت المؤتمرات التبشيرية المدعومة بالقوة الاستعمارية والتي من أهمها

- ١ - مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) المنعقد في منزل زعيم الشـحـورة العربية المسلم في باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها .
- ٢ - مؤتمر " أدنبرج " سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) في إنجلترا .
- ٣ - مؤتمر لكتو سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) بالهند .
- ٤ - مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .
- ٥ - مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

وسأقدم بإذن الله تعالى : عرض موجز لمراحل المؤتمرات ، وشاذج مبسطة في الفصل

التالى .

الفصل الثالث

" نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها "

أدت المؤتمرات التبشيرية دورها في نشر النصرانية ، وفي تقريب الصفوف بين الطوائف المسيحية المتعددة ، وقد استخدمها المبشرون وسيلة لتحقيق الأهداف التبشيرية الإستعمارية ، وغدوا الكثير من هذه المؤتمرات في بلاد المسلمين وفي أماكن لها تأثير على نفوس المسلمين ، وبواسطة المؤتمرات التبشيرية توضع الخطط لتطويق البلاد الإسلامية ، وإبطال مراكز الإشعاع العلمى والحضارى فيها كالأزهر الشريف والجامعات الإسلامية الأخرى .

وكان المؤتمر التبشيرى بالقاهرة سنة ١٩٠٦م ، ومؤتمر لكنؤ بالهند ١٩١١م صورتين واضحتين للهجوم التبشيرى على قلاع الإسلام الحصينة ، وهناك مؤتمرات تبشيرية لغزو العالم .

ومنهما " مؤتمر لوزان لتصوير العالم المنعقد عام ١٩٢٤م " ومؤتمر أمريكا الشمالية لتصوير المسلمين المنعقد عام ١٩٢٨م " والذى روى فى برامجه تصير الأقليات المسلمة الموجودة فى الدول الغربية ينصب الشباك حولها بكل الوسائل لتجسد نفسها فرسة المسيحية الغربية .

وهذا الفصل يعطى النماذج الواقعية لهذه المؤتمرات .

المؤتمرات التبشيرية ومراحلها

المؤتمرات التبشيرية حلقة في سلسلة نشر المسيحية ، وتدعيم كيانها ، ومداية هذه الحلقة مايسمونه " بالنمو الطائفي " والذي يقصد به تعدد الطوائف المسيحية ، خسارح حدودها وتغلغلها في أنحاء البلاد في صورة فرق مسيحية ، أو كنائسية أو جماعات تبشيرية ، وقد أعطت الكنيسة الإنجليزية صورة واضحة لهذا الزحف والتوغل ، وبشت فروعها في كثير من البلاد يقول جون فوستر ما ترجمته :

وقد أحييت جمعية نشر الإنجيل عام ١٨٥١م ذكرى مرور ١٥٠ عاما على تأسيسها وحضر الاحتفال أنجليكان من بلاد مختلفة ، فنهضت الفكرة أن يتكرر مثل هذا الاجتماع باستمرار .^(١)

وكان عقد المؤتمرات التبشيرية لنشر المسيحية ، وتدعيم السلطة الإستعمارية في بلاد الإسلام ، ولتوحيد العمل التبشيري وفق خطة مدروسة ، ومن أجل هذا التوحيد ، تم إنشاء " مجالس للتبشير " تضم جماعات الطائفة الواحدة تحت قيادة موحدة ، فالكاثوليكية لها قيادة ، وأيضا الأرثوذكسية ، والبروتستانتية وهكذا ، وبالمثل الجماعات التبشيرية تتبع هذه المرحلة ويسير معها في خط واحد دمج هذه الطوائف ، والجماعات المتعددة في إطار واحد تحت هذه التسمية : " إتحاد مجلس الكنائس العالمي " وكان للمؤتمرات التبشيرية دورها في صنع هذا الاتحاد كما سيأتى في مراحلها .

المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الأولى

حدث انعقاد مؤتمرات تبشيرية محلية ، وأدت دورها في نشر الأناجيل ، ونشأة الكنائس ، وعقد أغلبها بالقارات الثلاث آسيا ، وإفريقيا ، وأمريكا ، ويقول في ذكرها المهندس أحمد عبد الوهاب :

يمكن القول بأن فاتحة ذلك كان في الهند : عام ١٨٥٥م حيث عقد بكلكتا " المؤتمر العام للتبشرين البروتستانت في البنغال " وقد حضره ٥٥ مبشرا من ٦ إرساليات بينهم

(١) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٢٠٠م حتى اليوم ص ١٤٤ تأليف : جون فوستر نقله إلى العربية : القس منيس عبد النور ط (١) مطبعة النصر بشبرا مصر ١٩٦١م .

٣ قس هنود ، ثم مؤتمر البنجالور عام ١٨٧٩م ، وقد حضره ١١٨ مبشرا ، نوقش فيه لأول مرة امكانية تأسيس " كنيسة المسيح في الهند " ثم مؤتمر مدراس عام ١٩٠٠ وقد عقد أيضا مؤتمر تبشيري في اليابان عام ١٨٧٢م ، " المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت " عام ١٨٨٣م بأوزاكا ، وعقد نفس المؤتمر بطوكيو عام ١٩٠٠م ، وتم عقد العديد من المؤتمرات في الصين ، من بينها المؤتمر الثالث والكبير عام ١٩٠٧م .

وفي إفريقيا عقد ثلاث مؤتمرات في جنوب إفريقيا في أعوام ١٩٠٠ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٩م كذلك عقد بالقاهرة مؤتمر تبشيري عام ١٩٠٦م ، وفي أمريكا الجنوبية عقد في المكسيك مؤتمرين في عامي ١٨٨٨ ، ١٨٩٧م .^(١)

واتخذت هذه المؤتمرات وسيلة لبث أفكار المستعمرين وللعمل التبشيري في نفس الوقت فتحت باب الالتقاء بين الطوائف المسيحية ، وقاربت بين المبشرين .

المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الثانية

في هذه المرحلة تم إنشاء مجالس التبشير ، وإذا كان " هنري مارتن " صاحب اقتراح إقامة " مؤتمر مرسلى عالمي " قبل انعقاد مؤتمر أدنبرج ١٩١٠م بقرن من الزمان فان " جوستاف فارنك " صاحب فكرة مجالس التبشير ، قد قدم عام ١٨٨٨م بحثا قسري " في مؤتمر لندن التبشيري " في نفس العام دعا فيه لتخطيط عقد مؤتمر تبشيري كل ١٠ سنوات ، وإلى تشكيل لجنة مركزية ، تربط أعمال هذه المؤتمرات .^(٢)

ونالت فكرة " فارنك " التقدير ، وتمخض مؤتمر أدنبرج ١٩١٠م فنتج عنه مايسمونه " اللجنة الدائمة للمؤتمر " ويتحدث عن أعمال هذا الرجل جون فوستر فيقول :

ومنذ أكثر من عشرين سنة كان فارنك المرسل والمؤرخ والسياسي الألماني يحسب على إقامة " مركز للإرساليات " في لندن وقد عين مؤتمر أدنبرج لجنة تتابع أعماله تكون منها " مجلس الرسائل العالمي عام ١٩٢١م مؤسسا من أعضاء من " لندن " و " نيويورك " وقد عاون هذا على إقامة مجالس الكنائس الإقليمية في بلاد كثيرة .^(٣)

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر : أحمد عبد الوهاب ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ بتصرف .

(٣) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم ص ١١٦ ، ١١٧ بتصرف .

ونشط التبشير منذ بداية القرن التاسع عشر نشاطا ملحوظا • وبالأخص فسي بلدان الشرق الأقصى • وكانت فكرة تشكيل " مجالس مسيحية وطنية " عاملا ساعداً في نجاح التبشير ويقول المهندس أحمد عبد الوهاب :

صعبر مؤتمر مانبلا عام ١٩٤٨م نقطة البدء في دفع الحركة التبشيرية وإحكام تنظيمها فقد ضم من يطلق عليهم " القادة " المسيحيون في شرق آسيا - من اليابان إلى الباكستان - وهكذا التقوا جميعا • ونتج عن هذا اللقاء إنشاء " سكرتارية شرق آسيا " لتكون وحدة اتصال بين الكنائس والهيئات التبشيرية •

ونتيجة لهذا النشاط عقد " المؤتمر المسيحي لشرق آسيا " عام ١٩٥٢م فسي سومطرة (إندونيسيا) • ثم مؤتمر عام ١٩٥٩م في كوالالمبور (ماليزيا) • فزاد ذلك في ربط الكنائس بالهيئات التبشيرية •

وفي إفريقيا عقد " المؤتمر المسيحي لكل إفريقيا " عام ١٩٥٨م في نيجيريا • وقصد حضره مندوبون من كل البلاد الإفريقية • عدا المستعمرات الأسبانية • وكان من نتائجه تشكيل " لجنة دائمة " تعد للمؤتمر الثاني الذي عقد عام ١٩٦٣م في كينيا • وفي أمريكا الجنوبية عقد مؤتمر عام ١٩٦٦م في ليما عاصمة بيرو • (١)

المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الثالثة

وبواسطة هذه المؤتمرات تم دمج مجالس التبشير • مع إتحاد الكنائس ليكسبون الناتج هو : " مجلس الكنائس العالمي " يقول " جون فوستر " مانترجمته :
كان تبادل الفكر الناجح في العمل المرسل سببا لتشجيع قيام مؤتمرين آخرين مؤتمر الحياة والعمل عام ١٩٢٥م • والإيمان والنظام عام ١٩٢٧م • وقد اشترك فسي المؤتمر الأخير ممثلون من الكنائس الشرقية والأرثوذكسية الشرقية فاشترك فيه ككل المسيحيين ماعدا الكاثوليك •

وقد استمر هذا التعاون حتى اتحد يوما في مجرى واحد ففي عام ١٩٣٩م • كانت الخطط قد وضعت • وعين موظفون لمجلس كنائس على يتأسس في " جنيف " (٢) وظل التعاون على أشده بين الهيئتين الكبيرتين : إتحاد الكنائس • والإرساليات

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ص ٢٠٦ بتصرف •

(٢) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٢٠٠ حتى اليوم ص ١١٢ •

فى الفترة ما بين ١٩٤٦ - ١٩٦١ م ويقول جون فوستر :

وفى عام ١٩٤٨ م اجتمع مجلس الكنائس العالمى فى " امستردام " لوضع دستور الأول ولكن الجميع دخلوا للعبادة قبل بدء جدول الأعمال ودخلوا حسب ترتيب أسماء بلادهم الأبجدى (بالأسماء الإنجليزية) وحين دخل آخر الوفود كانت القاعة قد امتلأت فزعموا معا مزمو ٠٠ " اهتفى للرب يا كل الأرض " وكأن كل الأرض كانت هناك ، ولأن التاريخ المسيحى يسعى على قدمين (١).

وفى هذا الاجتماع الذى يعدونه الأول من نوعه ، افتخر المجتمعون بشمول الكنائس لجل الكرة الأرضية وتكلم الدكتور / " جون مكاي " رئيس مجلس المرسليات العالمى " فس الاجتماع الأول " لمجلس الكنائس " فقال : " اليوم نجد كنائس منظمة فى كل بلاد العالم ماعدا التبت ، وأفغانستان ، والعربية السعودية لقد صارت الكنيسة مسكونة لأول مرة فى التاريخ بالمعنى الحرفى تصل حدودها إلى أقاصى المسكونة ، واليوم نرى بيننا برهان هذا - نرى مثليين من آسيا وإفريقيا ، وجزائر الاقيانوس (٢) ، وأمريكا اللاتينية إنهم بيننا كأعضاء فى مجلس الكنائس العالمى . (٣)

وترادفت الاجتماعات ، حتى تم إعلان " مجلس الكنائس العالمى " رسميا يقول المهندس أحمد عبد الوهاب : وفى نيودلهى عام ١٩٦١ م اتحد المجلسان : مجلس الكنائس ، والمجلس التبشيرى فى جهاز ضخم هو " مجلس الكنائس العالمى "

ولأول مرة فى تاريخ العالم المسيحى ، تعلن الكنائس الأرثوذكسية ، والرومانية الكاثوليكية ، والإنجيليكانية ، والبروتستنتية ، أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بأكملها بالإنجيل (٤) ، وكان للمؤتمرات الدور البارز فى صنع هذا الالتئام الذى يعتبرونه فتحا حدث للمسيحية فى القرن العشرين ويتوقعون من خلاله أن يكون القرن الحادى والعشرون قرن المسيحية ، هذا بالإضافة إلى الدور التبشيرى وخدمة الإستعمار كما سيظهر أثناء العرض لنماذج من المؤتمرات فيما يأتى :

-
- (١) المرجع السابق ص ١١٩ .
 (٢) جزائر الاقيانوس تسمى أوقيانيا : وتتألف من عدة جزر تقع جنوب شرقى آسيا بين المحيط الهندى والمحيط الهادى وأهمها أستراليا ، نيوزيلاندا ، وكاليدونيسا الجديدة وعدة أرخبيلات فى المحيط الهادى (يراجع المنجد فى العلوم ص ٩٦) .
 (٣) المرجع السابق ص ١١٩ ، ١٢٠ .
 (٤) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر ص ٢٠٢ .

نموذج من المؤتمرات التبشيرية

لم تظهر المؤتمرات التبشيرية فجأة ، ولم توجد من فراغ وإنما مهدت لها الحركات الإرسالية التي سافروا الحديث عنها في الباب التالي ، وساهمت في إعدادها مجموعة من الكنائس الأوربية ثم الأمريكية ، وكانت المؤتمرات التبشيرية ثالث أربعة من التطورات المسيحية التي تحدث منذ القرن الثامن عشر ، وفي طريق استمرارها لجعل الكنيسة عالمية بلا منازع ، وهذه التطورات الأربعة هي :

- ١ - النمو الطائفي بالنسبة للعالم .
- ٢ - حركة الطلبة على نطاق عالمي .
- ٣ - المؤتمرات المرسلية العالمية .
- ٤ - مجلس الكنائس العالمي .

ولما كانت المؤتمرات التبشيرية ضمن هذه السلسلة المحكمة فإن الدافع الأساسي لانعقادها يتلخص في الآتي :

- ١ - المواجهة الفورية لليقظة الإسلامية .
- ٢ - إحكام السيطرة على بلاد الشرق المسلم لاستغلال خيراته .
- ٣ - نشر المسيحية في بلاد الإسلام .
- ٤ - زرع الكنائس في كافة أقطار الإسلام بلا استثناء .

السلة الاستعمارية بالحركات التبشيرية

كانت الكنيسة الغربية في خدمة الحركة الإرسالية ، وتعبير أدق القوة الدافعة لها ، واليد المدعومة لها مادياً ومعنوياً كما أخذت الحكومات الغربية على عاتقها حماية مثل هذه الحركات بل وتشكيل بعض التنظيمات الشبابية ، التي ترفع لواء التبشيرية وما ذلك إلا لمصالح الإستعمار وخدمته ، ولذا يقول د / وليم سليمان :

ولعل الشعار الذي تبنته منظمات الشبان والطلبة في أمريكا خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ونقلته إلى أوروبا لتندفع وراءه جموع الطلبة في إنجلترا على الخصوص لعل هذا الشعار الذي يدعو إلى " ضرورة تبشير العالم كله في هذا الجيل " يعسد

أصدق التعبير على الرغبة القوية في سرعة المواجهة لليقظة الشرقية دون أى إبطاء . (١)

ويكشف النقاب عن الصلة الوثيقة بين الاستعمار والإرساليات نفس الكاتب المذكور سابقا - وهو مسيحي الطلّة - إلا أنه أبى إلا الإنصاف للحق ، فشهد أن دور الإرساليات - التي أقررت " المؤتمرات " - الأول والأخير خدمة المستعمرين ، حيث قال :

ولكن ارتباط الإرساليات بالاستعمار يمثل وجها واحدا من الأيدلوجية التي صدرت عنها ، أما الوجه الآخر فهو أن الإرساليات في أهدافها ووسائلها قد انفصلت عمن المنهج الذي وضعه السيد المسيح للدعوة إلى دينه ، ولو رجعنا إلى المفاهيم الأصلية التي نادى بها المسيحية الأولى لوجدنا المسيح يرفض أن يكون الإيمان بدينه ثمرة التهديد أو الرشوة فالمبشر الذي يملأ كيسه مالا أو يحتسب بعلم الكتاب العسكرية المنتصرة ، هذا المبشر في نظر المسيحية الأصلية يعطل عمل المسيح ، ومن بسبب أولى ذلك الذي يستغل تبشيره بالمسيحية لتحقيق المنفعة واستغلال الشعوب . (٢)

وهذه سمة الحركات المرسلية ، فهي لا تنتظر لنشر المسيحية كدين رائدا تتخسّد هذا العمل تكأة لتحقيق المنافع والمآرب ، ولخدمة المستغلين للشعوب .

ولما كانت الحركة المرسلية هي المفزة الأساسية للمؤتمرات التبشيرية وهي في نفس الوقت في ركب الدول الاستعمارية فبالنّاتالي تكون المؤتمرات التبشيرية في نفس الاتجاه وببلغ علنا مانشر عنها . وهو قليل من كثير قد حجب في طي الكتمان ومع ذلك سلك سائير إلى نماذج من هذه المؤتمرات تبعا لما بلغنا والزمن كليل بنشر المكنوم .

مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م :

يقال إن القس " زيمر " أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر تبشيري بالقاهرة يجتمع إرساليات التبشير البروتستانتية ، لبحث مسألة نشر المسيحية بين المسلمين ، ولقد بُحثت الفكرة في الهند وعرضت على مؤتمر التبشير الذي كان ينعقد في مدينة " مدراس " الهندية كل عشر سنوات فأقر عقد هذا المؤتمر .

(١) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ص ٥٣ بدون عدد للطبعة طبع

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

مكان انعقاد المؤتمر :

وقع الاختيار على القاهرة • وفى مكان محدد بها • وكان القصد من عقد المؤتمر فى هذا المكان بالذات التشفى من الأحرار المسلمين وضرب كل صوت مسلم ينادى بجلاء الاستعمار • فى صميم المقتل، فقد كان صاحب البيت المنعقد فيه المؤتمر فى المنفى لوقوفه ضد الظلم • ومطالبته بجلاء الاستعمار • • وهذا ما ترجم عن أول شاتيليه : فى يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦م افتتح المؤتمر فى القاهرة فى منزل عرابى باشا فى باب اللوق وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء • وكان عدد مندوبى إرساليات التبشير الأمريكية • التى فى الهند وسوريا والبلاد العثمانية • وفارس ومصر واحداً وعشرين ومندوبى إرساليات التبشير الإنجليزى خمسة واشتركت فى المؤتمر الإرساليات الاسكتلندية • والإنجليزى المنفردة والألمانية • والهولندية • والسويدية • وإرساليات التبشير الدنمركية الموجودة فى بلاد العرب • (١)

وبلاحظ دائما إختيار الأماكن الحساسة فى بلاد الشرق الإسلامى لعقد المؤتمرات التبشيرية • وفى القاهرة فى منزل " عرابى " الذى كان وقتها فى المنفى بسبب ثورته على الظلم والاستعمار • كما أنها بلد الأزهر الشريف ومعقل الإسلام • وفى " القدس " حيث مهد المسيح • والمسجد الأقصى أولى القبلتين • وثالث الحرمين • ونهاية مسرى خاتم النبيين • وبداية معجازه إلى أعلى عِلَمين • وفى " لكنو " بالهند حيث مدرسة " عليكر " الإسلامية معقل علماء مسلمى الهند • وباحثيهم • ونقطة انطلاق إسلامى فهى كرافد مستمر فى شبه القارة الهندية • وهكذا بالقرب من كل معقل إسلامى يعقد مؤتمر تبشيرى •

المباحث التى نوقشت فى مؤتمر القاهرة :

ألقي المجتمعون نظرة شاملة على العالم الإسلامى فى جل أقطاره • بعد دراسة دقيقة وشمعة الجوانب لنواحي القصور لينفذوا منها • ثم مواجهة الحصون بالخطوة الكفيلة للتخلص منها • حتى يصفو الجو للبشرين فشلت نظرتهم الإسلام والمسلمين ففى قارتى آسيا وإفريقيا • بدءاً من الإحصاء العددي إلى إدخال المرأة فى حظيرة المسيحية إلى غير ذلك من المواضيع الخاصة ويمكن تلخيص مباحثهم على النحو التالى :-

- ١ - بيانات عن عدد المسلمين فى العالم •
- ٢ - الإسلام فى كل من إفريقيا - الدولة العثمانية - الهند - فارس - الملايو والصين •

- ٣ - النشرات التي يجب ترزيعها على المسلمين المثقفين ، والعوام .
- ٤ - التصدير والإرتداد .
- ٥ - وسائل مساعدة المتنصرين المضطهدين .
- ٦ - شئون إسلامية نسائية .
- ٧ - تربية المبشرين ورسم العلاقات بينهم .
- ٨ - كيفية التعليم في الإسلام .

وسجلت هذه البحوث حتى تكون في متناول المثقفين والمبشرين ، كما هو مذكور في كتاب " الغارة على العالم الإسلامي " وهذه الموضوعات جمعت في كتاب كبير اسمه " وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين " ثم صنف القسيس " زويمر " كتابا جمع فيه بعض تقارير عن التبشير وسماه " العالم الإسلامي اليوم " جمع هذا الكتاب ونشره القسيس " فليمنغ " الأمريكي وكتب عليه هذه الكلمة " نشرة خاصة " بمعنى أنه طبع ليتنقل في أيدي فئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل الناس وقد ضمنه البحوث التي دارت في مؤتمر القاهرة واختتمه بفندائين استنهض بأحدهما هم رجسال النصرانية ، ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعموية فيستولوا على أهم الأماكن الإسلامية . ، والداء الثاني خاص بأعمال نسائية ، واحتوى الكتاب خمسة فصول . (١)

موجز لفصول الكتاب :

وتناول الفصل الأول منها الطريقة التي ينبغي اتباعها في التبشير والثاني والثالث بحث الصعوبات التي تحول دون تبشير عوام المسلمين وعدد الوسائل التي يمكن استغلالهم بها . ومن أهمها :

عزف الموسيقى الذي يميل إليه الشرقيون في الغالب ، وعرض المناظر المحببة في المسيحية على شاشة التلفزيون ، وبعث الإرساليات الطبية بينهم ، وتوصية المبشرين بتعلم اللهجات العامية ، ودراسة " القرآن الكريم " ليقتفوا على ما يحثونه وليتمكنوا من مخاطبة المسلمين كل على قدر عقله ومستواه ، بالإضافة إلى ذلك كون المبشرين نصيح اللسان رخيم الصوت ، ذا عقلية واسعة تختار الموضوعات المهمة يلقي وعظيمة بالكلمات مفهومة لسامعيه ، عارفا كيف يدير المناقشة ؟ ، ويرد على الأسئلة ؟ .

أما الفصل الرابع فقد تناول :

١ - بحث قضية الصعوبات التي تقف في سبيل تبشير المسلمين المثقفين وكانت الترسية

(١) من المرجع السابق ص ٢٠ - ٢٣ بتلخيص واختصار شديد .

عدم البدء بمسائل التنصير بينهم وإنما محاولة التأثير عليهم من نواحي أخرى اجتماعية ، وخلقية ، وأدبية ، ومحاولة إعادة الثقة برجال الدين المسيحيين عن طريق إلقاء محاضرات لهم تاريخية ، وعلمية ، لا يخللها مباحث دينية ، ثم تأسيس مكاتب لبيع الكتب بأثمان قليلة لاستجلاب زبائن منهم ومحاولة محادثتهم ، وقد لست بنفسى ذلك أثناء شرائسى لبعض المراجع المسيحية من مكتبة دار الثقافة بشبرا بالقاهرة فقد سألت البائع لماذا لم يكتب الثمن على الكتاب ؟

فأجاب لوفعلنا ذلك لدفعت الثمن وخرجت بدون حديث معنا ، وهدفنا أن نهادل الزبائن الحديث ونعرف منهم ويعرفوا منا .

٢ - مواجهة رجال الأزهر الشريف :

وفى مواجهة الشباب المثقف ومحاولة خلق علاقة طبيعية بينه وبين المبشرين : يقول سكرتير المؤتمر " إن المبشرين فى القطر المصرى اضطروا إلى محاولة إعادة الثقة بهمسم عند الشباب المسلم عن طريق إلقاء محاضرات اجتماعية ، وخلقية ، وتاريخية ، لا يستطردون فيها إلى بحث أى شئون دينية ، وأنشأوا بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية تحسست عنوان (الشرق والغرب) وافتتحت بأبواب غير دينية ، وأسسوا مكتبة لبيع الكتب بأسعار زهيدة ، وفى مدة ثلاث سنوات تسنى للمبشرين تحقيق بعض النتائج من أهمها :

الوقوف على أحوال البلاد وأفكار المسلمين وعواطفهم وميولهم كما كسبوا ثقة البعض إلى جانب أنهم تحققوا من إمكانية التأثير عن طريق التظاهر بالود للمسلمين والميل إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والاجتماعى ، وفى نفس الفصل الرابع ورد بحث موضوع أولئك الذين تعلموا فى الأزهر على الطريقة الشرقية من خلال بعض نظريات عرضها أحد أعضاء المؤتمر حيث أفاض فى وصف نفوذ الأزهر ، وإسهال الآلاف عليه من كل الأقطار فى العالم الإسلامى .

وبعد تصآول عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة توصل أن المسلمين قد رسخ فى أذهانهم أن تعلم اللغة العربية فى الجامع الأزهر متقن وستين أكثر منه فى غيره .

ثم عرض اقتراحا بإنشاء مدرسة جامعة تقوم بتعليم اللغة العربية بإتقان وتتكفل بتفقاتها كل الكنائس المسيحية فى العالم .

وختم نظريته بقوله " ربما كانت العزة الإلهية قد دعنا إلى اختبار مصر مركز عمل لنا لتسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية ، وهي محاولة سافرة لسلب الأزهر فاعليته ، وسافرة ابتائه في أهم مايتازون به عن غيرهم من خريجي الجامعات الأخرى ، وعلى طلاب الأزهر أن ينهلوا من علوم الإسلام ، ولغة القرآن في دأب وشابرة حتى يحافظوا على أنفسهم وأمتهم ، ويرفعوا من قيمة أزهرهم الشريف ، كما يتطلب الأمر يقظة المسئولين عن الأزهر عامة ، فيعملوا كل جهدهم للحفاظ على مستوى طالب الأزهر في كل مراحل تعليمه ، وتسليحه بما يلزمه من العلوم النافعة .

محاولة خداع المثقفين :

وتبدو هذه المحاولة سافرة في الفصل الخامس من الكتاب المذكور ، وهو كساب " العالم الإسلامي اليوم " جمعته " زويمر " ونشره فليشغ " فقد بحث النشرات الستى ينبغى إذا عتيا لتنصير المسلمين ، وبين أمام المؤتمر أن التوراة ترجمت إلى معظم اللغات الإسلامية الهامة ، وقد اقترح أحد المؤتمرين ، مراجعة المؤلفات التى قدم عليها العهد ، وتصحيحها واستخدامها في تبشير المثقفين الذين تلقوا علومهم في المعاهد المصرية مثل " اكسفورد " " برلين " وأوصى بضرورة تخفيف لهجة المجادلات الدينية .

أما الموضوعات التى روى أن هناك حاجة شديدة إلى نشر كتب عنها فهي أسماء وألقاب المسيح في الأناجيل - طبيعة الخطيئة - ضرورة الغفران - الروح القدس وأعماله - عقيدة سر التجسد - الإنسان فرد اجتماعي وخالفه ليس كذلك - الإله الاجتماعي يشمل الثالث - الشيطان وكيفية الخلاص منه . (١)

وأثناء المحاولة للوصول إلى قلب المسلم ، توضع النظريات البسيطة المدروسة بحيث يتم الأخذ بتلابيب المسلم للإطباق عليه وحصره في الدائرة التبشيرية ، وللقس " تروتن " باع طويل وخبرة كبيرة في الحقل التبشيري فعرض على المؤتمر أمثلة للنظريات الأولية التى من بينها :

- ١ - الشعب البسيط يلزمه إنجيل بسيط .
- ٢ - الشرق سئم المجادلات الدينية .
- ٣ - الشرق يحتاج إلى دين خلقى روحى .

(١) المرجع السابق ص ٢٢ و ٢٣ بتصرف ، حقائق عن التبشير عماد شرف ص ٣٩ .
٤٠ ط ١ مطبعة أطلس بالقاهرة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

واستنتج من هذه النظريات الأولية القواعد الآتية :

- ١ - يجب أن لاثير نزاعا مع مسلم .
- ٢ - يجب أن لايجرح المسلم على الموافقة والتسلم بمبادئ النصرانية إلا عرضا ومعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت في ذلك المسلم .
- ٣ - اذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي فيجب أن يزال ولو أفضى إلى السبى المناقشة . (١)

أما " زيمر " صاحب فكرة المؤتمر فلم يقتصر على الحديث في المؤتمر وإنما في مقدمة كتابه " العالم الإسلامي اليوم " قدم نصائح للمبشرين منها :

- ١ - يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .
- ٢ - يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي على أنه قد تنسم جزء من هذه المهمة .

- ٣ - تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .
- ٤ - ينبغي للمبشرين أن لايقنطروا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحريـسـ النساء . (٢)

مؤتمر أدنبرج سنة ١٩١٠م :

يعتبر هذا المؤتمر بداية المؤتمرات العالمية * وكانت فكرة إقامة مؤتمر مرسل على عالمي مقترحة منذ عام ١٨١٠م * يقول جون فوستر مانترجته :

وقد جاء فكرة هذا قبل عقد أول مؤتمر بقرن كامل * إذ عقد أول مؤتمر في " أدنبرج " عام ١٩١٠م وكان سكرتيره والمنظم له الاسكتلندي " ج . هـ أولد هام " وكان رئيسه الأمريكي " جون موط " وكان الرئيس والسكرتير قد اكتسبا خبرة من العمل اللاطافى المالى وسط الطلبة * وكان لاختيارهم الفضل في جذب الجناح الانجلوكانثوليكي في كنيسة انجلترا للاجتماع في " أدنبرج " وقد حضر المؤتمر ١٢ وطنيا من الحقـسـل

(١) المرجع السابق صـ ١٢ *

(٢) المرجع السابق صـ ٢١ * ٣٠ باختصار يسـير *

المرسلى وسط الألف الذين حضروا الاجتماع منهم الأسقف "غزريا" من الهند و "م. ي. تشنج من الصين" ، وقدما معونة كبيرة للمؤتمر وقد حصل بعض الحاضرين على أول أفكارهم عن العمل المسكونى من هذا المؤتمر ، مثل "وليم تهل رئيس أساقفة كتربرى (١٩٤٢ - ١٩٤٤م) وكان وقت المؤتمر يحفظ النظام وسط الحاضرين من الطلبة . (١)

وتحول التبشير من عمل طائفى محدود إلى عمل جماعى يمثل جل الطوائف والذاهب المسيحية فى صورة منظمة .

المؤتمر ومحاولة احكام القبضة الحديدية :

إن مؤتمر " أدنبرج " الذى عقد عام ١٩١٠م نقطة انطلاق فى مجال العمل التبشيرى الجماعى الدروس ، فقد رسم الخطط ، وأوصى بكل مايلزم لنشر المسيحية ولذا يتحدث الأستاذ أنور الجندى : فى شأن هذا المؤتمر بالآتى :

ولم يفت مؤتمر " أدنبرج " الذى عقد عام ١٩١٠م أن يدرس كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم وتعليم المبشرين فى العالم الإسلامى لغة البلاد ، وأوصى بإنشاء مدارس تبشيرية خاصة بتعليم مبشرى الأقطار الإسلاميه والتخرج الكامل فى اللغات السامية ، والقبض على ناصية اللغات العامية ، والفصحى ، وفهم روح المسلم وخصائص عقليته . (٢)

وأولى هذا المؤتمر الإسلام وأهله أهمية خاصة ، فى محاولة من أعضائه لإحكام القبضة الحديدية على المسلمين .

ويقال : عقد هذا المؤتمر فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٠م وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه بل إن لجنتين من أهم لجانته تفرغت إلى البحث فى أمر الإسلام والمسلمين وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته فى تسعة مجلدات أويزيد لم نتكن من الحصول عليها ، إلا أننا عثرنا على مجلات ثلاث تكلمت عن هذا المؤتمر واحدة ألمانية وهى " مجلة الشرق المسيحى " التى تصدرها جمعية " التبشير الشرقية الألمانية " والثانية إنجليزية وهى " مجلة العالم الإسلامى " المعروفة ، والثالثة سويسرية وهى " مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية " التى تصدرها جمعية التبشير

(١) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم ترجمة القس ميس عبد النور

ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) ص ٩٢ .

في مدينة " بال " في " سويسرا " ، وأعمال مؤتمر " أدنبرج " التبشيري أهتم بأسر
إرساليات التبشير الجبرمانية حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الإستعماري السياسى
تحول إلى مؤتمر تبشيري دينى . (١)

وقد استعد لهذا المؤتمر عدد غفير من خبراء التبشير وواضعى الخطط المضادة
للإسلام كما نال إهتمام بعض الرؤساء من الدول الأوروبية يقول الأستاذ / محمد محمود
الصواف : في وصف الذين حضروا المؤتمر وقد ضم أكثر من ١٢٠٠ ألف ورائتى مندوب
منهم ٥٠٢ من الإنجليز و ٥٠٥ من الأمريكيين والباقيون من الدول المسيحية الأخرى وكان
المستر " روزفلت " رئيس جمهورية الولايات المتحدة سابقا أحد مندوبى إرسالية التبشير
الأمريكية إلا أنه أرسل اعتذارا لعدم تمكنه من الحضور . (٢)

وكل هذا يدل على أن القوم أخذوا الأمر مأخذ الجد وحزموا أمرهم رجـل
الدين ورجل السياسة ، لمحاربة الإسلام والكيد لأتباعه ، بينما نجد المسلمين حكاما
ومحكومين في غفلة ، أو غيبة لم يفيقوا منها بعد .

وثيقة من وثائق المؤتمر :

دون المؤتمرين أبحاثهم باللغة الإنجليزية ، وقد ملأت حيزا كبيرا من المجلدات
ولقد أخبر الأستاذ / محمود الشاذلى بها بواسطة صديقه ، والذي ذكر له أنها صدرت
في عشرة مجلدات ، وهذه المجلدات لا توجد إلا في المتحف البريطانى في لندن ، وأن هناك
خطرا على نشرها ثم وعده بأنه سيتمكن بعون الله من تصوير بعض الوثائق من المجلد
العاشر نفسه ، وسيوصلها إليه حين يتمكن من ذلك .

ويمكن من تصوير خطاب الأب " و . ت . هـ " جايرد نر " في ذلك المؤتمر وهو عبارة
عن خريطة مسح كامل لبلاد العالم الإسلامى ، ولكل بقعة يوجد فيها مسلمون ! ! وقد
تضمنها المجلد العاشر من الصفحات ٢٥١ إلى ٢٦٤ . (٣)

وَأذكر ببعض ما ترجم عن هذه الوثيقة الطافحة بالكيد للمسلمين ، والتي رأى مؤلفها
أن أقطارا إسلاميه تأثرت بالحركة العصرية فقال عنها ما ترجمته : نحن مظلومون على

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٤٠ بأضافة يسيرة .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) الوثيقة الإسلام الخطر خطاب الأب و . ت . هـ جايرد نر في مؤتمر " أدنبرج " ص ٧

بتصرف يسير .

الحركة العصرية التي تؤثر في الممالك الإسلامية الوسطى : تركيا ، مصر ، وفارس ، والهند وكلها أقطار قد وجدت الأفكار الأوروبية طريقها إليها . (١)

وأثناء مسح شامل للمناطق الموجود بها مسلمون نجده يشير إلى مايجوسند بدولة ملحدة من مسلمين ، وقموا تحت ضغط المطرقة والسندان قائلا : وفي روسيا فإن إعلان الحرية الدينية في ١٢ أبريل ١٩٠٥م قد أسفر - كما أخبرني سيدة روسية أعدت دراسة عن هذا الموضوع - عن عودة خمسين ألفا من الخاضعين كرها للكنيسة اليونانية ، وقد صحبهم عدد غير قليل اعتنقوا الإسلام لأول مرة .

ولاشك أن حوادث كهذه سوف تحفز المسلمين في " روسيا الأوربية " ومناطق " القوقاز " و " آسيا الوسطى الروسية " وربما " سيبيريا " نفسها لأن الأفكار الكهرسا تنتقل بسرعة لاسيما إذا ما نقلتها خطوط السكك الحديدية . (٢)

وهو يخش آية وسيلة تربط المسلمين وتجعل أخبارهم متداولة بينهم فيحس المسلم في الشرق بأخيه المسلم في الغرب ، ولذا يحذر من سرعة الإتصال الناتج عن الوسائل الحديثة للمواصلات ويعتقد أن هذا في صالح المسلمين ، وهي حقيقة ينبغي أن لا يهملها المسلمون ، فسرعة التلاقى الشخص وسرعة نقل الأخبار عامل مهم في نفس إنقاذ أي مسلم يقع تحت ضغط عقائدي أو مذهبي يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله " (٣) وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (٤) .

المنطقة الإسلامية سد في وجه المسيحية

لقد تطرق الألب و . ه . ت جايردنر بالحديث عن الصين ، كبلد بها أقلية مسلمة ، وإندونيسيا ، وباليزيا كبلدين مسلمين واتجه صيا السهام إلى الجزيرة العربية قلب العالم الإسلامي ، ثم إلى السودان وتشاد ، وهو يخش على أوربا من الإسلام بالرغم من ضعف المسلمين ، ويعتبر المنطقة الإسلامية المستدة من شمال إفريقيا إلى

-
- (١) المرجع السابق ص ١٥ .
 (٢) المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .
 (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٦ ص ١٤٠ .
 (٤) المرجع السابق .

غرب آسيا (بما فيها من شبه الجزيرة العربية) إسفين ثابت يمنع أوروبا من اختراقه إلى حيث تريد وهاهى ترجمة حديثه :

إن مشكلة الإسلام هذه مسألة لا يمكن أن نتفانلها ببساطة. ليست حتى فى مواجهة الأوضاع العاجلة بطريقة لا يمكن وصفها ، والتي تواجهنا فى الشرق الأقصى وهذه أولاً لأن الإسلام على أبوابنا ، فمن أقصى الماحل الشمالى الإفريقى يواجه أوروبا ، إنه فعلاً يلتمسها ويمكن القول إنه يسكنها علياً من طرفى البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية وثانياً : لأنه مشكلة أساسية مركزية أيضاً ، فكروا فى تلك الكتلة المركزية لعالم الإسلام الصلب ، من شمال إفريقيا إلى غرب ووسط آسيا إنه كإسفين ثابت ، يحجب الغرب المسيحى عن الشرق الوثنى ، وأريدكم أن تدركوا أيها الأباء والإخوة أنه حتى لو حلت مشاكلنا مع يابا نيينا ، وكورينا ، وصينيينا ، وششورينا ، وهندونا ، ولو واجهنا أزماتهم الحالية فى سعادة وتغلبنا عليها ، وأضفنا شرق أقصى مسيحى إلى الكنيمة ، فإن ذلك الوجد (الخازوق) الغرب عنا والمعادى لنا ، الغير منجم أو متعاطف ، سيقطع العالم النصرانى ، الشرقى والغربى ، كلية إلى نصفين ، فاصلاً الإثنين ، عازلهم عن بعضهما ، وظهراً - للرب والإنسان - ليس فتناً فحسب ، بل صدعاً فى ثوب الإنسانية ككل التى لولا الإسلام ، لانتصر عليها المسيح .

فحقاً لذلك ، يجب ألا نؤجل مشكلة الإسلام إنشأ مشكلة اليوم كما رأينا فليكن نفس " اليوم " على هذا ، هو يوم الحل والخلص . (١)

ولا أدري لماذا يعتبرون الإسلام مشكلة بالنسبة لهم ، بينما النحل الأخرى التى لاتعترف بدين سماوى ، لا يجابهونها مثل الإسلام وهى لاتكن احتراماً للوحى فى عمومته والإسلام يضع عيسى عليه السلام فى مكانته الساميه ويؤمن أتباع الإسلام بأنه نبي من المقربين ، وغالب اعتقادى أن القوم يعلمون حقيقة الإسلام ، وصدق رسالة محمد " عليه الصلاة والسلام " وإنهم يخشون فقد مناصبهم ، والعدد الذى لا ينقطع من المال ومعظمهم من كاز الدرهم والدينار ، ومن أجل هذا يحاربون الإسلام ، ويحجبون الحقائق عن أقوامهم والله عز وجل يقول فى القرآن الكريم : (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٢) وهذا الفريق الذى

(١) الوثيقة الإسلام الخطر ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٦ .

قال الله تبارك وتعالى في حقه : "(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . . . يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فيشربهم بعذاب أليم)". (١)

الغرض من المؤتمر :

أعلنت عن هدف المؤتمر "مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية" التى تصدر منذ شهر فبراير سنة ١٩١١م ، وكان المتولى لإدارتها فى ذلك الحين القس "زويمر" فنشر مقالا للمستر "تشارلس واطسون" تحت عنوان "العالم الإسلامى" قال فيها : إن مسن الخطأ الحكم على مؤتمر "أدنبرج" بأنه لم يهتم بالمسائل الإسلامية ، لأن الغاية من عقد هذا المؤتمر هى البحث فى مسائل العالم الخارجى عن النصرانية ، وإهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين فى أعمالهم ، وإن نظرة واحدة توجه إلى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الخط الكبير الذى كان للمسائل الإسلامية من أعمال المؤتمر فقد كان المؤتمر مؤلفا من ثمان لجان ، اختصت الأولى والرابعة منها بالتوسع فى بحث المسألة الإسلامية أما مهمة اللجنة الأولى فهى أن تبحث فى مسائل إسلامية من الوجهة الخارجية وفى إيجاد ميدان عام مشترك لأعمال المبشرين ، واختيار خطة "الهجوم" و "الغارة" ، وتقرير هذه اللجنة يتضمن إحصاء متعلقا بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم فى كل قطر .

وأورد الإحصاء الخاص بعدد المسلمين أن عدد مسلمى ماليزيا والهند يسزداد يوما بعد يوم ، واتضح أن لجنة المبشرين خصصت جزء من خمسة أجزاء من أعمالهم على تبشير المسلمين هناك ، وهذه اللجنة لها فروع تبحث فى حال الإسلام فى الشرق الأدنى وآسيا الوسطى .

وجاء فى تقرير اللجنة عن حالة الإسلام فى أفريقيا أن الموقف فيها صار حرجيا لسرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع فى الشمال ومعاقلته التى فى السواحل إلى الجنوب والغرب الإفريقى (٢) أما الشرق الإفريقى فإن الأسقف "بيل" قد كفاهم مهمة وضـمـع

(١) سورة التوبة الآيات ٣٢ - ٣٤ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٤٣ - ٤٤ باختصار .

خطط له • بأن وضع نقاطه الكفيلة بالسيطرة التبشيرية الإستعمارية على العالم الإسلامى
وهى :

١ - " أن أى حكومة مسيحية يجب ألا تعتبر الديانة المسيحية كواحدة من كثير
• بل الديانة الوحيدة التى تتميز بأنها الأسى • وبينما لا تظهر تحيزا فى المحاكم
أو الإدارة • فعلى الحكومة المسيحية أن تجعل كل الشعب يشعر أن الأشخاص ذوى
التعليم للديانة المسيحية ذوى قدر عظيم فى المناصب والحكم فى كل الفروع وأن تستفصل
مثل ذلك فى الأفضلية حيثما تستطيع، والألمان يفعلون هذا "

أهست هذه الكلمات تحديًا لهذا المؤتمر العظيم لكى يحمل وجهة النظر
هذه بطريقة جادة محددة أمام الحكومات الثلاث المهتمة بإدارة شرق إفريقيا ؟

٢ - " أن تحتل بقوة كل قاعدة أو مركز استراتيجى (من الجزر الإسلامى
من شرق إفريقيا) • لكى تخضعه للمراقبة " •

وهذا يتطلب نفس التعاون الوثيق فى الساحل الشرقى الذى طالما تقنا إليه
فى الغرب •

٣ - " أن تقدم تربية صحيحة من الأدنى إلى الأعلى فى الأماكن المتناهية • مع
تعليم الكتاب المقدس مفتوحا للجميع ولكن ليس إلزاميا • وهكذا فحسب يستطيع كثير من
أبناء المسلمين أن يظلوا على اتصال بالمعلمين وتحت التأثير التنويرى • (١)

مؤتمر " أدنبرج " من واقع " مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية "

أما مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية التى تصدر فى بلدة " بال " فى " سويسرا "
فقد نشرت سلسلة مقالات عن تقارير اللجنيتين السابعة والثامنة من لجان مؤتمر " أدنبرج "
وهذه السلسلة من المقالات تكلمة لما نشرته مجلة " العالم الإسلامى " الإنجليزى •

وهى مكتوبة بقلم الأستاذ " شلتار " صاحب التقرير المقدم إلى مؤتمر " أدنبرج "
عن ضرورة الوسائل لتوحيد أعمال التبشير ومن قوله :

إن مسألة توحيد أعمال التبشير من أهم ما ينبغي للإرساليات على وجه العموم
العناية به مادامت النصرانية لم تنتشر إلا بين ثلث بنى الإنسان • وبالتالى مادام أمام
النصرانية عمل جسيم يجب أن تتمه • إذ من المحقق أن الأمم السجاسة التى لاتدين

بالنصرانية قد أخذت تتدرج إلى الأعمال التاريخية • وسيقوم بينها وبين المنتهين إلى السى الإنجيل نزاع ومعارك عديدة •

لذلك ينبغي للمبشرين أن يتضافروا ويتعاونوا لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفوقون • وهنا استشهد بحوادث إشتراك المبشرين في القليبيين وكوريا بالعمل لها فأدت إلى النجاح • (١)

وهم بهذه الصورة يدركون أن وحدة العمل ستكون القوة الدافعة • للممسـل التنصيري بين المسلمين والأساس الثمين لنجاح خططهم الماكرة في القضاء على المسلمين أو نصف الإسمين الإسلامى كما يقولون ومن أجل تحقيق هدفهم كانت نتائج مؤتمر أدنبرج " موضع تنفيذ وعناية •

نتائج مؤتمر " أدنبرج " :

قرر انتهاء مؤتمر " أدنبرج " واصلت اللجنة المختصة تنفيذ الأعمال فلم تكسـن قرارات المؤتمر حبراً على ورق • وإنما كانت أقوالاً نالت نصيبها من الأعمال على أرض الواقع • وعانى العالم الإسلامى من آثارها الأمرين وما يزال يبشر كتاب " الغارة على العالم الإسلامى " بأن كل لجنة نفذت الأعمال المنوطة بها •

ولذا قام بعض فروع اللجنة بعمل الإحصائيات • ومعضها بالمطبوعات • والمنشورات والبعض للتربية والتعليم والآخر لحسم المشاكل بين المبشرين أو لدرس علاقات المبشرين بالحكومات • وعينوا أيضاً فرعاً من اللجنة لاكتشاف العقبات التى تحول دون تشـير التبشير بين المسلمين •

وفي مايو سنة ١٩١١م اجتمعت لجنة مواصلة أعمال المؤتمر وبحث في طرائق التربية والتعليم التى ينبغي لمبشرى المسلمين إتباعها وقررت أن تنتهز الفرص وتنتفع بالظسروف السانحة وأن تنشر مجلة مختلطة تصدر سنة ١٩١٢م مرة كل ثلاثة أشهر (٢) ومن واقسع النتائج المذكورة ظهر لنا أن المبشرين في سميهم دائبون وعن أعمالهم لا ينامون ونسى طريقهم التنصيري سائرون •

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٤٦ •

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ •

مؤتمر لكهنو بالهند سنة ١٩١١م:

يعتبر هذا المؤتمر ثانى المؤتمرات التبشيرية العامة لأنهم يرون أن مؤتمر القاهرة المنعقد سنة ١٩٠٦م مؤتمر خاص بالرغم من أهميته ودوره .

وقد انعقدت جلسات المؤتمر فى ساحة مدرسة " ايزا بلاثويون " البروتستانتية الخاصة بالبنات وبدأت يوم ٢١ وامدت إلى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١م وتعتبر جلسات افتتاحية ، وذكر الأستاذ محمد محمود الصواف الوصف التفصيلى لرئيس المؤتمر وعمدو الذين ساهموا فى قراراته ، وحددوا برامجه وأعماله فيقول :

وشارك فيه ١٦٨ مائه وثمانية وستون مندوبا وشثلون عن ٥٤ جمعية تبشيرية بلغوا ١١٣ مائة وثلاثة عشر عضوا وكان رئيس هذا المؤتمر القسيس " زويمر " وهو مسن أعلام التبشير وكانوا يلقبونه " بالرسول المختار إلى العالم الإسلامى " ويريدون بذلك أنه تكفل أمام جماعات التبشير بتحويل العالم الإسلامى عن عقيدته ! .

وقد بلغ الخامسة والثمانين ومات سنة ١٩٥٢م ولم يؤثر على مسلم واحد وبحولته من دينه إلى النصرانية ، وكان رئيسا للمبشرين فى الشرق وقد خطب فى هذا المؤتمر ودعا إلى البحث عن الوسائل التى يمكن بها مقاومة الإسلام ، وعرقلة سيره . (١)

وقد ذكر محرروا " المجلة الفرنسية " التى عرضت فى مقدمتها ملخصا مختصرا عن المؤتمر أنهم طلبوا من القسيس " زويمر " أن يوافيهم بملخص أعمال المؤتمر أثناء انعقاده فأجابهم إلى ما طلبوا وأرسل مجموعة تحتوى أبحاث المبشرين فى ذلك المؤتمر . (٢) وهى قليل من كثير حجب عن الرأى العام لأن عليهم فى غالبه يحاك فى الظلام .

برنامج مؤتمر " لكهنو " بالهند

ألقى المشتركون نظرة على العالم الإسلامى ، وتتبعوا الحوادث فى كل أقطاره وأكدوا تمسك المسلمين بدينهم ، ورأوا أن الأقليات الإسلامية فى البلاد الشيوعية تحاول جهد الطاقة فى بعث الدين الإسلامى من جديد ، فقرروا مواجهة هذه الأمور بكل حزم وسأنقل الأمور التى وضعوها للبحث وهى :

أولها : درس الحالة الحاضرة

ثانيها : استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائى

(١) المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٥٢ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٥٢ .

ثالثها : إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

أما مواد البرنامج المقدمة والمستخلصة من خطب وتقارير المجتمعين فهي :
الأولى : النظر في حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها وبين
تنصير المسلمين .

الثانية : النظر في الانقلابات السياسية في العالم الإسلامي وعلاقتها بالإسلام ، ومركز
المبشرين المسيحيين فيها .

الثالثة : موقف الحكومات إزاء إرساليات تبشير المسلمين .

الرابعة : الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .

الخامسة : تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة لذلك
والبحث في الدروس الاعدادية ودروس التبشير وتأليف الكتب للمبشرين ، وللقراء المسلمين

السادسة : حركات الإصلاح الديني والاجتماعي .

السابعة : الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات .

الثامنة : الأعمال النسائية .

التاسعة : القرارات العلمية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات .^(١)

مقتطفات من خطبة " زويمر " في المؤتمر

افتتح القس " زويمر " مؤتمر لكتوبخطبه أتيقة تكلم فيها عن المسائل الإسلامية
 التي يتناقش بها الأعضاء ، فقسم خطبته إلى أربعة أقسام :
الأول : الإحصاءات الإسلامية .

الثاني : حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها .

الثالث : ما طرأ على الإسلام بعد مؤتمر القاهرة من الانقلابات السياسية والفكرية .

الرابع : الخطة التي اتبعتها كنائس أوربا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة .^(٢)

١ - الإحصاءات الإسلامية :

بعد أن يعطى القس " زويمر " إحصاءات عديدة عن جل البلاد الإسلامية ينقل عن
 كتاب (الهند وحياتها وأفكارها) للدكتور " جونز " قوله : ولا تخلو بلدة في آسيا وأفريقيا
 من سكان مسلمين وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم في بعض البلاد إلا أن هذه

(١) المرجع السابق ص ٥٢ ٥٤ ، حقائق عن التبشير عماد شرف ص ٣٧ ٣٨ ط (١) مطبعة

أطلس بالقاهرة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص ٥٤ .

الأقلية في نمو مستمر . (١)

وضع تقييماً للإسلام ، في بعض بلدان شرق آسيا فبرى أن الإسلام في إندونيسيا قد ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الإسلامية - في جاوة - وكثرة طبع القرآن الكريم ، وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين وما زال الوطنيون يدخلون في الإسلام إلى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجاً . (٢)

وتطرق في الحديث إلى " أمريكا " كبلد بها أقلية مسلمة ، فأخبر أن عسود المسلمين بها لا يستهان به ، فهو لم يكتف بالتبشير في بلاد الإسلام بل يحذر من وجود مسلمين في البلاد الغربية .

٣٥٢ - حالة المسلمين السياسية ، وما طرأ عليها من انقلابات : ينتقل " زيمر " إلى القسم الثاني من خطابه ، مركزاً الحديث حول اتجاهين في أسلوب ينم عن الترميم :
أ - الاتجاه السياسي :

وفي أثناء عرضه لم يخف " زيمر " ما في نفسه من ناحية الخلافة الإسلامية فشكر الله على حدوث الانقلابات في بلاد المسلمين ، واعتبر غزل السلطان " عبد الحميد " وسجنه في سلاطيك ، وإطلاق سراح التجول للمبشرين في دولة الخلافة بعد تنزيقها عصراً جديداً في تاريخ آسيا الغربية وإفريقيا الشمالية .

واعتبر أيضاً التدخل الاستعماري إنتقالاً للسلطة السياسية من يد الخلافة إلى يد الدول المستعمرة ، ولذا احتل مسؤولية التبشير وتنصير العالم الإسلامي ، حكام وبلشوك النصاري ، ووضعها أمانة في أعناقهم ، وباله من تبجح بلغ قمته ، فلم يكتف من حكام الاستعمار بما يصنعون ببلاد المسلمين ، بل صاهم أن يعملوا جهدهم لتغيير ديانة البلاد . (٣)

ب - الاتجاه الاجتماعي :

في الناحية الاجتماعية لبلاد الإسلام ، جوانب تتسم بالرقى وتستحق الدراسة والتقييم كظاهرة التدين وأثرها على الأفراد والأمم وظهور بوادر صحوتها منذ القرن التاسع عشر ، وكبروز الجوانب الأخلاقية في المسلمين ، وكلها أمور هامة ، جديرة

(١) المرجع السابق ص ٥٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ . يتصرف (الإسلام في وجه التغريب - مخططات الاستشراق

والتبشير) أنسور الجندی ص ٢٥٢ .

بإشادة الباحث بها ، لكن " زويمر " كعادته يتحدث عن بعض الجوانب الإصلاحية بأسلوبه ثم يحاول إثارة قومه لاستيعاب هذه الجوانب قبل إكمالها ، ومحاولة إجهادها ولذا نراه يقول في خطابه إن الإسلام الآن (أى وقتها) يتسم بثلاث نهضات إصلاحية:

الأولى : إصلاح الطرق الصوفية .

الثانية : تقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية .

الثالثة : إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب معقول .

وهو يرى أن هذا حدث نتيجة تغيير في الإسلام ، والإسلام في الحقيقة دين كامل صالح لكل زمان ومكان ، لا يتغير بالأفكار ، والحضارات وإنما يُغير الأفكار ويصنع الحضارة الراقية .

وحين يعود " زويمر " إلى مايسميه بالانقلابات الاجتماعية في العالم الإسلامي يولد التناقض فيه ، فيقول : في العالم الإسلامي الآن حركتان متناقضتان : يحمل لواء الحركة الأولى رجال الصوفية والمشايخ في اليمن والصومال والبوادي ، وشعارهم الرجوع إلى التعاليم المحمدية .(*)

والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الإصلاح ومبشرو الإسلام في مصر والهند وجاوة ، وفارس ، وهؤلاء يبنون أساسهم على رسم الطرق المعقولة .

ولم ينس ما تناولته الصحف المنتشرة في بلاد الإسلام من موضوع الحجاب ، وتعدد الزوجات ، وخرج من ذلك باستنتاج غريب ألا وهو اختلاف " وحدة الأفكار في الإسلام " ولو قال اختلافا عند المسلمين لكان قوله مستساغا بعض الشيء .

ثم يتساءل عما إذا كان المسلم يمكنه الاحتفاظ بمبادئ القرآن الكريم وتعاليمه مع مجاراته لتيارات الحضارة الوافدة عليه ، وهل التقدم الإجتماعي والعقلي المجرد من كل صبغة دينية كافيا لسد الحاجة الروحية في الملايين من المسلمين .

أو أن العالم الإسلامي رجاله ونساءه ينهض من كبوته ليتسلق معالم المجد الذي أبقاه على الأرض يسوع المسيح ابن الله ؟ .(١)

(*) اصطلاح يطلقه المستشرقون ، ومن على شاكلتهم والإسلام لا يقره ، والأصح التعاليم الإسلامية .

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص ٥٨ يتصرف .

خطة الكنائس بعد مؤتمر القاهرة

ذكر " زهير " فى القسم الرابع من خطابه : الخطة التى اتبعتها كنائس أورسا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة فأشار إلى أن المؤتمر كان فاتحة عصر جديد ، لتنصير المسلمين وذلك لأنه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مهيلة ونسبية ، وحث الرجل رجال الكنيسة على وصف أعمال المبشرين فى بلاد الإسلام ، واستنجد بالكنائس واستصرخها فخاضت الجرائد والمجلات فى مسألة الانقلاب العثمانى ، والانقلاب الفارسى ، والنهضة المصرية ، وحركة الجامعة الإسلامية ومكانها من الحالة السياسية الحاضرة ، وكل هذه المعلومات الستى نشرتها الجرائد والمجلات أبانت عما يجب أن تعمله الحركة التبشيرية فى العالم الإسلامى ثم حضر على تأليف الكتب الخاصة ببلاد الإسلام ، فسنفها الكتب التى تشرح عسادات المسلمين وتوضح حالتهم مثل كتاب (الشرق الأدنى والشرق الأقصى) وكتاب (لأخواتنا المسلمات) وكتاب (العالم الإسلامى) وكتب المبشرون فى هذه المدة العديد من الكتب منها : كتاب (دين الإسلام) و (الشعائر الدينية الإسلامية) و (الإسلام والنصرانية فى الهند والشرق الأقصى) ، و (صليبيو القرن العشرين) ، و (مصر والحرب الصليبية) و (الإسلام فى الصين) .

وفى نهاية خطابه قال " زهير " :

إذا نظرنا إلى البلاد التى يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا وإلى البلاد التى يشهدها بحكمه إياها يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هى رمز لعنصر مسمى المعضلة الكبرى فالمغرب الأقصى فى الإسلام مثال الانحطاط ، وفارس مثال للإتحلال وجزيرة العرب مثال للركود ، ومصر مثال لمجهودات الإصلاح والصين مثال للإهمال وجاوة مثال للتغيير والانقلاب ، والهند مركز التحكك بالإسلام ، وإفريقيا الوسطى مكان الخطر الإسلامى ، والإسلام يحتاج قبل كل شئ إلى المسيح فهو الذى يرسل أشعة النور إلى المغرب ، ويعيد الوحدة لفارس والحياة لجزيرة العرب ، والنهضة لمصر ويرسل إلى الصين ما أهمله الإسلام فيها ، وهو الذى يُبقى لأهالى ماليزيا بلادهم ، ويرسل الخطر العظيم من إفريقيا . (١)

وهذا ما رآه البشر " زهير " فى هذه الحقبة من التاريخ وأعتقد أن الوضع قد

تغير إلى حد ما .

الجامعة الإسلامية من وجهة النظر التبشيرية

إففتح القوم مؤتمراً بأهم المسائل ، وهى مسألة الجامعة الإسلامية ، فهم يبحثون عما إذا كان من الممكن تكوين الدول الإسلامية فى وحدة واحدة أم لا .

ولذا حاز هذا الموضوع أكبر قدر من بحوثهم ، فقد طرحت ثلاثة تقارير خاصة بالجامعة الإسلامية من وجهة النظر التبشيرية :

الأول : تقرير القس " نلسن " عن حركة الجامعة الإسلامية فى السلطنة العثمانية

والذى قال فيه : إن حركة هذه الجامعة قد ضعفت جداً بعد خلع " السلطان عبد الحميد " وبالرغم من هذا لاتزال روح التضامن ملازمة للإسلام وهى سائدة بين مسلمى " سوريا " الى درجة تدعو للتبصر فى علاقتها بزعماء الفكرة الإسلامية^(١) ، وهو صادق فرباط الإسلام بين المسلمين حتى وبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو شعور يجعل المسلم فى أى مكان يتألم لأخيه المسلم ، ولا يتأثر هذا الرباط بحكام ثم هو مخطئ حين يزعم أنه من المستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حتى حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين ، والشيعة معا ويضم الأتراك والفرس ، والهنود إلى العرب ليكافحوا يدا واحدة على اتفاق وثقة متبادلة .

الثانى : تقرير القس (ورنز) عن الجامعة الإسلامية والخصه فى الآتى :

١ - إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين ، والنفرة من كل شئ غير إسلامى .

٢ - يرى أن التجارة فى النيجر وتشاد بيد القبائل الإسلامية وأن التاجر المسلم يبت فى هؤلاء المواطنين مع بضاعته دينه الإسلامى وحضارته الراقية .

٣ - الإستعمار يسلب الأمراء المسلمين سلطتهم السياسية ولكنه يزيد الإسلام نفوساً فيها .

٤ - أشار إلى تقدم الإسلام فى إفريقيا ، وتساءل عما إذا كان هناك عمل مرتب ويد عاملة على نشره أم أنه ينتشر بطبعه ؟

٥ - تكلم عن الأزهر ونظر إليه على أنه ليس معهداً تبشيراً كما هى مدارس اللاهوت فى أوروبا .

٦ - أشار إلى الدعوة المهدوية ووصف رجالها بأنهم مبشرون مسلمون وأخبر أنهم يشيرون الفتن والقتل^(٢) .

(١) يراجع (الإسلام فى وجه التغريب مخططات الاستشراق والتبشير ص ٢٥٤) الغارة على العالم الإسلامى ص ٦٠ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٦١ ، ٦٢ باختصار .

وهذا أمر يدعو إلى الدهشة ، فهم بالرغم من ابتهاجهم لتفريق المسلمين ودعوتهم إلى الإباحية ، وترك أخلاق الإسلام وتمجيدهم للإستعمار وسلوكه العدواني يعتسبـرون أنفسهم دعاة أمن وأمان ونظام ، بينما الدعاة من المسلمين الذين يأمرّون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويأمرّون الإنسان بأن لا يظلم أحداً ، يتهمونهم باختلاق الفتن ولعل المسلمين يقطنون لذلك ، فيدعمون دعوتهم بالقوة فقوتهم كلها عدل ورحمة تخرس الباطل وتنصر المظلوم وتردع الظالم .

أما التقرير الثالث : عن حركة الجامعة الإسلامية في ماليزيا فقد ورد على لسان القس "سيمون" ، حيث تلا في المؤتمر ما اختصاره :

— يجب أن لاننسى ارتباط الإسلام في الهند " بمكة " فهذا الارتباط يدعو سكان جزائر ماليزيا " إلى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير ، وأن سلطة النصارى عليهم شيء مؤقت .

— يحاول أن يزرع اليأس في قلوب المسلمين بالعودة إلى الوحدة فيقول مسـن العيث أن بينى هؤلاء المسلمون آمالهم على الجامعة الإسلامية لأن التربية النصرانية قد أثبتت في دمائهم وذلك بفضل مدارس التبشير ، وحماية حكومة " هولندا " لأصول الدين النصرانى .^(١)

— في الوقت نفسه يبعث روح الأمل في البشرين المسيحيين بقوله : إنَّ العالم الذى جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذى يضره سكان البلاد الفاتحين الأوربيين ولكن المحبة التى تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبى .^(٢)

خلاصة قرارات مؤتمر " لكتو " :

- دونت هذه الخلاصة في محضر جلسات المؤتمر والتى يمكن تلخيصها فى الآتى :
- ١- يعقد المؤتمر مرة أخرى فى " القاهرة " سنة ١٩١٦م وإذا طرأت هناك سياسة أو أمور أخرى تحول دون إجتماعه فى هذه المدينة فيعقد فى " لندن " .
- ٢- يوافق مؤتمر لكتو ، مؤتمر أدنبرج الذى عقد سنة ١٩١٠ على ضرورة حضر الساعى فى القارة الافريقية دون التقصير فى حق الساعى المهدولة للتبشير فى البلاد الأخرى .
- ٣- حث الجمعيات التبشيرية على التكاتف والتساند لكى تطوف كل أفريقية وتوسـس مراكز قوية فى الأماكن التى تمد موطن الخطر .

(١) المرجع السابق ص ٦٢ بتصرف .

(٢) الإسلام فى وجه التخريب مخططات الاستشراق والتبشير ص ٢٥٤ .

- ٤ - تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير تكون عامة لكل الفرق البروتستانتية .
- ٥ - انتقاء المبشرين الأكفاء المتأهلين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ، ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص ثم تاريخ الدين الإسلامي ، وأهم المؤلفات التي تتعلق به .
- ٦ - جعل أعضاء المؤتمر يتحملون مسئولية دراسة أدوار تقدم الإسلام في إفريقيا وجزائر الملايو ليكون بحثها أساسا للمناقشات في المؤتمر المقبل .
- ٧ - حض المبشرين والمبشرات على الاحتكاك بالرجال والنساء عند قيامهم بأعمالهم التبشيرية .

٨ - اختتم المؤتمر قراراته مستنهما همة الكنائس التبشيرية في الهند^(١) لإرسال قسم من المبشرين الموجودين لديها حتى يشدوا أزر المبشرين في إفريقيا .

المؤتمر الافخارستي لسنة ١٩٣١م

لهذا المؤتمر مناسبة خاصة ، فقد أراد " البابا " أن يستغل الدين لا بعبء الحدود ، فانتهاز فرصة إحياء ذكرى أحد القديسين البرابرة ، للدعوة إليه وهذا ماوضحه الأستاذان د / مصطفى خالدي ، د / عمر فروخ :

في عام ١٩٣٠م أراد " البابا " أن يقيم عيداً لمناسبة مرور ألف وستمائة سنة على موت " القديس أغسطينوس " ولكنه أراد أن يكون لهذا العيد طابع خاص فاختار أن يدعو إلى مؤتمر افخارستي في مدينة قرطاج (قرب تونس) ، لأن " القديس أغسطينوس " كان من البربر ، ومن تلك الناحية بتونس^(٢) ، وتونس يومذاك كانت مستعمرة قبل فرنسا وقد أجهزت على انعقاد المؤتمر بأرضها وهي البلد المسلم ، كما أرغبت على أن تدفع من خزائنها الشهية مليونين من الفرنكات يوم كان الفرنك يساوي قرشا من الذهب ، كما ارتكب أعضاء المؤتمر من الحوادث ما يثير مشاعر المسلمين ، فقد تجولوا في المدينة بزيهم الرسمي في شبه استعراض أثار مشاعر المسلمين ، وصلت ذروة الإسفاف نهايتها حين أجهزت فرنسا ، أهل البلاد على السماح بوضع الأسرة في المساجد ليرقد عليها الرهبان الذين جاءوا من مختلف الأقطار لحضور المؤتمر الصليبي في وطن المسلمين ولما اعترض الشباب الغيور على الدين ، على هذه التصرفات الإستغزازية كان مصيرهم السجن كما حكس

(١) يراجع الفارة على العالم الإسلامي ص ٧٤ ، ٧٥ بتصرف .

(٢) التبشير والإستعمار في البلاد العربية ص ١٥٧ بتصرف .

كاتب مسيحي فرنسي ونقله عنه صاحب كتاب التبشير والإستعمار في البلاد العربية :
ولما أراد بعض الشباب التونسيين أن يحتجوا على هذه الأعمال المنافية لكسبل
ذوق فوق ما فيها من تحد للشعور الديني والقوم والإنساني * لم تتورع فرنسا عن أن تقبض
على هؤلاء * وتزجهم في السجون لتنتج للمؤتمر الافخارستي أن ينعقد بكل صخب استعماري
في جو من الهدوء . (١)

مؤتمر لوزان لتنصير العالم عام ١٩٢٤م

هذا المؤتمر كان بمثابة إعداد محكم لمؤتمر سيأتي بعده يقطع الطريق على
المسلمين * فدبر له بليل * وهي * له المناخ المناصب يقول الدكتور / عبد الودود شلبي
في عام ١٩٢٤م عقدت الكنائس البروتستانتية مؤتمرا في مدينة " لوزان " بسويسرا
وانفقوا في هذا المؤتمر على أن المسلمين يشكلون أكبر مجموعة بشرية * يجب أن تتجسد
إليها جهود التبشير ولقد تماهوا في هذا المؤتمر : لماذا لم يتم حتى الآن تنصير
المسلمين كما يجب وبصورة أحسن . (٢)

ومنذ اللحظات الأولى لفكرة المؤتمر * كان الإعداد الدقيق والتوجيه الحاسم فكما
ذكر : تولى المركز المالي للأبحاث والتبشير في كاليفورنيا عبء تقديم التمويل والمكاناسب
والأشخاص اللازمين للإعداد للمؤتمر والتأكد من تهيئة عوامل النجاح له * وكان القرار
أن لا يكون المؤتمر خطابيا ولا مؤتمرا أبحاث فحسب بل على حد تعبير الوثيقة المرفقة
" مؤتمرا عمليا تنفيذيا يغير سير التاريخ ووجهته " .

لاعلى غرار المؤتمرات الأخرى تجتمع " فنانقش وتصدر التوصيات ثم لاتعد وأن تنفذ " . (٣)
وكان رأس الحرية - كما يقال - في هذا المؤتمر " دون * هك كرى " وهو بروتستانتي المذهب
عمل مبشرا في باكستان لمدة عشرين عاما وهو أحد طلبة مدرسة " فلر " للتبشير العالمي
وقد عرض اقتراحا على الأعضاء * مقدا من الدكتور بييسر واجنر عن مدرسة " فلر " المذكورة
خلاصته : الدعوة إلى مؤتمر أوسع يعقد في أمريكا باسم " مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير
المسلمين " . (٤)

(١) ص ١٥٨ .

(٢) أفيقوا أيها المسلمون ! ! قبل أن تدفعوا الجزية ص ٨٢ .

(٣) مجلة الأمة الإسلامية ص ٨٦ من مقال بعنوان (بروتوكولات حكما كولوراد و لهيئة التحرير
العدد الثالث - السنة الأولى) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

(٤) أفيقوا أيها المسلمون ! ! قبل أن تدفعوا الجزية ص ٨٢ .

* مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين *

أعد القوم لهذا المؤتمر من الأمور بما لم يعهد فيها سبق من المؤتمرات التبشيرية فقد عرضوا أربعين بحثاً خاصة بالمؤتمر ، ولم يسمح بالاشتراك في المؤتمر إلا لمن قرأها وأبدى رأيه كتابة في كل منها ، وقدمه للجنة المشرفة على المؤتمر ، لتبسيدي رأيها ، وبعد دراسة الآراء وتحديد الأعضاء بدقة عقد المؤتمر في ولاية " كولورادو " من الولايات المتحدة الأمريكية ، وحضره ١٥٠ مائة وخمسون عضواً ، يمثلون أنشط العناصر التبشيرية في الجامعات والكنائس والمؤسسات البروتستانتية .

واجتهد في تكتم أخبار المؤتمر ، فلم يسمح للإعلام والإعلان بمعرفة ما يجري داخله من تخطيط ، فلم يتسرب من أنبائه إلا القليل ما سنذكره منقولا عن مجلة الأمة :

- عقد المؤتمر في ١٥/١٠/١٩٢٨م واستمر أكثر من أسبوعين وعلى غير عادة المؤتمرات الأخرى ، وكان هذا المؤتمر مغلقاً لم يسمح لغير المشتركين بحضور أيّ جلسة من جلساته والاسم الرسمي للمؤتمر هو " مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين " .

- قدم في المؤتمر أربعون بحثاً غطت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامي دون استثناء بما في ذلك الأقليات المسلمة .

- وضعت استراتيجية شاملة ذات أهداف محددة يتم تنفيذها في أوقات زمنية محددة في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي هدفها تنصير المسلمين ، وتحريص عقيدتهم ، وتغيير الأنظمة الاجتماعية والسياسية في بلدانهم ، وأشار الكتاب إلى أن هذه الاستراتيجية ستبقى سرية لخطورتها .

- يقول الكاتب لقد قدر لي أن أسمع من أحد الذين شاركوا في المؤتمر عن بعض جوانب الإعداد ومستوى الجدية التي يتسم هؤلاء القوم بها في تنفيذ ما يؤمنون به ، حيث أنهم وضعوا ميزانية مقدارها ألف مليون دولار لهذا الغرض وقد تم جمع هذا المبلغ .

- بقرار من هذا المؤتمر تم إنشاء معهد " صموئيل زويمر " و " دار للدراسات والنشر " مختصة بقضايا تنصير المسلمين ، وكلاهما في ولاية كاليفورنيا .

- لقد بدى في إصدار عدد من الكتب والنشرات بواسطة هاتين المؤسستين وكذلك بعقد دورات تدريبية وإعداد المشرّين وتأهيلهم لمهمتهم كل بما يتناسب مع المنطقة التي سيعمل فيها) . (١)

(١) مجلة الأمة : (العدد الثالث - السنة الأولى) من مقال بروتوكولات حكماء كولورادو ص ٨٦ .

بحوث المؤتمر :

علمت أن أعضاء " مؤتمر كلورادو " تدارسوا أربعين بحثاً تبشيرية شملت الجوانب النظرية والعملية ، وفي شبه دراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامي دون استثناء ، وكما ذكر الدكتور / عبد الودود شلبي : شملت بحوثهم الأقليات المسلمة ، حتى هؤلاء المسلمين الموجودين في أمريكا وفي جميع أوربا ، ويظهر أثر هذه الغارة التبشيرية على الأقليات الموجودة بالعالم الغربي ما أعلنته قيادات المنظمة العالمية للتبشير عن بدء خطة دقيقة للعمل ضد الإسلام في أوربا وفي غمر ديار المسلمين وأسشير إلى بعض الكلام المصريح به مكتفياً بما قيل حول المسلمين المقيمين بالخارج في هذا الموضوع قال " روى جورج " رئيس المنظمة إنه ينبغي عدم الإكثاف بالدعوة ضد الإسلام في ديار المسلمين ، وإنما ينبغي محاربة الإسلام في نفوس المسلمين المقيمين في أوربا ، ففي أوربا الغربية وحدها ١٠ ملايين مسلم يعيش نصفهم في كل من بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا الغربية لابد من العمل بينهم ، ومضى يقول :

إن الفرصة كبيرة لنجاح الخطة حيث أن العشرة ملايين مسلم المقيمين في المجتمع الغربي المسيحي يسهل التأثير فيهم عن طريق المفتاح المحررى ! وقال : إن هذا المفتاح المحررى يتكون من كلمتين هما : الوحدة ، والكرم فلا بد من فتح الصدور والبيوت للإقتراب من هؤلاء الذين يعانون من العزلة ، والوحدة وانعدام الإتصال بينهم وبين شعوب البلاد التي يقيمون فيها ، وبالتدرج نبدأ في دعوتهم للخروج من الإسلام !

ومضى " روى جورج " في كلمته التي ألقاها في جماهير المبشرين قائلاً : إنه ينبغي على دول أخرى أن تتحمل الجزء الأكبر من أعباء الخطة حيث أن المسلمين لا يثقون بالفرنسيين أو الإنجليز لظروف نفسية تتعلق بسنوات الاحتلال .

واختتم كلمته بقوله : إن العشرة ملايين مسلم المقيمين في أوربا هدية بعثها الله لنا ، وما علينا إلا أن نقبلها ونعمل بينهم ، ولتحقيق هذه الرسالة فإن منظمة المبشرين الدولية التي اشترت مقرًا لتدريب الدعاة في مقاطعة (كنت) بجنوب بريطانيا على استعداد لعقد الدورات التدريبية للكوادر الصغيرة لتعليمها أفضل وسائل العمل . (١)

(١) المسلمون : تحقيقات بعنوان (استنفار تبشيري في أوربا - خطة لتنصير ١٠ ملايين عرب يعيشون في الخارج ٠٠) ص ١ (السنة الأولى - العدد الحادي عشر) ٣٠ رجب ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥/٤/٢٠ م باختصار بعض المبارات والمقاطع .

وتتسع نظرة أحد زعماء التبشير وهو " ريتشارد وويراند " لتشمل المسلمين الموجدين في روسيا ، فيدعوا الإعلام الغربي لبحث تعاليم الإنجيل بينهم ، ويشير إلى أماكن تجمعات الشباب المسلم في بعض بلدان الغرب ، لاستغلالها في تنصير المسلمين وهذا حديثه :

ولا ينسى المبشرون مسلمي آسيا الوسطى الخاضعة للنفوذ السوفيتي ويحاول إعلام البعثات التبشيرية أن يصل إلى هؤلاء المسلمين وخاصة التتر منهم ، أما بشأن الإعتداء السوفيتي على أفغانستان فإن W.C.C أظهروا أنهم عاجزون عن معالجة الموقف في " فانكوفر " في العام الماضي .

وفي ألمانيا الغربية : تعتبر منطقة كروزبرج في " برلين " مقرا للطبقة العاملة ويقطنها حوالي ١٥٠ ر ٠٠٠ منهم ٤٠ ر ٠٠٠ من الأجانب بينهم ٣٠ ر ٠٠٠ من الأتراك والمهاجرين الأتراك المسلمين .

وهناك عدد من الأبرشيات تساهم في العمل من أجل المسلمين فبعض الكنائس تفتح دور حضانة للأطفال وفي بعض هذه الدور ثلث الأولاد الذين تأوهم من المسلمين .

وقد عينت الكنيسة في ثلاثة من هذه الدور معلمين مسلمين كما اهتمت الكنيسة في كروزبرج بنشاطات الشباب وبعض الكنائس تشرف على أندية للشباب يأتي إليها الشباب المسلمون بعد انصرافهم من مدارسهم ولم تقبل بعض الجهات الكنسية أن تعين موظفين مسلمين في هذه الأندية . (١)

وهكذا كان " مؤتمر كلورادو " مؤشرا جديدا للتبشير الصليبي في لونه الخادع والذي ظاهره المودة ، والكرم ، وباطنه اضطهاد شباب الإسلام ، من أماكن تجمعاتهم ، ونقاط التقائهم في أماكن الغربة ، ومن منهم يخلو من مشاكل ؟ وكثير من أزماتهم مصطنعة ومشكلة لهم بطريقة إعداد محكمة ، لإيقاعهم في شباك النصرانية الغربية ، ولذا كسان المؤتمر المذكور علامة بارزة لوضع النقط على الحروف فتعددت مجالات دراساته والسنن سأنقلها من كتاب (أنيقوا أيها المسلمون !! قبل أن تدفعوا الجزية) .

١ - جوانب نظرية :

فمن الدراسات التي تناولت الجوانب النظرية والعملية :

- ١ - الإنجيل والثقافة .
- ٢ - التبليغ الشامل للإنجيل وتقديمه للمسلمين .

(١) المرجع السابق ص ٧ .

- ٣ - شهادة تجسيد المسيح إلى قلب السلم القنور وثقافته "أى المرتد عن الإسلام"
- ٤ - الكنائس التعادلية الديناميكية فى المجتمع •
- ٥ - صدام القوة فى تحويل السلم عن دينه •
- ٦ - الإحاطة والأصالة والتحويل •
- ٧ - محاولات نصرانية جديدة لتحويل المسلمين •
- ٨ - مقياس إنجيلى للمسلمين •
- ٩ - تحليل مقاومة واستجابة الشعوب الإسلامية •
- ١٠ - الصدام النصرانى الإسلامى وكيف يحل ؟ •
- ١١ - الدراسات الإسلامية : حدود وجسور •
- ١٢ - الإسلام جوع القلب •

ب - دراسات ميدانية :

- كما أن الخطة شملت دراسات ميدانية بواقع المسلمين منهم :
- ١ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى الغرب •
 - ٢ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى صحراء إفريقيا •
 - ٣ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى إفريقيا الشمالية •
 - ٤ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى الشرق الأوسط •
 - ٥ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى تركيا •
 - ٦ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى إيران •
 - ٧ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى شبه القارة الهندية •
 - ٨ - الوضع المقارن بين النصرانية^{والإسلام} فى جنوب شرق آسيا •
 - ٩ - الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى روسيا والصين •
 - ١٠ - الوضع الحالى للأدب النصرانى للمسلمين •

ج - الوسائل العملية :

- كما تناولت بحوثهم دراسة الوسائل العملية لتنفيذ مخططهم فمن بحوثهم :
- ١ - الوضع الحالى لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين •
 - ٢ - الوضع الحالى لبث الإذاعة للشعوب الإسلامية •
 - ٣ - نظرة الإرساليات الفاحصة إلى المسلمين •
 - ٤ - بيبلوغرافيا مختارة للعاملين النصارى والمسلمين •

- ٥ - الدعوة إلى التجديد الروحى .
- ٦ - تطور الآلات الحديثة واستغلالها لدعم تنصير المسلمين .
- ٧ - مستوى أساليب ومراكز برامج التدريب .
- ٨ - إنشاء شبكة مراكز البحث .
- ٩ - أسلوب وقيمة استراتيجيات التخطيط .
- ١٠ - شبكة المبادرات التبشيرية فى البلاد الإسلامية .
- ١١ - ضرورة إنشاء مركز عصبى للشمال الأمريكى .
- ١٢ - التبشير والمكالمة .
- ١٣ - صلات أمريكا الشمالية بإرساليات العالم الثالث .
- ١٤ - ضرورة إصدار صحف جديدة حول الإرساليات الموجهة إلى المسلمين .

ومن أسلحة المؤتمر التى لم يغفل عن استخدامها فى خدمة أغراضه :

د - سلاح الغذاء والصحة :

ومن أبحاث المؤتمر : استخدام الغذاء والصحة فى تنصير المسلمين وذلك بتقديم المعونات الغذائية للأسر الفقيرة ، والتأثير عليها وتقديم العلاج عن طريق المستشفيات والمستوصفات التبشيرية .

الكنائس المحلية :

ومن دراسات المؤتمر : دور الكنائس المحلية فى تنصير العالم الإسلامى فقد خطط المؤتمر بالتعاون مع الكنائس المحلية لتنصير المسلمين فى البلاد التى بها هذه الكنائس المحلية .

الأسرة المسلمة :

ومن الأبحاث التى لم يغفل عنها المؤتمر : محاولة الإتصال بالمرأة المسلمة والعائلة المسلمة ، فقد عرف هؤلاء الخبثاء أن المرأة المسلمة أساس الأسرة المسلمة والأسرة المسلمة هى وحدة المجتمع الإسلامى فهم يعملون على إفساد المجتمع ، بإخراج الأسرة المسلمة من إطارها الإسلامى إلى الإطار الغربى الصليبي .

من لم يبلغهم التبشير :

وأخر أبحاثهم فى الأربعين ورقة عمل : هو الإتصال بمن لم يبلغهم التبشير

وهكذا نجد أن أبحاثهم العديدة تدل على ما اتسم به هذا الجهد التبشيري الجديد بالجدية ؟ والتخطيط المدروس . (١)

فكرة التقارب الإسلامي المسيحي

يعمل المبشرون في أي اتجاه للوصول إلى النتائج المطلوب تحقيقها بواسطة أنفسهم فهم يوحّدون الصفوف عن طريق توحيد كنائسهم المنشقة على نفسها ، ويعقدون المؤتمرات من أجل هذا الهدف ، وفي الوقت نفسه يعقدون المؤتمرات ذات التخطيط المحكمة فيما بينهم وذلك للسيطرة على بلاد المسلمين سياسيا وفكريا ، وعسكريا .

ولكى تتحقق أهدافهم في زمن يسير وبأقل جهد ، نراهم يحاولون جاهدين — تحذير المسلمين وتنويمهم بنشر ما يسمونه بـ " التقارب الإسلامي المسيحي " .

فقد بدأ الغرب المسيحي في أواخر القرن التاسع عشر يشيع هذه الفكرة ويعلمها على الرأي العام حتى يضمن احتواء العقليّة الإسلامية المثقفة دينيا ويحركها وفسق أفكاره ، وبالتالي يتمكن من إخضاع العامة لما يمليه الفكر المسيحي الغربي بلا مقاومة علما بأنه في البداية قد ضمن السلطة السياسية في جانبه ، لأنه صنعها من قبل على عينه ورياءا حسب مذهبه ، وفكرة التقارب بين الطرفين " الإسلامي — المسيحي " مجردة جدية بالعناية والنظر إلا أن ظاهرها يخالف باطنها .

فشكلها يشير إلى توحيد الجهود بين المسلمين والمسيحيين ومحتواها : تمكين أنصار الصليب من إحكام قبضتهم على عالم الإسلام وهم في مأمن من المناقشة من أي فرد من أبنائه .

وقد فطن علماء الإسلام الأزهريين لمكر دعاة المسيحية فلم ينخدعوا بزيغهم ولذا لما أوفدت فرنسا مستشرقاً لاهوتياً إلى مصر في آخر القرن الماضي للدخول مع علماء الأزهر في حوار من أجل التقارب بين الطرفين انكشف أمره على يد أحد شيوخ الأزهر فعاد إلى فرنسا يجر أذيال الخيبة . (٢)

لكن أنصار الصليب لم ييأسوا من محاولاتهم فخرجوا على العالم بما يسمونه " مؤتمرات الأديان " ومنها " مؤتمر الأديان العالي " الذي عقد بلندن في شهر

(١) أنفقوا أتبها السلمون من قبل أن تدفعوا الجزية صـ ٨٤ - ٨٨ .

(٢) مجلة الأمة (العدد الثاني والثلاثون - السنة الثالثة) ص ٧٦ من مقال بقلم / محمد عبد الله السمان بعنوان " نحن وأهل الكتاب والحقيقة الضائعة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م تصرف .

يوليو ١٩٣٦م.

وقد بعث شيخ الأزهر الأسبق المرحوم / مصطفى المراغى رسالة إلى المؤتمرين فيها إسراف القوم من أهل الرسائل السماوية فى مقاتلة بعضهم • وفى استعمال طرق الإكراه والإغراء وغيرهما من الوسائل لكسب الشعوب إلى صفوفهم مع علمهم أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه • (١)

وفى الخمسينات من القرن العشرين للميلاد ظهر " نداء الإخاء الدينى " وأنشأ القس " هوبكنز " بتوجيه من المخابرات المركزية الأمريكية " جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية " واحتفل بميلادها فى قرية " حدون " بלבنا فى أوائل الخمسينات وفى إطار هذه الصداقة المقترحة أعلن القس الغاية من ورائها وهى الوقوف فى وجه الشيوعية

بينما الهدأ السائد فى سياسة الغرب المسيحى وخاصة أمريكا هو إضمار المسلمين فى أراضيهم والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

- * تركت السياسة الأمريكية فى سنة ١٩٢٠م اعتداء " الهند " و " روسيا " ضد باكستان الحليفة للامريكان •
- * علقت السياسة الأمريكية على أن يستباح الوطن الإندونيسى وإيران المسلم هناك للتبشير فى صورته الظاهرة والخفية •
- * تتفاوض السياسة الأمريكية فى الفلبين عن اضطهاد السلطة المسيحية القائمة للإسلام والمسلمين •
- * تركت السياسة الأمريكية الحرب بين إيران والعراق فى سنة ١٩٨٠م وللوقت الحاضر تدمر كل شىء فى البلدين •
- * عاونت مسيحى الجبهة ومعهم السوفيت فى مطاردة المسلمين فى " أريتريا " بعد أن سمعت أمريكا من قبل لدى هيئة الأمم المتحدة لضم أريتريا إلى الحبشة مازكت عمل الإمبراطور هناك فى تنصير المسلمين بالإكراه • (٢)
- * كما أغضت الطرف على اعتداءات السوفيت المتكررة على أفغانستان السليمة •

(١) رسالة إلى البابا بولس السادس دكتور / عبد الودود شلبى ص ٢١ • ٢٢ بدون عدد للطبعة طبع المطبعة الفنية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م بتصرف •

(٢) الإخاء الدينى • ومجمع الأديان وموقف الإسلام دكتور / محمد البهى ص ١٤ • ١٥ ط (١) طبع دار التضامن للطباعة بالقاهرة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م بتصرف •

فالمقصود من وراء المؤتمرات المذكورة ، ونداءات التقارب والإخاء امتلاك زمام أمور المسلمين بدون مجابهة وإبعادهم عن رسالتهم ، وفصلهم عن دينهم في هدوء تسيام فإن الأصوات التي تنادى بالوحدانية ، تنكر على الإنسانية انتكاستها في جانب المقيسده وترديها في الحضيض حين تنقاد لغيرها وتتخذ لنفسها آلهة من دون الله .

ولذا يريد المعددون أن يسكتوا أصوات أصحابها حتى تظل الإنسانية عندهم نفسى ضلالها بدلا من أن تفي إلى رشدها ، وتؤمن بالواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد .

وكان الحوار المسيحي والإسلامي الذي دار بين القساوسة ورجال الأزهر بحضور شيخ الأزهر السابقين أكبر تأكيد على ما يريد أصحاب التثليث " حيث ركزوا على فكسرة إسدال الستار على الخلاف الجوهرى بين الإسلام والنصرانية مثل ألوهية المسيح أو بنوته وصلبه والأقانيم الثلاثة الآب ، والإبن ، والروح القدس ^(١) ، ومعنى ذلك بوضوح أن نغير القرآن الكريم ، وسنة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونعوذ بالله العلى العظيم أن نكون من الضالين (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولن أتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم بالسك من الله من ولى ولا نصير) ^(٢) .

وعندما نعود بالذاكرة إلى صدر الإسلام نجد سابقة لشل هذا حدثت في عهد رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فقد جاءه وفد من نصارى نجران يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام وكان ذلك بعد تحويل القبلة إلى المسجد الحرام وصادف أن جرى الحوار بحضور بعض الأخبار : ويذكر ابن هشام طرفا لما جرى من الحوار بقوله :

اجتمع أخبار من يهود ورميان من نصارى نجران عند رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فلما دعاهم إلى الإسلام فقال رجل من النصارى كما قال رجل من اليهود " أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى " فقال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى فأُنزل الله تعالى في ذلك : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون . (٣) ، (٤)

(١) مجلة الأمة (العدد الثانى والثلاثون - السنة الثالثة) ص ٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الايتان ٧١ ، ٨٠ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٥ باختصار .

فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم لا ينفقون إلا الجدل دعاهم إلى البهالة • وخرج إليهم ومعه ابنته فاطمة وزوجها علي وابناها الحسن والحسين وطلب إليهم أن يأتوا بأبنائهم ونسائهم • ثم يقفوا جميعا ويستهلمون إلى الله أن يجعل لعنته على الكاذبين من الفريقين فلما رأوا منه ذلك خافوا على أنفسهم أن تنزل نعمة الله فتستأصلهم • لأنهم يعلمون أن محمداً على الحق وأنهم على الباطل • وصالحوه على أن يدفعوا الجزية • ويظلوا على دينهم •

وفى ذلك يقول الله تعالى : * (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَاتَكُنْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ • فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) • (١)

ولم يتجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم حدود ما أمره الله عز وجل في رده على أهل الكتاب : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ • (٢))

لقد انعقد مؤتمر قرطبة الإسلامي - المسيحي الأول في عام ١٩٧٤م ثم تلاه المؤتمر الثاني • وبعد ذلك حدث انعقاد مؤتمر قرطبة العالمي الإسلامي المسيحي الثالث خلال عام ١٩٧٩م •

وقد وعد سكرتير عام "جمعية الصداقة الإسلامية - المسيحية" د / ميجيل ايبالنا قبل انعقاد المؤتمر بأنه سيوجه الدعوة لشيخ الأزهر لحضور المؤتمر • وطلب منه رسمياً تقديم ما يقترحه ويراه مفيداً ونافعاً لدراسته أثناء انعقاد المؤتمر وقد رد عليه شيخ الأزهر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود بخطاب هام محتواه :

١ - أن الإسلام منذ أن بدأ خالف الجؤ اليهودي والوثني في أمر عيسى عليه السلام وأعلن رسالته مباشرة مع تقديره واحترامه للمسيح وأمه •

٢ - أنه لكي يتم التفاهم بين المسلمين والمسيحيين لابد من الاعتراف بالدين الإسلامي ورسوله محمد "صلى الله عليه وسلم" •

(١) سورة آل عمران الآيات من ٥٩ - ٦١ •

(٢) نفس السورة الآية ٦٤ •

٣ - المسيح عليه السلام أرسل لهدايه خراف بنى اسرائيل الضالة وقد ترك أتباعه

خراف بنى اسرائيل تفتك بالإنسانية ، وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين بكل قوة .

٤ - الأقليات الإسلامية فى الأقطار المسيحية مضطهدة دائما وينكل بها فى الغالب

باسم المسيح والمسيحية ولا بد من وقف الاضطهاد والتنكيل ، حتى يكون هناك تفاهم .

٥ - المسلمون قاموا بواجبهم تجاه أتباع المسيح وقدموا كل ما يدعوا للمحبة والتفاهم

باحترامهم للمسيح وأمه وحسن معاملتهم لأتباعه كما أمرهم القرآن الكريم فماذا قدم المسيحيون ؟ (١)

فلا بد من أساس يوضع قبل إجراء أى حوار ، والأساس واضح أوله توحيد الله

تعالى ، وثانيه الشهادة المؤمنة برسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

ثم كف الأذى الواقع على المسلمين من أتباع المسيح إن كانت هناك نية صادقة فى

الوصول إلى حوار هادف بين الطرفين وإلا كان الحوار مجرد لظمة يوجهها الطرف القوى

للاخر كما حدث فى مؤتمر قرطبة الثالث : فقد انتهت أعمال المؤتمر بالذهاب الى " كباريه " .

فى مدينة AGULLAR التى تبعد عن قرطبة سبعة كيلومترات - لشرب الخمر والرقص ،

وختمت أعمال لقاء دينى بين اتباع رسولين كريمين بمشاهدة العجريات وهن يرقصن على

نغمات الاُرجن ودقات الدف واحتساء الخمر (٢) ، ومحمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام يرثان

كل البراءة من هذه الأعمال المشينة ، وبعد هذا العرض بات واضحا أن المؤتمرات الخاصة

بالمستشرقين والبشرىين لها أهداف خاصة تحققها وسائل معينة وغايتها السيطرة المسيحية

الغربية على أنحاء العالم الاسلامى .

أما المؤتمرات التى يدعون إليها المسلمين للاشتراك معهم فيها تحت اسماء

وشعارات براءة " كالإخاء الدينى " والتقارب بين المسيحيين والمسلمين " ، ومؤتمرات

الأديان العالميه فإنها تهدف إلى إحكام هذه السيطرة والوصول إلى ذلك من أخصر

الطرق وفى مأمن من المقاومة بل بواسطة يجدون المعاونة من المسلمين الذين تسم

تنويعهم بهذه المؤتمرات . هذا وللتبشير ركائز يحاول بواسطتها تحقيق مهمة سأعرض لها

بالبيسان فى الباب التالى .

(١) رسالة إلى البابا بولس السادس ص ٥٢ - ٦١ باختصار .

(٢) المرجع السابق ص ٣١ بتصرف .

الباب الثاني

ركائز التبشير

ويحتوي هذا الباب على أربعة فصول :-

- ١ - الفصل الأول :-
المراكز التبشيرية في العالم الإسلامي .
- ٢ - الفصل الثاني :-
الجماعات التبشيرية ودورها في نشر المسيحية .
- ٣ - الفصل الثالث :-
البابوية ودورها في التبشير وحماية المبشرين .
- ٤ - الفصل الرابع :-
مسألة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودي المسيحي
ضد المسلمين .

الفصل الأول

المراكز التبشيرية في العالم الإسلامي

سلك المبشرون طريقين بارزين في صنع مراكز ثابتة لهم في ديار الإسلام ، حتى يستطيعوا بواسطتها العمل على تنصير المسلمين إن تمكنوا من ذلك بأي وسيلة ممكن الوسائل التي تحدثت عنها فيما سبق ، فإن لم يتمكنوا من كسب عدد من المسلمين إلى صفوفهم فلا أقل من العمل على إيقاعهم تحت تأثير التعاليم التبشيرية التي تهسون من شأن الإسلام وتعاليمه ، وتحط من قدر أتباعه ، وتحقر من هيبته علمائه ، وتطمعن في القرآن الكريم ، ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ، وتحور كل عمل قام به الصحابة الكرام " رضوان الله عليهم أجمعين " عن وجهة السليمة بالإضافة إلى تشويه تاريخ الإسلام في نظر المسلمين وغيرهم وهم يرون أن هذا العمل أهم بكثير من إدخالهم في دينهم وما يعانونه المسلمون اليوم في كل مجالات الحياة ، من صناعة ، وزراعة ، واقتصاد ، وطب ، وهندسة ، وتعليم ، وإعلام ، وقيادة ، وفكر ، مردء إلى السوء التربية الاستشراقية التبشيرية التي تمكن المبشرون من بثها في المسلمين من خلال طريقين :

١ - إنشاء مؤسسات ثابتة في بلاد الإسلام

وتقوم هذه المؤسسات وعلى رأسها الكنيسة ، بالدور المنوط بها ، وسواء اتخذت التعليم ستارا ، أو العلاج ، أو تعليم المهن والحرف ، أو خلاف ذلك ، فهي في المقام الأول مراكز تبشيرية تحقق السياسة الغربية ، وعوامل مساعدة للحركة التغريبية وينبغي مراعاة أن كل مؤسسة فيها تتبع جمعية إرسالية خاصة ، تشرف عليها ، وتخضع لمركزها .

٢ - إنشاء مراكز خاصة لانتاج القمص والمبشرين ببلاد الإسلام

واتبعت هذه السياسة في كل من إفريقيا وآسيا ، " وتدل التقارير الواردة عن النشاط التبشيري الواسع في أنحاء إفريقيا على أن أهم المخططات الجديدة البارزة في هذا النشاط هي أولاً :
المبادرة إلى انتاج أكبر عدد من القمص والمبشرين السود .

ثانيا : توجيه عدد من الأكفأ الذين يحول عليهم من رجال اللاهوت إلى التخصص في العلوم المدنية والسياسية كي يشرفوا على مؤسسات ذات طاهر علماني لامتداد الأفارقة في الشؤون الادارية والاقتصادية .

ثالثا : الترخيص في بعض المسائل الدينية التي لاتناسب المزاج الإفريقي ، كتحريم تعدد الزوجات - مثلا - حيث صدرت التعليمات العليا المكتوبة بإباحة ذلك لمن يعتنق المسيحية في إفريقيا . (١)

وما يحدث في إفريقيا يحدث مثله في آسيا ، وسأتحدث عن نموذج واحد لمراكز التبشير في كل من القارتين ، والغرض من الحديث الإشارة لهذا النمط ولفت انظار المسلمين حكما ومحكومين لأخذ الحيطة والحذر ، فقد تعدد المراكز ، وقد تنقل من موقع لموقع آخر لتؤدي دورها المرسوم بعيدة عن أعين الواعين من المسلمين ، وسأرجس الحديث عن النموذج لمراكز التبشير في آسيا وإفريقيا بعد الكلام عن العنصر الأول وهو المؤسسات المنشأة في بلاد الاسلام وعلى رأسها الكنيسة .

الكنيسة مركز تبشيري

تقوم الخطة المسيحية على إنشاء مؤسسات ثابتة في بلاد الإسلام وعلى رأس هذه المنشآت وفي مقدمتها الكنيسة ، وسأورد الحديث عنها دون بقية المؤسسات الأخرى نظرا لما أفضته من الكلام عنها أثناء حديثي عن وسائل المبشرين ، ولقد لقيت الكنائس في بلاد الإسلام كل تدعيم عن طريق المستعمرين يقول الدكتور عماد الدين خليل :

وقد بلغ من تعسف المستعمرين في إفريقيا أنهم كانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الإسلامية ويتبرعون بها للكنائس . (٢)

كما تتلقى الكنائس الأموال بسخاء من الإرساليات والبعثات التبشيرية الوافدة من بلاد الغرب ، ولذا يسرع المسيحيون ببناء الكنائس في بلاد المسلمين فالكنيسة في نظرهم

(١) مأساتنا في إفريقيا " الحصار القاسي " عماد الدين خليل ص ٧٩ ، ٨٠ ط (٢) طبع

موسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، السلمون المجلد الثامن عدد (١) .

(٢) مأساتنا في إفريقيا ص ٨٠ .

الشرارة الأولى التى ينطلق منها التبشير متوسعا فى الأماكن الجديدة وهم يقولون : إن هدف الإنجيل هو تغيير الخطاة إلى قديسين • ثم جمع القديسين فى كنائس وحيث أن كل عضو فى كنيسة مدعو ليكون مرسلا أو شاهدا للمسيح • إذا فكل كنيسة هى جمعية مرسلين • جمعية من أشخاص كل همهم - كجماعه - هو الشهادة بالإنجيل • (١)

وحين يفصح اتباع يسوع عن نيتهم • وعن رغبتهم فى جعل الكنيسة جمعية إرسالية تبشر بتعاليم الأنبا جيل بين الناس • ينبغي لنا أن نعى المقصود من بناء أى كنيسة فى أرض الاسلام •

فليس يخاف على أحد من المسلمين ما يغيه القوم من كثرة بناء الكنائس فى البوارج الجديدة والمنشآت العمرانية الحديثة • بالرغم من قلة عددهم • ومن خلو الكنائس من الرواد ومن المقيمين بشعائر المسيحية •

الفرق بين الكنيسة والمؤسسة :

فى مجال العمل التبشيري لا يوجد فرق بين الكنيسة والمؤسسات المسيحية الأخرى فكلها تعمل لنشر الأنجيل بين غير المسيحيين وجميعها فى محاولة دائمة لجذب الناس لأفكار التبشير وأرى أن المؤسسات المسيحية التى تقدم الخدمات للجمهور بطريقة ملموسة كالعليم • والتطبيب - مثلا - تستطيع بتأثيرها فى النفوس الضعيفة والقلوب المريضة أن تسهد الطريق للكنيسة لتقوم من جانبها باتمام المهمة •

ويقول ا • ه • برود بنت / فى الفرق بينهما من ناحية الطريقة التى تسلكها كل منها : ويوجد أيضا فرق بين الكنيسة • والمؤسسة مثل مستشفى أو مدرسة • فهذه قد تكون ذات نفع لا يقدر إذ تعلن الإنجيل بصورة علنية وتحوز ثقة الناس • ولكن إذا أصبحت المستشفى أو المدرسة - الأجنبية الأصل - هى المركز الذى تجتمع حوله الكنيسة والذى عليه تعتمد فإن مثل هذه الكنيسة لا يمكن أن تتقدم على مثال الجهد الجديد • بل تظل ديانسة أجنبية تعتمد على موارد من الخارج • وقد تنشأ جهازا من (المبشرين الوطنيين) بمرتبات محددة ما يقوض الاعتماد على الله ويعطل النمو فى معرفته • (٢)

وهذه هى الحقيقة فإن مؤسسات التبشير فى بلاد الإسلام تنفذ مخططات مرسومة ليست فى صالح المسيحية • ولا تمت إلى تعاليم المسيح عليه الصلاة والسلام بصلة

(١) الكنيسة المتغربة ا • ه • برود بنت ترجمة : وليم وهبه ص ٥١٤ ط ٢ مطبعة الحضارة

العربية بالقاهرة ١٩٢٣ م •

(٢) المرجع السابق ص ٥١٥ •

وفى مقابل ذلك تتلقى الإمدادات المادية والمعنوية من الخارج ، ولاتلتفت إلى الكنيسة المحلية إلا على اختبار أنها تؤدي نفس الدور فإن حادت الكنيسة عن ذلك ترفقا بتعاليم المسيح ، عن السقوط إلى هذه الدرجة قولت بالنقد والتجريح ، ونادرا ماتستقسل الكنيسة بنفسها .

الفرق بين الكنيسة ومركز الإرسالية :

أى إرسالية أجنبية سواء كانت أمريكية ، أو فرنسية ، أو هولندية ، حين توزع نشاطها فى بلد ما تتخذ لنفسها مركزا خاصا كنقطة تجمع لها تستقى منه الأوامر وتعتبره المهيمن على جماعات الإرسالية والمصرف لشئون الكنائس التابعة لذهبه ويفرق المسيحيون بين الكنيسة ومركز الإرسالية بقولهم :

إن مركز الإرسالية بجمعية المرسلين الذى هو فرع منها - هو المركز الذى يجسب أن يتجه إليه المواطنون - فى البلد الذى يوجد فيه - طلبا للإرشاد والمعونات .

أما الكنيسة فى الجانب الآخر - بمعنى الكلمة فى العهد الجديد ، فهى من لحظة تكوينها ، عندما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسم يسوع على نفس الأساس مثل أقدم الكنائس رسوخا لها نفس المركز " المسيح " ونفس المبادئ مع الاختلاف فى المواهب كما أنها أنسب واسطة لنشر الإنجيل بين الناس ، وإذا كان مركز الإرسالية عظيم النفع لكن يجب ألا يصبح هو المركز الذى تجتمع الكنيسة حوله ، لأن هذا المركز هو يسوع المسيح لاسموا . (١)

وهذا ما ينبغي أن يكون ، من تحقيق على لوجهة النظر المسيحية التى تسرى أن الكنيسة هى المصدر الأول ، وأنها النبع المتصرف فى كل ما يخص المسيحيين من شئون دينيه ، يستقى منها التعليمات فهى جهاز إرسال أو يجب أن تكون لكسـن الواقع الشاهد يكذب ذلك ، فالكنيسة تلتف فى الغالب حول الإرسالية وتأخذ من مركزها الارشادات ، وهذا ما يحدث فى بلاد الاسلام مهما قيل من كلام يخالف حقيقة ما نراه ونحسه .

وحتى نكون على بينة من أمر الكنائس القائمة بأرض المسلمين وأنشطتها يلزمنا أن نعرف أصلها وعلاقتها بالمجامع المسيحية .

(١) المرجع السابق يتصرف واختصار .

أصل الكنائس

لفظة كنيسة لها أصل قديم ترجع إليه ، وقد أطلقت على معابد اليهود ، كما أطلقت فيما بعد على معابد النصارى .

فالكلمة : لفظة يونانية معناها اجتماع أناس كثيرين لغرض واحد فى مكان واحد ثم أطلقت على المجتمعين وعلى المكان الذى يجتمعون فيه ، ولما كانت اللغة اليونانية لذلك العهد سائدة على سوريا وفلسطين ، أطلقت هذه اللفظة على معابد النصارى وصارت لها كما أطلقت على معابد اليهود أيضا غير هيكل سليمان المشهور الذى كان قائما لذلك العهد . (١)

وما يطلق عليه كنيسة بالمعنى المفهوم فى عالم اليوم ، لم يظهر بوضوح فى تعاليم المسيح عليه السلام ، ولم يدر بخلد حواريه من بعده وذلك بشهادة مفكر مسيحى تعرض لهذا الموضوع قائلا :

ثم إن " عيسى " عليه السلام كان يهوديا خاضعا تام الخضوع لشرعية بني اسرائيل الدينية - وإن عارضها ظاهريا فى سبيل توسيع مداركها فعليا حسب ما ظن أنه روحها الحق لهذا كله لا بد لنا من الايقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة فى رسم خطوط مانسميه بـ " الكنيسة " وإذا ما قلنا ان المسيح صرح للحواريين الاثنى عشر بسلطة ما - وهذا محل جدل حتى اليوم - فما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي من سلطان فى التبشير بالتوبة وحلول ملكة الله ، ولم يصنع منهم " قساسة " حيث لم يكن فى حاجة إلى ذلك وعلى أى حال فإننا عندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال لانجد أنهم فكروا فى إنشاء الكنيسة ، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى وداوموا بكل دقة على شعائره مؤمنين أيضا بأن المستقبل لملكة الله ، وليس للكنيسة ما . (٢)

فلم يكن هناك تخطيط لمنظمة خاصة يطلق عليها الكنيسة فى حياة " المسيح " عليه السلام ، ولم يوجد للنصارى كنيسة بالمعنى المفهوم فى أول الأمر وإنما كانوا يستترون بعبادتهم خشية اعتداءات اليهود ما جعل مؤلفا مسيحيا يصفهم بالماسونيين فى التكتم بعبادتهم بقوله : ولذلك جعلوا يتسترون فى عباداتهم ويشيدون كنائسهم

(١) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك ص ٢ بتصرف يسير .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٦ و ١١٧ .

فى الدياميس والمفر وكانوا يعرفون بعضهم بعضا بإشارات ورموز كرسـم صورة السمكة أو اعطاء إشارة الصليب على الوجه وغير ذلك وعلى هذا كان المسيحيون يتسترهم كالماسونيين اليوم . (١)

وفهم من هذا الكلام أنهم اتخذوا من المغارات مكانا يجتمعون فيه خفية ، واعتبروه كنيسة لهم ، ولم تبين لهم كنائس خاصة بالعبادة الا بعد انتشار المسيحية ، وخروجهم من الدائرة اليهودية .

فلم يؤسس " المسيح " ولا حواروه من بعده كنيسة بالمعنى المفهوم اليوم وما ورد من أن " المسيح " عليه السلام قال : " لبطرس " : " وأنا أقول لك أيضا انت بطرس وعلمسى هذه الصخرة ابنى كنيسةى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " . (٢)

فإن التعبير المذكور لم يقل إلا فى حالة واحدة ، وقد شك فى وقوعه كثير من أصحاب الفكر المسيحي وشبههم " شارل جنيبير " الذى أنكر الاتحاد على صحته فى أى حال من الأحوال . (٣)

يمكن اعتبار هذا النص اليتيم فى الأنجيل الأربعة من التلغيفات التى حدثت فى الأنجيل ، وحديث " بولس " عن كنيسة الله (٤) لم يقصد بها جماعة منظمة تعبد الله تعالى فى مكان بعينه ، وإنما كان يقصد بها لم شتات الشعب الذى يعيش فى فوضى عارمة كما قيل :

فى الوقت الذى يتحدث فيه " بولس " عن كنيسة الله تدل رسائله إلى أهل كورينثيا أنهم كانوا يعيشون فى فوضى داخلية فقد تركوا زمام أمورهم إلى توجيهات المعلمين التى لاتسلك خطأ تنظيميا محدودا معروفا . (٥)

ولو كان " بولس " يريد الكنيسة مكانا خاصا بالعبادة فإنه صاحب فكرة نقل المسيحية إلى الدائرة المالية وفى سبيل نجاح فكره لايمانع فى اقتباس ما يراه محققا لها ، ورتد على

(١) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك ص ٩ .

(٢) الكتاب المقدس مت (١٦ : ١٨) ص ٢٠ ج .

(٣) مراجع المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦٢ .

(٤) إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس (٠٠٠) رسالة " بولس " الأولى إلى كورنثوس

١ - من الفقرة ٢) .

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦١ .

لسان المسيح أولم يرد ، حدث في عهده أم لا ، وما يقال عن الكنائس الحوارية ، لا يفهم منه أنهم المؤسسون لها وإنما يدل على أنها نسبت إليهم ومما يدل على ذلك أن المسحدين أطلقوا على الكنائس أسماء العصور المختلفة حسب مرادهم ، ولم يكن للرسول - كما يسمونهم - ولكننا نعرض تقسيماتهم لعهد و الكنيسة من وجهة نظرهم في الآتي :

- عهد كنيسة الرسل من عام ٣٠ م الى ١٠٠ م
- عهد كنيسة الاستشهاد من عام ١٠٠ م - ٣١٣ م
- عهد كنيسة الدولة من عام ٣١٣ م - ٤٧٦ م
- عهد كنيسة القرون الوسطى من عام ٤٧٦ م - ١٥٤٣ م
- عهد كنيسة المصلحة من عام ١٥٤٣ م - ١٧٠٠ م
- عهد الكنيسة الحديثة من عام ١٧٠٠ م - ١٩٤٨ م
- عهد الكنيسة المسكونية من عام ١٩٤٨ م .

الترتيبات الكنسية

لم يكن هناك في بدء الأمر تقسيم كنسى لأقاليم النصرى ، أو تنظيم معين لرجال الكنيسة ، فكان بعضهم ينادى البعض الآخر بلفظ أخ ، وأخت ، وحين أرادوا عمل ترتيب وظائق لجماعتهم اقتبسوه من النظام الوثنى واليهودى وتأثروا بهما كما يقول شارل جينيبيير :

" ومن المرجح أن كلا التأثيرين ، تأثير الجماعات الوثنية وتأثير النظم اليهودية وقعا عليهم فى آن واحد ، مع ترجيح اتجاه أحدهما على الآخر حسب ظروف الزمان والمكان ، وقد فرضت الضرورات أنواع الوظائف ، وسعى الموظفون بأسماء أخذت عن اللغة الشائعة مثل :

- "بريسبيتروس" أى : شيخ .
- " ايسكوبوس " أى : مشرف .
- " دياكونوس " أى : خدام .

وقد تطورت معانى هذه الكلمات فيما بعد إلى : قس ، وأسقف ، وشماس^(١) وهذه الألفاظ المقتبسة من الشعوب الأخرى جعلت ألقاباً لرجال الدين المسيحى لتنظيم العمل

فيما بينهم •

فالأساقفة جمع كلمة أسقف : وهى لفظة يونانية معناها ناظر وفاحص وأرادوا بها أن الحاصل على رتبة أسقف تناط به النظارة على أحوال الكنيسة التى هو رئيسها •

والقسوس جمع قس : وهى لفظة عربية على ما يظهر لأن معناها العرسى صاحب الإبل الذى لا يفارقها ووظيفته فى الكنيسة مساعدة الأسقف وتعليم المؤمنين وإقامة الأسرار •

والشماسة جمع شماس : وهى لفظة عبرانية يطلقها الاسرائيليون على خدّمة الهيكل أما المسيحيون فأطلقوها على المرشحين للكهنوت والبتدئين ^(١) . وبعد أن تنفّس المسيحيون الصعداء وبدأت ملتهم فى الإنتشار منذ القرن الرابع الميلادى ، أدخلوا التنظيمات على الأقطار التابعة لهم أو التى توجد بها كنائس مسيحية •

فقسوا الأقاليم ، وجعلوا لكل إقليم رئيسا دعوه " بطريرك " ومعناها أبوالعائلة أو رئيس العشيرة واللفظة يونانية ، وأطلقت أولاً على أسقف أنطاكية ثم صارت لقباً لأساقفة القسطنطينية وأورشليم فالاسكندرية ، وهى وظيفة ادارية محضة بدليل أنّهم أبقوا لصاحبها لقب أسقف فيقال للبطريرك القسطنطينى أسقف القسطنطينية ، و " للبابا " أسقف روما •

ولا مزية بين البطاركة والأساقفة فى الكهنوت ، والميزة بينهم فى الإدارة فالبطريرك رئيس والأسقف مرؤوس •

وكانت البطريركية تدبر مباشرة مركزها وتناظر الأساقفة القريبين منها ، وأقامت رئاسات لما بعد عنها من الأبرشيات دعته اكرسخيه أو "ميتربوليتيه" أو رئاسة أساقفه ينظر الأساقفة النضمين إلى أبرشيته ، فهم مرؤسون منه وهو مرؤوس من البطريرك •

ومعنى اكرسخى البادى فى العمل أو القائد : وهى لفظة يونانية واتخذتها الكنيسة بمعنى (الأمور الروحية الممتازة) وأطلقتها على أساقفة عواصم الولايات وأعطت له حق الإشراف على من فى ولايته من ميتربوليتين ورؤساء أساقفة ، وأساقفة •

ثم مع الأيام جعل البطاركة يعطون هذا الاسم كلقب شرف من غير أن يكون صاحبه حتى الرئاسة على غيره وفى يومنا هذا يلقب البطريرك بها من ينيطبه النظر فى

(١) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك ص ١٠ ، ١١ •

قضايا الإكليروس ، والشعب بصرف النظر عن درجته الكهنوتية فيجوز أن يكون أسقفًا أو أرشمندريتًا أو قسا أو شماسا .

أما ميتربوليت : فهي لفظة يونانية ومعناها رئيس مدينة الأم أي العاصمة وأطلقوها في الأصل على أساقفة العواصم ثم جعلوها علما لكل أسقف يرجع بابروشيته إلى البطريرك رأسا وقد تمسك الأساقفة بلغة رؤساء أساقفة أو " ميتربوليتين " بدلا من اكسرخسي التي تطلق على النندوب البطريركي بصرف النظر عن درجته الكهنوتية . (١)

التنظيم الكنسي الداخلي :

كما نظم المسيحيون كنيتهم إقليميا ، نظموها داخليا فأعطوا رتبة للعالمسين بالكنيسة ، وهذه الرتب وإن وضعت للترتيب الكنسي من الداخل إلا أن لها أثرها خارج نطاق الكنيسة من ناحية القيادة والتقدم في المنزلة والمكانة في الاجتماعات وارتداد زى معين فقد جعل المسيحيون مراتب متفاوتة لخدمة الدين لم تكن في الأصل . كان أديانها مبتدئ ، ومعه راهب ، فشاس رسائلي يعطى حق تلاوة الرسائل في الكنيسة فشاس إنجيلي يقرأ الإنجيل فيها فريش شماس ، وهذا عادة يقوم بخدمة البطريرك الذي يكون غده شماسه كثيرون ، فقس ، فخوري أسقفى ، فأرشمندريت ، والأرعمسة واحد في الرتبة الكنسية بوظيفة كاهن .

غير أن الأرشمندريت في الأصل يطلق على رئيس الدير وفي الأديرة له الحق بلبس التيه ، واللاتيه ، والصليب ، وسك العكاز ، والوقوف في الكرسي الأسقفى وقت الصلاة والخوري أسقفى اغتاضوا به عن الأسقف في الكنائس الصغيرة ثم جعلت الكنيسة تعطى لقب أرشمندريت للمتوحدين من كهنتها المتفوقين بالعلم أو حسن الإدارة وهؤلاء في غير الأديرة ينحصر حقهم بالتقدم على الكهنة ولبس اللاتيه والصليب فقط وهناك رتبة أخرى باسم " ايكونوموس " واللفظة يونانية معناها المنتدب أو النائب ، وجزت عادة الكنيسة إعطاء هذا اللقب لأى من الكهنة صاحبها يكون مقدما في الجلسة على أقرانه ولبس اللاتيه والصليب كالأرشمندريت .

(١) المرجع السابق ص ١٢ و ١٣ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ و ١٤ .

ولكنيسة الأرثوذكسية نظام الكليروس يبدأ من البطريرك يليه في الرتبة المطران^(١) ثم الأساقفة ، ثم القمامة وهم قسّس متازون يليهم القسّس العاديون .

وكل هؤلاء يقومون بالتبشير ونشر المسيحية بدون كلل أو ملل كما يقومون بالخدمة في الكنيسة كل حسب درجته وما نيظ به من عمل .

بين الجامع والكنايس

للجامع أثرها في انقسام الكنايس وتعددتها ، وسنوجز الحديث عن الجامع ذات الأثر الملموس في هذا الشأن ومنها .

مجمع نيقية

فقد عقد الإمبراطور الروماني " قسطنطين " هذا المجمع السكوني في مدينة نيقية تحت قيادته سنة ٣٢٥ م ، وذلك للقضاء على تعاليم " آريوس " التي وضعت " المسيح " عليه السلام في مصاف البشر وقرر هذا المجمع ألوهية المسيح ، كما تم فيه ترتيب الكنايس من حيث المكانة على النحو الآتي :

روما ، الاسكندرية ، انطاكية ، أما اسقفية أورشليم التي كانت واقعة تحت اشراف أبروشية قيساريه ، فيأتي ترتيبها بعد هذه الكنايس الثلاث سالفة الذكر^(٢) وفي تلك الحين لم تفتح مدينة القسطنطينية كمقر للدولة الرومانية فلم يرد ذكرها .

المجمع السكوني الثاني

أما المجمع السكوني الثاني :-

فقد انعقد في عهد الإمبراطور " ثيودوسيوس " الكبير بمدينة القسطنطينية عام ٣٨١ م وذلك لمناقشة " مقدونيوس " الذي جاهر بأن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق ، وسنأجل هذه المقالة عرف " مقدونيوس " وأتباعه باسم " أعداء الروح القدس " وكانت هذه

(١) المطارنة : مفردا مطران والكلمة يونانية مأخوذة من كلمة " متروبوليت " ومعناها المدينة الأم ، والمطران : هو أسقف المدينة الأم ، والمتقدم على الأساقفة في الجامع (يراجع : الجامع المسيحية وأثرها في مذاهب الكنيسة وعقائدها دكتور / محمد رجب داوود الشتوي " رسالة مخطوطة بكلية أصول الدين " ص ٤٦١ عام ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م)

(٢) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في " مدينة الله " ص ٨٣ .

النظرية تهدد أقتوما من الأقانيم الثلاثة - هو الروح القدس - بنفس القدر السسذى هددت به " الأرمنية " نظرية التثليث .

ولذلك جدد الآباء المؤتمرون فى مجمع القسطنطينية قانون الإيمان النيقسايوى وأكدوا ألوهية الروح القدس " الرب الحى الميثق من الآب السجود له مع الآب والإبن الذى نطق به الرسل الأطهار " (١) .

وكما تنازع القوم فى التثليث ، اختلفوا فى طبيعة المسيح عليه السلام ولا يزالون مختلفين ، وأراد القوم رأب الصدع الناتج عن قسرار التثليث بالقضاء على الموحدين فانسع الخرق وظهر مالم يكن فى الحساب وجاء المجمع التالى ليزيد هوة الشقاق .

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م

وسبب انعقاده ، مقالة " نسطور " الذى أعلن أن المسيح " لم يكن إلها فى حشد ذاته ، بل هو إنسان ملو " من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله ، فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا اذا " (٢) .

وقد حضر المجمع مائتان من الأساقفة وقرروا مانصه : " أن مريم العذراء والسيدة الله ، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين ، متوحد فى الأقتوم " (٣) .

ولم يعترف " نسطور " بقرار المجمع فنفى إلى مصر ، ووجدت النسطورية أرضا خصبة فى المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة العربية وتوالت الأحداث بعمس " مجمع أفسس الأول " ولم تأت برصيد للكنيسة السىحية ، فكان رئيس السثلين للاهوت السكندرى فى القسطنطينية راهبا سنا يدعى " يوتيوخس " الذى لما سئل عن رأيسه فى طبيعة المسيح قال : أقر أنه توجد طبيعتان فى ربنا قبل الاتحاد ، ولكن بعمس الاتحاد طبيعة واحدة فقط ، واستخدم " يوتيوخس " شرحا لتوضيح مايعنى فقال : " إن إنسانية المسيح اندمجت فى ألوهيته كقطرة من الخل تبتلع فى المحيط " .

(١) اراجع المرجع السابق ص ٨٤ .

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٥ .

ومعنى آخر اختلفت الإنسانية تماما ، وعرف الذين يتمسكون بهذا الرأي بالموحدين . (١)

وبلخص هذا الرأي أن للمسيح طبيعته واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت وهذا ما أعلنته كنيسة الإسكندرية ، ودان " فلافيوس " رئيس الكنيسة في القسطنطينية " يوتيخس " الذي استأنف إلى " ديسقورس " (٢) في الاسكندرية الذي اهتم بالأمس بنفسه وعند مجعاً في أفسس عام ٤٤٩م ، وسبب طبيعة الإجراءات في هذا المجمع سى فيما بعد " مجمع اللصوص " ، وبعد عودة " يوتيخس " عزل الأعضاء " فلافيوس " ، وعاملوه معاملة سيئة حتى مات من الإصابات التي لحقت به . (٣)

ونتيجة لما حدث في مجمع أفسس الثاني أمر " مارسيون " الإمبراطور الروماني بعقد مجمع الكنيسة الرابع الكبير في سنة ٤٥١م .

مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م

اجتمع في خلقيدونية - بآسيا الصغرى عند مدخل البحر الأسود - مقابل بيزنطة أعضاء المجمع وكان معظم الحاضرين من قادة الكنيسة الشرقية ، وإن كان " ليوالا أول " رئيس الكنيسة في " روما " قد أرسل مندوبين ، وحكم " مجمع خلقيدونية " على " يوتيخس " بسبب تعاليه وعلى " ديسقورس " بسبب معاملته " لفلافيوس " (٤) ، وذلك باللعن والنفسى وكانت مهمة المجتمعين التوفيق بين الرايين المتباعين رأى " نسطور " ورأى الموحديسن وأتى المجتمعون بأعمال مشينة من صراخ وسب ، وقذف ، وضرب ، ولكم .

" وسارت المناقشة بعد ذلك في جو غيف متعصب وانتهى المجمع إلى أن قرر أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة وأن الألوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحدها ، التقنا في المسيح . (٥)

وانقسم أصحاب التثليث ، انقساماً حاداً ظل أثره على مدى الأجيال وبالتالي اختلفت الكنائس في اعتقادها وطقوسها ، وطوائفها إلى يومنا الحاضر .

-
- (١) نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٩ .
 - (٢) " ديسقورس " بطريرك الاسكندرية .
 - (٣) نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٩ .
 - (٤) المرجع السابق ص ٥٠ بتصرف .
 - (٥) محاضرات في النصرانية ص ١٥٧ .

يقول المرحوم الأستاذ / محمد أبو زهره :

فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان أحدهما انسانية يشارك فيها الناس ، والأخرى لاهوتيه ، وأقوم الابن مكون من الطبيعتين ، وهو بذلك يخالف النسطوريين لأنهم يقولون : إن اقنوم الابن لم يكن من العنصرين ، بل من العنصر الإنساني وحده ، ويخالف قرار أفسس الثاني الذي يقول ان المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس ومن مريم العنرا ، صيرًا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة بريئة من الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن التجسد طبيعة واحدة من طبيعتين وشيئة واحدة . (١)

وتوصل أعضاء المجمع بمشقة بالغة إلى وضع التعريف الخلقيدوني وهو : المسيح كامل في لاهوته ، وكامل في ناسوته ولاجل خلاصنا ، ولد من العذراء مريم ، حامل اللسمة وشماس بالإنسانية ، ويعرف في طبيعتين بدون اختلاط ، وبدون تغيير ، وبدون انقسام وبدون انفصال . (٢)

ولم يعد هذا التعريف الذي لا يقبله عقل سليم الوحدة للكنيسة وإنما ضاعف المجادلات العقائدية داخلها وخارجها ، وزاد انقسامها حدة وعمقا ، وحول اختلافها إلى تنازع وأبرز مذهبين من مذاهب الكنيسة :

١ - مذهب الطبيعة الواحدة :

وأتباعه يعتقدون أن للمسيح طبيعة إلهية ، ويتبعه ثلاث كنائس أرثوذكسية :

أ - الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة ، وتسمى الأرثوذكسية المرقسية نسبة إلى " مرقس " صاحب الإنجيل .

ب - الكنيسة الأرثوذكسية السريانية : ويرأسها بطريرك السريان ويتبعها كثير من مسيحي آسيا .

ج - الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية : ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح فإنهم يختلفون عنها في بعض التقاليد والطقوس ولا يندمجون مع الكنيسة السريانية ولا مع الكنيسة المصرية ولقد تحدث القس صموئيل مشرقى

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ .

(٢) نشأة الطوائف المسيحية ص ٥٠ .

عن ظهور الأرثوذكسية أثناء كلامه عن بدء انقسام الكنائس فقال :

ظهرت " الأرثوذكسية " نتيجة المشاحنات التي أثارها المجامع المسكونية خلال القرنين الرابع والخامس حول معضلة التجسد ومحاولة تفسير كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح وكان ذلك من أول المسائل التي واجهت الكنيسة في صدر المسيحية ولقد ظهر في أعقاب ذلك لفظة " الأرثوذكسية " وهي لفظة تعني " استقامة الرأي " وتعتبر وصفاً أطلق على كل من وقف عند حدود ما أقرته تلك المجامع وبين اتباع الهرطقات الخارجين على قوانين إيمانها ، وقد شملت الأرثوذكسية الكنائس الشرقية وقد عرفت في التاريخ ولا تزال باسمائها لغاتها وأوطانها فدعيت سريانية في سورية ، وقبطية في مصر ، وأرمنية في " أرمينيا " ونسطورية في العراق (نسبة لنسطور) ومارونية في لبنان (نسبة لمارون - وهذه انتسبت " لرومسا " فيما بعد نتيجة المجمع الخلقيدوني) واعتنقت الشعوب السلافية (روسيا والبلغان) الأرثوذكسية في القرنين التاسع والعاشر . (١)

٢ - مذهب الطبيعتين :

وتبع هذا المذهب القائل بطبيعتين للمسيح ، طبيعة إلهية ، وطبيعة انسانية بمعنى اجتماع اللاهوت بالناسوت ، جميع الكنائس التي تنطوي تحت الكاثوليكية ، وقد ظهرت الكاثوليكية في البداية نتيجة اختلاف في العقيدة المسيحية أثناء بحثها في المجامع المسكونية فخالفت كنيسة " روما " الكنائس الشرقية فيما يختص بتحديد هاء ومع ازدياد امتداد روما نفوذها باعطائه لقب " بابا " ونقل السلطة الزمنية من " روما " إلى القسطنطينية مما أتاح للبابا بسط سلطانه على البلدان الأوربية ، والجمع بين السلطتين الدينية والزمنية وهكذا ظهرت " الكاثوليكية " وهي لفظة تعني الجامعة " . (٢)

ويعتبر المجمع الخلقيدوني المنعقد عام ٤٥١م نقطة تحول في تاريخ الكنيسة تم بواسطته أول انفصال عقائدي حول طبيعة المسيح ونظم الكنائس الرئيسية : كنيسة روما القديمة الأولى ، وكنيسة روما الجديدة (بيزنطة) الثانية ، وكنيسة الاسكندرية الثالثة وانطاكية الرابعة ، وأورشليم الخامسة ، وأوجد الترتيب المذكور نوع من التنافس والصراع أدى إلى الرغبة في التحكم والاستعلاء .

ولم ينته الأمر عند اختلافهم في طبيعة المسيح وإنما وصل الحال إلى اختلاف القائلين " بالطبيعتين " " فقد ظهر في القرن السابع الميلادي سنة ٦٦٧م " يوحنا مارون "

- (١) أضواء على تاريخ الكنيسة (سلسلة مجمع الله الخسيني - مجموعة التعليم الأساسية)
القس صموئيل مشرقى ص ١٤ (صدر بئيراً مصر ، بدون ذكر للطبعة والمطبعة وبدون تاريخ) .
(٢) المرجع السابق ص ١٤ ، ١٥ .

معلنًا أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين له مشيئة واحدة وإرادة واحدة ، وهى المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية لإلتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد إلهى وهو الابن أو الكلمة وشايعة فى هذا الرأى بعض مسيحي آسيا .

ولم ترق هذه المقالة فى نظر بابوات " روما " ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع مجمعا للرد على " يوحنا مارون " ووافقهم الإمبراطور ، وتم عقد مجمع القسطنطينية السادس سنة ٦٨٠م وكان مؤلفا من ٢٨٩ أسقفا وانتهى كالعادة إلى إصدار قرار بكفر " يوحنا مارون " ولعنة وطرده وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة وقرر " إيمانهم بأن الواحد من الثالث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الإله فى أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاما بناسوته تاما بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد ، فهو ما يشبه الإنسان أن يعمل فى طبيعته وما يشبه الإله أن يعمل فى طبيعته ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبها بمشيئتين غير متضادتين " .

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب المارونى القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شديدة ، وأخذوا يفسرون بدينهم من بلد إلى بلد حتى انتهى بهم المطاف إلى جهنم لبنان ، واشتهروا بلقب " المارون " وظلوا مستقلين فى شؤونهم الدينية إلى أن قررتهم إليها كنيسة روما فأعلنوا فى سنة ١١٨٢م الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة . (١)

ثم توالى المجمع بعد ذلك ، ومنها ما عقد فى القسطنطينية وعرف باسم " المجمع الغربى اللاتينى " سنة ٨٦٩م وتصدر قراراته : انبثاق الروح القدس من الآب والابن معا .

بينما كان بطريرك القسطنطينية على رأس المنادين بأن روح القدس ينبثق من الآب وحده ، وقد عقد بدوره مجمعا آخر فى القسطنطينية سنة ٨٧٩م وأصدر هذا المجمع قرارا بأن روح القدس ينبثق من الآب وحده واشتهر هذا المجمع باسم " المجمع الشرقى اليونانى " يقول الدكتور / على عبد الواحد وافى : وكان ذلك سببا فى انقسام الكنائس القائله بالطبيعتين والمشيئتين إلى كنيستين رئيسيتين :

إحداها : الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط وكنيسة الروم الأرثوذكسية ، وهى التى يذهب أتباعها إلى أن روح القدس ينبثق عن الآب وحده

(١) الأسفار المقدسة فى الأدیان السابقة للإسلام ص ١١٧ بتصرف .

والمشايعون لها أكثرهم في الشرق ، وبلاد اليونان ، وتركيا ، وروسيا والصرب وغيرها ولهم بطارقة أربعة :

أولهم بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم ، يليه بطريرك الاسكندرية للروم الأرثوذكس ثم بطريرك انطاكية ثم بطريرك اورشليم .

وثانيهما : الكنيسة الغربية اللاتينية وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الآب والابن معا ، ويقال لهما الكنيسة الغربية فقط ، وكنيسة روما ، والكنيسة الكاثوليكية وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسيه أو كنيسة بطرس لأن مشايعها يعتقدون أن مؤسسها هو الرسول " بطرس " كبير الحواريين وأن بابواتها خلفاؤه من بعده " ورئيسها في الوقت نفسه " رئيس دولة الفاتيكان " .

والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم في الغرب في بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة .^(١)

وظل الحال على هذا الانقسام حتى جاء " مجمع اللاتران الرابع " الثاني عشر المسكوني سنة ١٢١٥م وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

وكان هذا القرار سببا من الأسباب المباشرة لحدوث الانشقاق الكبير في الكنيسة الغربية فقد ظهر بعد المجمع الثاني عشر المسكوني ما يسمى بحركات الإصلاح .

وجاء القرن السادس معلنا بظهور الكنيسة البروتستانتية المنشقة على الكنيسة الغربية ، فقد برزت لحظة جديدة أطلق على معتنقيها اسم " البروتستانت " أي المحتجين أو المعارضين ، وسبب ظهورها تغشى مظاهر الفساد في الكنيسة من إطلاق الهرطقة على كل مخالف لرأي الكنيسة ، ومن فرض الإتاوات التي لا تقف عند حد على التابعين لها ، ومن تحريم زواج القسوس والرهبان والراهبات ، مما أدى إلى انتشار الفسوق والزنا ومن الزعم يتحول (الخبز والخمر) المستعملان في العشاء الرباني إلى أجزاء من جسم المسيح ودمه ثم " بيع صكوك الغفران " جهازا ليلا ونهارا ، وقصر تفسير الإنجيل على رجال الدين حتى ثار مارتن لوتر (١٤٨٣م - ١٥٤٦م) وعلق احتجاجه على باب الكنيسة (*) وفي هذا الاحتجاج حملة جريئة على بيع البابوية " لصكوك الغفران "

(١) المرجع السابق ص ١١٨ باختصار .

(*) بداية عصر الإصلاح يوم ٣١ أكتوبر عام ١٥١٧م حين ذهب مارتن لوتر إلى كنيسة " وتبرج " وعلق على بابها الخشبي بنود احتجاجه المكونة من خمس وتسعين فقرة وخاصة ما يتعلق ببيع صكوك الغفران ، (أضواء على تاريخ الكنيسة ص ١٦ يتصرف) .

ولم تكن البابوية المحبة للمال • والكانزة للذهب والنفقة أن تتنازل عن هذا المصدر فاستبدلت بدعة الصكوك ببدعة أخرى سمّتها المطهر والتي يقول في شأنها كاتب سيجي :

إنها لم تولد في احضان كنيسة الفاتيكان إلا بعد أن فُضح "مارتن لوثر" بدعة الغفرانات • فاشترى جهنم من "بابا" روما وأعلن لمن كانوا يشترون الغفرانات من الفاتيكان • أن لا يشتروها بعد لأنه ابتاع جهنم وأنه يعدهم بأنه لن يدخل أي واحد جهنم فلما أسقط في يد الفاتيكان ابتدعوا بعد القرن السادس عشر بدعة المطهر وزينوا لشعوبهم أن يسعفوا موتاهم بما تتيحه لهم الكنيسة الكاثوليكية من اسماءات تقصر فترة النيران المطهرة وهذا تعوض ما فقدته بفقدان الغفرانات • (١)

وأراد "لوثر" أن يتحرر من ظلم الكنيسة الفاتيكانية فأُنشأ الكنيسة البروتستانتية وقد امتدت هذه الكنيسة في بلاد الغرب إلى أقطار شمال "أوربا" ووصلت إلى أمريكا • وتولدت منها "الكنيسة المشيخية بأمريكا" • وهي التي أُسست "الكنيسة المشيخية" في مصر وتعرف حالياً باسم "الكنيسة الإنجيلية" • (٢) وللكنيسة المشيخية نشاط واضح في التبشير في جميع البلدان الشرقية وإرسالياتها شيدت العديد من المؤسسات والكنائس بآسيا وأفريقيا يقول ابراهيم خليل أحمد : وللكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية عديد من الإرساليات منها :

- الإرسالية الأمريكية إلى مصر والسودان •
- الإرسالية الأمريكية إلى اليابان •
- الإرسالية الأمريكية إلى الهند •
- الإرسالية الأمريكية إلى سوريا •
- الإرسالية الأمريكية إلى العراق •
- الإرسالية الأمريكية إلى شمال أفريقيا "تونس وليبيا ومراكش" •
- الإرسالية الأمريكية إلى الفلبين •
- الإرسالية الأمريكية إلى إندونيسيا •
- الإرسالية الأمريكية إلى إيران •

ولقد نجحت هذه الإرساليات في تأسيس كنائس بروتستانتية منافسة للكنائس الوطنية إذ أوجدت لتكون مراكز عمل وتنفيذ خطة على أعلى المستويات • (٣)

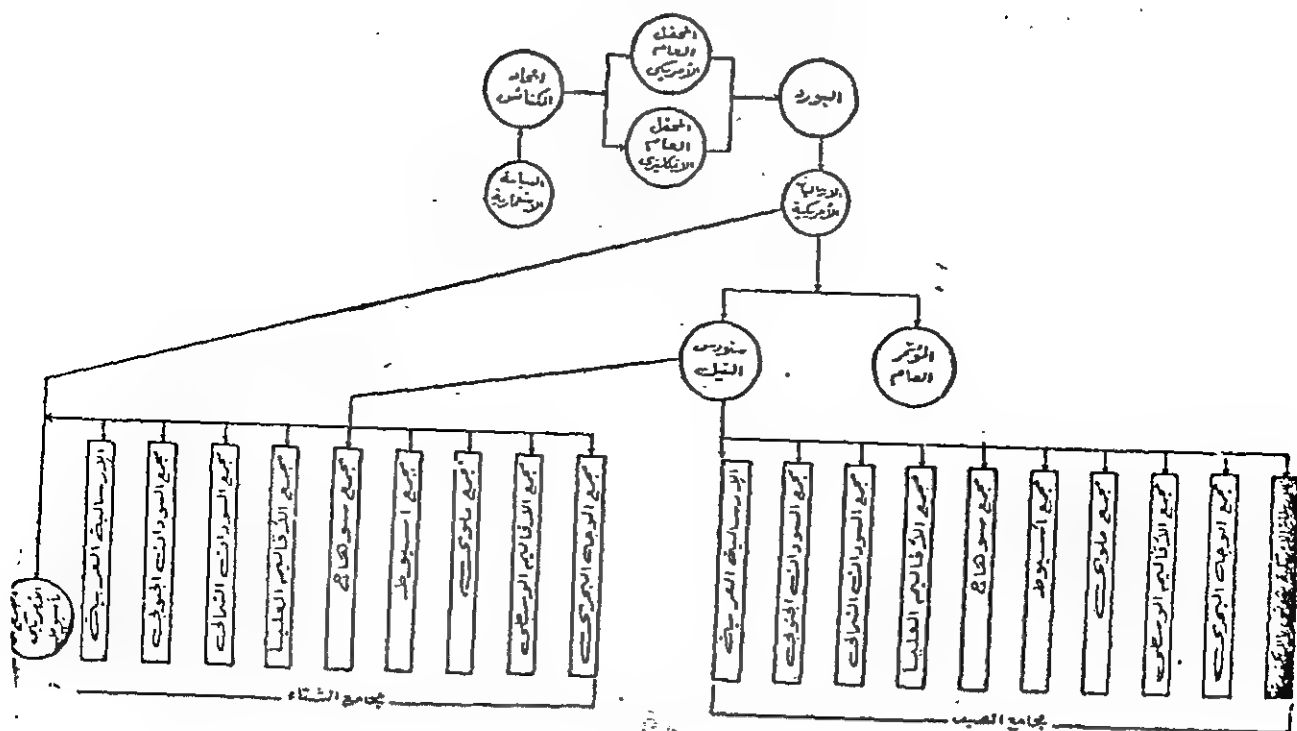
(١) مجلة (رابطة الأقباط الأرثوذكس) (العدد ١٦١ - السنة ٤١) ص ٣٨ من مقال للتحرير

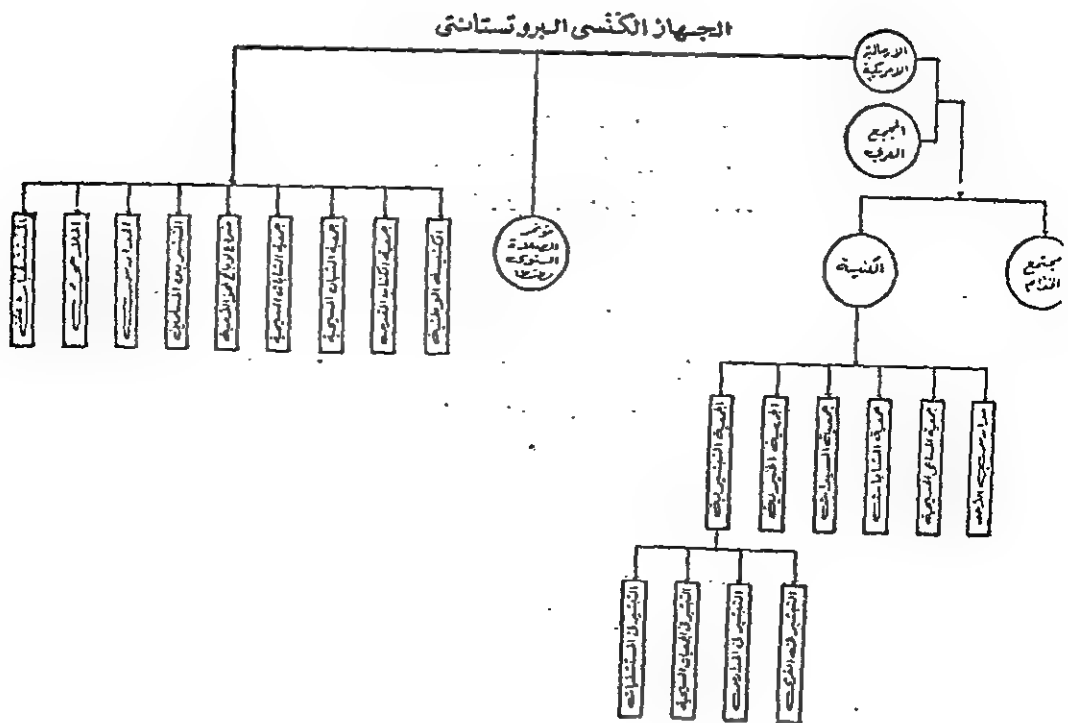
بمعنوان : الكنيسة القبطية وسائر كنائس العالم عدا الكنيسة الفاتيكانية براه من هذا

التعليم الزنيم • أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢٠ •

(٢) الإشتراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ص ٢٦ •

الجهاز الكنسي البروتستانتي
ص ١٩٦٠





وانتقل الآن إلى توضيح الرسم البياني في صفحتي ٢٠٧ و ٢٠٨ من الرسم البياني في صفحة ٢٠٧ يتبين الجهاز الكسبي ، والجهات العليا التوجيهية لسياسة الكنيسة في العالم الإسلامي على هذا النحو .

١ - اتحاد الكنائس :

اتحاد فيدرالي بين مدغلي الولايات المتحدة وبريطانيا ، لتنسيق الجهود التبشيرية ولتنفيذ سياسة اتحادية استعمارية في روع العالم الإسلامي ، وينعقد مرة كل بضعة سنوات ، تارة في الولايات المتحدة وأخرى في بريطانيا .

٢ - المحفل العام :

ومقره الدائم للأمريكان واشنطن ، وللإنجليز لندن وهذا المحفل يعقد من سنودسات الدول التي تحتضن المذهب البروتستانتي في أراضيها كجمهورية مصر العربية وفلسطين ولبنان ، والعراق ، وتركيا ، والهند ، والباكستان ، ومن المحفل العام هذا تخسرج التوجيهات يحملها المندوبون لتنفيذها ، كل في دائرة اختصاصه .

٣ - المؤتمر العام :

والمؤتمر العام يجتمع مرة كل فترة من السنوات في عواصم البلاد العربية من مندوبين عن السنودسات كما سبق ذكره في البند السابق وعلمهم في هذا المؤتمر دراسة كافة المشاكل التي تتعرض لها خططهم ، ووضع الحلول والاقتراحات لتقديسها إلى المحفل لإبداء الرأي النهائي فيها ، واتخاذ مايمكن اتخاذه من قرارات ، ومن مايرون من قوانين .

٤ - السنودس :

ويحدد مقره في الدولة التي يتبعها ، ففي جمهورية مصر العربية تحدد مقره في هذه المدن بالتالي : القاهرة ، النيا ، أسبوط ، وينعقد مرة في السنة وينعقد من جميع قساوسة ورعاة الكنائس في كل وادي النيل مصر والسودان ، وينعقد في شهر مارس من كل سنة وفي السنودس يتدارسون المشاكل التي تعترض الكنيسة المصرية أو السودانية

وخطه التعليم الموضوعة لتنفيذها في المدارس التابعة للإرسالية والسودس في هذا التمثيل يشبه إلى حد كبير المجالس النيابية ، بالإضافة إلى ذلك : يشبه الهيئة التنفيذية في تنفيذ ما قد تحدد من قرارات وما قد سن من قوانين وهو يشبه أيضا الهيئة القضائية في تحرير أو صياغة القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية .

من هذا كانت مكانة السودس مكانة القيادة بالنسبة للكائس الجمهورية العربية المتحدة .

٥ - المجمع الأمريكى :

إن المرسلين الأمريكين هم الأساس في نصيح الكنيسة الإنجيلية المشيخية ، وهم يستأثرون باجتماع خاص لهم ، لا يسمح لأجنبى بالدخول فيه ، وينعقد هذا المجمع في أواخر شهر يناير من كل سنة ، ومقره الدائم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية بأسيسوط ويجتمع جميع المرسلين من السودان إلى الدلتا بالجمهورية العربية المتحدة ، ويحضره أحيانا مندوبون من البورد الأمريكى ، وينعقد هذا المجمع لدراسة الشؤون التبشيرية وتنسيق الجهود مع كافة المذاهب الإنجيلية بجمهورية مصر العربية والسودان ، وسياسته سياسة توجيهية ، لها أثرها في الجامعات العربية والسودس .

٦ - المجمع العربى :

وهذا المجمع كما بينته بالرسم صفحة ٢٠٨ يتمثل فيه مجمع الوجه البحرى على سبيل المثال ، وينعقد في دورتين في السنة ، الدورة الاولى في شتاء كل سنة في الاسبوع الاول من شهر سبتمبر ، ويشتمل على جميع قساوسة المنطقة ، ولهم الاختصاصات التى سبق ذكرها من تشريع وتنفيذ ، كما يتدارسون شئون الشعب وما يتعرض له من مشاكل فردية أو جماعية وتتكون في أثناء انعقاد هذه المجمع لجان لدراسات معينة ، وجلسات هذه اللجان سرية . (١)

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية ص ٣٢ ، ٣٣ ، ويراجع كتاب " دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر " (نشر دار الثقافة المسيحية ب ١٣٠٤ القاهرة) بدون ذكر المؤلف ص ١٠١ - ١١١ ط (١) طبع مطبعة دار نهار بالقاهرة ١٩٨٥ م .

انقسام الكنيسة البروتستانتية

فى الوقت الذى ظهر فيه "مارتن لوثر" باحتجائه ، كان فى "سويسرا" صوت آخر آلمته الكنيسة الغربية بسلوكها وهو "زونجلي" (١٤٨٤ - ١٥٣١م) الذى جاهر هو الآخر بالثورة ضد صكوك الغفران متخذا الصراع والعنف طريقا لدعوته ، ولما شاعت دعوة "لوثر" و "زونجلي" ، تبعهما رجل آخر فى فرنسا وهو "كلفن" (١٥٠٩م - ١٥٦٤م) ، لكنه اضطر إلى الفرار بأرائه إلى "جنيف بسويسرا" وهناك "أعلن عقيدة الاختيار المطلق" مؤسسا بذلك "الكنيسة الكلفينية" التى انتصبت إليه ، وقد اقتضى أثرها اخوة بليموت الذين انقسموا إلى ثلاث فرق وهى المحافظين والمرحبين (أو المتعدين) والريفيين ، وأهم ماينادون به المساواة التامة بين جميع المؤمنين . (١)

وسرعان ما ظهرت "الكنيسة الاستقلالية" فى إنجلترا عام ١٥٢٠م وهى قائمة على نظام استقلال الكنائس المحلية ، ولو أنها أقرت اتحاد كنائسها معا فى معالجة الشؤون العامة ، ومن داخل هذه الكنيسة برزت "الكنيسة المعمدانية" ، وكان ذلك نفسى استرداد أولا بواسطة الذين نزحوا من "إنجلترا" إلى "هولندا" بسبب الاضطهاد وانقسمت هذه الكنيسة عند انتقالها لأمريكا إلى عدة أقسام يحمل كل منها اسما بجانب اسم "المعمدانية" الذى تفرع منها . (٢)

ومع ظهور الحركات المنشقة على الكنائس وما أكثرها فى عالم المسيحية — سببرز كنائس جديدة وهكذا وعلى مدى قرن من الزمان (١٧٥٠ - ١٨٥٠م) ظهرت عدة حركات نذكر منها ثلاثا أشار إليها "رولاند بيمستون" :

الميثودستية بقيادة "جون ولسلى" و "جورج هونتفيل" ثم الكاثوليكية الانجليكانية بقيادة "جون هنرى نيومان" ثم جيش الخلاص بقيادة الجنرال "وليم بوث" .

بدأت الحركة الميثودستية بين جماعة من طلبة جامعة أكسفورد كان منهم "جون ولسلى" و "جورج هونتفيلد" ، وقد أطلق عليها اسم "ميثودست" للتحقير فقط — ضحك عليهم زملاؤهم الطلبة لأنهم كانوا يوزعون وقتهم بطريقة "Method" دقيقة

(١) أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

فكذا من الوقت للدرس • وكذا للصلاة • وكذا للعمل بين السجنين وهكذا • (١)

ومن آثار الحركة • الميثودستية • ظهور حركات أخرى منها : • الحركة المورافية •
بزعامة الكونت • زولندورف • بألمانيا • وحركة • الكويكرز • بإنجلترا وهي التي تعتمد
على الإرشاد المطلق وفي أثرها ظهرت الحركة • الارفجية • عام ١٨٣٠م التي مهدت
للحركة الحاضرة المسماة • بالخشينية • والتي بدأت عام ١٩٠٦م في مدينة • لوس أنجلوس •
بالولايات المتحدة • • (٢)

وامتد أثرها بعد ذلك إلى مصر كما يقال : وذلك في أوائل الثلاثينات - من القرن
العشرين - ببلدة دير الجرنوس • في عهد القس • بطرس لبيب • • وامتدت إلى الفشن
ثم إلى سالوط والنيا وأسيوط والقاهرة والاسكندرية الخ • • (٣)

وهم يرجعون أصل • المذهب الخميني • إلى • يوم الخمسين • منذ عصر
الحواريين • ولما كانت هذه الطوائف قد لمعت في عالم المسيحية ونالت حظا من
الاعتراف بها فقد وجدت طوائف عديدة • منبوذة • • وتعتبرها الطوائف المسيحية
المحافظة مرتدة وتبترأ منها وأمثلتها : السبتين • والمورمن • والعلم المسيحي • وشهود
يهوه • • (٤)

وكل يوم يأتي بجديد في تاريخ الانشقاق المسيحي طائفا وكنسيا • فتعسدي
الأمر الطوائف المسيحية القديمة إلى أعداد تزداد على مر الأيام من الطوائف وتتبعها
مزيد من الكنائس المنشقة • وكما نظن أن • الكنيسة البروتستانتية • نهاية المطاف
في التعداد الكسي لكنا وجدنا انقساما حادا من داخلها نتج عنه الكثير من الكنائس
المنشقة والتي ذكر بعضها صاحب كتاب كثر النفائس والذي يعنينا من كل هذا العرض
أن نعرف المعلومات عن الذين يقومون بالدور التبشيري على أرضنا وبين صفوفنا فقد
تساعدنا هذه المعلومات في مواجهة هجماتهم المتكررة فبالرغم من هذه الانقسامات
لكنها في جانب نشر المسيحية ربما تتلاشى وتتحدد في مواجهة الإسلام واتباعه •

(١) الكنيسة من البد • إلى القرن العشرين رولاند بيستون ترجمة القس عبد النور ميخائيل

ص ١٦٣ بدون عدد للطبعة - المطبعة التجارية الحديثه بالقاهرة بدون تاريخ •

(٢) أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢١ •

(٣) تاريخ المذهب الخميني في مصر • القس صموئيل مشرقى ص ١٣ بدون عدد للطبعة

طبعة الأمانة بشبرا مصر ١٩٨٥ •

(٤) أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢١ •

نموذج للمركز التبشيري بإفريقيا

بينت أن الكنيسة مركز هام من مراكز التبشير القائمة في بلاد الاسلام • وأوضحـت أن الكنيسة الأرثوذكسية انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية • وأنها منتشرة في بلاد الشرق وأشرت أنهم يسمونها باسم أوطان انتشارها ففي مصر مثلاً تسمى الكنيسة القبطية وهكذا • ومنذ الستينات من القرن العشرين الميلادي والكنيسة الأرثوذكسية القبطية • تقوم بدور مكشوف في التبشير في القارة الإفريقية • كما تعد المبشرين وتدرهم ليتوزعوا على القارة لنشر الإنجيل بين ربوعها فقد اهتم " البابا " كيرلس السادس كما يقولون بخدمات الكرازة في إفريقيا • فأوفد القمامة والقسس للكرازة في القارة كما أوقدهم لحضور المؤتمرات والتي من بينها (الاجتماع التأسيسي لمجلس كنائس إفريقيا) • و (المؤتمر الأول لمجلس كنائس إفريقيا) و (مؤتمر الشباب الإفريقي) و (اجتماع اللجنة اللاهوتية لمجلس السلام المسيحي) التي عقدت في غرب إفريقيا بمدينة " فريتاون " عاصمة سيراليون وذلك في سبتمبر سنة ١٩٦٥م • وقد بعث القسس أيضا للدراسات الخاصة بشئون الأسرة في إفريقيا • وعمل على امتداد نشاط الكنيسة القبطية في إفريقيا وفق خطة معدة ومنظمة بالتنسيق تام مع الكنائس الأخرى لتنمية القارة •

الدراسات الإفريقية

كما اهتم البابا " كيرلس السادس " بالكرازة في القارة الإفريقية أهتم أيضا بالدراسات الخاصة بالإفريقيين لمعرفة الكثير عن عاداتهم • وطبائعهم • وغير ذلك من المعلومات التي تسهل المهمة التبشيرية " فشجع قسم الدراسات الإفريقية بمعهد الدراسات القبطية لإعداد قادة وخدام لاهوتيين ومدنيين للخدمة في ربوع إفريقيا •

وتشجيع من " البابا " تمكن " القس يوسف عبده " مدرس مادتي الكرازة والشئون الإفريقية في الكلية الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية من استكمال دراساته التي كان قد بدأها في هذه الميادين قبل ذلك في جامعات أمريكا بأن أعد لقسم الدكتوراه بكلية الآداب بجامعة القاهرة بحثا ورسالة موضوعها " الكنيسة والحركات الوطنية في شرق أفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر " •

وقد اقتضى الإعداد لهذه الرسالة أن يقوم " القس يوسف عبده " بجولة دراسية في دول وكنائس شرق إفريقيا • فزار في سنة ١٩٦٥م السودان • وكينيا • وأوغندا •

وتنانيا ، وأثيوبيا ، لمدة ثلاثة أشهر وجمع المستندات اللازمة للرسالة ، وعندما انتهت من إعداد الرسالة قدمها إلى جامعة القاهرة ثم نوقشت علنا في أحد مدرجاتها يوم ٢١ أبريل سنة ١٩٦٨م ، وقررت لجنة الامتحان منح " القس يوسف عبده " درجة الدكتوراه في الآداب مع مرتبة الشرف . (١)

وليس معنى هذا أن النشاط التبشيري في إفريقيا مقصور على الكنيسة القبطية فقط ، فهناك الكنائس الأخرى تقوم بأدوار كثيرة والجميع يعمل لنشر الأناجيل فسي تعاون وتنظيم وفق خطة مدروسة يقول الدكتور / الطيب زين العابدين :

ومعلوم أن الكنائس العاملة في إفريقيا ، متعددة الجنسيات ورغم الاختلافات المذهبية فيما بينها ، فإنها تتعاون في مجال التبشير ، وتقسّم فيما بينها المناطق والمقاطعات حتى لا تتضارب مصالحهم أو تصطدم ، وهم يتعاملون فيما بينهم بنوع من التنسيق والتعاون إلى حد بعيد ، وينبغي أن لا ننسى أن للتبشير النصراني خبرة طويلة جدا تناسب وقتنا الحاضر فإن طريقة المسلمين في الدعوة ، أغلبها طريقة وعظية كما أن الجامعات تدرس في كليات الدعوة الإسلامية كيفية الخطابة باللغة العربية وفي الدول غير الناطقة بالعربية ، لكننا نجد أن للراهب النصراني معلومات عليّمة فهو يعرف الاسعافات الأولية والكهرباء ، وتشغيل أجهزة العرض والتسجيل وله معلومات زراعية يفيد بها الأهالي وكذلك معلومات علاجية ، وفوق ذلك فهو يعرف لغة أهل البلد الذي يعيش فيه ، وعاداتها وتقاليدها وتاريخها ، ومجمل القول إنه شخص معد لكي يعمل في عالم معاصر ، ويكون مصدرا للتصوير في منطقتة . (٢)

مركز تدريب المبشرين بإفريقيا بكنوتسيكا (طره)

أعد " بابا " الكرسي السكندري المقر البابوي الملحق بكنيسة مارجرجس بكنوتسيكا (طره) ليكون مركزاً دائماً لتدريب وتأهيل قساوسة أفارقة للقيام بالمهام التبشيرية بإفريقيا وسأكتفى بنقل كلام الشمامسين د / حكيم أمين ، د / يوسف منصور حول هذا الموضوع حيث قالوا : تحت عنوان : " البعث الإفريقية " .

تلقت البطريركية عدة رسائل من مجموعات وكنائس إفريقية تطالب الكنيسة القبطية برعايتها باعتبارها الكنيسة الإفريقية الأولى ، وتلى هذه الرسائل زيارات من قادة وأعضاء

(١) عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة ص — ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) منار الإسلام (العدد الرابع — السنة العاشرة) ص ٥١ من حوار بعنوان هموم الدعوة الإسلامية في إفريقيا مع الاختصار .

هذه الكنائس الإفريقية • زاروا الكنيسة القبطية في فترات مختلفة • ومعهم مكث فسي ضيافتها حوالي ثلاثة أشهر لدراسة طقوسها ونظمها وتوالت وفود الطلبة الإفريقيين لفترات متقطعة وفي يناير سنة ١٩٦٦م أرسلت الكنيسة القبطية بالخرطوم بعثة إفريقية قوامها ستة عشر طالبا للدراسة بالكنيسة القبطية بمصر بعضهم من السودانيين والبعض من بلاد جبال النوبة وقد اهتم قداسة " البابا " بهم وأمر بإعداد المقرر البابوي الملحق بكنيسة مارجرجس بكوتسيكا (طره) ليكون مركزا بابويا للكراسة • وعهد إلى القس انطونيوس السرياني برعايتهم والإشراف على دراساتهم وتدريبهم الروحي والعملی •

وبعد سفر القس انطونيوس السرياني إلى السودان للإشراف على خدمات الكسرازة هناك • تولى الإشراف عليهم القس بيمين السرياني ^(١) والقس داود السرياني • وقد استمرت دراساتهم العلمية وتدريبهم العملي على الطقوس والخدمة الدينية حوالي ثلاث سنوات ثم أمر قداسة البابا بسيماهم شمامسة وكانوا يؤدون خدمة الهيكل بانتظام ثم عادوا إلى بلادهم في أغسطس سنة ١٩٦٨م حيث تولى نيافة الأنبا دانيال أسقف الخرطوم وأوغندا تعيينهم للخدمة الدينية في المناطق المختلفة ببلادهم • ^(٢)

وفي وقتها كان يدرس طالب كيني دراسته الدينية في مصر وتتوالى عدة طلبات من كنيسته لإرسال عدد كبير من أقرانه للدراسة في مصر • وبالإضافة إلى ما تقدم • أنشأت الكنيسة القبطية في السودان (ايارشيتي الخرطوم وأم درمان) وأقامت فيها فصولا تدريبية للراغبين في الكرازة يعمل فيها الكارزون الذين تدرّسوا في المركز البابوي بكوتسيكا • ^(٣)

وقد تتعدد المراكز لتدريب المبشرين في قارة إفريقيا • وقد تغير موقفها كما ذكرت سابقا • والمهم أن يفتن المسلمون وأن ينشطوا حتى يفتوا الفرصة على المد التبشيري في بلاد الإسلام قبل أن يفلت الزمام من أيديهم •

وفي الحبشة أقيم مركز خاص لتدريب الفتيات على العمل التبشيري ويقال : إن الذي أنشأ القس الكاثوليكي لمدينة " اديجرات " بأثيوبيا " سبحات ليب دركو " الذي رغب في إقامة لقاءات دينية للسيدات اللاتي يعملن في مجال الخدمة الاجتماعية ومن أصل أثيوبي •

(١) تنجح مساء ٩ مارس سنة ١٩٦٦م •

(٢) عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة ص ٥٤ ، ٥٥ •

(٣) المرجع السابق •

وتقوم الآن خمسة من الراهبات المسيحيات البيض بمساعدته في هذه المهمة وفي أكتوبر سنة ١٩٨٠م افتتح مركز للفتيات المسيحيات ضم أربعاً مهن للتخصص فـسـى التشكيل الاجتماعى وتقوم هؤلاء الفتيات بزيارة الكنائس فضلاً عن النشاط الطبى ، والاهتمام بالمعوقين ، وعملات الولادة ، والتأثير على النساء المسلمات من خلال هذه النشاطات. (١)

مركز تدريب المبشرين بآسيا فى إندونيسيا

نموذج لإعداد المبشرين بإندونيسيا فى مركزين كبيرين مشيدين بهذا البلد الإسلامى ، فقد ذكرت التحقيقات الواردة فى الجريدة الدولية التى تسمى " المسلمون " مايجرى داخل هذا البلد بقولها :

وفى إندونيسيا أكبر دولة إسلامية امتدت نشاطات المبشرين فى مختلف الولايات من خلال مركزين كبيرين الأول منها هو فى " لاوانج " فى شرقى " جاوا " وقد أنشأه الأب " سيلاس " وهو مبشر إندونيسى وجد أن أفضل السبل للوصول إلى الشعب التوجه إلى القرى فمن بين الـ ١٤٨ مليوناً ، وهو عدد سكان اندونيسيا نجد أن ٨٥% منهم يعيشون فى القرى .

ولذلك يقوم المركز بتدريب هؤلاء المبشرين المسيحيين على العمل فى القرى فقد اشتروا قطعة أرض مساحتها (١٥٠٠٠) قدم مربع وشيدوا عليها بناءً افتتحوه فـسـى ٢١ مايو ١٩٨١ وبدأ المركز عمله بتسعة طلاب من الذكور لدورة تدريبية مدتها عشرة أشهر أما المركز الثانى للتدريب فقد أنشئ فى " سوارابابا " فى جاوا ومدة التدريب فيه عشرة أشهر أيضاً حيث يتم التدريب فيه على الخدمة المسيحية واللاهوت المسيحى .

ومركز المنظمة الرئيسى هو فى كوالا لامبور (٢) ، وتعمل فى أماكن مختلفة فـسـى آسيا . (٢)

ويوجد بالقارة المذكورة العديد من المراكز التبشيرية التى تعتبر أوكارا لتربية القسس ، ومنها الجامعة التبشيرية القائمة بواسطة منظمة الكنائس الفلبينية فى " مدينـة كونهاتو " بجنوب الفلبين ، ومهمة هذه الجامعة هى شن حملات تبشيرية على المسلمين

(١) المرجع السابق باختصار .

(٢) تقع فى ماليزيا الغربية .

(٢) المسلمون ص ٦ (السنة الأولى - العدد الحادى عشر) .

وذلك لتحويل الجنوب الفلبيني إلى النصرانية وفي إندونيسيا أيضا العديد من المنشآت التبشيرية كجامعة البروتستانت " بجاكرتا " و " الجامعة الكاثوليكية اتما جايا بجاكرتا " بشارع الجنرال سوديرمان الرئيسى بالإضافة إلى مركز تدريب إرساليات البروتستانت فسي ييما مانغ سيانتار في سومطرا الشمالية • وهذا قليل من كثير من مراكز التدريب للإرساليات المختلفة المنتشرة في بلاد الإسلام •

محاولة الأقليات المسيحية شد الانتباه إلى النصرانية

تحاول الأقليات المسيحية دائما لفت الأنظار إلى النصرانية في أى وطن اسلامى تنعم في كنفه بالحرية • والأمن • والرخاء • وغالبا ما يحدث منها ذلك الشيء نفسه الأوقات التى يمر بها الوطن بمحنة قاسية عندئذ تُظهر الأقليات نواياها التبشيرية بطريقة سافرة وكثيرا ما يتم إلقاء الضوء إلى المسيحية من هذا الطريق بدوافع خارجية وتكون الكنيسة أو الدير المكان الذى ينطلق منه الحدث الهام • وسأضرب مثالين على ذلك حدثا في بلد مسلم • يرمى باهتمام بالغ أقلية مسيحية تعيش في أرغد عيش متمتع بكافة الامتيازات الوطنية •

الحدث الأول مايسمونه " تجلى أم النور " :

لقد أراد المسيحيون في مصر الإسلامية أن يكسبوا قلوب المسلمين نحو المسيحية مستغلين حبهم للصديقة : مريم أم المسيح عليه السلام • وواتتهم الفرصة بعدد نكسة يوليو ١٩٦٧م بعام واحد فقط • حيث كانت مصر الإسلامية تلعق جراح الهزيمة وتسمى جاهدة لازالة ضباب النكسة التى حلت بها على أيدي الصهيونية المدعمة بالاستعمار العالمى في تلك الظروف القاسية • والمحنة القاسية • وجدنا أقباط مصر مدفوعين لشغل الرأي العام يحدث ظهور العذراء وتناسوا معاناة الهزيمة • وكأن والده المسيح أبست إلا أن تظهر في السنوات السّوء لمة فكان ادعاء رجال الكنيسة أن السيدة مريم العذراء توالى ظهورها في كنيستها بالزيتون في ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م وتوالى الظهور لنهاية الشهر على فترات متقطعة • وهبت وسائل الإعلام المحلية والعالمية تنشر الحدث باهتمام وتضخم من شأنه حتى صارت ضاحية الزيتون بكنيستها مكانا يقصد ومزارا يشاهد • وأراد زعماء الكنيسة في مصر أن يحققوا وجودهم من خلال هذا الحادث المزعوم فانبرى البابا " كيرلس السادس " ملقيا أوامره بتشكيل لجنة خاصة لتقصي حقائق الظهور وبعد ما يقرب من شهر من بداية الظهور • الذى قرره اللجنة أعلن " البابا " رسميا ظهور أم النور • وأقرت

الكنيسة القبطية اعتباراً يوم ٢ أبريل من كل عام (٢٤ برمهاً) عيداً لظهور كلية الطهوس
وسأذكر البيان البابوي كما نشره القوم تاركاً للقارئ الكريم فرصة استعمال فكره في تقبل
أو رفض الحادث فالمعل الخالي من الغشاوة يستطيع بسهولة التمييز بين الحق والباطل
والنور والظلام .

بيان من المقر البابوي بالقاهرة

منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م الموافق ٢٤ برمهاً سنة ١٦٨٤ .
توالى ظهور السيدة العذراء أم النور في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي باسمها بشارع
طومانباي بحي الزيتون بالقاهرة .

وكان هذا الظهور في ليال مختلفة كثيرة لم تنته بعد . بأشكال مختلفة فأحياناً
بالجسم الكامل وأحياناً بنصفه العلوي يحيط بها هالة من النور المتلألئ . وذلك تارة من
فتحات القباب بسطح الكنيسة وأخرى خارج القباب . وكانت تتحرك وتمشي فوقها وتنحني
أمام الصليب العلوي فيضي بنور باهر . وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وإيماءات
رأسها القدس . كما ظهرت أحياناً بشكل جسم كامل من سحب ناصع أو بشكل نور يسبقه
انطلاق أشكال روحانية كالحمام شديد السرعة . وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة
وصلت أحياناً إلى ساعتين وربع كما في فجر الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨م الموافق
٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ . حين استمر شكلها الكامل المتلألئ من الساعة الثانية
والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة الخامسة صباحاً .

وشاهد هذا الظهور آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الأديان والمذاهب
ومن الأجانب . ومن طوائف رجال الدين والعلم والمهن وسائر الفئات الذين قـرروا
بكل يقين رؤيتهم لها . وكانت الأعداد الغفيرة تتفق في وصف النظر الواحد بشكله
وموقعه وزمانه بشهادات اجماعية تجعل ظهور السيدة العذراء أم النور في هذه المنطقة
ظهوراً متميزاً في طابعه مرتقياً في مستواه عن الحاجة إلى بيان أو تأكيد .
وصحب هذا الظهور أمراً هاماً :

الأول : انتعاش روح الإيمان بالله والعالم الآخر والقدسين وإشراق نسور
معرفة الله على كثيرين كانوا بعيدين عنه . ما أدى إلى توبة العديدين وتغير حياتهم .
والثاني : حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجز لكثيرين ثبت علمياً والشهادات
الجماعية .

وقد قام المقر البابوي بجمع المعلومات عن كل ماسبق بواسطة أفراد ولجان من رجال الكهنوت الذين تفحصوا الحقيقة ، وعانينا بأنفسهم هذا الظهور ، وأثبتوا ذلك في تقاريرهم التي رفعوها إلى قداسة البابا الأنبا " كيرلس السادس " والمقر البابوي إنه يصدر هذا البيان بقرار بميل الإيمان ، وعظيم الفرح ، والشكر الانسحاق أمام العزة الإلهية أن السيدة العذراء أم النور قد والت ظهورها بأشكال واضحة ثابتة في ليال كثيرة مختلفة لفترات متفاوتة وصلت في بعضها لأكثر من ساعتين دون انقطاع ، سنة ١٦٨٤ ش حتى الآن بتكيسة السيدة العذراء القبطية الأرثوذكسية بشارع طوبانيا بحي الزيتون في طريق المعربة بالقاهرة وهو الطريق الثابت تاريخيا أن العائلة المقدسة قد اجتازته في تنقلاتها خلال إقامتها بمصر .

جعل الله هذه البركة رمز سلام للعالم ، ونحن لوطننا العزيز وشعبنا المبارك السدي سبق الوحي الإلهي فطلق عنه " مبارك شعبي مصر " (١) السبت : ٤ مايو سنة ١٩٦٨ م و ٢٦ برمودة سنة ١٦٨٤ ش المقر البابوي بالقاهرة . (٢)

وبعد هذا البيان لاندري لماذا استنعت السيدة مريم العذراء عن الظهور مسرة أخرى وأغلب الظن أن انتصارنا في العاشر من شهر رمضان الكريم سنة ١٣٩٣ هـ حبسها عن الظهور مرة أخرى .

وسا يدل على أن هذا الحادث سبق إلى اقباط مصر من قبل الاستعمار الخارجي أن له شبيها في إسبانيا زعم من قبل الحادث المبائل :

وسا يلتفت النظر ما حدث في إسبانيا من قبل ، واقتبعت منه فكرة ظهور العذراء في بلدة " فاتيما " (٣) ادعوا أن السيدة العذراء ظهرت فيها ، ولعلمهم يريدون جذب قلوب المسلمين إليهم من هذا الطريق وهو ما أفصح عنه مؤلف كتاب : داخل إفريقيا حيث قال تحت عنوان : هل ستعمل مريم على الظفر بمائتي مليون مسلم ؟ لفت الأسقف مولتون ج . شمين أكرم من سريرة الحقيقة الاتيـــــه ، وهي أن سيـــــدة فاتيما (١) أ ي

- (١) سفر إشعيا (١١ : من الفقرة ٢٥) .
 (٢) عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة للشمامسين دكتور حكيم أمين ، دكتور يوسف منصور ص ٦٥ - ٦٧ بدون ذكر الطبعة ، والطبعة ١٩٦٩ م .
 (٣) " فاتيما " هي بلدة صغيرة في البرتغال ظهرت فيها السيدة العذراء (داخل إفريقيا تأليف / جوجنتر إشراف وتقديم حسن جلال العروس ج ١ ص ١٢ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهرة ونيو يورك ١٩٥٢ م) .

السيدة العذراء) تحمل اسما مسلما ويكن لها المسلمون الولا ، لأنها والددة المسيح ومن الممكن أن يترتب على هذا الولا هدايتهم إلى المذهب الكاثوليكي بوساطتها أما عن ولا القرآن لمريم فإنه خليط مستغرب ، لكنه جعل للمسلمين على آية حال تقاليد مريمية ، ويمكن أن تكون العذراء هي المفتاح لغزو المسيح للمسلمين^(١) وعلى كل حال فإن القرآن الكريم كرم المسيح وأمه ، وأعطاهما حقهما كاملا غير منقوص وليس فيه ما خلط بمستغرب بل أمره في ذلك واضح .

الحدث الثاني : نبأ العثور على رفات " النبي يحيى " عليه الصلاة والسلام :

في اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٣ نوفمبر * تشرين ثان " ١٩٧٨ م طالعنا جريدة الأهرام المصرية^(٢) في صفحتها الأولى بهذا العنوان : " كشف ديني بالغ الأهمية " العثور على رفات النبي يحيى " المعمدان " أسفل جدار كنيسة قديمة بوادى النطرون - ووالى الأهرام نشر التحقيقات حول نبأ الكشف عن النبي يحيى عليه الصلاة والسلام في سبعة عشر تحقيقا وقد أجرى هذه التحقيقات الصحفي عزت السعدنى ونقلها بعد ذلك في كتاب له بعنوان : (هل يوحنا المعمدان ؟)^(٣)

وفي التحقيق الأول يقول عزت السعدنى : لتكن البداية من داخل المكان الذى عشروا فيه على رفات " يحيى " عليه السلام أو يوحنا المعمدان كما يلقبونه فى الديانة المسيحية ، المكان : دير من الأديرة التى ذكر فيها اسم الله طويلا عبر رحلة من العمر طولها ١٦١٩ سنة أنه دير الأنبا مقار فى وادى النطرون ومشواره من القاهرة نحو ١٠٠ كيلو متر لاغير .

ويقال فى وصفه : والدير الرابع المسمى بدير القديس مقار ليس به سوى بشر واحدة مأوها ملح ولكن على قيد زها أرمعائة متر منها توجد بشر أخرى معتنى بصيانتها عناية عظيمة مأوها عذب فوات ويوجد ينبوع ماء على سطح الوادى المقابل للدير وعمق البئر الأخيرة خمسة أمتار ، واتساعها متر وثلاث متر مربع وبها من الماء أقل قليلا من المتر^(٤)

(١) المرجع السابق .

(٢) (السنة ١٠٤ - العدد ٣٣٥٧٥) .

(٣) نشر جريدة الأهرام القاهرية فى أول فبراير ١٩٧٩ م .

(٤) وادى النطرون وورهبانه وأديرتة ومختصر تاريخ البطاركة مذيلى بكتاب تاريخ الاديرة البحرية للأخير : عمر طوسون - ٧٦ بدون عدد للطبعة مطبعة السفير بالاسكندرية ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .

الدير ليس مكانا للعبادة فقط :

لقد كان الدير فى الزمن الماضى مكانا للعبادة فقط ، وكان الرهبان منقطعين للتبتل ، وبحث أمور الدين .

أما العصر الحالى فقد شاهد تغييرا فى نظام الرهبنة ، فصار الرهبان فى الغالب - رجال دنيا يضعون الخطط لنشر المسيحية ، وتمكن أتباعها فى بلاد الإسلام وينظمون الاحصاءات ، ويرسمون الخرائط لتحديد أماكن المسيحيين ويدبرون الأمور فى الظلام من أجل سيطرة الأقلية على الأكثرية ، فالرهبنة الحديثة ابتعاد عن أعين الرقباء وعمل فى الخفاء لتحقيق مكاسب للمسيحية فى كل البلاد على حساب أى وطن يعيشون فيه ولو كانوا أقلية لا تذكر بالنسبة لتعداد الوطن .

ويؤكد مانقول أن دير الأنبا مقار يوجد به ٨٠ راهبا من مختلف التخصصات بينهم ٢٥ مهندسا ، و ٦ صيادلة و ٤ أطباء بيطريين و ٥ مهندسين زراعيين ، وربما زاد عدد رهبان الدير وكثرت تخصصاتهم ، ولم تشغلهم العبادة كما كان يحدث فى الماضى بقدر ما يسيطر على تفكيرهم العمل على إحكام قبضة المسيحيين فى أى قطر إسلامى على تجارته الداخلية والخارجية ، وملء الفراغ الخلقى - فى الزراعة والصناعة وكافة المجالات - الذى عجز المسلمون عن ملئه نتيجة للضربات المتلاحقة الموجهة إليهم ولإبعادهم عن ساحة العمل الجاد وتعهد غلق الابواب فى وجوههم فلا غرابة ان يستغل هذا الوادى لصالح المسيحيين ، وأن تقتصر خبراته عليهم وحدهم ولذا حين توجهه الصحفى " عزت السعدنى " إلى الأب " باسيليوس " بالسؤال الآتى :

هل يعيش الرهبان طول وقتهم للعبادة وحدها ؟ قال الراهب ذو الرداء الأسود والعيون الزرقاء والكلام الشفاف والعبارة البيضاء ، كما أن الصلاة عبادة فإن العمل عندنا أيضا عبادة والرهبان فى صحراء وادى النطرون يحولون الرمال الآن إلى جنة خضراء وارفقة الظل .^(١)

ويقع وادى النطرون تقريبا فى منتصف المسافة بين القاهرة والاسكندرية بالقرب من الطريق الصحراوى ، وهى الأرض الصالحة للزراعة ، والمعادن المختلفة ، ولو اهتمت وزارته الزراعة والصناعة المصرية بهذا الوادى لتحول إلى مصدر من مصادر الثروة ، ولعمرو بالمواطنين

(١) هل هو يوحنا المعمدان ؟ " المقدمة " .

من المسلمين والمسيحيين على السواء بدلا من بقاءه منعزلا ، وشبه مستقل به الأديريسه التى يستقل بها الرهبان ، الذين تخلوا عن واجب الرهينة وعن واجب الوطن فكان واجب الوطن يحتم عليهم أن يتعاونوا مع المسئولين حتى يتم تعمير هذا المكان بأبناء الوطن الواحد بلا تفرقة ليكون مدينة بين المحافظتين ، لتخفيف العبء السكانى عن مدينتى القاهرة والاسكندرية ، لكن المفاجأة المذهلة أن يخرجوا على العالم أجساد بنى وجود رفات يوحنا المعمدان بالوادي نحن فى ظروف صعبة أثناء البناء والتعمير وترميم ماتصدع نتيجة للحرب مع الاسرائيليين .

قاصدين أن يكون هذا المكان مزارا خاصا بالمسيحيين ومتهيمين أن وجود جسد النبى يحى عليه الصلاة والسلام يجعل المكان مقصورا عليهم دون سواهم .

والأمر الملفت للنظر أن مكان حج المسيحيين ومزارهم واقع فى قبضة اليهود والمسيحيون فى أرجاء الأرض يدركون حقيقة عداوة اليهود للمسيح عليه الصلاة والسلام وبالتالي بغضهم لأتباعه وأماكن عبادتهم ، وبالرغم من إدراكهم لكل هذه الأمور لم يحركوا ساكنا ، وإنما دفنوا رؤسهم فى الرمال أمام اعتداءات الصهاينة على أماكنهم المقدسة " بالقدس " وخرج المسيحيون فى مصر على العالم بمزار جديد ادعوا وجود جسد يوحنا المعمدان فيه .

الكشف حديث العالم :

تحت عنوان وأصبح الكشف حديث العالم تنقل مجموعة من الآراء المتنوعة الصادر حول هذا الكشف كما ذكرت فى التحقيق الرابع ومن الفاتيكان : دعا المرنسينيور " جوفانيا بابا مؤرخ كنيسة الفاتيكان لإجراء دراسات وقضايا من أجل التأكد من وجود رفات جثمان يوحنا " المعمدان " داخل الكنيسة المصرية (وأشار إلى أن معلوماته من هذا النبأ لم تصله إلا من الصحف المصرية) .

وأضاف أن الأدلة التى يمكن أن تؤكد مثل هذا الاكتشاف مازالت غير كافية وأكد " بابا " أنه يجب أن تعاد دراسة الوثائق التاريخية التى تشير إلى نقل جثمان يوحنا إلى مصر كما يجب إجراء اختبارات على الجثمان لمعرفة ما إذا كانت هناك بعضا من أجزائه مفقودة خاصة وأن بعض الكنائس الأخرى فى عدد من مدن العالم قد ادعت وجود أجزاء من رفات جثمان يوحنا " المعمدان " لديهم .

وفى مدينة سولت ليك الأمريكية قالت مصادر الكنيسة " المورمونية " السيستى
تأسست فى الولايات المتحدة عام ١٨٣٠م بأنه لاصحة لما روته الصحف المصرية مؤخرًا
عن وجود جثمان النبى يوحنا " المعدادان " فى مقبرة ما بالقرب من القاهرة .

وقال رئيس الكنيسة أمس أنه لا يمكن أن تحتوى المقبرة التى اكتشفت على جثمان
النبى يوحنا للسبب البسيط وهو أن يوحنا " المعدادان " قد قام متجسداً على الأرض مرة
فى عام ١٨٢٩م .

وقال محمد عادل سليمان مفتش اللغة العربية بالأزهر : " إنه لا بد فى البداية
من معرفة الخلفية الحقيقية وراء هذا الكشف ماسر اللهاك البهوج وراء الحفر المظنون
أو المحقق ؟

نرى أكان العثور على الرفات عن طريق العمد أم على طريق العفوية ؟ فان يكن
عن طريق العمد فإنه لا بد من سؤال جديد .

هل تعتمد الحفار ذلك لأنه يعلم أنه سيعثر حتماً على رفات نبى ؟ وإن كان
يعلم ذلك فلم تأخر البحث والحفر هذه القرون الطويلة ؟ وإن يكن عن طريق العفوية
فكيف بقى الهيكل قائماً بعد لم يتهدم ؟ وحين ندع هذه التساؤلات لندخل إلى الموضوع
ذاته فى صميمته وأعماقه نرى أن الرفات إما أن يكون جسداً تاماً أو بقايا جسد وحين
نراه بقايا جسد فليس وراء الكشف قيمة دينية ولاتاريخية لأنه بقايا جسد الإنسان أى إنسان
وحين يكون الرفات جسداً تاماً كامل الأعضاء فيه ليونة الولاية واخضرار النبوة وطراوة -
الاصطفائية فلذلك دلالة - لا على المعجزة - ولكن دلالة على ولاية صاحب الجسد حين
يخبرنا علماء الآثار أن هذا الجسد قد مرت عليه أحقاب ضاربة فى تجاوزيف الزمان غير
أننا نتوقف دون أن نقطع باسم صاحب هذا الرفات القديم فليس فى الكتب السماوية
صورة دقيقة لملاح " يحيى " ولا لملاح " اليسع " .

وليس هناك نبى ولا رسول يعلم الناس مكان مقامه إلا رسول الله محمد صلى الله
عليه وسلم ، ومن هنا فإننا - حتى لو عثرنا على رفات جميع الأنبياء - لا نستطيع أن نجزم
بصاحب كل رفات ، ولا أن ننسب أسماء كل نبى إلى رفاتة . (١)

والمسيحيون يعتقدون بقتل يحيى عليه الصلاة والسلام وفصل رقبته عن بقية جسده
فمن أين يعرف الجسد بدون الرأس ، ولو وجد الجسد والرأس معا فكيف نتأكد من أن

هذا رأس يوحنا وذاك جسده وهم يقولون بدفن الرأس في مكان والجسد في آخر وكلاهما انتقل من مكان إلى مكان بعيداً عن الآخر وفي زمن غير زمن الآخر ولم يوجد ما يدل على دفنهما في مكان واحد بعينه .

يحى عليه الصلاة والسلام

هو يحيى بن نبي الله زكريا الذي خاطبه القرآن الكريم (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً)^(١) ، وقد ولد يحيى عليه السلام في مدينة القدس في العام الذي ولد فيه المسيح عليه السلام في بيت لحم إذ حملت فيه والدته ايشاع بنت فاقوذ أو اليصابات كما يسمونها أهل الكتاب زوجة زكريا عليه السلام وهي في سن الثامنة والتسعين من عمرها في الزمن الذي كانت مريم ابنة عمران ابنة اختها حنة بنت فاقوذ حاملة فيه بعيسى عليه السلام .^(٢)

فوالدة يحيى أخت جدة عيسى عليهما السلام وقصتهما : أن زكريا بن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى والأخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم والددة المسيح^(٣) ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر .

وبعد ولادة يحيى ثم بلوغه سناً يؤمر مثله فيه ناداه الله عز وجل : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وإتيناه الحكم صبياً) .^(٤)

وقيل : المراد بالحكم الحكمة ، وقيل بمعنى العقل ، وقيل الفراسة الصادقة وقيل النبوة وعليه كثير قالوا : أوتيها وهو ابن سبع سنين أو أقل ولم يتنبأ أكثر الأنبياء .

-
- (١) سورة مريم الآية ٧ .
 (٢) حياة وأخلاق الأنبياء أحمد الصباحي عبد الله ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ط (١) طبع دار اقرأ ببيروت لبنان ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .
 (٣) قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس تأليف (أبي اسحاق أحمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ) ص ٣٣٣ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه .
 (٤) سورة مريم الآية ١٢ .

عليهم الصلاة والسلام قبل الأربعين^(١) . فكان يعظ الناس من بنى إسرائيل ويدعوهم إلى الله ثم قتل قبل أن يرفع عيسى إلى السماء .

مقتل يحيى عليه الصلاة والسلام

كان " هيرودس " بن هيرودس ملك على نصف المملكة اليهودية وأخوه فيليبس على النصف الآخر وكان هيرودس فاسقا عاصيا أحب " هيروديا " زوجة أخيه الملك ومن أجلها حارب أخاه واستولى على ملكه . وعزم على الزواج من " هيروديا " ليستأمنه السنة الذين احتجوا على فعله ومن ناحية أخرى أراد أن يبارك " يحيى " عليه الصلاة والسلام هذا الزواج ليكون في حماية رجل الدين فلم يوافق على سلوكه الشائن . فخرج به في السجن وأثناء حفل ميلاد الملك حدث أن كانت " سالومي " ابنة " هيروديا " من راقصات الحفل الماجن . فطلبت رأس " يحيى " من الملك بناء على رغبة أمها لأن " يحيى " لم يوافق على زواجها من الملك وما كان لمثل هذا الملك الظالم أن يرفض هذا الطلب . فأمر السيف بإتيانه برأس " يحيى " وفورا نفذ السيف وحضر بالرأس في طبق إلى الملك الذي أرسلها بدوره هدية إلى " هيروديا " ^(٢) فاستحقا معا ومن عاونهما على هذا العمل الشنيع من بنى إسرائيل لعنة الله تعالى .

فهذا النبي الغياض بالحنان قتل في بنى إسرائيل ظلما ورأى بعض علماء المسلمين أن " يحيى " عليه الصلاة والسلام مات ولم يقتل مستشهدا بظاهر قول الله تعالى فسي شأن " يحيى " " وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا " . ^(٣)

ومفرقا بين الموت والقتل . وغاب عنهم أن " المقتول ميت بأجله " الذي قدره الله تعالى حكم بأجل العباد على ما علم من غير تردد قال تعالى : " لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " ^(٤) فالأجل قد يكون قتلا أو غيره بمعرض أو غيره وكل ذلك بتقدير الله تعالى . ^(٥)

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٢٢ بتصرف .

(٢) تاريخ يوسف بن كريبون اليهودي ص ٢١٣ بدون عدد للطبعة طبع في المطبعة العلمية ليوسف إبراهيم صادر في بيروت .

(٣) سورة مريم الآية ١٥ .

(٤) سورة يونس من الآية ٤٩ .

(٥) كتاب الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعارف بالله : عبد الغنى النابلسي الحنفي الدمشقي ص ٤٦٥ دار الطباعة العامة ١٢٩٠ هـ .

ولذا يقول الاتوسى : فى معنى قول الله تعالى : " ويوم يموت " فيه دليل على أنه يقال للمقتول ميت بناءً على أنه عليه السلام قتل لبغى من بغايا بنى إسرائيل ثم يشير إلى أن قول الله تعالى : " ويوم يبعث حيا " يعطى دلالة على قتله عليه الصلاة والسلام فالحال جىء بها للتأكيد ، وقيل للتنبيه على أنه عليه السلام من الشهداء . (١)

ولقد قتل اليهود كثيراً من الأنبياء ، وهذا يرجح قتلهم " ليحيى " عليه الصلاة والسلام .

مكان رأس يوحنا

روى عن مراجع المسيحيين انتقال رأس يوحنا من مكان لا آخر فقد ورد فى " السنكسار الجامع " لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء ، أن رأس يوحنا انتقل من منزل " هيرودس " بواسطة أحد رجلين من أهل " حصص " قصداً بيت المقدس فظهر القديس " يوحنا " لأحدهما وأعلمه باسمه ، وعرفه بموضع رأسه وأمره أن يحمله معه إلى منزله ، وحفر الرجل فى الموضع فوجد الرأس داخل وعاء من الفخار المختوم ، فحمله إلى منزله ووضع فى خزانته ، ولم يزل الرأس ينتقل من انسان لآخر حتى انتهى إلى رجل " آريوسى " وقد طرد هذا الآريوسى من مكانه ، ولم يعلم أحد أين دفن رأس يوحنا ؟ .

حتى جاء زمان القديس " كيرلس " أسقف اورشليم ، فظهر القديس " يوحنا " لأنبيا " مريتانوس " أسقف حصص فى النوم وأرشده إلى موضع الرأس فأخذه وكان ذلك فى الثلاثين من شهر أُمشير . (٢)

وقد جاء فى تقرير على تاريخى للدكتور " هنرى أمين عوض " : أنه معروض فى متحف " طوباتوساى " فى اسطنبول بعض عظام النبی يحيى " عظمة الجهة وعظام أحد الأطراف " وذلك فى الجناح المخصص لعرض المجوهرات والمطل على مضيق البسفور وبالتحديد فى أول غرفة على يسار الداخل من باب المتحف . (٣)

ويرى البابا " شنودة الثالث " بابا الإسكندرية أن رأس يوحنا " المعمدان " مدفونة فى أحد أركان الجامع الأموى بدمشق ، وقد ذهب بنفسه وصلى على رأس يوحنا فى هذا المكان (٤) ورأس تعددت الآراء فى مكان دفنه ، ومرت السنوات العديدة عليه وهو

(١) روح المعاني ج ١٥ ص ٧٣ ، ٧٤ بتصرف .

(٢) ج ١ (شهر أُمشير) بايجاز .

(٣) هل هو يوحنا المعمدان ؟ ص ٥١ .

(٤) يراجع المرجع السابق ص ٥٢ .

منفصل عن الجسد الخاص به كل هذا كفيل بعدم القطع بوجود رأس يوحنا في مكان بعينه ، ومن باب أولى تحديدها ، ولكن زعماء القبط وعلى رأسهم " البابا شنودة الثالث " يصنعون قصة من وراء رفات النبي يحيى عليه السلام في محاولة منهم لإحياء الحركة التبشيرية المسيحية في هذه البلدان فرأس يوحنا بدمشق ، وبعض عظامه بدولة الخلافة في تركيا الإسلامية وجسده بوادي النطرون بصر وكل ذلك بمثابة إنذار للمسيحيين بأن يتحركوا فكل هذه الأماكن بها مآثر لهم وعليهم أن ينبشوا القبور لتعود المسيحية من جديد في بلاد الشام وبصر خاصة وإلا فما الداعي لهذه الضجة وما الهدف المقصود من ورائها ؟ .

مكان جسد يوحنا

وكما انتقل الرأس الكريم من مكان لآخر ولم يعرف بالقطع مكانه الآن كذلك الجسد الظاهر ، وفي " التحقيق الثالث " يتوجه عزت السعدني إلى رهبان دير الأنبا مقار قائلاً : ولكن إذا كان الفرق بين ظهور النبي اليسع والنبي يحيى بن زكريا (مابين ٣٠٠ و ٦٠٠ سنة) (*) كيف جمعتهما بعد رحيلهما من الدنيا " رحلة رفات واحسدة " من فلسطين حتى الإسكندرية وحتى هذا المكان ؟ ، تقول الكتب القديمة والمخطوطات :

المعروف تاريخياً أن جسد النبي يحيى أو يوحنا المعمدان دفن بعد أن لقى مصرعه بحد السيف في هيكل الملك سليمان في نفس الوقت فإن هذا الهيكل كان يضم أجساد الأنبياء السابقين له وتقول الكتب إن الهيكل كان يضم ١٤ من أجساد الأنبياء .

وفي القرن الرابع قام الإمبراطور البيزنطي " جوليانوس " بنبش قبور الأنبياء وقال كلته المشهورة : " هذا الهيكل يبقى خراباً " ويطلقون على هذه الفترة المسيحية بفترة الإضطهاد ، ولقد خرج من أساس الهيكل كرات من نار مع أجساد الأنبياء غطت المنطقة كلها ، واستطاع المسيحيون الأوائل أن ينقذوا جسد يوحنا المعمدان والنبي اليسع من بين أنقاض الهيكل وهربوا بها إلى الإسكندرية في عهد الأنبا " تاوفيلس " (*) الثالث والعشرين

(*) الصحيح تسعمائة سنة (يراجع : يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) بين الإسلام والنصرانية د / أحمد حجازي السقا ص ١٥٩ بالهامش .

(*) البطريك تاوفيلس : أصله الإسكندرية وأقام بطربكا ثمان وعشرين سنة من شهر أغسطس ٤٠٢ م إلى ٢٥ أكتوبر ٤٣٠ م وهي سنة الوفاة " وادي النطرون ورهبانه وأديرتهم ص ١٠٩ بإيجاز " .

ودفن الجسدان في إحدى الكنائس بالإسكندرية .

في أوائل القرن الحادى عشر وبعد أن عانى الصربون كثيرا - مسيحيين ومسلمين - من جنون الحاكم بأمر الله نقل جثمان يحيى واليشع إلى دير الأنبا مقار ودفن الجسدان على مسافة ثلاث قامات أسفل الهيكل المعروف باسم هيكل يوحنا المعمدان ما يستحيل الكشف عنهما دون أن يتداعى الهيكل بأكمله .

كما جاء في المخطوط الذى عرف منه الرهبان بـ"مجان وجود الرفات"^(١) واعترض الباحث الدكتور أحمد حجازى السقا على أن يكون الهيكل مكانا لدفن جسد يوحنا ، وذكرى كان يؤم الناس فيه بالصلاة الجامعة ، والمسيح عليه الصلاة والسلام صلى فيه ووعظ الناس وناقش العلماء ورجع دفن يوحنا حيث قتل عند قلعة "ماكروس" كما قال المؤرخ يوسفوس المعاصر له والذي أثنى عليه ثناءً عاطرا .

ورد عليهم أن يكون "جوليانوس" عزم أن يبنى هيكل سليمان الذى هدم نفسى سنة ١٣٢م ليبطل قول المسيح ويسخر من نبؤاته لأنه قال : إن الهيكل سيهدم ولن يبنى وكيف يبطل "جوليانوس" قول المسيح ويسخر من نبؤته وهو قسطنطين من المعترفين بالنصرانية دينا رسميا فى الدولة الرومانية ضمن الديانات المعترف بها فى الدولة ؟ ثم يقول عقب ذلك :

وحسب مؤرخى النصارى - من غير السريان - الذين يقولون إنه ملك سنة ٣٥٥ ومات سنة ٣٦٣ ب . م أى كان بعد موت قسطنطين مؤسس المسيحية بستة وعشرين سنة يسرد نفس الاعتراض ويلزمهم أن يفرقوا بين "يوليانوس" الذى كان سنة ١٩٣ ب . م و "يوليانوس" الذى مات سنة ٣٦٣ ب . م من منهم الذى أراد إغاظة المسيح وإبطال نبؤته^(٢) ؟ .

وكما وقع الاختلاف فى مكان دفن جسد يوحنا بأرض فلسطين وقع الاختلاف أيضا فى مكان دفنه بالإسكندرية حسب أقوال النصارى فيقال إن جسد يوحنا المعمدان واليسع نقل إلى الإسكندرية وحفظهما بابا الاسكندرية "اثناسيوس"^(٣) الرسول فى بستان إلى

(١) الأهرام (السنة - ١٠٤ - العدد ٣٣٥٧٧) تحقيق بعنوان هل هو النبى يحيى

"المعمدان" ؟ ١٩٧٨م ، هل هو يوحنا المعمدان ؟ ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) يوحنا "المعمدان" "يحيى عليه السلام" بين الإسلام والنصرانية ص ١٨٤ ، ١٨٥ بتصرف .

(٣) "اثناسيوس" الرسول : أصله من الاسكندرية وأقام بطريركا ستا وأربعين سنة من

مايو سنة ٣٤٤م إلى مايو سنة ٣٩٠م وعاش فى عهده القديس مقار الكبير ، والقديس مقار

الاسكندري "وإدى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة ص ١٠٧ بتصرف .

حين بناء كنيسة (مارتيريا) على اسميهما وليدفنا بها ، ولما لم يتمكن من ذلك قام خلفه "البابا" تاوفيلس "أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ببناء كنيسة (مارتيريا) وأودع فيها جسد النبيين وسميت باسم كنيسة القديس يوحنا المعمدان في مكان المعبد الوثني القديم المشهور باسم السرابيوم (وموقعه حاليا بحى كرموز عند غامود السوارى المشهور) وتقول مصادر أخرى عربية إن كنيسة القديس يوحنا المعمدان كانت في الموقع الذى يقوم فيه حاليا مسجد النبی دانيال ولكن الرأى الأول هو الأرجح حيث كانت كنائس "المريتريا" تقام قديما على أطراف المدن وقرب المقابر . (١)

وبالتحديد القاطع الموصول إلى اليقين بأن جسد يوحنا دفن في مكان بعينه في مدينة الاسكندرية لم يجزم به باحث ما يجعلنا نشك في أن الجسد المنقول من الاسكندرية الى دير الأنبا مقار هو جسد النبی يوحنا على فرض أنه تم نقله من فلسطين إلى الاسكندرية ولو فرض أن المنقول إلى دير الأنبا مقار هو جسد يوحنا يبقى الباحث في حيرة فهم يقولون إنه لم ينقل وحده .

أيها رفات يوحنا ؟

لوقال علماء النصارى إن رفات يوحنا نقلت واحدا إلى دير الأنبا مقار بسوادى النطرون ، لبقى الأمر في زمنهم إن كانت المواصفات التى نقلوه بها هى نفسها المواصفات الموجودة الآن من حيث تحديد الأشكال والأحجام وما إلى ذلك أما وإنهم يقولون إنهم نقل مع رفات أخرى ، وهم لا يستطيعون تمييزها من بعضها فكفى حيرتكم ولاداعى لأن - تدخلوا غيركم في هذه الحيرة التى لاتوصل إلى اطمئنان ، ولاتوصل إلى يقين وهو ما يظهر من التحقيقات فقد حكى "جريدة وطنى" أن رفاتى يوحنا واليسع وضعا مع رفات الأنبا مقار الأسقف الذى استشهد سنة ٤٥١م ودفن في الاسكندرية .

ووردت عبارة في سير القديسين يفهم منها ضمنا أن رفات مقار الأسقف نقل إلى دير الأنبا مقار الكبير وحيث أن الثلاثة كانوا معا ، ونقل واحد فإن الإثنين يكونان معه . (٢)

(١) المرجع السابق ص ١٦٦ و ١٦٧ بتصرف وبراجع السنكسارى ج ٢ (اليوم الثانى من

بؤونة) ص ١٤٩ فيه ما يؤكد هذا الكلام .

(٢) يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " بين الإسلام والنصرانية ص ١٨١ .

ويجدر بنا أن نوضح أن المقارات ثلاثة :

أكبرهم صاحب هذا الدير ، ثم أبو مقار الاسكندراني ثم أبو مقار الأسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رسمهم في ثلاث أنابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير . (١)

ولذا لما سأل عزت السعدني الرهبان بالدير : أين إذن ثالثهما ؟ أي أين رفقات مقار الأسقف ؟ أجاب الأب مينا المقارى من رهبان الدير : قال كأنه يدلى بمعلومه سبق أن تليت حتى حفظت تماما أنه فوق الهيكل في كنيسة الأب " أبسخرون " مع رفقات القديسين الثلاثة : الأنبا مقار الكبير ، والأنبا مقار القصير ، والأنبا مقار الاسكندراني . (٢)

ولما كان المسيحيون من قديم الزمان يتوجهون لزيارة المقارات الثلاثة الموضوعين في أنابيب الخشب وهم بلاشك دون " يوحنا المعمدان " ، " واليسع " منزلة عندهم فلو كان النبيان دفنا بالدير لتوجهوا من باب أولى لزيارتها ولما لم يحدث ذلك كان وجود النبيين بالدير مشكوكا فيه .

تحقيق اليوم الثاني

حدث التحقيق الثاني في اليوم الرابع عشر من نوفمبر ١٩٧٨م وملخصه أن الرهبان بالدير أحضروا تابوتا من أمام الهيكل الأثري الذي يحمل اسم يوحنا المعمدان نفسه في دير الأنبا مقار ، وبعد سماعهم بفتح التابوت دون تصويره وفك الأحزمة الضاغطة على الخشب ورفع الغطاء المصنوع من القماش والذي قد أصابه البلى ، ثم فتح غطاء التابوت وأزاح راهب بيديه اللقافة الأولى لتظهر تحتها لقافة أخرى بيضاء ورفق بالغ راح يكشف ماتحت اللقافة ، ومن بين اللقائف أبدى الراهب ظهر رأس الراقدة في سلام في جـصوف التابوت يقول المحقق : فشددت يد عالم الآثار الدكتور / عبد الرحمن عبد التواب لينظر معى الوجه إنسانى الملامح ليس شيخا ولا شابا ، الرأس تتناثر فيه الشعيرات البيض والسود ولكن سواده أكثر ، العينان مخمضتان كأنه نائم لوقلنا له قم لقم معنا ، اللحية مازالت طويلة بشعيراتها السوداء والبيضاء الأذن اليسرى واضحة المعالم أما الأذن اليمنى فهو راقدة عليها واليدان فوق الصدر والجسم كله نائم على الجنب الأيمن فما كان من عالم

(١) وادى النطرون ورهبانه وأديرته ٠٠ ص ٦٨ .

(٢) ملاحظة الأنبا مقار الكبير : مؤسس الدير بوادى النطرون في صحراء مصر الغربية غير الأنبا مقار أسقف " ادكو " والأنبا مقار الكبير كان سنة ٣٣٠م والأنبا مقار الأسقف كان سنة ٤٥١م والأنبا مقار الاسكندري كان معاصر لمقار الكبير .

الآثار إلا أن قال : سبحانه ربي تعلم السر وما يخفى ، وخاطب المحقق الرهبان قائلًا : إذا كان هذا الراقد داخل التابوت هو النبي يحيى بن زكريا فلا بد وأن يكون بلا رأس قالوا : كيف ؟ قلت : تقول الأنجيل الأربعة متى ولوقا ومرقس ويوحنا إن هيرودس قطع رأس يوحنا المعمدان وقدمها على طبق لسالمس فلو كان هذا يحيى أو يوحنا فلا بد أن يكون بلا رأس أو على الأقل يكون الرأس مع الجسد ولكن منفصلا عنه والسدى شاهدناه رأسه مازال في مكانه .

فقال عالم الآثار د / عبد الرحمن عبد التواب : هذا حق وصدق ، قالوا والجسد كله يملأ وجوه الرهبان الخمسة : نحن رهبان نعبد الله في مكان قصي : لقد اكتشفنا التابوت وبجواره الرفات ، ولقد شاهدتم التابوت وبقي الرفات قلت وأين الرفات؟ قالوا وهم يشيرون إلى صندوق آخر كبير الحجم في نفس الغرفة لم نلاحظه طول الوقت ولم يجره أحد اهتماما هنا في هذا الصندوق قلت : ومن هو إذن الذي شاهدناه داخل التابوت .

قال واحد : ربما يكون النبي اليسع الذي صاحب رفات يوحنا المعمدان في رحلته الطويلة من أرض فلسطين إلى الاسكندرية حتى مقره الأخير في دير الأنبا مقار .

وقال آخر : لو كان الاثنان قد قدما معا فلا بد وأن يكون رفاتهما معا قلت : أين ؟ قال : في هذا الصندوق قلت : لنفتحه ، قالوا : لم يأمرنا الأب متى السكين رئيس الدير بفتحه . (١)

وبعد أن أذن الأب متى بفتح الصندوق ، وحدث النتح برفع الغطاء كانت المفاجأة : اللوحة تضم أكثر من جسد واحد ، اللوائح تغطي كل شيء لم أشاهد رأسا ولكنني شاهدت رفات ، رفات من وحاولت أن أمد يدي ولكن الصندوق كان قد أغلق بابه . (٢)

ومادام الصندوق به عدة رفات فلا يدل ذلك على وجود النبي يحيى عليه السلام به ، فإن أجساد الأنبياء لا تبلى فقد أخرج النسائي في سننه في كتاب الجمعة عن أوس

(١) هل هو يوحنا المعمدان ؟ ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) أهرام الخيوس ص ٣ (السنة ١٠٤ - العدد ٣٣٥٧٧) .

ابن أوس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال :

" أن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام " (١) ،

والأنبياء أحياء في قبورهم زيادة على أن الأرض لا تأكل أجسادهم فقد وردت فسي حياتهم في قبورهم أحاديث كثيرة منها ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت وفي رواية هذاب مررت على موسى ليلة أُسرى بي عنده الكتيب الأحمر وهو قائم يصلى في قبره . (٢)

وهذا الهدى النبوى الشريف يغنيننا عن التحدث عما ورد فى الميامير والمخطوطات المسيحية حول مكان رفات النبى يحيى عليه السلام فقد تضاربت أقوالها وكل ما يهيم البشرية هو الاقتداء بسلوك الأنبياء والعمل بسنتهم لمعرفة أماكن أجسادهم ، وهذا النبى الكريم كان مثلاً أعلى فى التقوى والحنان والبر بالوالدين ، والطاعة لله والرحمة بالإنسانية وهذا كله تحتاجه الإنسانية لتحقيق لها السعادة ولعل ما حدث من إثارة حول هذا الموضوع من جانب أقباط مصر يعتبر لفحة لعلماء مصر وفكرتها لتعمير هذا السوادى وتحويله من أوكار إلى جنات ذات ثمار .

(١) الحديث بتمامه فى سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى ج ٣ ص ١١ (كتاب الجمعة - باب فضل يوم الجمعة) طبع بيروت لبنان بدون تاريخ وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى باب ذكر وفاة النبى عليه الصلاة والسلام ورواه غيرهما كأبى داود .

وقال الحاكم فى المستدرك هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح (المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبى رحمهما الله ج ١ ص ٢٧٨ طبع بيروت - بدون تاريخ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ١٣٣ (كتاب الفضائل - باب فضائل موسى صلى الله عليه وسلم) .

الفصل الثانى

الجماعات التبشيرية ودورها فى نشر المسيحية

الجماعات التبشيرية قامت بدور واضح فى نشر المسيحية ومن الملاحظ أن هذه الجماعات انبثقت منها جمعيات أنشئت العديد من المدارس والمطابع ، ومؤسسات التبشير فى الشرق الإسلامى .

نذكر من هذه الجمعيات :

— اخوة المدارس المسيحية :

وهى جمعية أسسها القديس " دى لاسال " عام ١٦٨٠م لتعليم الناشئة ولها مدارس فى الشرق .

— الاخوة الوعاظ : أو الدومينيكان :

وهم أعضاء الرهبانية التى أسسها القديس عبد الأحد^(*) عام ١٢٠٦م ، وكان اتباعها أرباب تعليم فلسفى لاهوتى ، ثم دخلوا البلاد الشرقية فى القرن السابع عشر الميلادى وأسسوا إكليريكية بالموصل عام ١٨٨٢م ، وكانت فيها مطبعة عربية شهيرة .

— الاخوة المريميون :

وهى جمعية أسسها شامبانيا^(*) الطوباوى ١٨١٧م لتعليم الناشئة لها مدارس عديدة فى الشرق^(١) .

ونظرا لنشاط الجماعات التبشيرية ودورها فى نشر المسيحية يلزم ذكر بدايتها وتوغلها فى بلاد الإسلام ، وبيان جماعتها بالتفصيل ، ودورها فى بلاد الإسلام ومساندة الاستعمار لها والربط بينها وبين الحركة المرسلية الحديثة لتكون على بينة من أمرها .

(*) عبد الأحد أو القديس دومينيك (١١٧٠ - ١٢٢١م) ولد فى قشتاله (باسبانيا) وأسس رهبانية الاخوة الوعاظ لمقاومة بدعة الإلبيجيين ، يراجع (المنجد فى العلوم ص ٤٤٧) .

(*) شامبانيا (مارسلان) (١٧٨٩ - ١٨٤٠م) كاهن طوباوى أسس جمعية الاخوة المريميين يراجع (المرجع السابق ص ٢٨٢) .

(١) يراجع المرجع السابق ص ٢٨ .

بداية الجماعات التبشيرية

من الثابت تاريخيا أن الجماعات التبشيرية أدت دورا خطيرا في نشر المسيحية في الغرب والشرق ، وساهمت مساهمة فعالة في تبشير أوربا وانتشار المسيحية بها ففى الفترة من (٥٠٠ - ١٥٠٠) م ولذا يقال :

كانت فترة الألف سنة هذه ، بالنسبة للكنيسة المسيحية تتسم بعلامات التقدم للمحوظ ، والعدد الكبير من المتجددين ، وإن كان الاسلام خلال هذه الفترة يتقدم بخطوات سريعة واسعة فقد رحت الكنيسة شعوب شمال غرب أوربا للمسيح وكذلك شعوب روسيا ومع الاستكشافات الجغرافية والرحلات إلى القارات التي لم تكن معروفة حتى ذلك الحين دخلت المسيحية الدنيا الجديدة . (١)

ولما سم الناس في الغرب من ترف رجال الدين المسيحي ، وخدامهم انبثقت الجماعات التبشيرية من الأديار مثل الزهد والتكشف في الحياة ، وتقرب من الناس في صورة روحانية ، مما حبيب فيها المسيحيون في بادئ الأمر ، وعانها رجال الكنيسة لشعورهم بأن الناس كادوا يولون لهم الأديار .

وزاد النشاط التبشيري في الوقت الذي كره الغرب المسيحي فيه دعاة الحسروب الصليبية يقول صاحب الكنيسة المتغيرة ، وفي الواقع أنه حتى في القرن الحادى عشر عندما استنفذت الحملات الصليبية حماس الشعوب الكاثوليكية ، كانت توجد شهادة مستمرة أخضعت بالتدريج الغزاة المتبررين ، ونشرت معرفة المسيح في الأقاليم النائية التي جاءوا منها ، فالمرسلون النمطوريون ارتحلوا حتى بلغوا الصين وسيبيريا ، وأقاموا كنائس من سمرقند حتى سيلان ، وعبر اليونانيون من القسطنطينية إلى بلغاريا ، ومنها نفذوا إلى روسيا حتى قلبها ، بينما وصل المرسلون من كنيسة بريطانيا وكنيسة روما إلى الشعوب الوثنية في وسط وشمال أوربا ، وكان في شمال إفريقيا وغرب آسيا من يعتنقون المسيحية أكثر من فيها اليوم ، وكان الرهبان يخرجون في جماعات يتألف كل منها من اثني عشر راهبا بزعامة رئيس منهم ليفتحوا ميادين جديدة للإنجيل ، بينما يقوم الباقون بالتدريس في المدرسة متى تعلموا لغة الأهالي حولهم ، فأنهم يترجمون بعض أجزاء

(١) نشأة الطوائف المسيحية للمطران اسحق سعد ص ١٠٤ بدون عدد للطبعة دار الجيل للطباعة بالقاهرة بدون تاريخ .

الكتاب المقدس إليها ليسهل نشره بين الأهالي^(١) وقام العديد من رجال الحركات التبشيرية بأعمال كبيرة ، كدراسة اللغات الشرقية لأجل التبشير بالمسيحية ، وساعدة الفقراء ورعاية المرضى والمحتاجين وغير ذلك .

توغل الجماعات التبشيرية في البلاد الإسلامية

بظهور البروتستانتية في الغرب ، تحرك النشاط التبشيري المكثف إلى بلاد الشرق فقد أراد قادة الكنيسة أن ينفسوا عن هزائمهم المتلاحقة أمام ضربات البروتستانتية الموجهة بنشر المسيحية الكاثوليكية في بلاد الإسلام ، وفي العالم الجديد أيضا . يقول المرحوم : محمد فريد وجدى :

في أوائل القرن السابع عشر رأت الكنيسة أن تنشط في أمر التبشير لتعوض ماخسره من النفوذ من جهة البروتستانتية فأعطى " البابا " خطة منتظمة وجاء البابا غريغور^(*) الخامس عشر فأسس لها مدرسة خاصة يدخلها الشبان من مختلف الأمم ليتعلموا على صناعة الدعوة إلى الدين ، وأسس لهم مطبعة تطبع بخمسين لغة وكان ذلك سنة ١٦٢٢م ومن ذلك الحين توزع الدعاة على أرجاء الأرض بواسطة أربع طوائف رئيسية وهى الدومينكان ، والفرنسيسكان ، والجزويت ، والأباء البياض ثم قسموها إلى بعثة الشرق وهى تشمل " مصر " و " اثيوبيا " وجزائر الأرخبيل اليونانى ، و " تركيا " و " الفرس " ثم بعثة الصين واليابان . ثم بلى هذه بعثة الهند وتشمل جزائر الأقيانوسية^(*) إلى مانيلا والفلبين الجديدة وأخيرا بعثات أمريكا التى تمتد على الأمريكتين الشمالية والجنوبية إلى جزائر الأنтил^(*) (٢) وسأعرض أهم الجماعات التبشيرية مبرزاً دور كل منها وخاصة بأرض الإسلام .

(١) أ . هـ برود بنت ترجمة وليم وهبة ص ٣٩ - ٤١ بتصرف يسير .

(*) غريغور ١٥ : هو غريغوريوس الخامس عشر تقلد كرسى البابوية من عام ١٦٢١م إلى ١٦٢٣م يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) ص ٨ ، المنجد فى العلوم ص ١١٢ .

(*) جزائر الأقيانوسية : سبق التعريف بها ص ١٥٤ بالهامش .

(*) جزائر الأنтил : أرخبيل فى أميركا الوسطى فى المحيط الأطلسى يقسم إلى جزر الأنтил الكبرى وهى جمهوريات منها " كوبا " و " بريطانيا " والولايات المتحدة الأمريكية ، وجسر الأنтил الصغرى وتتقاسمها عدة دول من بينها بريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، والولايات المتحدة (يراجع المنجد فى العلوم ص ٧٣) .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين " الزائغ عشر الهجرى " المجلد الثانى ص ٢٠٨ ط (٢) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت بلبنان ١٩٧١م باختصار يسير .

١ - الأباء البندكتيون

ينسب " البندكتيون " إلى شخصية تدعى " بندكت " الذى أطلق على الحركة البندكتية ، ويعتبر شخصية هامة فى تاريخ الرهبنة الغربية ويقال فى شأنه إنه ولد عام ٤٨٠م لأسرة من النبلاء ونشأ فى حياة الترف والبذخ التى تميز بها نبلاء الرومان ولكن حدث له وهو فى العشرين من عمره رد فعل عنيف على تقاليد نشأته الأولى ف قضى ثلاث سنوات من حياته ناسكاً فى كهف وفى عام ٥٢٠م أسس ديرا فى " مونتى كاسينو " أصبح مركزاً للطريقة البندكتية . (١)

ونشر " بندكت " طريقته من إيطاليا فى صورة ثلاث الناس " فاندفعت الحركة من نورسيا *Monasterio di Caserta* فى " إيطاليا " دفعة قوية إلى الأمام ، وانتشرت تعاليم صاحبها فى الأديرة حيث قلل من انشغال الرهبان بالقسوة على أنفسهم ، ليتفرغوا لخدمة الناس مع القيام بالشعائر الدينية ، ووجه عناية خاصة بالزراعة ، وكانت الأديرة البندكتية إحدى الوسائل الرئيسية التى انتشرت بها المسيحية بين بعض الشعوب الأوربية ففى القرنين السابع والثامن الميلاديين . (٢)

وحولوا نشاطهم بعد ذلك إلى بلاد الإسلام ، فاهتموا باللغات الشرقية عموماً ، وزادوا عناية باللغة العربية ويصف نشاطهم نجيب العقيقى بقوله : فكانوا أول من عنى بالعربية تعليماً ، وترجمةً ، وتصنيفاً ثم تناولوا اللغات الشرقية جميعها من فجرها حتى اليوم ونشروا الأبحاث عنها فى مجلتهم . (٣)

٢ - الأباء الفرنسيسكانيون

قام بإنشاء رهبانيتهم وتكوين جماعتهم (فرانسيس داسيز) الأسيزى نسبة إلى القرية ، وقام بنشر تعاليمه فى قريته وما حولها وقد قيل فى نشأته إنه ولد سنة ١١٨٢م . وكان اسمه عند الولادة " جيوفانى " فغيره والده إلى فرانسيسكو تحدر من عائلة موسرة

- (١) حكمة الغرب : تأليف برتراند رسل ترجمة : فؤاد زكريا ج ١ ص ٢٦٢ (سلسلة كتب ثقافية - إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ٦٢) ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م .
- (٢) الكنيسة المتغيرة ص ٣٢ ، ٣٨ بتصرف ، ونفس المرجع ص ٤٢ .
- (٣) المستشرقون ج ٣ ص ١٠٤٤ .

قطنت أجمل بقاع إيطاليا آنذاك تعلم الفرنسية عن أمه ، واليطاليه عن أبيه واللاتينية عن طريق الكنيسة واشتغل بالتجارة مع أبيه في البداية ، ثم تطوع في الجيش البابوي سنة ١٢٠٤م ، وُحِّل إليه وهو طريح الوساد في مدينة " سبولينو " (١) أنه كلف بتأديسة رسالة سماوية فترك الجيش وانقلبت حياته رأسا على عقب ، فلزم الزهد وأهمل مظهره حتى أصبح محط الاستهزاء ، صاح الناس في وجهه مخبول مخبول . (٢)

وكان فرنسوا في بدء أمره ، من أهل الفسق والمجون ، بعيدا عن حياة الفسادة حتى ألم به المرض فتحول فجأة الى حياة التقشف ، وسار حافي القدمين ، يمشي بالإنجيل ، وجمع حوله زمرة من أصحابه ، وقصد روما سنة ١٢١٠م ، مع رفاقه ليحصل على إذن بزاولة نشاطه ويقول صاحب كتاب (نشأت الطوائف المسيحية) : ومعسدة صعوبة كبيرة استطاع فرانسيس أن يقنع البابا " أنوسنت الثالث " (٣) أن يوافق رسميا على نظام الحياة البسيطة الذي وضعه فرانسيس لنفسه ولرفاقه ، وسرعان ما اشتهر الفرنسي سكان كما عرفوا بالتبشير والنصائح الروحية . (٤)

وقامت هذه الجماعة بدور هام في الغرب في الوقت الذي طغت فيه الكنيسة برجالها ، الذين تعالوا على الشعب حتى سخط عليهم ، ونقم على ترفهم في تلك الظروف أظهرت جماعتهم شعار التقشف حتى حققوا لأنفسهم مكانة في نفوس الشعب يقول : رولاند بيسنتون : وقد نشط الفرنسي سكان في مكسيكو وجنوب كاليفورنيا ، حتى نجحوا في اطلاق اسم " سان فرانسيسكو " على اسم القديس " فرنسيس " كما دعوا اسم " لوس انجيليس " معناها الملائكة و " سكرمنتو " ومعناها القرية (٥) ويمكن القول ان انغماس الكنيسة في الشهوات ، وانحطاطها إلى الدرك الأسفل في الرذائل ساهم في رجحان كفة هذه الطائفة ، فنجح الفرنسي سكان في نشر المسيحية في أوربا لأنهم كانوا متواضعين ومعيدين عن المظاهر الكاذبة وذلك في الوقت الذي كانت الكنيسة فيه تمثل طبقة الغنى

(١) " سبولينو " : اسمها الحالي : سابينا Sabina مقاطعة قديمة في إيطاليا الوسطى

(٢) (المنجد في العلوم ص ٣٤٢) .
(٣) العصور الوسطى الأوربية د / عبد القادر أحمد يوسف ص ٢٤٥ - ٢٤٦ بدون عدد

للطبعة طبع صيدا - بيروت ١٩٦٢م .

(٤) " أنوسنت الثالث " : اعتلى كرسى البابوية من عام ١١٩٨م - ١٢١٦م (مراجع: دائرة

المعارف للبستاني مجلد ٨ - ص ٨٠ .

(٥) نقله إلى العربية المطران اسحق مسعد ص ٢٢ .

(٦) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين ص ١٧١ .

الفاش والشراء الطاغى وكانت برجالها فى واد ، والشعب فى واد آخر " بحيث أن الكنيسة بعدت بنفسها وبعدت بالدولة عن الفضائل المسيحية الأصيلة ، وعن الشعوب المسيحية كذلك وما تتطلبه من حرية ، وإخاء ، ومساواة وأن الكنائس فى أوروبا تعالسى وتمشى عادة وراء الحكومات الملكية والغريب أنها تنقسم عليها فى آن واحد لأنها تهدف أن تكون لها الكلمة العليا عليها وأن تكون دولة فى داخل الدولة لما لرؤساء الكنائس من الولاية على تنويع الملوك وإعطائهم الحق المقدس ، ولما لهم من أطماع دنيوية كالحال مثلاً فى " البابا بونيفاشيوس الثامن " (٥) عندما يمسك سيفين فى كلتا يديه ويصرخ قائلاً هذا سيف الدين وهذا سيف الدنيا أنا " بابا " وأنا " امبراطور " . (١)

ولذا كانت علاقة " فرنسيس " بالكنيسة موضع الأخذ والرد فهى معه فى مسئلة الفراغ التى عجزت عن ملئه حين سئم الناس رجال الكنيسة والمسيحية معا ، وهى ضده حين يعلن التقشف والبعد عن الدنيا فى الوقت الذى ينغمس فيه رجال الكنيسة فى زينة الحياة بل ويغرقوا فى شهواتها إلى آذانهم ، ولذا لما ذهب قائد الجماعة إلى بلاد الشرق عمل رجال الكنيسة على إعادة تشكيل الجماعة بصورة أقرب إلى فكرهم فأفضت هذه التغييرات إلى تخليه عن رياستها .

تبشير " فرنسيس " فى بلاد الإسلام

لقد تجول كثير من المشركين فى البلاد الإسلامية ، وكان من طلائع المبشرين فى الشرق الإسلامى القديس " فرنسيس " نفسه ، فقد رحل إلى مصر أثناء الحملة الصليبية الخامسة وقابل السلطان الملك الكامل محمد فى معسكره بدمياط ودعاه وجنوده لاعتناق المسيحية ، وقد قدم لنا الأستاذ الدكتور " محمد مصطفى زيادة " صورة واقعية لهذه المقابلة فقال :

" وبينما تجرى المفاوضات بين السلطان الكامل والقيادة الصليبية فى مجراها الفاشل (وكان ذلك فى أعقاب الحملة الصليبية الخامسة على دمياط) جاء إلى المعسكر الصليبي فى دمياط رجل مشرف على الأربعين من العمر ، بالى الثياب وليس فى مظهره إلا ما يثير سخرة الجاهل .

(٥) (بونيفاشيوس ٨) ولد فى " أنا نبي " نحو سنة ١٢٢٨م ثم انتخب بابا سنة ١٢٩٤م وتوفى فى روما سنة ١٣٠٣م يراجع (دائرة المعارف للبستاني مجلد (٥) ص ٧١٩ ، النجد فى العلوم ص ١١٢ .

(١) الاستعمار والتبشير والاستشراف بعد حرب ١٠ رمضان ص ٧٩ ، ٨٠ .

كان هذا الرجل هو القديس " فرنسيس " الذي يرجع إليه تأسيس جماعة الرهبان الفرنسيين ، وهم الذين أطلق عليهم اسم الإخوان الفقراء ، أو الفقراء الرمازيين إشارة إلى لون ملابسهم الرهبانية ، ووصل القديس " فرنسيس " إلى المعسكر الصليبي ، حيث وجد الزعامات الصليبية مختلفة حول قبول عروض السلطان الكامل للجلاء الناجز الشامل عن دمياط والسواحل المصرية ، واشترك " القديس " في النقاش المضطرب ، ونصح بقبول عروض السلطان حقنا للدماء ، غير أن نصيحته لم تلق مجيباً فرحل عن المعسكر الصليبي إلى أطراف معسكر المسلمين في " فارسكور " حيث قبض عليه الحراس المصريون دون أن يبدي أية مقاومة ، وهو يتكلم كلاماً لم يفهم أحد منه شيئاً سوى لفظ " صلدان " يريد بذلك أنفة يرغب في الثول بين يدي السلطان الكامل ، وأخيراً وجد القديس نفسه في حضرة السلطان الكامل تحيط به حاشية قليلة من قاداته ومترجميه ، وربما كان بعض أولئك التراجمة ممن اشتراهم الكامل أيام نيابته عن أبيه بالقاهرة من أفراد حملة الأتقال ، وشرح القديس للسلطان الكامل سبب قدومه إليه ، واستأذن أن يعظه ويصف له المسيحية ويدعوه إليها وأذن السلطان للقديس في الكلام واستمع له في دماثة المتكلم من عقيدته ، المحترم لعقيدة غيره .

وما يدعو إلى الالتفات أن " الكامل " لم يجادل القديس " فرنسيس " فيما قال ولم يستدع أحداً من علمائه لمجادلته ، بل اكتفى بالبالغة في إكرامه ، واكتفى القديس بدوره في الإمعان في إطراء السلطان ، بعد أن أوصاه بحسن معاملة الأسرى من الصليبيين ، وبعد أن طلب إليه إعطاء الإخوان الفرنسيين سداً كنيسة القيامة ببيت المقدس ، ثم استأذن القديس " فرنسيس " " السلطان " في الاتصال بالجنود الأيوبيين المسلمين والحديث إليهم ، فأذن له ، وظل القديس المسيحي يتقلب في معسكر المسلمين بضعة أيام حتى قرر الرحيل ، فرد السلطان الكامل محروساً إلى أطراف معسكر الصليبيين .

ورجع القديس " فرنسيس " إلى أصحابه ليخبرهم بما شهد وسمع من أحوال المسلمين وسلطانهم ، ولينذرهم بما عساه يتطور إليه مشروع الهجوم على دمياط ، وليكرر عليهم فوائد عروض السلطان ، لكنه وجد النية معقودة على الحرب ، وهي عكس ما أراد أن يسهم به في خدمة المسيحية فاقتنع بأن لاصلحة في مقامه ، ونفض تراب المعسكر الصليبي عن قدميه ويَمَّ نحو الشام وفلسطين بإذن من السلطان الكامل حيث أقام بضع سنوات ليؤسس للإخوان

الفرنسيسكان نواة أعمالهم في سدانة كنيسة القيامة ببيت المقدس حتى العصر الحاضر . (١)

تطلع "فرنسيس" لبيت المقدس

لم يكن ذهاب "فرنسيس" لبيت المقدس وليد الصدفة وإنما سبقه إعداد شمس محاولة فشلت حيث لم يتحقق له الوصول إلى الديار المقدسة ، ولما تمكن من الوصول فسي المرة الثانية ولم يظفر برأده في تبشير سلطان المسلمين وجنود بيت المقدس وجه دعوتهم إلى مصر وبلاد الشام ، ومنذ عام ١٢١٠م حيث حصل على موافقة " البابا انوسنت الثالث " بمزاولة العمل " انطلق مع اتباعه منذ ذلك التاريخ لممارسة الوعظ بالبدن واتخذ من كنيسة القديسة " ماري " قرب " أسيس " مركزا له .

ودفعه حماسه الديني لكسب النصر للصليبيين عن طريق التبشير في الأراضي المقدسة وحاول ذلك فعلا سنة ١٢١٢م إلا أن سفينته جنحت لشواطئ " دلماشيا " (٢) نتيجة للأعاصير فاضطر إلى الرجوع لإيطاليا غير أنه ذهب إلى الديار المقدسة سنة ١٢٢٠م أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر . (٣)

كما ذكرت فيما سبق ، وما يجدر ملاحظته أن الرجل لم ييأس وولى وجهه شطر الشام ومصر كما ذكره ج . و ل ز : فأخذ يعظ الناس في مصر وفلسطين مبشرا بدعوته ليعترض المسلمون عليه . (٣)

وقام اتباعه من بعده بنقل التبشير في صورة منظمة من أوروبا إلى آسيا ، وإفريقيا ، في محاولة منهم لتنصير المواطنين .

نشاط الفرنسيسكان العلمي بالشرق :

لهذه الجماعة نشاط بارز في بلاد الشرق الإسلامي ، فقد تعلموا اللغات الشرقية بالأديرة والجامعات ، وانتشرت جماعتهم في بلاد الشرق بالقاهرة ، وبيروت ، والقدس حيث

(١) حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة الأستاذ / محمد مصطفى زيادة ص ٥١ -

٥٢ ط (١) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م ، التاريخ

الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي في عصر النهضة ص ٨٢ - ٨٤ .

(٢) دلماشيا : منطقة ساحلية في يوغسلافيا شمال شرقي الأدياتيكا قاعدتها سبليت مركز سياحي يراجع (المنجد في العلوم ص ٢٨٧) .

(٣) العصور الوسطى الأوروبية ص ٢٤٧ .

(٤) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث (في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة

أنشأوا مركز دراسات الكتاب المقدس فيها ١٨٥٠م. وألحقوا به مكتبة ١٨٩١م تحتوى على ٦٣٠٠٠ مصنف بينها الكثير من الآثار ، وبعضها من تصنيف علمائهم ، ثم أصدروا له مجلة الأرض المقدسة ١٩٢١م ثم حوليات ١٩٥١م ولم يقف نشاط الفرنسيين على الأماكن التى ذكرت فقد أسسوا مطبعة عربية فى طنجة^(٥) ١٨٦٣م ، وكلية إكليركية فى الجزيرة ١٩٣٩م ، وأنشأوا مجموعات علمية وتاريخية ، ومكتبة وتراجم ، ووثائق ، ودراسات وغيرها .

وصنفوا فى نطاقها وخارجها عنها مصنفات عن الشرق بلغات مختلفة ، وطبعوها فى أوربا وأمريكا ، وأنشأوا أيضا مركز الدراسات الشرقية فى القاهرة ١٩٥٤م وأصدروا عنه نشرة الدراسات الشرقية ، ورتبوا له مكتبة تحتوى على ١٦ ألف مجلد معظمها نصوص أصلية وفرمانات وفتاوى وكتب مقدسة فى طبعاتها الأولى ، ومجموعات اسلامية نادرة ، وقواعد للغات الشرقية كاملة .^(١)

انقسام جماعة الفرنسيين

بعد انتشار أفراد الطائفة فى الغرب ، وتحول البعض منهم إلى الشرق حسادت جماعتهم عن الطريق المرسوم من قبل المؤسس لها ، يقول الدكتور / عبد القادر أحمد اليوسف بلغ عدد الفرنسيين عند وفاة المؤسس سنة ١٢٢٦م خمسة آلاف راهب انتشروا فى " هنفاريا " و " ألمانيا " و " بريطانيا " و " فرنسا " و " أسبانيا " وأصبح عددهم سنة ١٢٨٠ ما يقارب المائتى ألف موزعين بين ثمانية آلاف دير ، ومع ذلك فقد انقسم الفرنسيون على أنفسهم حال وفاة المؤسس مكونين جناحين كبيرين هما :

الفرنسيون الماديون الذين أجازوا الهبات ، والفرنسيون الروحانيون الذين تسكوا بشعار الفقر، واتحد تطرف الفرقة الروحانية إلى الاصطدام بالبابوية فى عهد " جون الثانى عشر " الذى اتهمهم سنة ١٣٢٢م بالمروق الدينى .^(٢)

الفيرير (الإخوة)

امتلكت الأديرة الكثير من الأراضى والثروات ، فاستشرى فيها الفساد ، ودب فيها الفوضى ، وظل أمرها يتردى فى الأوضاع السيئة حتى نهاية القرن الثانى عشر حيث هبت أنظمة المندكانت كما يقال : أو الفيرير (الإخوة) التى كان من أشهرها الفرنسيون والدومنيكان .

- (٥) طنجة : مدينة فى المملكة المغربية تقع على مضيق جبل طارق يراجع المنجد فى العلوم ص ٤٣٧ .
(١) يراجع المستشرقون نجيب العقيقى ج ٣ ص ١٠٤٥ . بتصرف .
(٢) العصور الوسطى الأوربية ص ٢٤٢ .

وسيا بهذين الإسمين نسبة لمؤسسيهما ، وعارضت أنظمة الوندكانت نظام الرهبنة الذى يعزل الرجال والنساء عن العالم والمجتمع الإنسانى . (١)

وخرجت إلى واقع الحياة تنشر المسيحية فى الشرق والغرب وتذل العقبات التى تعترض طريقها بالدراسة والتعلم حتى قيل فى شأنهم :

وقد حمل عبء التبشير والدعوة المسيحية جماعات الرهبان الدومنيكيين ، والفرنسيسكانيين فى سنة ١٢٥٠م أنشأ مجلس المبشرين فى مدينة طليطلة أول مدرسة للدراسات الشرقية أنشئت فى أوروبا ، وفى هذه المدرسة كانت تعلم اللغتين العربية والعبرية لإعداد من سيقومون بالتبشير للنصرانية بين المسلمين واليهود . (٢)

وقد تكلمت عن الفرنسيسكان ودورهم التبشيرى فى الشرق والغرب ونشاطهم العلمى وفى الحديث عن النظام الثانى .

٣ - الدومنيكان

النظام الدومنيكى منسوب لمؤسسة " دومنك " الذى " ولد فى مدينة " كالا روكا " فى قشتالة بأسبانيا سنة ١١٢٠م وترعرع تحت كف عمه الذى كان قسيسا " . (٣)

ومع أنه اتبع الفقر ، وجعله مثله الأعلى مثل الفرنسيسكان إلا أنه اختلف عنهم بأن كان همه الأول هو التعليم والتبشير بالإيمان ، وحفظه من " الهرطقات " ولذلك فقد أدوا دورا هاما فى التحقيق البغيض الذى حدث خلال القرن الثالث عشر " وكان القديس دومينيك الأسباني (١١٢٠ - ١٢٢١م) شخصية مغايرة جدا للقديس " فرنسيس " فقد كان قبل كل شئ " تقليدى العقيدة " وكان ولوعا بهداية الهرطقة عن طريق الجدال ، فندبه البابا " أنوسنت الثالث " للذهاب والتبشير بين الاليبيجستيين وكان عمله يسير جنباً إلى جنب مع القتال والمذابح التى تمت أثناء الحملة الصليبية عليهم فمن لم يستطع دومينيك أن يهديهم إلى سبيل الدين ، أعمل فيهم صليبيو أنوسنت السيف والنار ، ومع هذا فإن نشاطاته واعتراف " البابا " بعقد رهبانيته وتشجيعه

(١) نشأة الطوائف المسيحية ص ٢٦ .

(٢) التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ص ٨٢ .

(٣) العصور الوسطى الأوربية دكتور / عبد القادر أحمد اليوسف ص ٢٤٧ .

إتياء لتشهد بتصادم سبل المناقشة ، واعتقاد الناس كافة بما فيهم البابوية نفسها بأن القوة ليست علاجاً للموقف ^(١) ، وهذه صورة لإكراه من لم يعتنق النصرانية على التنصير اجتمع فيها تأييد السلطان مع جماعة الدومنيكان ، ووصل بهم الأمر منتهاه حين قاتلوا طوائفهم المنشقة عليهم واستعانوا بسيف السلطة في إبادتهم .

موقف الدومنيكان تجاه القدس

شأن الدومنيكان شأن إخوانهم في نظرتهم لبيت المقدس فلقد انتشرت فعاليات المبشرين الفرنسيين والدومنيكان في أكتية أرجاء العالم المعروف آنذاك فأما قسم منهم أواسط آسيا وأدوا دوراً خطيراً في الاتصالات بين البابوية والمنول من أجل استعداد ، هؤلاء على المسلمين لغرض انقاذ المملكة الصليبية في الأرض المقدسة . ^(٢)

وواقع هاتين الطائفتين يشهد بأنهما وإن سلكا طريق اللين في أول الأمر إلا أنهما لم يشذا عن خط سير الكنيسة في محاربة المسلمين وفي الضرب بيد من حديد على ما يسمونهم بالهرطقة وهذا مادعا المؤرخ المسيحي هـ . ج ولز : إلى القول الآتي :
تطور عقد الرهبان السود أي " الدومنيكين " إذ كان الفرنسيكانيون هم الرهبان الشهب ^(٣) يبين لنا من عدة أوجه أن الكنيسة الكاثوليكية كانت وهي عند مفترق الطرق تتردى مستسلمة رويدا في أعماق الاعتقادية الحتمية (Dogma) المنظمة ، وهذا تقاع في نزاع لارجاء فيه مع ذكاء الإنسانية المتوقد وشجاعته المشهورة .

وبذلك تخيرت الكنيسة طريق القسر والإجبار ، وهي التي واجهها الأوحى أن ترشد وتهدى ولا يزال آخر حديث ألقاه القديس "دومينيك" إلى الهرطقة الذين جهد أن يهديهم إلى الطريق السوي باقياً لنا إلى اليوم وهو من صوى التاريخ الهامة وأنه ليكشف لنا عن رجل تغلى مراجل عيظه القتال لأنه فقد إيمانه في قوة الصدق نظراً لأن صدقه "الخاص" لم ينتصر قال : " قد نصحتكم سنين عديدة بل جردوى ، باللطف والموعظة والرجاء والبكاء ولكننا تبعنا للمثل القائل في بلادى " حينما تفشل البركات عن إتمام أى شئ " ، فمن الجائر أن تغيد اللكنات " ، سنشير عليكم الأمراء والأخبار الذين سوف - يا للأسف -

(١) معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٣ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) العصور الوسطى الأوربية ص ٢٤٨ .

(٣) الشهب جمع أشهب وهو الرمادى اللون " المترجم " .

يسلحون الأم والسالك ضد هذه البلاد وبذا اتفيد الكلمات حيث كانت البركات واللطف غير ذات جدوى . (١)

أين هذه التعاليم من هدى الإسلام ورحمة القرآن الكريم ؟ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) . (٢)

وقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) . (٣)

ومخاطبة الله تعالى للمسلمين : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . (٤)

نشاط الدومنيكان العلمى

تطلعت جماعة الدومنيكان إلى علوم الشرق ، ومعرفة لغته ولهجاته " وقسـرر مجمع طليطلة (١٢٥٠م) الإتفاق على ثمانية من الرهبان الدومنيكيين ، على رأسهم رايموند ومارتينى كانوا قد انقطعوا لدراسة العربية وصنف أحدهم أول معجم عربى اسبانى (١٢٣٠ م) خلا نفر من زملائهم أرسلوا إلى باريس لتعلم اليونانية والعربية والعبرية فيها (١٢٥٥ م) ثم كلفهم مجمع بلنسية (١٢٥٩ م) تأسيس مدرسة للعربية والعبرية فى قطلونيا (١٢٦١ م) وقد صنف أحدهم وهو " غليوم الطرابلسى " كتابا عن الاسلام أهداه الى من أصبح البابا غريغوريوس (١٢٧١ - ١٢٧٦ م) وألف " دى مونتى كروسيى " كتابا ثانيا عن عقائد تركيا والتتر . (٥)

ويلاحظ أن جماعة الدومنيكانيين من ناحية فلسفة ابن رشد فى شأنهما : وشجر النزاع حول حركة ابن رشد بين الرهبانيات طوال مائة عام وقسم الدفاع نفسه إلى

- (١) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) ص ١٠٨ .
- (٢) سورة النحل الآية ١٢٥ .
- (٣) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ .
- (٤) المرجع السابق الآية ٢٥٦ .
- (٥) المستشرقون ج ١ ص ١٨ .

معسكرين : الصوفى الأفلاطونى ومعظمه من الرهبان الفرنسيسكانيين والعقلى الأرسطاطلسى
وجله من الرهبان الدومينيكيين .

هذا على اختلاف فيما بين الرهبانية الواحدة : فتوما الأكوينى الدومينكى اعتمد على
فلسفة ابن رشد ، مع أنه من أشد خصومه فى التوفيق بين الفلسفة والدين ورد عليه
زميله رايونى ومارتينى الدومينكى فى كتابه خنجر الإيمان . (١)

وقد اتجه الدومنيكان إلى التعليم ، وبرزوا فى تشييد النهضة الأوربية مقتبسين
من التراث الثقافى العربى بواسطة علمائهم وفلاسفتهم واستخدموا ثقافتهم فى نشر المسيحية
فى بلاد الشرق الإسلامى وفى وصف نشاطهم العلمى يقول العقيقى ما ملخصه :

فقد وفدوا على الشرق منذ القرن السابع عشر وأسسوا فى الموصلى مطبعة عربية
نشرت التوراة جميعها نشرًا علميًا فاخرًا (١٨٧١م) وأكليركية (١٨٨٢م) ثم مدرسة
الكتاب المقدس فى القدس (١٨٩٠م) وأصدروا لها مجلة الكتاب المقدس (١٨٩٢م) . ومعهد
الدراسات الشرقية فى القاهرة (١٩٤٤م) ونظموا مكتبته (١٩٤٥م) وأصدروا له مجلة
بعنوان : منوعات المعهد الدومنيكى للدراسات الشرقية (١٩٥٤م) . (٢)

ومن خلال هذه المؤسسات والنشاطات العلمية ودور التعليم ، أخذ تبشيريهم
بالمسيحية يشق طريقه فى صفوف المسلمين وغيرهم فى بلاد الشرق فى محاولة دائبة
لتحقيق أهدافهم .

٤ - الآباء الكبوشيون

هم فرع من الرهبانية التى أسسها القديس فرنسيس الأسيزى ، وقد ساروا على
نهج الفرنسيسكان ويقول فى شأنهم " رولاند بيمستون " : وقد نشأ فرع جديد من الرهبان
الفرنسيسكان عام ١٥٢٨م اسمهم الرهبان الكبوشيون ، كانوا يلبسون على رؤسهم قبعات
القديس الأسيزى ، وكانوا يتبعون خطى القديس فرنسيس فى التمسك بالفقر ولهم دور بارز فى
النشاط المرسلى . (٣)

ظهر أثره فى بلاد الإسلام فى صور متعددة ومختلفة من مدارس ومؤسسات وغير ذلك
وقد قدموا الشرق منذ القرن السابع عشر وشيدوا فيه الأديار والمدارس والمؤسسات الخيرية

- (١) المرجع السابق ص ١١٨ .
- (٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٥٢ باختصار .
- (٣) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين ص ١٤٠ بتصرف يسير .

صيدا (١٦٢٥ م) ، القاهرة (١٦٢٦ م) حلب وبيروت وحاصرون وبغداد (١٦٢٨ م) ،
طرابلس (١٦٢٩ م) ، دمشق (١٦٣٢ م) ، عجة (١٦٨٦ م) ، عزيز (١٦٩٥ م) . (١) وقالوا
الإستقرار التام في العراق ويقال في وصولهم إليها :

وفي سنة ١٦٢٦ م وافى الآباء الكبوشيون دار السلام وكان ديرهم في محلة
رأس القرية قال الكاتب الايطالي " أوربا نوجيري " (urba Noggerri)

إن الكبوشيين شيدوا في بغداد كنيسة وديرا ، وقد أحرزوا نجاحا عظيما وفازوا
باعزاز المسلمين لمهارتهم في الطب والرياضة وكان يتردد إلى كنيستهم من السريان والأرمن
الكاثوليك الكثير من الأفراد ، ويرسلون أولادهم إلى مدرستهم وقال أحد الآباء اليسوعيين
الفرنسيين في رسالة أرسلها عام ١٦٢٥ م من البصرة إلى فرنسا بعدما مر ببغداد أو قادمًا
من الموصل " إن المرسلين الكبوشيين نالوا راحة لاشيل لها في أي مكان آخر من بلاد
تركيا . (٢)

٥ - الآباء الكرمليون

هذه الطائفة نشأت في بلاد الشرق بخلاف غيرها من الجماعات الأخرى التي
ظهرت في بلاد الغرب في بدء الأمر ونقلت نشاطها بعد ذلك إلى الشرق الإسلامي ،
ويقول نجيب العقيلي عن نشاط الكرمليين : تأسست رهبانيتهم في " القرن الثاني عشر "
بأرض فلسطين ومنها انتقلت إلى أوربا ، ورجع بعض رهبانها إلى الشرق منذ القرن السابع
عشر وشيدوا المدارس في حيفا ، وحلب (١٦٢٢ م) ، وقرى لبنان (١٦٤٣ م) ثم في بشاري
وطرابلس والقبيات وبغداد (١٧٢٢ م) ، وماردين (١٧٤٧ - ١٨٠٠ م) . (٣)

ويذكر صاحب كتاب : تاريخ نصارى العراق دور هذه الجماعة في بلاد العراق
فيقول : ومنذ عام (١٦٢٢ م) أتى العراق الرهبان الكرمليون ثم الكبوشيون والدومنيكيون ،
ونشر هؤلاء المرسلون التعاليم الكاثوليكية بين النساطرة واليعاقبة (٤) ، ثم ذكر في موطن
آخر أنه عين أول مطران منهم على " بابل " و " أصفهان " وأنه بقيت بيعتهم بالبصرة

(١) المستشرقون ج ٣ ص ١٠٥١ .

(٢) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا تأليف /

رفائيل بابوا اسحق ص ١٢١ بدون عدد للطبعة المطبوعة المنصور - بغداد ١٩٤٨ م .

(٣) المستشرقون ج ٣ ص ١٠٥١ .

(٤) تأليف / رفائيل بابوا اسحق ص ١٢٥ .

وعين رئيسهم في سنة ١٦٧٩م قنصلا فرنسيا بالعراق . (١)

وبذا تظهر صلة هؤلاء الرهبان بدولهم سياسيا ، ودورهم في تلك قادة الدول الإستعمارية ، وعلى قدر نشاطهم في خدمة سياسة الإستعمار تكون المكافآت المادية والرتب العلمية ، والوظائف المدنية .

٦ - الجزويت

طائفة الجزويت هي نفسها طائفة اليسوعيين ، ونظرا لأن جل الكتاب لم يوضحوا هذه النقطة ما يجعل الباحث يتوهم أنهما طائفتان وليس الأمر كذلك تعرضت لها بالبيان حتى لا يحصل لبس .

فالجزويت : يعرفون باليسوعيين ، أو بجمعية المسيح (٢) ، وتسموا بذلك نسبة إلى " يسوع المسيح " المخلص وقد قيل في وصفهم : أما فريق الجزويت فهو نوع قد بذاته من المبشرين وهو أخطرهم جميعا لأنه أعلمهم ، ولأنه أكثرهم تعصبا للكاتوليكية ، ولأنه يتدخل في السياسة ، ولأنه أكثرهم تنظيما ولهم إدارة وحكومة خاصة بهم .

أنشأ هذا الفريق " اغناطيوس دي لويولا " الذي ولد سنة ١٤٩١م وتوفي في سنة ١٥٥٦م وهو من إقليم الباسك في أسبانيا ، وكان فريقه من القوة في التبشير لدرجة أنه أعاد للمذهب الكاثوليكي أرضا كبيرة ونفوسا عديدة كان قد فقدها هذا المذهب من قبل أمام انتشار المذهب البروتستانتي .

ولد " دي لويولا " في عائلة عسكرية تفضل الجندية وأراد أن يكون هو بسدوره كذلك كمن حوله في محيط الأسرة من أقاربه وقد جرح وهو يدافع عن إحدى المدن وهو في الجيش ونقل إلى المستشفى ثم انتابته الحمى وأثرت كل التأثير في أحد سيقانه ما جعلته يبتعد عن حياة الجندية إلى حياة أهدأ هي الحياة الدينية وأن يصبح جنديا من نوع جديد أي أن يكون جنديا للسيد المسيح عليه السلام فابتدأ حياته هذه

(١) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية فسن الأقطار العراقية إلى أيامنا ص ١٢٥ .

(٢) دائرة المعارف الحديثة (موسوعة في العلوم والآداب والفنون) أحمد عطية

الله المجلد الثاني ص ٦٢٣ ط (٢) نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٢٥م .

بأن يكون مبشرا بالمسيحية في فلسطين التي ارتحل إليها ثم وضع نفسه واتباعه تحسنت تصرف " البابا " الذي أقر قيام فريقه باسم " جماعة الجزويت " . (١)

ولما كان التبشير والاستعمار صنوان يسقى بما واحد ونبت في تربة واحدة ساندت السلطات الاستعمارية هذه الجماعة التي أصبحت فيما بعد دولة عسكرية وكان هدف تبشيرهم أمرين :

الأمر الأول : هو محاربة البروتستنتية وهي المذهب الجديد في المسيحية الذي قال به " مارتن لوتر " في ألمانيا بوجه خاص وغيرها من بلاد شمال أوروبا فكانوا بمثابة جيش مقاتل لنصرة البابوية الكاثوليكية .

الأمر الثاني : هو محاربة الإسلام وهو الذي يهنا . (٢)

وإذا كان هؤلاء لم يتورعوا في محاربة أبناء ملتهم علنا فما بالناس بمعادتهم للإسلام والمسلمين ، فهم من أشد الطوائف الكاثوليكية تعصبا للمذهب ، وتعصبا ضد المسلمين .

ولقد أنعمت عليهم البابوية بالامتيازات ، وأفاض عليهم البابا " بولس الثالث " (٣) ، بالعطايا المعنوية والمادية فثبت الرهبانية سنة ١٥٤٠م ، ووثق الرياضات الروحية سنة ١٥٤٨م ، ورخص للجمعية في الإنعامات المنوطة للرهبانيات الأخرى سنة ١٥٤٩م (٤) وزاد في إنعامهم بصورة كبيرة حتى وصل تفكيرهم أن يستغلوا هذه المنح في الاستيلاء على العالم وهي نفس الفكرة الصهيونية يقول محمد فريد وجدي : وزاد البابا " بولس الثالث " فسي

(١) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ٨٩ يتصرف .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر الهجري) المجلد الثالث ص ١٠٢ ط (٢)

طبع دار المعرفة - بيروت ١٩٢١م ، الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ٩١ يتصرف من كلا المرجعين .

(٣) بولس الثالث : ولد في " كانينو " سنة ١٤٦٨م ولما شب تدرج في الرتب الكهنوتية حتى انتخب بابا لروما في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٥٣٤م (يراجع دائرة المعارف للبستاني مجلد (٥) ص ٧٠٢) .

(٤) القديس " اغناطيوس دي لويولا " مؤسس الرهبانية اليسوعية تأليف الأب هنري بسرو اليسوعي نقله عن الفرنسية الأب ج غيقي اليسوعي ص ٩٣ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

امتيازاتهم فجعلهم غير خاضعين لأى سلطة فى الأرض إلا سلطته وسلطة رئيسهم وقد عرف الجزويت كيف يستفيدون من هذا المركز الاستثنائى فبدلوا جهدهم لتحقيق أميتهم وهى قيادة العالم والسيطرة على أرواحهم .^(١)

وقد دفعهم هذا الطمع الجائر إلى إعلانها حربا شعواء على كل من يخالف جماعتهم .

محاربتهم لبنى جنسهم

بلغ من خطر " الجزويت " أنهم يظهرون غير مايظنون ، وأنهم اتخذوا " مبدأ الاعتراف " وسيلة لمعرفة خفايا الملوك والرؤساء ، ثم التسلط عليهم واستخدامهم لتحقيق مآربهم ومع أن مبادئهم الذى أعلنها قائدهم " اغناطيوس دى لويولا " هى الابتعاد عن السياسة وترك التدخل فيها ، وعدم مناصرة حاكم ضد آخر والبعد عن مشاحنات الأمراء والأحزاب ، رغم إعلانهم لهذه المبادئ نجدهم يلجون أبواب السياسة من كل جانب وقد دفعهم تدخلهم فى السياسة إلى احترام الجاسوسية وقد نقل صورهم قيامهم بهذه الأدوار الدكتور / " عبد العزيز عزت " بقوله :

فمن ذلك رغم أن المستبد " كرومبيل " فى إنجلترا أمر بعدم إيوا أى جزويتى بين الأهالى وإلا حوكموا بالقتل فإن الأب الجزويتى " تترفيل " كان يصادقه ويلعب معه الشطرنج ويحرك أعوانه ليتجسسوا " لكرومبيل " على الحكام الكاثوليك فى " أوريسا " وهى خيانة صريحة ، وهناك أيضا الأب الجزويتى " دوينتون " وكان يعترف أمامه الملك " فيليب الخامس " ملك " اسبانيا " ولكنه فى الوقت نفسه كان يتجسس " لفرنسا " عليه وكتب مباشرة " لباريس " عندما اعترف له فى ثورة غضب أنه سترك الحكم ويتخلى عنه .

ولكن " باريس " أرسلت خطاب هذا القسيس الجزويتى إلى " فيليب الخامس " بنصه وفضحت القس .^(٢) وقد اشتهر الجزويت فى كل قطر حَلَّوا فيه بصنع الفتن وإثارة القلاقل ، والعمل فى الخفاء ما جعلهم من النبوذيين " فحين ضغطت " فرنسا " على الإمبراطورة " ماري تيريز " ملكة النمسا لطرده " الجزويت " من أرضها كما صنعت " فرنسا "

(١) دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) المجلد ٣ ص ١٠٣ .

(٢) " فيليب الخامس " (١٦٨٣ - ١٧٤٦ م)

" حفيد لويس ١٤ " ملك فرنسا عين ملكا على اسبانيا ١٧٠٠م يراجع (النجد فسى

العلوم ص - ٥٣٢ ، ٥٣٨) .

(٢) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ١٤٠٤ بتصرف يسير .

ترددت الإمبراطورة فأظهرت لها حكومة "باريس" تقريراً باعترافها بكتبه الأب الجزويستي "كامبلر" ذكر فيه كل ما قالته له بخصوص تقسيم "بولونيا" سياسياً .^(١)
 أرايت جاسوسية باسم الدين وصلت إلى هذا الحد كما فعل الجزويت ؟ إنهم لايحترمون أوامر الدين نفسه ، فمن باب أولى لايعرفون للأسرار حرمة ، ولا للدين مكانة .

إنهم يستخدمون الدين الذي ينهى عن التجسس وعن الوقعة بين الناس في كل هذه الأغراض الكريهة " فهم الذين مكثوا من قطع العلاقات فيما بين "فرنسا" و "السويد" في صالح "ألمانيا" سنة ١٦٤٥م ، أما عن حروبهم فحدث ولا حرج فقد ذكر عنهم أنهم "كانوا يخزنون البارود والمفرقات في كهوف تحت الأرض عندما استولى الفرنسيون على "نامير" من أيدي "النمسا" في سنة ١٦٩٢م .

ولمدة تزيد عن قرن من الزمان من (سنة ١٥٦٨م) إلى (سنة ١٦٨٨م) ساهم الجزويت في إنجلترا في كل أنواع الحروب والحركات السياسية فمثلاً ساهموا في المؤتمرات التي هدفت إلى قتل اليزابيث^(*) في صالح "ماري ستيوارت"^(*) و "فيليب الثاني"^(*) .

وعلموا أن تكون لهم حظوة لدى شارل الثاني^(*) سنة ١٦٦١م وقاموا بأعمال ضد البروتستانت ، ومحاولة تحويل الجيش إلى الكاثوليكية وأقروا منذ سنة ١٤١٨م ببسب

(١) المرجع السابق ص ٩٥ بتصرف .

(*) اليزابيث ١ (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ملكة إنجلترا وهي ابنة هنري الثامن من زوجته آن بولين (المنجد في العلوم ص ٦٢) .

(*) ماري ستيوارت (١٥٤٢ - ١٥٨٧م) ملكة اسكتلندا ثم ملكة فرنسا بعد زواجها من فرنسوا الثاني أسرت ثم قتلت يراجع المرجع السابق ص ٦٢٧ .

(*) فيليب الثاني : (١٥٢٧ - ١٥٩٨م) ابن كارل ٥ (شارلكان) ملك إسبانيا وهولندا ١٥٥٦م ثم البرتغال ١٥٨٠م المرجع السابق ص ٥٣٧ .

(*) شارل الثاني (١٦٣٠ - ١٦٨٥م) ملك إنجلترا بعد أبيه (المرجع السابق ص ٣٨) .

قتل الملوك إذا عادوهم ، واعتبرتهم " أوربا " كلها منذ ذلك الحين من سفاكي الدماء ، لأنه كان لهم ضلع في المؤتمرات ضد حياة " اليزابث " في إنجلترا وضد " هنري " الثالث والرابع ، وضد الملك لويس الخامس عشر .^(١)

الجزويت دولة محارسة

علمنا ما تقدم أن مؤسس جماعة الجزويت " اغناطيوس دي لويولا " كان في سلك الجيش ، لكنه لما أصيب تركه ليشتغل بالحياة الدينية الروحية ، إلا أن النزعة القتالية كانت تجري كالدّم في عروقه ، فحافظ عليها ، وغرسها في نفوس أتباعه ، وعلم أتباعه الطاعة العمياء ورباهم على نظام الجندية في حياتهم العملية ، فكان منهم جيشا محاربا .

ولانت مجهودات الجزويت ترمى إلى غرض واحد وهو توزيع جيشهم الجرار في كل مكان بحيث إذا أعطيت لهم إشارة قاموا دفعة واحدة في آن واحد لتحقيق مراد داعيهم الأكبر^(٢) فاهتمت طائفتهم بالحروب كما اهتموا بالمؤامرات السياسية لبسط نفوذهم وفرض سلطانهم ، فنراه في أمريكا الجنوبية يقودون فرقا من الجيوش المسلحة الأسبانية ويحاربون الأهالي الأصليين المتأخرين في حضارتهم وينتصرون عليهم ويستعمرونهم — علانية أي أن التبشير لا يستحي إطلاقا أن ينقلب أحيانا وبشكل ظاهر إلى استعمار سافر مسلح ولذا كون " الجزويت " لأنفسهم دولة عن طريق الدروب تبلغ مساحتها ثلث مساحة " فرنسا " ، ووافقت أسبانيا على منحهم هذه الأرض لتكون قاعدة لدولتهم التي سميت دولة " الجزويت " تحت رئاسة بعض قساوستهم .^(٣)

ويقال إن هذه الدولة استمرت من سنة ١٦١٠م إلى سنة ١٧٦٠م ، وفي هذه الفترة جمعوا الأموال الوفيرة ، وعاشوا في ثراء فقد اغدقت عليهم هذه المستعمرة الذهب والفضة وتحولوا إلى مستعمرين سفاكين ومستغلين سافرين ولا شك أن حوادث لبنان وخربوها المستمرة من جراء وجود الجزويت " اليسوعيين " بها ، ونشر تعاليمهم وبشها في شعب لبنان عن طريق مؤسساتهم .

-
- (١) المرجع السابق ص ٩٤ .
 (٢) دائرة معارف القرن العشرين " الرابع عشر الهجري " المجلد (٣) ص ١٠٣ و ١٠٤ .
 (٣) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان دكتور / عبد العزيز عزت ص ٩٧ ط (١) مطبعة دار التأليف بحصر ١٩٧٤م .

نشاط الجزويت " اليسوعيين " في الشرق

انتقل اليسوعيون بنشاطهم إلى بلاد الشرق ، وأعانهم جمع المال على إنشاء الجامعات كجامعة " سان جوزيف " في بيروت ، ونوا كليات للطب لها تأثيرها الكبير في تبشير الناس وتحويلهم إلى المسيحية ، وبالذات حين يكون الاهتمام الظاهري وشفاء المرضى بالعناية المركزة ، والتودد اليهم بالترحاب ، والابتسامات كما أنشأوا المدارس في " بيروت " و " حلب " و " دمشق " و " زحلة " .

كما استخدموا التجارة وسيلة للتبشير أيضا وللتأثير على الناس وبالرغم من حبهم الجم لجمع المال وسعيهم الدائب وراء الدنيا ومتطلباتها التي لا تقف عند حد استخدموا المال في خدمة مبادئهم وأغراضهم في الغرب والشرق .

" وامتدت بعثات اليسوعيين إلى بلاد كثيرة وقد تخصص بعض أعضائهم في مواجهة البروتستانتية مثل أولئك الذين توجهوا إلى إنجلترا في حكم الملكة اليبابات (*) الأولى وكان هذا سببا في اعتبارهم خونة لوطنهم ، وأدى إلى كراهة شديدة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية من جانب الشعب الانجليزى عامة الأمر الذى استغرق قرابة الأربعة قرون للتغلب عليه .

وذهب بعض الكاثوليك المنفيين من إنجلترا إلى كلية اليسوعيين في " دواي " بهولندا الاسبانية (بلجيكا الحديثة) حيث ظهرت نسخة " دواي " Dala من الكتاب المقدس وكانت هى النسخة الانجليزية الرسمية الوحيدة للكتب المقدسة التي استعملها الكاثوليك حتى القرن العشرين (١) .

وسر دورهم في عواصم الشرق الاسلامى فبنوا المدارس وأنشأوا المطابع وأصدروا الجرائد والمجلات وأشار إلى جانب من نشاطهم نجيب العقيقى فقال : وقدموا الشرق منذ القرن السابع عشر : حلب ١٦٢٥م ، ودمشق ١٦٢٤م ، وصيدا ١٦٤٤م ، وطرابلس ١٦٤٥م .

وبعد إلغاء رهبانيتهم (*) (١٧٢٣م - ١٨١٤م) عادوا إلى بيروت (١٨٣١م) والاسكندرية

١٨٨١م والقاهرة ١٨٧١م ، ثم تفرقوا بين أقطار الشرق وشيخسدا فيها الأديار

(*) البصابت الأولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ملكة إنجلترا وهى ابنة هنرى ٨ من زوجته ^{حثة} نظمت الكنيسة الانجليكانية ، وقربت إليها رجال الأدب والفن (يراجع : المنجد فى الادب والعلوم) للأب فردينان نوتل اليسوعى ص ٣٣ طبع بيروت شباط ١٩٥٦م .

(١) نشأة الدوائف المسيحية ص ١٠١ - ١٠٢ .

(*) أصدر البابا كليمان الرابع عشر أمره بحرق طائفتهم عام ١٧٢٣م وأعادها البابا بيوس السابع

(١٨٠١م) يراجع دائرة معارف القرن العشرين المجلد الثالث محمد فريد وجدى ص ١٠٤ .

والمدارس ، وخصوصا بيروت بمطبعة ومكتبة وجريدة ومجلات ومجموعات وجامعة^(١) ، وقاموا بإصدار تبشيرية في " الهند " وأوفدوا البعث إلى الصين وغيرها .

تكوين اليسوعيين " الجزويت "

المسلمون بحاجة إلى معرفة هذا النوع اليسوعي المتلون ، وكيف أُنشئ ؟ هؤلاء الناس الذين اصطنعوا الحلم وتدخلوا في حياة الملوك ونفذوا إلى القادة والمقودين فكانوا هم الحكام من وراء الستار ولا أتحدث عن الاشارات التي اصطالحوا عليها كالماسونيين وانما عن اعدادهم حيث ينقسم أعضاء هذه الطائفة الى اقسام خمس :

١ - الأعضاء الزمانيون وهم الذين يمكنون سنة تحت التمرين تؤخذ عليهم عهد بسيط ، ويشغلون بأعمال يدوية .

٢ - الأعضاء الجدد وهم شبان متعلمون يعتنى بانتخابهم بعد مضي عامين بدون تعلم يسمح لهم بدراسة الأدب والفلسفة والعلوم ، فإذا بلغوا الثامنة والعشرين بدأوا ، بدراسة علم اللاهوت ، ثم الانقطاع بعد ذلك عن اختلاط الناس لمدة عام ، وتؤخذ عليهم العهد ثم يعينوا قساوسة .

٣ - الأعضاء الذين يطلق عليهم التلاميذ هم المتعلمون المكلفون بالإرشاد والقيادة بعد أخذ العهد السرية عليهم .

٤ - الأعضاء الروحانيون وهم أرقى من السابقين ويساعدون الأساتذة .

٥ - الأساتذة وهم الطبقة العليا من هذه الطائفة^(٢) وقد انتشرت جماعة " الجزويت " اليسوعيين في " ألاسكا " (*) ، وفي ماليزيا وفي أواسط أفريقيا وفي الصين فقد بلغ عدد رجال الطائفة ٣٥٤٣٨ فردا في سنة ١٩٦٣م منهم ١٩٢٣٥ كاهنا و ١٠٣٤٩

(١) المستشرقون ج ٣ ص ١٠٥٨ باختصار .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر الهجري) المجلد الثالث ص ١٠٣ باختصار .

(*) ألاسكا . Alaska : شبه جزيرة غربي كندا ٥٢٠٠ ر ٥٢٠ كم^٢ ، وقد صارت منذ ١٩٥٨م ولاية من ولايات أميركا المتحدة يراجع (المنجد في العلوم ص ٥٩) .

اسكولاستسكا(*) و ١٥٨٥٤ خا ساعدا (١).

وكل هؤلاء الافراد تعدهم "جمعية يسوع" المسيح إعدادا خاصا ليتخرج كل منهم مدريا على مايقوم به من عمل "وتقبل الجمعية دائما شبابا يرغبون في أن يكونوا كهنة وتدعوهم سكولاستيك أو طلابا ، وتفرض عليهم أن يقضوا عشر سنوات في دراسات أدبية وفلسفية ولاهوتية وتلك ارادة القديس "اغناطيوس" أن يتكون أبنائه تكونا بطيئا شاملا وعميقا ، كما تكون هونفسه في "برشلونة"(*) ، و "آلسكا" وخاصة في باريس .

وعلى الطلاب قبل الدروس أن يقضوا عامين في الاختبار أو الابتداء يسافرون بسلا نقود ، ويخدمون المرضى ، ويعملون بأيديهم ، ويلتقون. خاصة بيسوع المسيح في ممارسة الرياضات الروحية ، مدة ثلاثين يوما بالصمت التام .

ويقطع الدور بفترات تربوية في المدارس ويمود اليسوعى بعد سياسته كاهنا فيقضى عاما ثالثا في الاختبار في "مدرسة القلب" ويحيدوه الى الرياضات الروحية ثانية مدة ثلاثين يوما مما يولى هؤلاء الرجال البالغين خبرة روحية لاشئ يعرضونها لادرس ولاكتاب وتقبل الجمعية من جهة أخرى رجالا يتخلون عن الكهنوت لينصرفوا الى خدمات وضبعة قليلسة التقدير في نظر البشر شديدة الضرورة للحياة العامة ولكل تنظيم ارسالى يريد له اتباعه النجاح .

فهؤلاء الاخوة المساعدون في الجمعية يتعاضون مختلف المهن فهم بناءون ومعرضون وطهاة ، وكتبة أسرار ، وكهربائيون ، ومدربون ، ومدرسو تعليم مسيحي في الارسلات .

وهم يقضون عامين في الابتداء ويمارسون الرياضات الروحية مدة ثلاثين يوما (٢) هذه صورة مختصرة لتكوين هذه الطائفة واعدادها لتجابه الحياة بكل متطلباتها ولتخدم أهدافها

(*) اسكولاستسكا : لفظ يطلق على الطلاب الراغبين في التعلم ليكونوا قساوسة .

(١) القديس "اغناطيوس دي لويولا" ترجمة عقيقي اليسوعى ص ١٤٦ .

(*) برشلونة : مرفأ في شمال شرقي أسبانيا على البحر المتوسط وهي قاعدة اقليم قتلونه

مركز صناعي فتحها المسلمون العرب ٧١٣م في عهد موسى بن نصير ، واستولى عليها

الاسبان ١١٣٧م (يراجع المنجد في العلوم ص ١٢٥) .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ باختصار .

التي تسعى لتحقيقها والتي أساسها الأول السيطرة على العالم .

٧ - الآباء البيض

الآباء البيض من الطوائف التبشيرية الاستعمارية وهم قد أدوا أدوار من سبقهم من الجماعات التبشيرية ، وزادوا بملازمهم للدوائر الاستعمارية فهم الظل الدائم للمفتصبين ولذا يطلق عليهم المبشرون الرسميون التابعون للحكومات الاستعمارية ، وفي الوقت نفسه ينعمون بالوظائف في دوائر هذه الحكومات .

أمثلة للآباء البيض :

ومن أهم الأمثلة لهذه الجماعة الأب بورجاد (١٨٠٦ - ١٨٦٦) م وكان قد تعلم العربية في " باريس " ثم قصد الجزائر ١٨٣٨ م ثم " تونس " ١٨٤٠ م ، حيث رأس مدرسة " القديس لويس " وأنشأ فيها كلية بورجاد على اسمـه وعرفت فيما بعد بمعهد الآداب العربية ، وأنشأ المطبعة العربية الأولى وطبع فيها صحيفة : عقاب باريس مستعينا بمحرر عربي . (١)

أما المثال النشط في المجال التبشيري بأفريقيا من هذه الجماعة فهو : " الكردينال لافيجرى " ويعتبرونه المثل الأعلى للجماعة والرافع لراية التبشير بالدين المسيحي الكاثوليكي في كل من بلاد " الجزائر " و " الصحراء الكبرى " و " السودان " الفرنسي ولد في سنة ١٨٢٥ م وتوفي في سنة ١٨٩٢ م وهو عالم من خريجي السربون تعمق في اللاهوت والتاريخ وذهب إلى الجزائر محيطة بكل مايجرى هناك قديما وحديثا .

ووضع خطة للعمل الديني التبشيري لمرؤسيه من القساوسة بل تعدى كثيرا دائرة الدين إلى التدخل في دائرة السياسة . (٢) ، وتتلخص آراؤه فيما يأتي :

١ - يرى الكردينال لافيجرى ضرورة قيام الاستعمار لترقية المسلمين وإنهيجسب أن يسبق التبشير بالقوة العسكرية واستعمال العنف ضرورة لازمة في مبدأ الأمر مسـع الأهالي حتى يخضعوا تماما ثم يأتي دور المبشرون بعد المستعمر الغاشم ليفتحوا أعينهم

(١) المستشرقون ج ٣ ص ١٠٥٢ يتصرف .

(٢) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ١٢٠ يتصرف .

على تأخيرهم وسوء حالهم ، ووجوب الخروج من هذه الحالة المتأخرة وبهذا يشعرون بالرفق والرحمة بعد القوة والقسوة والعنف - وأن التبشير يمكن أن ينجح حيث يفشل العمل العسكري والعمل الإداري .

٢ - يجب أن يساعد التبشير الاستعماري وذلك بإنشاء هيئة تبشيرية جديدة تدعى " هيئة الآباء البيض " مهتمة محاربة الإسلام في الجزائر والصحراء وغيرها .

٣ - أن الإسلام هو عدو فرنسا الأول وعدو الحضارة الغربية ، ويجب مقاومته ومحاربه ، والانتصار عليه بكل السبل الممكنة ولهذا يرى الكردينال " لافيغري " أنه بجانب الآباء البيض يجب إنشاء هيئة جديدة أخرى للآباء الطونين من السود ، أي إنشاء قساوسة من أهالي البلاد ، وتكوينهم تكويناً أوربياً مسيحياً كاثوليكياً بكل دقة أو حسب قوله : " لا ينصر الإفريقيين إلا الإفريقيين ، ومن النوع نفسه " .

وهو اتجاه جديد في التبشير نشأ منذ القرن التاسع عشر وبخاصة عند انتشار المذاهب الاشتراكية .

٤ - على التبشير أن يمهّد للاستعمار والعكس أيضاً ، وقد حدث أن فتح التبشير الباب " لفرنسا " لاستعمار "مراكش" ودخول أرض المغرب ، ولقد نجح في هذا لأن فرنسا استعمرت "تونس" في سنة ١٨٨١م ودخلت المغرب في سنة ١٩١٢م وهذا يؤكد أن التبشير يمهّد للاستعمار كما أن العكس صحيح أيضاً .

٥ - محاولة استغلال بلاد الإسلام اقتصادياً بكافة الوسائل وجعل بلاد الإسلام مزرعة للغرب وثرواتها الخام تحت تصرف مصانعه .

٦ - المحاولة الدائبة لبث فكرة أن الاستعمار جاء محرراً للشرقيين من بعضهم وأصدق دليل على هذه المحاولة ادعاء أن فرنسا جاءت لتحرير أهل الشمال الإفريقي من رق العرب والأتراك ، ثم العودة بهم إلى أصلهم اللاتيني والمسيحي^(٩) ، ومن ثم يدعو أهل شمال إفريقيا الذين يدينون بالإسلام للتعصب ضد الإسلام وإخوانهم المسلمين ويأمرهم بحبة " فرنسا " المستعمرة لبلادهم ، والمسيحية الكاثوليكية المؤيدة للاستعمار .

٧ - العمل على إقناع الأفارقة أنهم قبل دخول الإسلام كانت بلادهم لاتينية مسيحية وأن الإسلام دخیل عليهم اغتصبهم اغتصاباً وأخضعهم لسلطة العرب ولذلك الأتراك .

(٩) وهو ادعاء لا أساس له من الصحة .

٨ - استغلال أجهزة الإعلام الرسمية فى الدعاية للتبشير والاستعمار ونشر هذه الأفكار ثم طبع المنشورات بهذه الامور وتوزيعها حتى يتقبل الناس التبشير والاستعمار كمخلصين لأهل البلاد من أنفسهم . (١)

وظهر من هذا العرض الموجز أن " الآباء البيض " اسم على غير معنى فهم بيض الثياب سود القلوب تشهد عليهم بذلك ألسنتهم .

التبشير الفردى

كما وجدت جماعات قامت بالتبشير المسيحى بصورة منظمة ، وجد أيضا أفراد قاموا بهذا الدور تطوعا ولعل أهم هذا النوع هو الأب " شارل دى فوكو " الذى قيل نفسى وصفه : إنه طراز قائم بنفسه يقوم على المغامرة وحب التفرد الذاتى واشباع شهوة الطموح الدينى ، وقد نشأ فى عائلة أرستقراطية من " الألزاس " و " اللورين " بفرنسا ، ومات أبوه وأمه وهو طفل صغير فرباه جده لأمه ، حتى أتم دراسته الثانوية دخل الكلية الحربية وكان من زملائه قواد فرنسا فى الحرب العالمية الأولى (٢) ، وبالرغم من انغماسه فى الشهوات والملذات إلا أنه غير مسار حياته وهو فى الخامسة والعشرين من عمره فابتعدا بتعليم اللغة العربية واهتم بأمور إفريقيا وأهلها ، وقام برحلات إلى " مراکش " فى رفقة مرشد يهودى ، أطلعته على كل نواحي البلاد .

وكان لهذه الرحلات أثر بالغ فى توجيهه الوجهه الدينية فقد ابتعد نفسى أثنائها عن المدنية ، وأساليب الحضارة الأوروبية واعتاد حياة الغربة والتقص وأحسب الصحراء الإفريقية فقام بعدة رحلات فى جنوب الجزائر ، وظل يتردد بين " فرنسا " و " روما " و " الجزائر " قابل فى فرنسا القسيس " هيفلان " صديق عائلته والوجه الدينى له كما تقابل مع رئيس مقاطعته .

وبعد هذا عاد إلى الجزائر بتوصية منها إلى رئيس التبشير فى الصحارى ورئيس الآباء والقساوسة البيض الذين يمشرون فى مستعمرات شمال إفريقيا فكلفه الأول أن يتجه

(١) يراجع المرجع السابق ص ١٢٠ - ١٢٣ باختصار مع التصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ بتصريف .

بعد ذلك إلى الجنوب ليقوم بمهمته التبشيرية ، ويغزو آفاق المسلمين الروحية .^(١)

صورة واقعية لمساندة الاستعمار للبشرين

ماحدث للآب " دى فوكو " أثناء تبشيريه بالجزائر يؤكد حقيقة تدعيم الاستعمار للتبشير وهذا ما أشار إليه الدكتور / عبد العزيز عزت قائلا :
والتبشير كما قلت لايفصل عن الاستعمار ، والقوة المسلحة فهي التى تحميه فى كل مكان بدليل مادى فى حالتنا هذه أن أخطرت السلطات الاستعمارية الفرنسية كل الضباط والجنود فى محطات الطريق الذى سيسلكه " دى فوكو " بسروره من وهران الى بنى العباس ، وهم الأقوام الذين وقع عليهم الاختيار للتبشير فيما بينهم مارا " بعينين الصفرة " وهى واحة فى الصحراء الجزائرية ، أخطرتهم بالقيام بحمايته ، والمحافظة على حياته ، وتقديم كل المساعدة التى يطلبها فى الحاضر والمستقبل فاستقبله فى عينين الصفرة الحاكم الجنرال " كوشمير " بنفسه وأنزله أى الآب دى فوكو بطرفه إكراما لـه وجهاز له كتيبة خاصة من الجنود المسلحين تحت قيادة الضابط " ميرو " وزاد فى إكرامه أن قدم له حصانا ليركبه ويمتطيه من عين الصفرة الى بنى العباس جنوبا فى قلب الصحراء .

وفى أثناء الطريق أتت خصيصا لتحيته فرقة من الخيالة المرابطة فى منتصف الطريق بقيادة الكابتن " سوسبيل " الذى حيا " دى فوكو " وهو على حصانه التحية العسكرية الرسمية وهو رد التحية بأحسن منهم .^(٢)

وهكذا بينت الصورة السابقة تعاون القوم على الإثم والعدوان ، وكشفت أن التبشير ظل الاستعمار وأوضحت تبعية كل منهم للآخر .

الحركة المرسلية الحديثة

لقد مهدت الجماعات التبشيرية المذكورة سابقا لهذه الحركة وأعطتها دفعة قوية إلى الأمام ، وإذا اعتبرنا الفترة الزمنية منذ سنة ٥٠٠م إلى سنة ١٥٠٠م - (ألف عام) - فترة انتشار المسيحية فى بلاد الغرب عموما ، فإنه منذ القرن السادس عشر والحركات

(١) يراجع المرجع السابق ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) الاستعمار والتبشير والاستشراف بعد حرب ١٠ رمضان ص ١٠٣ .

المرسلة في تطور مستمر ومع تقدم الزمن ، وسهولة الاتصالات التي تقرب المسافات نجد أنها تسرع الخطا في نشر رسالتها في بلاد الشرق .

" ففي القرن السادس عشر انشغل أعضاء " جمعية يسوع " الحديثة التكوين بالعمل المرسلى ، وكان الأول من جماعتهم الذي وصل إلى الهند واحداً من أشهر المرسلين في تاريخ الكنيسة " فرانسيس كسافييه " وكان من أصل شريف وقد تأثر جدا بـ " اغناطيوس دى لويولا " فانضم إلى نظام اليسوعيين وفي سنة ١٥٤٢م وصل فرانسيس إلى جوا عاصمة " الهند البرتغالية " حيث اغتنى بالمرض ، والسجون والبرص ، وطمس الأطفال ^(١) ولشدة تأثيره بعمله أصبح جندياً فسريراً من جنود المبشرين ، فاستعذب المصاب في نشر مبادئ المبشرين ، وانطلق من قطر إلى آخر واضعاً نصب عينه فتوح الشرق للمسيحية " فتحرك من الهند حتى وصل جزر إندونيسيا ، ومنها انتقل إلى اليابان ثم الصين وفي نهاية رحلته التبشيرية عاد إلى " جوا " بالهند سنة ١٥٥١م .

ومرض ومات وهو في سن السادسة والاربعين واستمر عمل اليسوعيين التبشيري وكرست الجمعية المذكورة كل مجهوداتها للمرسليات الخارجية " . ^(٢)

واهتم اليسوعيون " بالهند " خاصة يقول ك. م. بانيكار : وقد أسس قساوسة اليسوعيين في " جوا " أول مطبعة بالهند كما أسسوا أيضا بعض المعاهد اللاهوتية التي يلوح أنها وإن كان المقصود منها تعليم القسوس قد وجهت بعض التفاتها لدراسة اللغات الهندية . ^(٣)

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر امتد النشاط التبشيري واتسع ميدان عمله في أقطار " آسيا " و " إفريقيا " فقامت جمعيتان - غير كاثوليكيتين - بدور كبير في نشر الانجيل ، وهما جمعية نشر المعارف المسيحية (S.P.C.K) وجمعية نشر الانجيل (C.M.S) وقد أسسها رجال الكنيسة الإنجليزية في سنة ١٦٦٨م وسنة ١٧٠١م بالتتابع بالإضافة إلى ما قامت به الجماعات البروتستانتية والتي من بينها " جماعة الميثودست " التي تأسست في سنة ١٧٨٢م وعملت في هذا الميدان الجديد ، وبادرت من أجل ذلك إلى

-
- (١) نشأة الطوائف المسيحية ص ١٠٩ ، ١١٠ .
 - (٢) تراجع آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٠١ - ٤٠٨ بتصرف ، نشأة الطوائف المسيحية ص ١١٠ .
 - (٣) آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٠٠ .

إرسال الجماعات التبشيرية إلى الخارج وفي سنة ١٧١٥م تأسست " جمعية لندن التبشيرية " بمعاونة التجار في " لندن " وبدأت عليها في " الهند " و " الصين " ثم امتدت إلى كل مكان آخر من العالم تمتد إليه التجارة البريطانية ^(١).

وجاء القرن التاسع عشر ليشهد بتقدم المسيحية جغرافيا وخلال هذا القرن تعرضت " أفريقيا " لهجوم تبشيري شرس ، نال مصر نصيب خطر منه ولولا الأزهر وبرجاله لانقلبت الموازين في مصر حصن العالم الإسلامي وبالتالي جميع الدول الإسلامية التي تستقي من روافد الأزهر وكانت موجات الإرساليات البروتستانتية مركزة على هذا البلد اشد التركيز وأهم الموجات البروتستانتية اثنتان :

" الأولى : جاءت من إنجلترا بعد سقوط نابليون ولم تستطع الاستمرار فخرجت لتعبد ثانية في أعقاب الاحتلال البريطاني وتحت أعلامه .

والثانية : جاءت من أمريكا عن طريق بلاد الشام ^(٢) ، وسمى المسيحيون القرن التاسع عشر " بالقرن العظيم " لامتداد المسيحية فيه ، ولنهضة الكنائس داخليا ولتحصول شعب الكنيسة إلى شعب مبشر ، وقد اعدت الأسوال على العمل المرسل ، وامتلأت صناديق المبشرين ودوت الشعارات المسيحية في أرجاء القارة الإفريقية ، والتي من بينها نسدا " لفتجستون " الثالث " فتح إفريقيا للتجارة والمسيحية " ^(٣).

وشعار " موثات " (١٨١٢ - ١٨٦٨)م " الكتاب المقدس والمحراث لإفريقيا " وفي عام ١٨٢٠م قال " ساكر " المرسل في " الكاميرون " يتصور بعض الناس المرسل رجلا يحمل كتابه المقدس في يده ويخط للناس تحت ظل شجرة ، ولكن الصورة تختلف معسى عن هذا ، فأنا أذهب إلى الرجل في بيته أواسيه في الامة وساعبه وأعاونيه لإصلاح حاله ثم أحدثه عن الحياة الأفضل .

هذا وقد كان التركيز على تعلم الحرف قويا في مدارس الإرساليات الألمانية ^(٤) . وقد أثرت الحركة المرسلية الحديثة على العالم الإسلامي فكريا ومعنويا كما أعطت دفعة قوية لاتحاد الكنائس ، فعن طريق تنسيق العمل بينهم في أرض الإسلام بدأ تبادل الآراء والتقارب بين طوائفهم التي كان يسودها الشقاق .

(١) نشأة الطوائف المسيحية ص ١١٠ .

(٢) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠م حتى اليوم ص ٧٧ .

(٤) يراجع المرجع السابق ص ٨٥ .

الحركة المسكونية

أعقبت " الحركة المسكونية " الحركة المرسلية الحديثة ، وكان القرن العشرين الميلادى بداية التحام الكنائس المسيحية والذي تم بصورة لم يسبق لها مثيل فى النصف الثانى من القرن المذكور فبالرغم من تعدد الكنائس ، واختلاف مذاهبها ، وطاقتها نجد توحيد صفها ليس فى العبادة أو المذهب والطقس وإنما فى الحمل على نشر المسيحية فى كل بقعة من الأرض .

وكان الاجتماع الثالث لمجمع (مجلس الكنائس العالمى) فى نيودلهى عام ١٩٦١ م مثالا لهذه الوحدة بنص قراره الذى جاء فيه " نؤمن بأن الوحدة التى هى إرادة الله وعطيته للكنيسة صارت ظاهرة فى كل مكان للذين اعتدوا فى يسوع المسيح ويعترفون به ربا ومخلصا ، وصار بالروح القدس شركة كاملة لها نفس الايمان الواحد الرسول ، وتكرز بالانجيل واحد ، وتكرس الخبز الواحد ، وتشارك فى الصلاة العامة ، ولها حياة مشتركة تعمل للجميع بالسهادة والخدمة ، والتى تتحد فى الوقت عينه بالخدمة المسيحية فى كل الأمكنة وكل العصور " . (١)

كما حاول البابا " يوحنا الثالث والعشرون " لم يعمل الكنيسة فلم يتحدث عن الخارجيين عن كنيسته " كهراطقة " بل " اخوة منفصلين " وجاء خليفته من بعده (البابا بولس) انساد من ليتعانق مع (بطريرك القسطنطينية) " اثينا غوراس الاول " فى مدينة سنة ١٩٦٤ م ، عندما أعلن القائدان المسيحيان بالتبادل بأن الحرمانات التى نطق بها ضد كنائسهم ، احداها على الاخرى فى سنة ١٩٥٤ م (باطله) وليست ذات موضوع وخداوة كهذه بعد ٦٠٠ سنة من البغضاء والتعصب من الجانبين كانت لها أهميتها العظمى بالنسبة للعلاقات المستقبلية بين المسيحية فى الشرق والغرب . (٢)

وتلى ذلك اجتماعات لايجاد تقارب بين الكنائس الشرقية والغربية (والكنائس المصلحة - والانجليكانية) للتفاهم وتقريب وجهات النظر ، ولتعاون البعثات التبشيرية المتعددة وللتسيق بينها وكل ذلك يتم ولو على حساب الحق ، المهم ان تنسى الكنيسة أحقادها التى استمرت مايقرب من ألف عام ، وتستيقظ لنشر المسيحية بين أهل الاسلام .

(١) نشأة الطوائف المسيحية ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(*) يوحنا الثالث والعشرون : تقلد كرسى البابوية من عام ١٩٥٨ م الى عام ١٩٦٣ م ، ودعا الى عقد المجمع الفاتيكاني الثانى وافتتحه عام ١٩٦٢ م (يراجع المنجد فى العلوم ص ٧٥٣) .

(*) بولس ٦ : اسمه (جيوفانى باتينا مونتيني) : ولد فى كونسيرزى قرب بريشيا ١٨٩٧ م ، عين سكرتير لدولة الفاتيكان ١٩٤٤ م وتقلد كرسى البابوية فى ٢١ يوليو (حزيران) ١٩٦٣ م وقد واصل المجمع الفاتيكاني الثانى وختمه ١٩٦٣ - ١٩٦٥ م . (المرجع السابق ص ١٥٤) .

(٢) نشأة الطوائف المسيحية ص ١٣١ - ١٣٣ .

الفصل الثالث

"البابوية ودورها في التبشير وحماية المبشرين"

البابوية(*) ركيزة هامة من ركائز التبشير في العالم أجمع فهي تمد المبشرين بالمال وترعاهم في كل الأقطار وموقف البابوية تجاه الإسلام والمسلمين عدائي على الدوام فبالرغم من انشغالها في العصور الوسطى بالصراعات مع الأباطرة ، وانغماسها في الملذذات وجمعها للمال وكثرة لها إلا أنها في جانب المسلمين كانت يقظة دائما ، فهي المحركة للحروب الصليبية كما علنا .

وهي التي حاولت الاستفادة من علوم المسلمين بالرغم من محاربتها للعلم والعلماء في أوربا ، وهي التي رسمت الخطة للقضاء على المسلمين في الأندلس وصاحبه فكرة دواوين التحقيق لاستئصال المسلمين أو تنصيرهم بالإكراه .

ثم هي في العصر الحديث قد استقلت بنفسها مكونة " دولة الفاتيكان " وجمعت قوتها مع جهد " مجلس الكنائس العالمي " لخدمة الاستعمار ، والسير في ركابه وجسدت بالمال الوفير لخدمات التبشير في دول " آسيا " و " إفريقيا " .

وما يدل على سير البابوية في خط الاستعمار موقفها المدعم لعدوانه ، وساندتها للصهيونية العالمية ومباركتها لاعتدائها المتكررة على المسلمين فهي بحق ركيزة للعدوان وإن تصريحات البابوية في الآونة الأخيرة وتحركاتها المحسوبة ضد الإسلام وثائق دافعة في جبينها تشهد بجرمها في حق الإنسانية ، وذلك في الوقت الذي تشدق فيه ، بأنها تدعو إلى نيل الشقاق والخصام ، وهذا الفصل يوضح دورها الساند للتبشير .

- (*) معنى لفظة : " بابا " المنسوب إليها البابوية : أصله في اللغة اليونانية " باباس " أي الأب وكان سابقا يطلق على الأسقف أينما كان لاسيما أسقف الاسكندرية ثم خص بأسقف روما سنة ١٠٢٣م في أيام البابا غريغوريوس السابع^(١) .
وقيل : لفظة " بابا " أصلها " أب الآباء " فصارت " أبابا " ثم خففت فقالوا " بابا " وهي لأسقف روما كما يتلقب بها أسقف الاسكندرية إلى اليوم^(٢) .
(١) كتاب اتحاد الملوك الألبا بتقديم الجمعيات في أوربا ترجمة خليفة بن محمود (الخاتمة) ج ٢ ص ١٥ بدون عدد للطبعة مطبعة بولاق بمصر ١٢٥٨ هـ .
(٢) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك ص ١٣ بتصرف واختصار .

البابوية فى القرون الوسطى

عكفت البابوية فى العصور المظلمة على استخدام كل أسلحتها ضد من يعترض على تصرفاتها ، أو يحاول من إصلاحها والقضاء على إفسادها ، فكثيرا ما انتهكت الحرمات باسم الدين وبلغ من سيطرة البابوية أنها كانت تطوى تحت سلطانها الحكام ، وإذا حدث نزاع بينهما خرجت البابوية منه منتصرة فى الغالب .

فقد كان " للبابا " سلاح قوى لا يتحرج من استعماله إذا أراد إخضاع أمير خارج عليه ، وهذا السلاح هو الحرمان يحرمه من المسيحية وقد يحرم رعيته فتكف الكنائس عن دق النواقيس وتغفل أبوابها فلا يستطيع أحد أن يتزوج ، وأيضا يحمل الموتى إلى قبورهم بلا صلاة ، وفى الوقت نفسه يغرى " البابا " أحد الأمراء المجاورين لكى يغير على إسارة هذا الأمير الخارج وبيارك فى غارته وللمرء أن يتصور أحوال الرعية فى هذا الوقت فإن كل مسيحي كان يرى نفسه مرتبظا بولائين ، ولائه لأمره ، وولائه للبابا .

فإذا اختلف هذان الإثنان إحتاج إلى أن يقرر ترك أحدهما ، وفى الترك خسارة عليه على كل حال ، فهو يختار أهون الخسارتين ، فكان ينزل عن الولاة لأمره ويخرج عليه لإرضاء البابا .

ومن الحوادث التى تنازعت فيها البابوية فى عصورها المظلمة مع الأباطرة ما يأتى :

١ - اختلف (يوحنا) ملك بريطانيا الذى مات فى القرن الثالث عشر الميلادى مع البابا ، فحرمه البابا وعطلت الكنائس فى الصلاة ومنعت عقود الزواج وحملت الجثث إلى القبور بغير صلاة فاضطر الملك " يوحنا " أن يطلب الصلح صاغرا فعفا عنه بعد ذل وعذاب .

٢ - حدث فى القرن الحادى عشر أن هنرى^(١) الرابع إمبراطور ألمانيا الذى مات سنة ١١٠٦ م ، اختلف مع البابا " غريغوريوس السابع^(٢) " على مسألة أوقاف الكهنة فلم يكن

(١) هنرى الرابع ولد فى عام ١٠٥٠ م بالتقريب صار إمبراطورا لألمانيا فى الفترة من (١٠٦٦ - ١١٠٥ م) قاوم غريغوريوس السابع فالتزم أن يؤدى الخضوع للبابا فى كنوسا ١٠٧٧ م ، ثم توفى ١١٠٦ م (السنجد فى العلوم ص ٧٣١ بتصرف) .

(٢) غريغوريوس السابع : ونطق : جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) وكان اسمه البابوى سابقا " هلد براند العظيم " ومن أعماله : تقريره العزيمة على رجال الدين وتشبثه بسيادة الكنيسة على الملوك والأمراء لتظل مصدر السلطة فى روما (معالم تاريخ الإنسانية مجلد (٢) ص ٩١٠ بتصرف) .

بأسرع من أن حرره " البابا " ، وألب عليه أمراء ألمانيا ، ورأى الإمبراطور أنه بين رعيته — كالأجرب لا يقرب منه أحد بعد هذا الحرمان فخرج ساعيا إلى البابا ، وكان البابا في طريقه إلى ألمانيا قد نزل في قصر كانوسه فوقف الإمبراطور على الباب ثلاثة أيام وهو في لباس الرهبان حافي القدمين عارى الرأس يحمل عكازه ويقربتوته .

وبعد هذا الذل أذن له البابا فقبل الأرض بين يديه وخرج إمبراطورا مسيحيا كما كان قبل الحرمان ولكن نار الانتقام صارت تأكل قلبه فعاد إلى البابا بجيش جرار سنة ١٠٨١ م وطرد البابا وأقام غيره .^(١)

ويلاحظ أن البابوية في فترة العصور الوسطى كانت منتصرة في صراعها مع الحكام غالبًا وكانت السلطة الزمنية تستمد بقائها من البركات البابوية وما يحدث بخلاف هذا فهو أمر نادر أو شاذ .

البابوية بعد القرون الوسطى

إنتهت القرون الوسطى بالتسلط البابوي في الغالب وجاء عصر الإصلاح ، وتبعه عصر النهضة وفيهما دخلت البابوية في صراع مرير ، سنعرض بإيجاز نماذج من سلوك البابويات في هذه الفترة الزمنية مع ذكر الحال التي انحطت إليها البابوية .

وقد حاول البابا " مارتن الخامس " ^(٢) إخضاع البابوية لسيطرته المباشرة والعمل على إزدهار " روما " لكن أساليب الجباية التي اتبعها هوت به إلى الحضيض وزعزت البابوية من جذورها .

كما أن سياسة البابا " سيكستوس الرابع " ^(٣) جعلت من إيطاليا مسرحا للحروب ومع ذلك كتب على قبره مات باسم السلام العظيم ، وقد استحوذ كل من " أنوسنت الثامن " ^(٤) والإسكندر بورجيا " ^(٥) على البابوية بالرشوة والتهديد .^(٦)

(١) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية دكتور / عز الدين فراج ص ١٣٢ ، ١٣٣ بدون

عدد للطبعة طبع : دار المهنا للطباعة بالقاهرة عام ١٩٧٨ م باختصار .

(٢) مارتن الخامس : تقلد منصب البابوية من عام ١٤١٧ م إلى عام ١٤٣١ م يراجع (المنجد في العلوم ص ٦٥٢) .

(٣) سيكستوس الرابع : انتخب بابا لروما من سنة ١٤٧١ م إلى سنة ١٤٨٤ م بنى له ميكل أنجلو البنايات الفخمة ومنها المعبد الميكستيني (المرجع السابق ص ٣٧٧ باختصار) .

(٤) أنوسنت الثامن : انتخب بابا لروما من عام ١٤٨٤ م إلى عام ١٤٩٢ م "المرجع السابق ص ١٣ ابتصرف

(٥) الإسكندر بورجيا : وهو الإسكندر السادس ولد في بلنسية من اسبانيا سنة ١٤٣١ م وانتخب بابا سنة ١٤٩٢ م وهو من باباوات عصر النهضة أنصرف للسياسة وصرع فيها وزاغ في حياته الخاصة

وتوفي سنة ١٥٠٣ م "دائرة المعارف للستانى مجلد (٣) ص ٦٨ ، المنجد في العلوم ص ٤٣) .

(٦) العصور الوسطى الأوربية دكتور / عبد القادر أحمد يوسف ص ٣١٩ ، ٣٢٠ باختصار .

وحتى لانطيل فى عرض النماذج المزرية ، ترفعا بأنفسنا - والتي لولا ذكر الحقيقة التاريخية ، ما تعرضنا لها - نذكر بعضا مما يحدث من معارضة البابوية ورجال الدين المسيحي للعلم والعلماء ، فقد وقفوا لنور العلم بالمرصاد يريدون إطفاءه ، وتخلصوا من العلماء بكافة وسائل الإجرام ، ولا يزال حديث محاكم التفتيش وتقتيل المفكرين والمخترعين أمام عدالة قضاة الكنيسة نقطة سوداء فى جبين التاريخ الكنسى البابوى ، وكنا نتوقع من حركة الإصلاح التى جاءت على يد " لوثر " ^(٩) ورفقائه أن تترفع عن هذه المخازى لكنهما لم تتورع هى الأخرى عن الولوغ فى هذه الجرائم .

ويصاب المرء بالصدمة حين يسمع لصاحب كتاب : " سقوط الحضارة " وهو يقول : كان " لوثر " فى لحظة من لحظات عذابه قد قال : (إن الناس يصغون إلى المنجم الذى يحاول أن يريهم الأرض وهى تدور ولا يصغون إلى السماء) ، وكان هذا المنجم هو " كوبرنيكس " الذى استطاع فى كتابه عن ثورات الأجسام السماوية ^(١٠) أن يقدم النظرية القائلة بأن الأرض تدور حول الشمس خطوات إلى الأمام بدلا من الفكرة القائلة بأن الشمس تدور حول الأرض .

واتفق زعماء الإصلاح " لوثر " و " كلفن " ^(١١) وغيرها مع الكنيسة الكاثوليكية على شجب " كوبرنيكس " وسجن " جيوردا فوبرنو " - وهو قس دومينيكى - سبع سنوات وأحرق فى عام ١٦٠٠م ، لأنه أيد نظرية " كوبرنيكس " الفلكية ورجع البروتستانت والكاثوليك معا إلى المصدر الوحيد - الإنجيل - ليثبتوا أن الأرض هى المصدر للكون ، وأن الشمس والقمر والنجوم خلقت لتهب الأرض الضياء .

وظهر العالم والفلكى العظيم جاليليو جاليلى (١٥٦٤ - ١٦٤٢م) إلا أنه اضطر إلى الحضور أمام هيئة التفتيش لإعلان تبرئه " لرأيه المهرطق " الذى قال فيه إن الأرض تدور حول الشمس ، ولم ينج من المصير الذى لقيه " برونو " إلا بعد إنكاره هذا الرأى وسجن

(٩) مارتن لوثر : (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) راهب لاهوتى ومفكر بدأ الإصلاح الدينى فى ألمانيا وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية معلنا الحركة (البروتستانتية) عام ١٥١٢م (المنجد فى العلوم ص ٦١٥ باختصار) .

(١٠) نشر كوبرنيكس كتابه عام ١٥٤٢م قبل وفاته بسنة (عقائد المفكرين فى القرن العشرين) للاستاذ / عباس محمود العقاد ص ٣٢ بدون عدد للطبعة مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة بدون تاريخ .

(١١) كلفن " يوحنا " (١٥٠٩ - ١٥٦٤م) صلح فرنسى نشر فى فرنسا وسويسرا مذهباً حمل اسمه له كتاب " الأسس المسيحية " يراجع (المنجد فى العلوم ص ٥٩٢) .

" كماها نيلا " - وهو دوشنيكى آخر - لمدة ثمان وعشرين سنة لتفكيره العلمى ، وأحسرق
 " لوسيليو فانيللى " للسبب ذاته . (١)

ويكفى أن نضع بين يدى القارئ الكريم تقرير لجنة الكرادلة الذين أمرهم البابا
 " بولس الثالث " (*) أن يكتبوا تقريراً عن الرذائل الفاشية فى رجال الكنيسة ، والوسائيل
 التى يشيرون بها لتلافيها أو التخفيف منها ، فإنها فى نظرهم حائل بين الكنيسة
 وطماعها التبشيري ، " وفى مارس ١٩٣٢م قدمت اللجنة للبابا " نصيحة الكرادلة المعينين
 لإصلاح الكنيسة " وقد فضحت هذه النصيحة الاجتماعيه ، بحرية مذهلة مفاصد الحكم
 البابوى ، وعزتها بشجاعة : إلى مغالاة الفقهاء الكنديين عديمى الضمير فى سلطة
 " البابا " مغالاة مستهتره ورأى التقرير " أن بعض البابوات ادعوا الحق فى بيع الوظائف
 الكنسية ، وقد أفشت هذه المتاجرة بالرتب الكهنوتية الرشوة والفساد فى الكنيسة على
 نطاق واسع بحيث أشرفت هذه المنظمة العظمى على الخراب بسبب انعدام الثقة فى نزاهتها
 وحث التقرير على فرض رقابة صارمة على أى نشاط تقوم به الإدارة البابوية وعلى فرض رقابة
 على الإعفاءات الكنسية ، وعلى وقف دفع المال لنيلها ، وعلى مستوى أعلى فى جميع الوظائف
 وفى شروط اختيار الكرادلة والقساوسة ، وحظر الجمع بين عدة وظائف كنسية ذات دخل
 أو الانتفاع بهذه الوظائف غائباً وأضاف التقرير " لقد هجر معظم الرعاة قطعانهم فى العالم
 كله واكلوها إلى الأجزاء " .

أما الطرق الديرية فيجب تجديدها ، وأما أديار الراهبات فيجب إخضاعها للرقابة
 الأسقفية ، لأن زيارة الرهبان لها أفضت إلى الفضائح وتدني المقدسات .

وأما صكوك الغفران فيجب الإعلان عنها مرة واحدة فى العام فقط . (٢)

هذه مقتطفات من تقرير " لجنة البابوية " قدمه كرادلة مصوفون بالنزاهة ، وإنه ليس
 للإنسانية مدى انحطاط سمعة البابوية ، وما حل بها من فوضى ولو وضع هذا التقرير
 غير رجال الدين المسيحي لقلنا أنهم من المعادين لرجال الدين المسيحي يلصقون بهم
 التهم ، ويصفونهم بالنقائص ، ومن خلال العرض الموجز لصور من التحدى للرأى العلمى

(١) سقوط الحضارة كولن ولسون ترجمة أنيس زكى حسن ص ١١٨ ط (١) مطابع دار العلم للملايين
 بيروت ١٩٥٩م .

(*) بولس الثالث : ولد فى سنة ١٤٦٨م ثم تقلد عدة مناصب كهنوتية وانتخب بابا لروما سنة
 ١٥٣٤م وتوفى عام ١٥٤٩م (دائرة المعارف للبستاني مجلد (٥) ص ٧٠٢) يتصرف .

(٢) قصة الحضارة ل (ول ديورانت ج ٦ من المجلد السادس " الإصلاح الدينى ") ترجمة
 فؤاد اندراوس ، ومراجعة : على أدهم ص ١١٦ ، ١١٧ .

ينكشف موقف رجال الكنيسة من العلم والعلماء الباحثين في الكون • وهو موقف كله جمود وقسوة لامثيل له • في الوقت الذي تتلى فيه آيات القرآن الكريم تحضر الناس على النظرة التأملية في الكون • وتأمرهم بكشف أسرارهم ومكنوناته (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (١) •

البابوية بعد القرن الثامن عشر

ظلت البابوية في صراع مع الدولة • واشتدت الخصومات بين الكنيسة والدولة • وكونت الكنيسة دولة داخل الدولة لدرجة أن حكومة إيطاليا المدنية لم تستطع أن تسيطر على الدولة كلها • فضاغت من جهودها حتى سيطرت على الدولة • واستعادت سلطتها المطلقة • يقول (رولاند بيسنتون) ما ترجمته :

وفي عام ١٨٧٠م صارت لإيطاليا حكومة واحدة وضاعت سيطرة الكنيسة • وتضايقت البابوات من كل هذه الخطوات لأنهم اعتقدوا أن رئيس الكنيسة لا يجب أن يحيا في رعاية حكومة أرضية • لأن الكنيسة تحمل سلطان الله ملك كل الناس وحلت هذه المشكلة عام ١٩٢٦م حين سمح للبابا أن يحكم على منطقة في " روما " اسمها " مدينـة الفاتيكان " (*) • وهي رقعة صغيرة لاتجر وحدة إيطاليا ولكنها كبيرة بدرجة تسمح بإبعاد " البابا " عن سيطرة أية حكومة أرضية • وللغاتيكان سكة الحديدية ومحطة إذاعة ومصلحة بريد خاصة به • (٢)

ولها أيضا سفارتها الخاصة بها • وقد حصل الفاتيكان على كثير من الامتيازات بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى • فأنشئت سفارة منتظمة لدى الحبر المقدس (البابا) فـسـى

- (١) سورة يونس الآية ١٠١ •
 (*) الفاتيكان : مقام الباباوات ويتألف من البلاط والمعبد السيكستيني والمتاحف والمكتبة التي تعد إحدى أهم مكتبات العالم بها (نحو ٦٧٠٠٠ مخطوط وأكثر من نصف مليون كتاب) • ويضم المعبد واللوحات الفنية • ودولة الفاتيكان اعترفت بها إيطاليا في معاهدة لاتيران ١٩٢٩م ورئيسها " البابا " ومساحتها نحو ٤٤ هكتارا ويوجد في هذه الرقعة كنيسة القديس بطرس • والبلاط البابوي وملحقاته بالإضافة إلى القصور والبنائات الموجودة في العاصمة الإيطالية (المنجد في العلوم ص ٥١٦ باختصار) •
 (٢) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين رولاند بيسنتون ترجمة القس عبد النور ميخائيل ص ١٤٥ •

سنة ١٩٢٨ م ، ومن هذا يتضح أن البابا كان له مقام دولي أو قل إنه اكتسب لنفسه هذا المركز ، ويضاف إلى ذلك أن إيطاليا ، بمقتضى الإتفاقية التى عقدها " موسولينى " مع " البابا " فى سنة ١٩٢٩ م ، اعترفت بالفاتيكان كدولة لها منفذ إلى البحر ، وأقرت بأن " البابا " شخصية دولية ، ولذلك منحت الكنيسة فى طول البلاد وعرضها حقوقا وامتيازات كانت تأباها عليها الحكومات الإيطالية منذ سنة ١٨٦٠ م ، وفى مقابل ذلك أصبح هناك وفاق جدى بين البابوية والملكمة الإيطالية . (١)

وما يهمهم العالم أن لقبة " الفاتيكان " تأثيرها الروحى على المسيحيين وينبغى أن يستخدم هذا التأثير فى صالح الإنسانية لاضدها وفى سبيل سعادتها لافى شقاها .

" ولقد طالب بعض البابوات بالسلام العالمى قال البابا : " بيوس الحادى عشر " (٢) بعد الحرب العالمية الأولى ان الكراهية بين الدول تضر حتى الذين كسبوا الحرب وتشوش على مستقبل العالم ، وقال لا يجب أن ننسى أن أفضل طريق لحفظ السلام هو ثقتنا ببعضنا وصدقتنا ، وليس كثرة سلاحنا " (٣)

وإذا كان بعض البابوات نادى بالسلام فإن الكثيرين قد أشعلوا الأرض نارا شعسوا بالسيف كما حدث فى الحروب الصليبية والكلمة الجائرة كما سنعرف فيما يأتى .

البابوية حرضت ملوك النصارى على تنصير المسلمين

حركت الكنيسة عواطف المسيحيين وألهبت مشاعرهم ضد المسلمين فى بلاد الأندلس ولما كان للمسلمين فى بلاد الأندلس حتى وهم فى النهاية دور لاينكر فى مجال العلم والزراعة ، والتجارة وكان ملوك النصارى يرون أنهم لايقدررون على الاستغناء عن الخبرة الإسلامية وأنهم فى ميسم الحاجة إلى التعلم من علماء الإسلام ، ومن أجل هذا يتسامحون أحيانا مع الطوائف الإسلامية القاطنة فى بلاد الأندلس التى تحولت من بلد إسلام إلى

(١) أوروبا فى القرنين التاسع^ع والعشرين (١٢٨٩ - ١٩٥٠ م) تأليف هارولد تمبرلى ، ج ١ . جرائد ترجمة محمد على أبودرة وغيره ج ٢ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ نشر مؤسسة سجل العرب بالقاهرة ١٩٦٥ م .

(٢) بيوس الحادى عشر تقلد منصب البابوية من عام ١٩٢٢ م إلى عام ١٩٣٩ م . وقع معاهدة اللاتيران ، فأصبح الفاتيكان دولة ذات سيادة ونشطت الحركة المرسلية (النجد فى العلوم ص ١٢٩) بتصرف .

(٣) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين ص ١٤٥ .

بلد نصراني ، لكن الكنيسة برجالها حرّضت الملوك وحضتهم على سلوك سياسة العنف ضد الرعايا المسلمين لأنها ترى في تعلق المسلمين بدينهم وتمسكهم بلغتهم تحدياً ينبغي مقاومته ، وما يؤكد هذا البغض النصراني ما ذكره محمد عبد الله عنان مسن تحريض " البابا " ودفعه لتنصير المسلمين بالإرهاب " ومنذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين (*) ، والحض على استرقاقهم أو تنصيرهم ومن ذلك ما أمر به البابا " انوسان الرابع " (*) في سنة ١٢٤٨م ملك أراجون الأول من وجوب استرقاق المسلمين في الجزائر الشرقية ولكن خايس لم يأبه لذلك الأمر (١) .

وإذا كان خايس تراخى في تنفيذ أمر البابوية فإن غيره لم يتباطأ فيما تشير به البابوية وعلى سبيل المثال " فرديناند والخامس " (*) والملكة " ايزابلا " .

" فرديناندو " و " ايزابيللا "

كانت الدلائل تشير بحق " ايزابيللا " في وراثة العرش بعد وفاة أخيها " هنري الرابع " ملك قشتالة في سنة ١٤٧٤م لأنها قد نالت حق وراثة العرش بتأييد " مجلس النواب " لها عقب وفاة أخيها " الفونسو " في سنة ١٤٦٨م .

(*) شاع استعمال هذا اللفظ بالأندلس منذ أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والمدجنون : من دجن أي أقام وصدره الدجن والتدجن ومنه دواجن البيوت وهي طيور وحيوانات أليفة مقيمة (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين) محمد عبد الله عنان ص ٥٦ ط (٢) مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م .

(*) انوسان الرابع : اعتلى كرسى البابوية من عام ١٢٤٣م الى عام ١٢٥٤م (دائرة المعارف للبستاني مجلد (٥) ص ٨) .

(١) نهاية الأندلس (وتاريخ العرب المتنصرين) ص ٦٢ .

(*) فرديناندو الخامس عاش من عام ١٤٥٢م الى عام ١٥١٦م ملك " أرغوان " ثم قشتالة بعد زواجه " بايزابلا " وارثه عرش قشتالة والمولودة عام ١٤٥١م والملقبة بالكاثوليكية والتي استولت على غرناطة من المسلمين عام ١٤٩٢م ثم توفيت سنة ١٥٠٤م ببلدة " تورو " الواقعة في قشتالة والمنسوب إليها القس " توماس دى تركيمادا " مرسى الملكة الدينى ورئيس ديوان التفتيش (يراجع النجد في العلوم ص ١٠١ و ٥٢٣) والحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية للأمر شكيب أرسلان ج ١ ص ٣٣٣ .

٣٣٤ هـ .

ثم تزوجت قبل وفاة أخيه هنرى بيضعة أعوام ، بابن عمها الأمير " فرديناندو " الأرجونى ولد الملك خوان الثانى ، وهى التى فضلت على غيره من تقدم لها .^(١)

وكسبت حب الشعب برقتها ، واحتشامها ، بيد أنه كانت تجيش فى قلبها نزعة دينية كلها حقد وتعصب دفين سقاها إياها الرهبان ما جعلها تأتمر بأمرهم وتنفذ توجيهاتهم .

" فقد وقعت تحت تأثير " توماس دى تركيادا " أحد الرهبان " الدومنيكيين " وكان قسيسا لها قبل أن تكون ملكة وحملها يوما على أن تعدد بتكريس حياتها لاستئصال (المسلمين) إذا هى وليت الملك " .^(٢)

وسارعت بتنفيذ العهد مبكرا ، وشرطت على زوجها الملك أن لايتوانى فى قتال المسلمين ، ضمن الشروط الأخرى التى قيل عنها " ووضعت شروط الزواج بين الفريقين سرا نظرا لمعارضة الملك هنرى .

وفيهما يتعهد " فرناندو " بأن يحترم قوانين قشتاله وتقاليدها ، وأن يجعل مقر إقامته فيها ، وأن لا يغادرها دون إذن " إيزابلا " وأن لا يجرى أى قرارات أو تعيينات فى السلطنة دون إذنها ، وتعهد بالأخص بأن يتابع الحرب ضد المسلمين وفى أكتوبر سنة ١٤٦٩م عقد الزواج فى مدينة " بلد الوليد " ^(٣) حيث كانت تقيم الأميرة فى حفل خاص .^(٤)

وهكذا أنت تربية الرهبان أكلها ، فقد عرفوا الطريق المحكم للقضاء على المسلمين أو تنصيرهم وكانت الكنيسة والبابوية وراء تعميم دواوين التحقيق وانتشارها فى أقاليم بلاد الأندلس وفى الوقت نفسه لهما الهيمنة الكاملة على ما يجرى داخل الدواوين من محاكمات وتعذيب ، وظلت السلطة الكنسية تسهر منقبه فى ديانة الناس ، وضائرها —

(١) المرجع السابق ص ١٨٠ بتصرف .

(٢) مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس محمد على قطب ص ١٢٠ بدون ذكر الطبعة مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) بلد الوليد : هذه اللفظة عربية محرفة عن " بلد الوالى " هكذا أسماها العرب فأضاف إليها الإسبان حرف الدال ، فيتوهم أنها بلد بناها رجل يقال له الوليد وهى مدينة بوسط أسبانيا الى الشمال تاهل فيها فرديناندو بإيزابلا (الحلل السندسية " ٠٠ ج ١ ص ٣٢٨ بتصرف) .

(٤) نهاية الأندلس ٠٠٠ ص ١٨٢ .

بينما السلطات العسكرية والمدنية والأمنية في سهر دائم تراقب تحركات المسلمين ، وأعمالهم حتى بعد إرغامهم على النصرانية .

فما كاد " فرديناندو " و " إيزابيلا " يترعان على عرش السلطنة الأسبانية حتى قاما بتنفيذ ما تعهدا عليه ، ولقد كانت مملكة " غرناطة " وقتئذ تحت قيادة " السلطان عيسى أبو الحسن " ولد السلطان سعد المستعين بالله ، فشهر الحرب عليها ، بكل قسوة وفرض التنصير على المسلمين فرضا ، واتخذت السلطات الكنسية أعنف وسائل التعذيب ولما لم يستكن المسلمون واستماتوا في مواجهة قوة البغي ، واستجدوا بإخوانهم في المغرب وبصر ، وقسطنطينية ، لكن هؤلاء الإخوة شغلهم الانقسامات الداخلية ، فلم يهرعوا لنجدة مسلمي " غرناطة " مما أعطى الفرصة لرجال الكنيسة ، أن يجهزوا عليهم بإنشائها ديوان تحقيق بغرناطة تحت إشرافهم يساق إليه المسلمون ، ثم يسحقون .

سعى رجال الكنيسة لتعميم ديوان التحقيق

لما رأى مجلس الدولة الأسبانية صلاية المسلمين في دينهم ، ومحاولتهم الإتصال بإخوانهم ، من أجل نصرتهم قضى بحملهم على النصرانية ونفى المخالف منهم خارج الأراض الأسبانية فقد تقدم " ديجوديسا " أسقف جيان^(*) المحقق العام بوجوب إنشاء ديوان للتحقيق في غرناطة^(*) ، وعارض " فرديناندو " و " إيزابيلا " في إنشاء ديوان التحقيق في غرناطة ذاتها ، واقترحا أن تحال شئونها إلى اختصاص ديوان التحقيق في قرطبة ، ولا يُقَسِّم المسلمون أو الموريسكيون إلى الديوان إلا لتهم خطيرة ، ولكن الكنيسة لم تنفع بهـذـه الإجراءات ، وسارت في طريقها حتى أقنعت فرناندو .

" وكانت الكلمة للكنيسة دائما ، ففي ٢٠ يوليو سنة ١٥٠١م أصدر " فرديناندو " و " إيزابيلا " أمرا ملكيا خلاصته " أنه كما كان الله قد اختارها لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة " ، فإنه يحظر وجود المسلمين فيها فإذا كان بها بعضهم فإنه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم ، خوفا من أن يتأخر تنصيرهم وبأولئك الذين نصرُوا لكلا يفسدوا

(*) جيان : إقليم من أقاليم الأندلس (المنجد في العلوم ص ٢٢٣ باختصار) .

(*) غرناطة : مدينة بالأندلس حكمها المرابطون عام ١٠٩٠م واتخذها محمد بن نصر مؤسس سلالة بني الأحمر عاصمة له سنة ١٢٣٥م واستمرت عاصمة للدولة حتى سقوطها عام ١٤٩٢م ، المرجع السابق ص ٥٠٥ بتصريف .

إيمانهم ، ويعاقب المخالفون بالموت أو صادرة الأموال . (١)

وإنه لإكراه وإجبار من الرهبان للمسلمين على التنصير كرهاً بأبشع الوسائل ، فأُئِن سيف الإسلام من رحمة الرهبان ؟

تدخل البابا " سكتوس الرابع " (٢)

لما اهتم الملكان بصلح " قشتالة " الداخلية وأغضا الطرف عن المسلمين بعض الشئ بهذه المملكة ، ثارت البابوية وتدخل البابا " سكتوس الرابع " محاولاً أن يقتنع " فرناندو " و " إيزابلا " بإنشاء نظام للتحقيق في قشتالة ، فأرسل إليهما مبعوثاً بابوياً مزوداً بكل السلطات للتحقيق والقبض على المارقين ومعاقتهم ، وبمداومة قرع الباب اقتنع الملكان بإنشاء ديوان التحقيق .

ويقال : إنه في سنة ١٤٧٨ م أرسل " فرناندو " و " إيزابلا " سفيرهما إلى البابا " للحصول على المرسوم البابوي وصدور المرسوم بالفعل في نوفمبر من هذا العام بالتصريح بإنشاء ديوان التحقيق في قشتالة وتعيين المحققين لمطاردة الكفر ومحاكمة المارقين . (٣)

ثم صدر بعد ذلك مرسوم بابوي في سنة ١٤٨٣ م بإنشاء مجلس أعلى لديوان التحقيق ، وتبعه المرسوم البابوي في أكتوبر سنة ١٤٨٣ م بتعيين القس " توماس دي تركيمادا " معترف الملكين ، في هذا المنصب الخطير ، وخُولَ في الوقت نفسه سلطة مطلقة في وضع دستور جديد للديوان المقدس . (٤)

وقد ارتكب هذا القس المذكور من الفظائع ما تقشعر منه الجلود وكل الجرائم التي ارتكبتها أدخلته حظيرة القديسين .

" وقد ظل ذلك الشرير سبع عشرة سنة في أسبانيا يسرح ويمرح ، حرق في أثائها سبعة عشر ألف شخص وهم على قيد الحياة " . (٥)

(١) نهاية الأندلس ص ٣٢٤ .

(٢) سبق التعريف به ص ٣٢٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣١ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٢ .

(٥) مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ص ١٢١ .

والذى فعله البابا " سكتوس الرابع " فعل أكثر منه غيره من الباباوات ، فقد قيل إنه فى الثانى عشر من شهر مارس (آذار) عام (١٥٢٤م) ، الموافق السادس (٦) من جمادى الأولى سنة (٩٢٠هـ) ، حث البابا رجال التفتيش بأن يعجلوا بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية (الكاثوليكية) ومن أبى من المسلمين فعله أن يخرج من " أسبانيا " وأمهلوهم مدة ، فمن لم يعتنق المسيحية أثناءها كان جزاؤه أن يصبح رقيقا عبداً طوال حياته وأصدر مرسوماً بذلك أمر فى ختامه بجعل كل المساجد هناك كنائس .^(١)

وأبىد المسلمون ، ومحيى آثارهم الإسلامية وتحولت مساجدهم إلى كنائس وإلى أماكن للهو والعبث باسم المسيحية الرحمة وسبابة من البابوية الكريمة وتم كل هذا بصورة من الفظاعة لم تعهد لها الإنسانية ما عجل بنهاية المسلمين فى الأندلس .

" دور البابوية فى رعاية التبشير علمياً "

قامت البابوية بدور مزدوج فى الوقت الذى تمارس فيه التبشير بكل ما أتيح لها من إمكانيات ، تعمل على حماية المبشرين ورعايتهم بكل الوسائل ، ولما كان لرجال الدين المسيحى الأثر الواضح فى نقل المعارف والثقافة الإسلامية إلى أوروبا فى نهاية العصور الوسطى ونقل نظمها من مواطن الإسلام بعد التعلم فى مدارس المسلمين ، وتلقى العلوم على أيدي علماء الإسلام ، فى الوقت الذى كانت بلاد الغرب فيه تسبح فى دياجير الظلام ، وتهوى فى حضير الجهالات ، وإذا كان غير رجال الدين من النصارى قد انكب على علوم المسلمين ينهل من مواردها العذبة ويتخذ منها واقعاً علمياً لحياته ، ويحاول إذاعاتها بين بنى جنسه فإن فى المقدمة : هؤلاء الذين يقول عنهم نجيب العقيدى نقلاً عن البارو القرطبى : وفى طليعة هؤلاء رجال الدين ، الذين نهلوا من مدارس المسلمين ومجامعهم ومكتباتهم ، ثم قبعوا فى أديرتهم ينقحون ذلك التراث ويترجمونه ، ويفسرونه ويصنفون فيه ويذيعونه بين الرهبان ، وطلاب العلم ، فينتشروا انتشاراً سريعاً بفضائل مدارسهم فى أديار : رييول - حيث تعلم الألب " جرير " وترجم إلى اللاتينية من مخطوطات مكتبتها المصنفات الرياضيه والفلكيه - وسان ميلان ، وثيلانويا ، وسائر مدارس المستعمرين

(١) المرجع السابق ص ٥١ يتصرف يسير .

فى قرطبة . (*)

ومنذ القرن العاشر حلت الكاتدرائية العبد الأكبر عن الأديار ، فذاعت شهرة مدارس أوبيدو ، وليون ، وبيك ، وخيرونا ، وورشلونه ، وسانتياجو دى كيوستيل ، وقامت مشيلات لها فى : باريس ، وشارترز ، وأورليان ، وتور ، ولأون ، وريسن (*) ، وفى كبرى مدن ايطاليا ، وانجلترا وبلجيكا وغيرها . (١)

ولم يقتصر الأمر على نقل العلوم ، والتعليم كطريقة ، وإنما تعداه كما ذكرنا وما سنعلمه بوضوح إلى نظام التعليم والجامعات .

" دور البابوية فى نقل أسلوب التعليم والجامعات للغرب "

من الحقائق الثابتة أنه فى القرون الوسطى كان لا يتقصد المناصب الكبرى فى الغرب فى الغالب إلا من نعم بالتعلم فى مدارس المسلمين وتلقى العلم من أفواه علماء الإسلام وكان الأب جريرت من شرف بهذا التعليم فيقال : فى الجزء الأخير من القرن العاشر كان " جريرت " من أوريلاك . Gerbert Of Aurillac الذى صار فسي سنة ١١٩٩م البابا سلفستر الثانى (Sylvester) أول " بابا فرنسى " مشهورا كعالم وكعلم وكان هو نفسه مدينا للتعليم العربى ، وقيل إنه أدخل الأعداد العربية إلى العالم الغربى . (٢)

وكان الفضل فى تربيته لمدارس المسلمين بالأندلس التى لقتته التعليم للعلم لا للتأثير على العقيدة ، يقول نجيب العقيقى عنه ما اختصاره : لقد قصد " الأندلس " وأخذ على أسانذتها فى مدارس ريبول وأشبيلية وقرطبة ، حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ولما تقلد البابوية بروما أمر بإنشاء مدرستين عربيتين الأولى فى " رومة " مقر خلافته ، والثانية فى " راييس " وطنه ، ثم أضيف إليها مدرسة " شارترز " (*) (٣) وقامت المدرسة المذكورة بدور هام فى نشر الثقافة فى الغرب وكان من

(*) قرطبة : مدينة فى اسبانيا كانت عاصمة الدولة الأموية فى الأندلس منذ ٧٥٦م وظلت

تحت الحكم الإسلامى حتى استعادها فرديناندو (يراجع : المنجد ص ٥٤٧) .

(*) كانت كلها بلدان واقعة فى بلاد الأندلس .

(١) المستشرقون نجيب العقيقى ج ١ ص ١٧ ١٨ ط (٣) مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٤م باختصار .

(٢) نشأة الطوائف المسيحية نقله إلى العربية : المطران اسحق سمعد ص ٢٨ ٢٩٦

(*) شارترز : مدينة موقعها الآن فى شمال فرنسا وكانت ضمن بلاد الأندلس سابقا (المنجد فى العلوم

ص ٣٨٠ بتصرف) .

(٣) المستشرقون ج ١ ص ١٢٠ .

تلاميذها • من نسقوا للجامعات بأوربا •

فقد نقل عن كتاب : نشأة الطوائف المسيحية ما ترجمته : ويلاحظ أن مدرسة شارترز Shartirs في فرنسا خرجت Fulbert " فولبرت " تلميذ جريبرت والذي كان أول معلم • وقام " فولبرت " بعمل " جريبرت " واتبع طريقته ودعا تلاميذه " سقراط " •

وبعد موته في سنة ١٠٢٩م استمر التعليم في " شارترز " كما يشهد بذلك البيان الهام للمنهاج الذي تركه " يوجنا " الذي ولد في " سالزبورى " في " إنجلترا " ثم صار أسقف " شارترز " حيث مات سنة ١١٨٠م •

وكانت هذه الثقافة لفائدة أولئك الذين يتعلمون للخدمة المسيحية أما لغيرهم فلم يتعلم سوى القليل • وفي الربع الأخير من القرن الثاني عشر تأسست " الجامعة " الستى كانت تلقب بـ Studia generale في باريس ، التي أعد لها " فلبرت " الكشيسير وكانت هناك جامعات أخرى في بولجانا . Bolognans في إيطاليا وفي " اكسفورد " و " كمبردج " في إنجلترا • بالإضافة الى دراسة " الفنون السبعة الحرة " وجدت دراسة اللاهوت طريقها إلى الجامعة وكثيرون من رجال الكنيسة أدوا دورا ممتازا في حيساسة الجامعات وعلمها وأعطوا الكثير للتعليم والفكر في العصور الوسطى .^(١)

وما سبق يبين لنا أن نظام الجامعات كان موجودا عند المسلمين ونقل بواسطة رجال الدين الذين نالوا الحظ الوافر من التعاليم في الجامعات الإسلامية المنتشرة آنذاك في المدن الأندلسية وبلاد العرب • وهذا مادعا نجيب العقيقى إلى القول الآتى : طلبت " فرنسا " الثقافة العربية في مدارس الأندلس وصقلية ثم أنشأت لها مسند القرن الثاني عشر مدرسة ريمس Reims بأمر البابا " سلفستر الثاني " ومدرسة شارترز Chartres التي بلغت الذروة في عهد " برنار " أحد مواطنيها ١١١٢م وأخيه " نيورك " (١١٤٠م) ومدرسة الطب في مونبليه^(٢) (١٢٢٠م) Montpellier وقد أنشأتها بقية من الجالية الإسلامية المغربية^(٣) ولم يقف الأمر عند نقل رجال الدين لأنظمة

(١) نشأة الطوائف المسيحية ص ٧٩ • ٨٠ •

(٢) مونبليه : مدينة في جنوب فرنسا شهيرة بجامعة لاسيما معهد الطب (المنجد في العلوم ص ٦٩٦) •

(٣) المستشرقون ج ١ ص ١٥١ باختصار •

الجامعات والتدريس إلى بلاد الغرب والإفادة منها وإنما وصل إلى حد عظيم حيث نقلت بعض الجاليات الإسلامية ، هذه الأنظمة وأنشأت المدارس العلمية بأوروبا بغية نشر العلم والحضارة للإنسانية جمعاء • بروج التسامح •

موقف الغرب من قضية نقل نظم الجامعات

وقف مفكرو الغرب من هذه القضية موقف رجلين ، فحاول البعض الادعاء بأن نشأة الجامعات في أوروبا في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديّين كان من ابتكار الأوربيين دون أن يكون له أثر خارجي ، فهذه الجامعات الأوربيّة من وجهة نظرهم نماذج فريدة لاسبق لها عند الإغريق ، والرومان والبيزنطيين والمسلمين فلا مثل لها في التاريخ ، وذلك في الوقت الذي يعلم الجميع دور الجامعات الإسلاميّة ونشاطها العالمي وسبقها للجامعات الأوربيّة ، وقد أرجع مؤلف ألماني معاصر الفضل فسي نشأة الجامعات إلى العقليّة الأوربيّة ونشر رأيه في كتاب صدر سنة ١٩٥٢م •

وقبل رؤية باعتراض من الرأي الآخر ، وكان المؤلف الغربي شيرجس H. Schöppner من المعترفين بفضل العقليّة الإسلاميّة فرد عليه بعد خمس سنوات من صدور الكتاب •

وكتب يتساءل لماذا لم يخطر ببال المؤلف أن يبحث عما إذا كانت نماذج هذه المؤسسات ومبادئها قد وجدت في العالم الإسلامي ؟ ؟ ، وبعد مناقشة وسرد للأدلة استطاع أن يثبت أن هذه الجامعات التي نشأت في أوروبا في القرن الثاني عشر كانت تقليدا مطلقا للجامعات الإسلاميّة في طليطلة وغيرها من مدن الأندلس والمغرب • (١)

وليس المسلمون في حاجة إلى اعتراف مفكرى أوروبا بفضلهم وسبقهم بقدر ماتحتساج الإنسانية كلها إلى معرفة الحق ونسبة العلم لأهله والفكرة لبتكرها ، حتى لا تتقلّص موازين الأشياء وتضيع الذات حين تزيف الحقائق ، ويشاع بين المسلمين أن لا ماضى لهم في التقدم العلمي والحضاري ، في الوقت الذي يشمخ فيه الغرب بأنه صانع الحضارة وبتكر النظم التعليميّة والثقافيّة وما إلى ذلك فتتأكد ذاته من جديد ، وهذا ما يسعى إليه الغرب جاهدا بواسطة زمرة من مثقفيه •

(١) مجلة منار الاسلام (تصدرها وزارة العدل والشئون الاسلاميّة والأوقاف بدولة الإمارات العربيّة المتحدّة في غرة كل شهر عرس) (العدد الثامن - السنة الخامسة) ص ٦٥ لقاء مع الدكتور فؤاد سزكين أعدد دكتور / عبد المجيد وافي ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م •

السطو البابوى

من المفارقات العجيبة أن يولى قيادة الأمور الدينية من يسرق العلم ، ويزيد استغراب المرء إذا تأكد له أن من يفعل هذا الشئ " الأب الروحى للمسيحيين " بابسا " روما ، وينقل صورة لهذا النوع ضمن عدة صور الباحث المسلم الدكتور / فؤاد سزكين فيقول : وهذه هى الأمثلة - أمثلة الادعاء والانتحال - أمثلة صارخة تدل على افتقار الأمانة العلمية .

فى القرن العاشر الميلادى ، ترجم " لويتوس البرشلونى " كتابا عن العربية إلى اللاتينية بعنوان اسطرولوجى . *Astrologia* وفى أواخر هذا القرن العاشر الميلادى - ظهر أول كتاب عن الاسطرلاب - آلة فلكية استعملها الغرب فى دراساتهم لحركات النجوم والأفلاك - لمؤلف يدعى جيربرت . *Gerbert* ورفض بعض مؤرخى الرياضيات القول بأن " جيربرت " أخذ محتوى كتابه عن الفلكيين المسلمين أو استفاد منهم وكاد هذا الرفض أن يجد قبولا فى أواخر القرن التاسع عشر .

ولكن الحقيقة ما لبثت أن اتضحت ، اذ اكتشف الكتاب الذى ترجم عنه " لويتوس " وثبتت الصلة بين الترجمة والأصل ، بل واكتشف خطاب " جيربرت " إلى " لويتوس " وفيه يقول " إننى سمعت أنك ترجمت كتابا عربيا فى " الاسطرلاب " أرجو أن ترسل الى الترجمة وإننى مستعد أن أكافئك بأى شكل كان " . (١)

" وجيربرت " هذا هو الذى عرف باسم " سلفستر الثانى " بابا النصارى بروما ، وإذا كان الحبر الأعظم عند النصارى قد قام بهذه السرقة فإن كثيرين من علماء النصارى قد انتحلوا آراءه ، واختراعات علماء المسلمين ولا تشرب عليهم مادام زعماءهم الروحانيون يفعلون نفس الشئ ، ولقد اكتشف ابن الهيثم - القرن الرابع الهجرى - الحجرة المظلمة أساس فكرة آلة التصوير الضوئى - " الكاميرا " واستخدمها فى رصد القمر ولكن القوم نسبوا هذا الكشف إلى أحد علمائهم المسمى " ليفى بن كرسون " وقد ذكر بعض انتحالهم الدكتور فؤاد سزكين : مسجلا هذه النتيجة بقوله : ولقد توصلت خلال دراستى لتاريخ العلوم أن قضية أخذ اللاتين عن العالم الإسلامى ، أعظم من أن نستطيع تبيانها جماعة من العلماء فى عشرات السنين .

وكلما أمعن الإنسان النظر فى دراسة المصادر الاصلية للنهضة الاوربية ازداد تصوره أن هذه النهضة المزعومة أشبه ماتكون بالولد الذى نسب إلى غير أبيه الحقيقى . (١)

مساعدة البابوية للتبشير

سبق أن أشرت إلى ما قامت به البابوية من دور هام فى نقل نظم التعليم من جامعات الإسلام إلى جامعات النصارى بالغرب ، كما أوضحت أنهم اقتبسوا فكرة الجامعة من المسلمين ، وهذا أبين أنهم استخدموا كل هذه المؤسسات لنشر المسيحية ، فلقد وقفت البابوية على طول الخط تساند التبشير والمبشرين فى كل البلاد وبالأخص بلاد الإسلام ولايجافنى الصراب إن قلت إن البابوية هى المخططة للتبشير ، والقائمة على رعايته من البداية إلى النهاية وقد تأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك أن البابوية قائد أساسى للحروب الصليبية ، وبالتالى يتأكد لنا أنها رأس الحربة التبشيرية فى جل أحوالها يقول د / عبد العزيز عزت : وإذا كان البابا " اريان الثانى " (٢) كما رأينا هو أبو الحروب الصليبية فإن البابا " أنوسنت الثالث " (٣) هو أبو التبشير ومنشئه فى أوربا ضد الإسلام والمسلمين ، فهو الذى بارك " فرانسوا داسيز " ونصبه مثالا له ليشر بالمسيحية ونشرها بين المسلمين فى الشرق سنة ١٢١٢م وقد سعى أتباعه بالفرنسيكان نسبة إليه . (١)

واستمر البابوات فى تدعيم العمل التبشيرى ومناصرة أفرادهم وجماعاته ، وبالذات خارج حدود الغرب ، يقول روبرت شنيرب : وبفضل الوحدة وتسلسل السلطان حقق العمى الكاثوليكي آنذاك نتائج قيمة خارج أوربا .

فقد سبق " لبيوس السابع " (٤) أن أحيا جمعية اليسوعيين وأعاد إنشاء جمعية الرسائل فى الخارج ، واستفاد خلفاؤه من الظروف - (ضعف الإمبراطورية التركية واحتلال الجزائر ، والتدخل فى الصين) - لإحداث نيابات وأسقفيات رسولية جديدة . (٢)

(*) سبق التعريف به ص ٢٢

(*) أنوسنت الثالث : تقلد منصب البابوية من عام ١١٩٨م إلى عام ١٢١٦م يراجع (دائرة المعارف للبستاني مجلد (٥) ص ٨ .

(١) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ٧٢ .

(*) بيوس السابع : ولد فى سنة ١٧٤٣م ولما شب تقلد منصب البابوية من عام ١٨٠٠م إلى عام ١٨٢٣م وهو العام الذى توفى فيه بروما يراجع (دائرة المعارف للبستاني مجلد ٥ ص ٧٨١ ، والموجد فى العلوم ص ١٧٩ .

(٢) تاريخ الحضارات العام المجلد (٦) (القرن التاسع عشر) تعريب يوسف أسعد داغر فريدم داغر ط (١) طبع بيروت - بلبنان ١٩٦٩م .

وسار على نهجه " البابا " لاون الثانى عشر (*) (١٧٦٠ - ١٨٢٩) فقيل عنه :
انه استمر هذا " البابا " على سياسة " البابا " بيوس السابع ومن جهوده البناءة أنه
بعث الإرساليات التبشيرية ، وشجع العلماء ، وأدخل التحسينات على نظام التعليم ، وأنقص
الضرائب ، وخفف من نفقات التقاضى وخصص المال للإصلاحات العامة . (١)

وطورت البابوية خططها ، فسلطت الجمعيات وسخرت الجماعات لجمع المال ثم استخدمته
فى التخطيط لنشر المسيحية وتنظيم الكنيسة ورعاية البشريين .

وقد جمعت جمعية نشر الإيمان وحدها ٢٦٨ مليوناً ، تبرع الفرنسيون بـ ١٧٤ منها
بين السنة ١٨٢٢ والسنة ١٨٩١ فاستطاع " بيوس التاسع " (*) و " لاون الثالث عشر " (*) تقسيم
أوقيانيا ، وأفريقيا ، وآسيا من أرمينيا إلى اليابان ، إلى دوائر كنسية .

وقد برزت أسماء شخصيات شهيرة : الأب " هوك " وصاحباً السيادة " أوغدار " " رسول
الكونغو " ، " لافيجرى " مؤسس الأباء البيض ، والأب " دى موكو " الذى كان ناسكاً
أكثر منه مبشراً على كل حال ، وبينما لم يكن هناك أكثر من ٣٠٠ مرسل خارج أوروبا فى السنة
١٨١٥ م نرى عددهم يرتفع إلى ٦١٠٠ فى السنة ١٩٠٠ م بصرف النظر عن جوقات المريين .

فسارت الهند فى الطليعة لجهة عدد الاهتدات تليها الهند الصينية والصين
وآلف الشرق الأدنى منطقة ثالثة من حيث الأهمية ، متقدماً على إفريقيا . (٢)

ودعت البابوية سلطانها ، بما سنته من قوانين ، واتخذته من قرارات كان لها
الأثر البالغ داخل بلاد الغرب وخارجها .

(*) لاون الثانى عشر : ولد عام ١٧٦٠ م وتقلد منصب البابوية من عام ١٨٢٣ م إلى عام

١٨٢٩ م يراجع المنجد فى العلوم ص ١١٠ .

(١) موسوعة تاريخ العالم أصدرها وليام لانجر أشرف على الترجمة د / مصطفى زيادة ج ٥
ص ١٧٥٣ و ١٧٥٤

(*) بيوس التاسع : ولد عام ١٧٩٢ م وخلف غريغوريوس السادس عشر فى كرسى البابوية سنة
١٨٤٦ م إلى أن توفى فى روما سنة ١٨٧٨ م وأثناء بابويته أعلن عقيدة الحبل بلا دنس ١٨٥٤ م
والعصمة البابوية عام ١٨٧٠ م . وعقد المجمع الفاتيكانى الأول (يراجع : دائرة المعارف
للبيستانتى مجلد (٥) ص ٧٨٢) .

(*) لاون الثالث عشر : اعتلى الكرسى البابوى من عام ١٨٧٨ م إلى عام ١٩٠٣ م (يراجع
المنجد فى العلوم ص ٦١٠) .

(٢) تاريخ الحضارات العام (المجلد السادس - القرن التاسع عشر) ص ١٤٩ .

دور مجمع الفاتيكان (*) الأول في تدعيم سلطة البابوية

بالرغم من سقوط سمعة البابوية ، إلا أنها في جانب السلطة احتلت الصدارة وكادت في بعض الأحيان أن تنافس السلطة الزمنية ، أما السلطة الروحية فكانت لها الهيمنة الأولى إن لم تكن الوحيدة ، فقد قيل :

كانت سلطة " البابا " قاطعة دون ما حاجة إلى إعلان عصمته فلما أخذت الأفكار الحرة تتسلل إلى الإمارات الإيطالية في مطلع القرن التاسع عشر نهض البابا جريجوري السادس عشر بمقاومتها ، وأصدر في ذلك منشورا عام ١٨٣٢م ثم عقب " البابا " بيوس التاسع بمنشور آخر أصدره عام ١٨٦٤ على النهج نفسه ثم فاجأ الفاتيكان العالم بقرار أعلن فيه أن البابا معصوم من الخطأ . (١)

وفي الفترة من (ديسمبر ١٨٦٩ : ٢ أكتوبر ١٨٧٠) انعقد فيها مجمع الفاتيكان الأول تحقق فيها أمل الباباوية فقد كان أقصى مجد " بيوس " الديني حينما أعلن مجمع الفاتيكان - (وهو أول مجمع ديني عام منذ " مجمع ترنت " منذ ثلاثة قرون) - قرار عصمة البابوية ، وهي عقيدة تذهب إلى أن " البابا " معصوم في قراراته التي تتعلق بالعقيدة أو الأخلاق ، بفضل ماله من سلطة رسولية مطلقة ، وقد أدت تلك العقيدة إلى نتائج هامة إذ عبرت عن الانتصار البابوي النهائي على الأغراض المجمعية للكنيسة فهي تستهدف إعلاء شأن البابوية فوق جميع السلطات غير الدينية وأن يمتد " الإيمان ، والأخلاق " إلى الدولة السياسية . (٢)

(*) المجمع الفاتيكانى الأول : مجمع مسكونى عقد في روما من سنة ١٨٦٩م إلى سنة ١٨٧٠م دعا إليه ورأسه " بيوس التاسع " درست فيه قضايا الإيمان ، وحددت فيه عقيدة العصمة البابوية (المنجد فى العلوم ص ٥١٦) يتصرف .

(١) مشكلات الجيل فى ضوء الاسلام محمد المجذوب ص ١٧٧ بالهامش ط ٣) طبع دار الاعتصام بالقاهرة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م ، قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام دكتور توفيق الطويل ١٤٠ ، ١٤١ بدون عدد للطبعة مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية ١٩٤٧م باختصار .

(٢) موسوعة تاريخ العالم ج ٥ ص ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ باختصار يسير .

ولقد نظر بعض المفكرين الأوروبيين على أن هذا العمل الإنساني المحض نوع من الوحدة والتسلسل القيادي أدى نتائج قيمة لخدمة المسيحيين خارج أوروبا بغض النظر عن أثره السيء على الملة المسيحية فقال :

ألم يؤكد المجمع الفاتيكاني في السنة ١٨٧٠م أن خليفة القديس " بطرس " يمتلك العصمة التي أراد المخلص الإلهي أن يقلدها كنيسته في تحديد العقيدة حيال الإيمان والأخلاق ؟

ونفضل الوحدة وتسلسل السلطان حتى العمل الكاثوليكي آنذاك نتائج قيمة خارج أوروبا . (١)

ومعنى ذلك أن " البابا " يتخذ مايراه من قرارات تسهل الحركة التبشيرية وتساعد على الانتشار ، ولا اعتراض إن خالفت النصوص المعتمدة من الأنجيل عندهم لأنه معصوم وظهر من هذا أن مصادر المسيحية " البابوية " أولاً قبل الأنجيل يقسول الشيخ / محمد المجذوب : وما أخال أحدا قد نسي بعد ذلك النبأ الجريء الذي أرسله جناب " البابا " (*) قبل بضعة أعوام ، يوم وقف يعلن في جماهير الحجاج أن العذراء قد رفعت إلى السماء وأن على كل كاثوليكي أن يؤمن بذلك دون ريب ، وإلا عرض نفسه للحرمان ! . .

ولقد تلقى يومئذ مئات ألوف الحجاج هذا البلاغ طبعاً بالانحناء ، ولعل قليلين جدا منهم هم الذين سألوا أنفسهم في همس بالغ : ومن أين استقى جنابه الخسيس الذي جهله العالم المسيحي كله طوال العشرين قرناً !

وطبعي أن أصحاب هذا السؤال من القلة التي لا تستطيع الإيمان بعصمة قداسته (٢) ولما كانت الأنجيل لم تشر من قريب أو بعيد إلى رفع السيدة مريم إلى السماء فمن الذي أخبر " البابا " بهذا النبأ المفاجيء ؟

بلا شك ستكون إجابته الوحي ، ويكون سؤال العقلاء هل الوحي يأتي رجل الدين المسيحي قبل تقليده منصب البابوية أو بعده فإن كان الجواب قبله فيا لها من نعم تعم رجال الدين

(١) تاريخ الحضارات العام ج ٦ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) البابا " بيوس الثاني عشر " وهو الذي تقلد المنصب البابوي من عام ١٩٣٩م - إلى ١٩٥٨م وأعلن رسمياً عقيدة انتقال العذراء إلى السماء نفسها وجسداً سنة ١٩٥١م

(السجد في العلوم ص ١٧٩ باختصار) .

(٢) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام .

المسيحي بلا استثناء ولما ذا اختص هو بهذا النبأ دون غيره ؟ وإن كان بعد تقليد المنصب فهنيئاً لك فسيأتى بعدك من الباباوات ، من يقول : أنك بجوار المسيح في السماء ، ومن لم يعتقد ذلك فقد حل عليه الحرمان وهكذا دواليك والبقية تأتى .

بين يدي المجمع

ملاحظة أبدىها قبل الحذر ، عن المجمع الفاتيكاني الثاني ^(٩) ، التي بدت فيسسه النزعة التبشيرية سافرة ، ومدعة بالسلطة الدينية والدنيوية معاً ، وهي أن المجمع المسيحية المسكونية إبتداءً من المجمع النيقاوى وقبله مجمع أورشلين المحلى إلى المجمع الفاتيكاني الأول ، والتي يقدر عددها بعشرين مجعاً ، عدا المجمع الإقليمي والمذهبية الكثيرة ، كان جُلُّ أعمالها بحث الخلافات العقيدية والتشريعية ، والأخلاقية .

وقد ابتدأت في العقيدة بتأليه المسيح والعيان بالله ، وتحويل النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، وتبع ذلك تعدد المذاهب والكتائس المختلفة ، وصار لكل مذهب عقيدة خاصة به ولكل كنيسة طقوسها وهكذا حتى آل الأمر في النهاية إلى عقيدة عصمة " البابا وحرمان من لم يعتقد برفع العذراء إلى السماء كما علمنا .

وفي الناحية التشريعية تغير الحال بدءاً من " مجمع أورشلين المحلى " فقد قرر هذا المجمع عدم التمسك بالختان ، وناقض شريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكان " لبولس " اليد الطولى في هذا التغيير ، لينتقل بالتبشير إلى الأميين ، ولما كانت التوراة تحرم أكل لحم الخنزير كما جاء في سفر التثنية (والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم فمن لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا) . ^(١)

أمر بطرس بحل لحم الخنزير قائلاً ما مفهومه أنه رأى السماء مفتوحة وأنا نازل منها عليه فيه كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وتردد صوت قم يا بطرس اذبح وكل وبعد تردد (فصار إليه أيضا صوت ثانية ما طهره الله لاتدنسه أنت) . ^(٢)

(٩) المجمع الفاتيكاني الثاني : مجمع مسكونى عقد في روما من سنة ١٩٦٢م إلى سنة ١٩٦٥م دعا إليه وافتتحه يوحنا ٢٣ واختتمه بولس ٦ " المنجد في العلوم ص ٥١٦ " بتصرف .

(١) سفر التثنية (١٤ : ٨) .

(٢) سفر أعمال الرسل (١٠ : ١٥) .

وهكذا إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان إنما ينجس الإنسان كل ما يخرج منه من فيه يعنى السفه والكفر كما يقولون :
وأما الكنائس فتفرعت وتشعبت تبعا لقرارات المجامع فاختلفت الطقوس ، والأسرار والتقاليد الكنسية .

وفى الجانب الخلقى كانت المجامع بما سنت من قرارات أثرا سيئا وعاملا قويا من عوامل شيوع الفساد ، والانحلال الخلقى حيث أنها تأمر بتحريم من يعارض القرار ، أو نفيه ، أو قتله ، وتأمر بحرق كتبه وكل كتاب يخالفها .

فشاعت البدع والخرافات من بيع لصكوك الغفران إلى الإقرار بالذنب أمام الكهنة وترتب على ذلك أكل أموال الناس بالباطل ، وهتك الأعراض ، وكشف الأسرار ، وكل ما هو ضار .

قبيل المجمع الفاتيكاني الثاني

هذا المجمع أو " مجلس الكنائس العالمي " (*) كما أطلق عليه سبق انعقاده عدة مؤتمرات ، كلها مهدت له الطريق والأمر الذي ينبغي لنا أن نعيه جيدا أن مجلس الكنائس ، ضم إلى صفوفه مختلف الأعمار ، وجميع الطبقات .

ومختلف الطوائف المسيحية فى محاولة جادة لتوحيد الصف المسيحى ، وتحويل العالم كله إلى المسيحية ، وخدمة السياسة الاستعمارية ، بطريق التوجيه البابوى المدروس ، وتحت قبة الفاتيكان ، وفى كنف المظلة البابوية يتم وضع الخطط .

وقد ظهر الخط التبشيري لهذه المؤسسة بوضوح منذ اجتماعهم لوضع دستور المجلس المذكور ، حيث مثل المجتمعون ، كل الكنائس فى معظم بلاد العالم ماعدا البلاد المعدودة التى خلت من الكنائس أصلا ، كما أشرت فى الحديث عن المؤتمرات التبشيرية . (١)

وقد ابتهج القوم بهذا الزحف المسيحى السريع وَخَتَّوْا الْقُلَّةَ المسيحية الموجودة نفسى أى بلد على نشر المسيحية واعتبروا ذلك مهمة ملقاة على عاتقهم حتى لا تكون هناك أقلية

(*) يلاحظ أن المجمع الفاتيكاني " ومجلس الكنائس العالمي " هيتان منفصلتان ونظرا لتنسيق المواقف بينهما مؤخرا يمكن إطلاق أحدهما على الآخر .

مسيحية في أى مكان بل أكثرية وذلك بقولهم :

"إن الوطنيين في كل بلد ، في كل كنيسة تأسست قادرون على إكمال المهمة وإنجازها " (١)

وأثناء وضعهم لدستور " مجلس الكنائس العالمي " ذكروا مجموعة من الحقائق وتواصوا فيما بينهم أن يضعوها في حسابهم وسأذكروها حتى يفتن السلم ، ويأخذ الأمر مأخذ الجد ألا وهى :

١ - عدد غير المسيحيين اليوم أكثر ما كان منذ ١٥٠ سنة تزيد نسبة سكان العالم بدرجة لم تكن معروفة قبلا ، وهذا معناه أن أماننا الكثير لنعمله باستمرار حتى نرسخ الناس للمسيح .

٢ - القوى المضادة للمسيحية أقوى اليوم ما كانت منذ ٥٠ سنة : كانت القوى الوطنية في البلاد الوثنية عاملا على إحياء الديانات القديمة التي كانت على وشك الانقراض ، ثم هناك نوازع لادينية تحارب الدين .

٣ - حاجة العالم تزداد أكثر من الماضى : تضايقت كنائس كثيرة بنمو المدن وفقد الروح الجماعية والتصنيع في القرن التاسع عشر ، واليوم تواجه نفس هذه المشاكل كنائس ناشئة في آسيا وأفريقيا ، تفتقر إلى الموارد الكافية والنصح الروحى .

٤ - الجزء الذى تكمل جزء صغير : ٦٠ ٪ من الأمريكيين لهم صلة ما بالكنيسة وبعض كنائس شمال أوروبا لاتضم سوى ٣٠ ٪ من السكان ، ولكن آسيا وأفريقيا تقدمان صورة أخرى فنسبة المسيحيين في أفريقيا ١١ ٪ ، وفي آسيا ٣ ٪ ، ومعظم الـ ٨٩ ٪ والـ ٩٧ ٪ لم تعرف تأثيرات مسيحية بالمرّة مع أن أكثر من نصف سكان العالم يقيمون في آسيا وعلى المسيحيين أن يمشوا ويعملوا حيث الحاجة أكثر وأشد ، لجميع الأمم مبتدأ مسن أورشليم وأنتم شهود لذلك (٢) شهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى (٣) .

هذه حقائق أربع أو نضائح وجهت للذين حضروا إعداد الدستور الأول " لمجلس الكنائس العالمي " .

وقد نقلتها ليعيها كل قارئ سلم ، فالمبشرون ، بالرغم ماحدث من انتشار للمسيحية في بلاد الإسلام يطمعون أن تعم المسيحية بقاع الأرض وفي سبيل الوصول

(١) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم ص - ١٢٠ .

(٢) انجيل لوقا (٢٤ : من ٤٧ إلى ٤٨) .

(٣) انجيل متى (٢٤ : من ١٤) .

لهذا الغرض لا ينامون حتى يأتي المنتهى .

فما هو المنتهى ؟ :

سأكتفى بنقل رسم بياني يمثل مراحل تقدم الكنيسة ، وانحسارها منذ القرن الأول الميلادى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، مع نقل تعليق المؤلف المسيحى على هذا الرسم ، حيث قال :

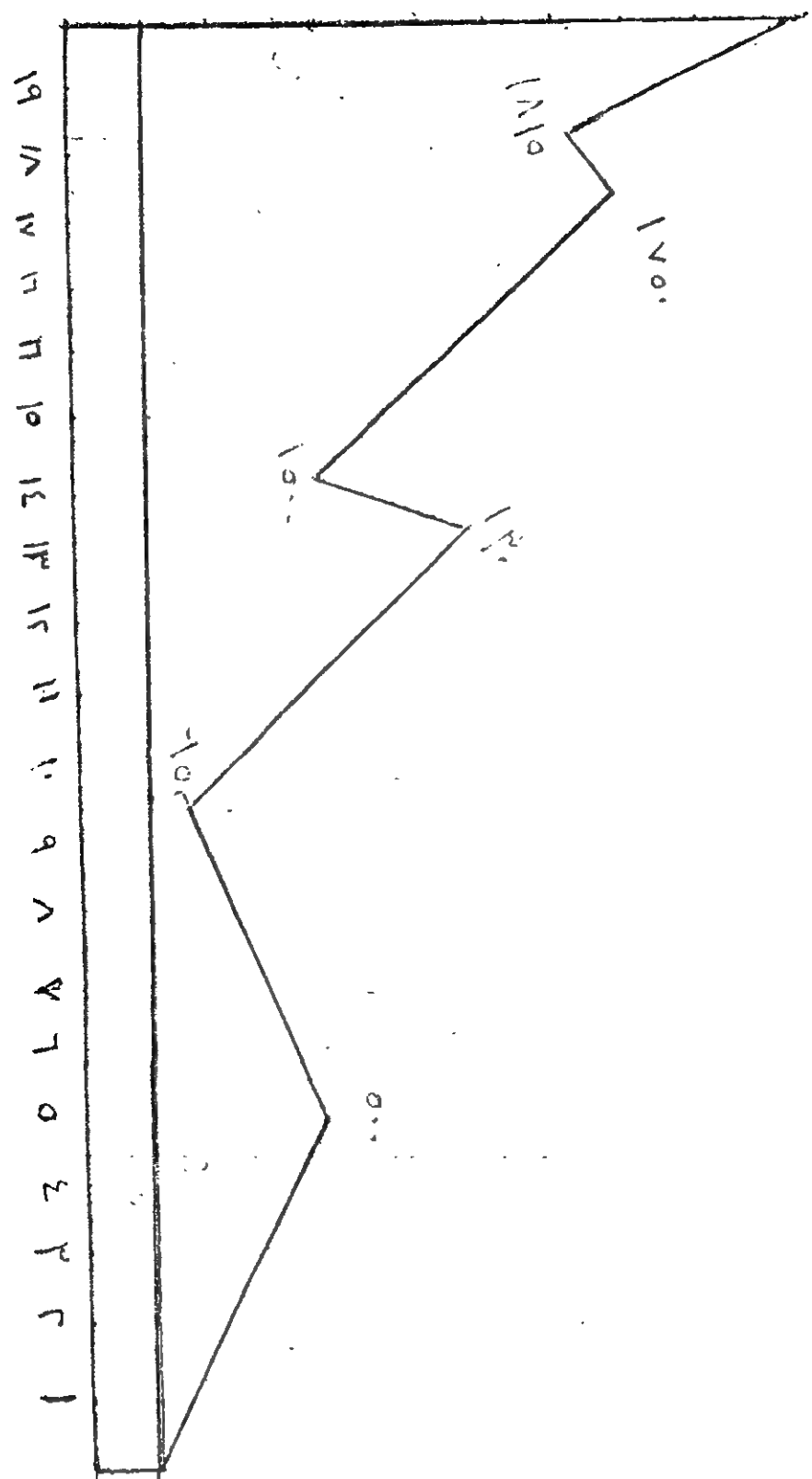
ترى بعد هذا الكلام رسما بيانيا يبين تقدم الكنيسة ونكستها فتقدمها ونكستها ، فتقدمها لكن كل تقدم كان أعلى من سابقه ، وكانت كل نكسة أقل من سابقتها ويقول البعض أننا وصلنا اليوم أعلى مرحلة من مراحل التقدم ، وأن النكسة أماننا فدعنا ننظر إلى النكسة الأولى لتعلم منها :

فى عام ٤٢٦م أكمل أغسطينوس أسقف " هيو " فى شمال إنجليزية كتابه : " مدينة الله " وهى المحاولة المسيحية الأولى لشرح معنى التاريخ ، فقد أشرفت فترة التقدم الأولى فى تاريخ الكنيسة على النهاية ، وكان العالم يتخير ، ولا بد أن تساير الكنيسة هذا التطور ولم يكن أحد يستطيع رؤية المستقبل ، ولكن أغسطينوس عرف أن مقاصد الله أكيدة فقال :

" لم يجهل الله أن الإنسان سيخطف فحتى الأسود لم تحارب بعضها ولا الحيات قتلت بعضها بالحروب كما فعل الإنسان ولكن الله رأى بسابق نعمته شعبا مقدسا دعاه لنفسه . "

شعب الله الذى افتداه بدمه ، يسافر عبر القرون على صفحة التاريخ إلى أورشليم السماوية . (١)

(١) المرجع السابق ص - ١٢٢ - ١٢٤ .



مستطیل

وتحرك جيش الكنيسة بكل قواده لنشر المسيحية فى آسية ، وأفريقية ، واستمرت التعبئة من حين لآخر حتى انعقد مجلس الكنائس فى دورات متتالية بدءاً من عام ١٩٦٢م ، وأثناء دوراته كشف أوراقه السياسية ، بلا مواربة أو استحياء ، وبادل - الصهيونية المساندة إن صح التعبير ، أو تحرك وفق سياسة صهيونية مرسومة وأكبر دليل على هذا ما حدث فى دورته الثانية من عرض وثيقة تحمل بين طياتها تبرئة اليهود من دم المسيح ، وقبلت الوثيقة بالرغم من تناقض التبرئة لما هو مذكور فى الأناجيل المسيحية وسأحدث عن هذا الموضوع أثناء العرض السريع لأعمال المجلس .

مجمع الفاتيكان الثانى و " مجلس الكنائس العالمى "

مجمع الفاتيكان الثانى ، والذي يمكن تسميته بمجمع " مجلس الكنائس العالمى " فقد اجتمعت كل الوفود الممثلة لطوائف المسيحية وتبادلت الآراء والتفت حول مائدة واحدة وتلقت التوجيهات البابوية ، التى تهدف ضمن أهدافها خدمة السياسة القائمة على أمر هذا المجمع والمعدة لبرامجه ، والمرتبة له ، والتى تقف فى النهاية من وراءه وكل هذا ظهر بوضوح تام فى إحدى دوراته الأربع .

فهذا المجمع بدأ أعماله سنة ١٩٦٢م واستغرقت دورته الأولى من أكتوبر إلى ديسمبر سنة ١٩٦٢م ، وانعقدت دورته الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٦٣م ، ودورته الثالثة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤م حتى نوفمبر سنة ١٩٦٤م وقد شارك فى أعماله ٢٢٠٠ كاردينالاً ثم بدأ المجمع جلسة أخرى فى سبتمبر سنة ١٩٦٥م وضم دورته الأخيرة هذه يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٥م وفى هذه الدورة الأخيرة عقد المجمع ٤٦ جلسة وحضرها - ٢٢٥٠ أسقفاً ، ٩٢ كاردينالاً ، ٩٢ مراقباً يمثلون ٢٨ كنيسة ، وثلاثة من أبناء الكنيسة الأرثوذكسية . (١)

ونظراً لما قام به " مجمع الكنائس العالمى " قبل انعقاده من دور فى توحيد الصف المسيحى ، أو ما يطلقون عليه الروح الجديدة التى سادت الكنيسة الكاثوليكية حديثاً ، فتقررت إلى الكنائس الأخرى والتى حضرت اجتماعات المجمع كمراقبه .

(١) وثائق للتاريخ أو الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط للأبى ساغريغوريوس ص ١٢٩ (منشورات أسقفية الدراسات العليا واللغة القبطية - ٦) مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة ١٩٧٥م .

وقد اهتم " البابا " كيرلس السادس^(٩) بإيجاد ممثلين للكنيسة القبطية في هذا المجمع التاريخي طوال دوراته الأربع في الفاتيكان بروما ، فمثل الكنيسة - في الدورة الأولى ١٩٦٢م القس " يوحنا جرجس " والمستشار تادرس ميخائيل تادرس - في الدورة الثانية ١٩٦٣م القس باخوم المحرقى والمستشار فريد الفرعوني .

- الدورة الثالثة ١٩٦٤م : الأنبا صموئيل " أسقف الخدمات والقس " مرقس إلياس عبد المسيح " - في الدورة الرابعة ١٩٦٥م : الأنبا " أنطونيوس " مطران سوهاج وسكرتير المجمع المقدس ، والقس " يوحنا جرجس " والمستشار فريد الفرعوني^(١٠) .

ويلاحظ أن حضور الكنيسة القبطية في صورة مثليها كان صورة شكلية أو مجسـمـد استعمالها فقط فلم يسمح اعتراضها على وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح .

أغراض " مجلس الكنائس العالمي "

إن " مجلس الكنائس العالمي " بما يضمه من طوائف مسيحية يعمل لخدمة الغرب ويشير القلائل والفتن في البلاد الإسلامية ويتخذ من الدين ستاراً لكل عمل يقوم ، ولقد كتب مواطن مصري مسيحي ما يؤكد ذلك في يوميات الأخبار قائلًا :

لقد فوجئت حين وجدت أن ما يتعرض له " مجلس الكنائس العالمي " من مسائل ليست من الموضوعات الدينية التي ينتظر أن تكون هي موضوع اهتماماته ، فمثلاً عقد المجلس مؤتمراً في مدينة سالونيك باليونان سنة ١٩٥٩م .

قرر فيه أن السياسة هي المجال الذي يتحتم على الكنيسة في دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه والغريب أن المجلس يقرر في نفس المؤتمرات الهدأ الغربي الذي يقضى بفصل الدين عن الدولة لا يمكن اقتباسه في دول العالم الثالث .

" بمعنى أن الكنيسة يجب عليها أن تتدخل في شئون الدولة " ثم يتساءل هل هناك نوعان من المسيحية أحدهما تطبقه بلاد الغرب ، والاخر يعمل به في الدول النامية ؟

(٩) كيرلس السادس : هو ميخايل السخوحد البرموسى ولد في دمنهور ثم سيمته في العاشر من شهر مايو ١٩٥٩م باسم البابا " كيرلس السادس " بابا الاسكندرية وبطريق الكرازة ، المرقسية وتوفي عام ١٩٧١م (يراجع : عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة ص ٩٠ ، المنجد في العلوم ص ٦٠٤) .

(١٠) عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة ص ٩٧ .

ويتابع هذا المؤتمر قراراته فيطالب الكنائس في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تراقب خطط التنمية في البلاد ، ثم يحرض الكنائس على مجابهة الدولة في السدول النامية " إلى الحد الذي يقرر فيه " مؤتمر نيودلهي الذي عقد سنة ١٦٦١م أن الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة في أي وطن وتحت أي نظام (١) . ويمكن أن نعدد الأغراض الأساسية للمجلس في الآتي :

١ - خدمة السياسة الغربية والاستعمارية ، بصفة عامة يقول " سامي بولس " : خصوصا وأن المجلس في كل تاريخه وكل أعماله ثبت أنه وليد السياسة الدولية، وينتمي ناحية معينة من نواحي المعسكرات الدولية أن سرا أو جهرا (٢)

٢ - توجيه الأقليات المسيحية في العالم الإسلامي حسب الرغبة السياسية المتجهة للدول الغربية ، وقد خشي من تأثيره على أقباط مصر " سامي بولس " وحذرهم من الإنطواء تحت لوائه ، وبين أنه يتخذ الدين ستارا لأغراضه يقول : فهو لم يسلك هذا الطريق الديني إلا ليصل إلى أغراضه السياسية وليشيع الفرقة بين المصريين عامة ، والأقباط خاصة ويوجد الانقسام بينهم وفي الكنيسة القبطية بالذات (٣)

وأردف ذلك بالحديث عن كبار أعضائه وهو الخبير بهم ومن بنى جلدتهم فقال : - هذه هي حقيقة وضع مجلس الكنائس وأغراضه ، بل أكثر من هذا فقد تفشى بين أفراد كل إثم تقشعر منه الأبدان (٤)

ثم تابع الحديث عن المعونات المقدمة للدول النامية أو اللاجئين أو عند حصول الكوارث والنوازل والتي تأتي بواسطة المجلس فقال عن القصد من ورائها : هذه المعونات العادية ، ليس الغرض منها إلا شراء الذم والاندحاز وراء صفوف معينة من أصحاب الاتجاهات الدولية (٥)

٣ - تعزيز سلطة البابوية في روما ، لتظل لها مكانتها بحضور كل الطوائف المسيحية واستجابتهم لأوامرها وتنفيذهم لقرارات الفاتيكان ومشروعاته .

(١) أخبار اليوم (العدد ٤٢٩٦ - السنة الرابعة عشرة) ص ١٢ الاثنين ٢٠ من ذي الحجة

١١ من أبريل ١٩٦٦م باختصار .

(٢) مجلس الكنائس العالمي وتدخله في الكنيسة القبطية والسياسة الدولية ص ٢٠ - بدون

عدد للطبعة - الطبعة المتحدة بالقاهرة نشر المكتبات القبطية - بدون تاريخ .

(٣) ، (٤) ، (٥) - المرجع السابق ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ بالترتيب .

فالأهداف الأساسية للمجلس سياسية بالدرجة الأولى وسيطرة تاما على الناحية الدينية ، والدليل المؤكد لذلك ما يأتي :

الوثيقة الخاصة بتبرئة اليهود من دم المسيح

هذه الوثيقة نالت اهتمام البابوية الرومانية ، فعرضت أثناء انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني في عام ١٩٦٣م المسمى " مجلس الكنائس العالمي " ضمن مشروع كبير قدم للمجمع عن " الحركة المسكونية " وقد احتلت الوثيقة الفصل الرابع في المشروع ، المكون من أربعة فصول : كما هو مذكور في البيان الذي أذيع في المؤتمر الصحفي المنعقد في بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة في يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٣م عن موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من المشروع الخاص بعلاقة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية باليهود .

فقد تكلّموا في الفصل الأول عن المبادئ والفاهيم التي تقرها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لمعنى الوحدة المسكونية المسيحية وفي الفصل الثاني : عن التطبيقات العملية لهذه المبادئ ، وفي الفصل الثالث : عن الكنائس الأخرى غير الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وهي الكنائس الشرقية الأرثوذكسية ، والكنائس الغربية البروتستانتية .

وأما الفصل الرابع فهو الخاص بعلاقة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بغير المسيحيين ولاسيما اليهود فقط وكانت هذه هي إحدى المآخذ على هذا الفصل ، ما دعى القمص باخوم المحرقى أن يقول : وقد أحسنا بإهانة شديدة إذ تكلّموا عن الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية في نفس الباب الذي عالجوا فيه موضوع اليهود .

واليهودية ديانة أخرى مستقلة عن الديانة المسيحية وكان على خبراء المجمع إذا أرادوا أن يعالجوا منها شيئا أن يفردوا لها بابا مستقلا مع غيرها من الديانات غير المسيحية . (١)

وباسيحيان الله : إهانة شديدة أن يدرج موضوع تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ضمن الكلام على الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية ولم يشعر القمص باخوم بأن الإهانة التي لاتدانيها إهانة ، أو المذلة حقاً ، أن هذه الوثيقة تناقض ما هو مذكور في الأنجيل من قصة الصلب وتزداد الأمة المسيحية حسرة حين تلف قصة الصلب في ثوب من الحرير

(١) وثائق للتاريخ أو الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ص ٢١ .

الخز ، وتدفن على مرأى وسمع ، تحت قبة الفاتيكان ولتعلن البابوية إسدال الستار على هذه المسرحية ، بأن صلب المسيح وموته قد كفر خطايا كل الناس ومن بينهم اليهود .
وأقول توا مادام الأمر كذلك فلا تجهدوا أنفسكم بالتبشير بالمسيحية ، فالمسيح قدم فداء لخطايا الجميع ، وشكرا لليهود على هذه الفعلة الحسنة .

الفصل الخاص باليهود

وفي هذا الفصل قد تناسى " البابا " وخبراء الفاتيكان ما هو مذكور فى الأناجيل من تأمر اليهود^(٩) على المسيح ، ومن اضطهادهم لأتباعه ، ومن اتهمهم للسيدة مريم أم المسيح بما هى منه براء ، فكالوا لليهود الثناء ولم يشيروا إلى غيرهم ، وهذا ما أعلن بشأنهم تحت قبة الفاتيكان فقد قيل : إن الكنيسة تقر بأن اليهود أبناء إبراهيم ومسيح — ان الكنيسة خليفة جديدة فى المسيح لكنها لا يمكن ان تنسى أنها استمرار لذلك الشعب الذى دخل الله معه فى عهد قديم منذ إبراهيم .

ثم إن الكنيسة تؤمن بأن المسيح قد جمع فى حبه اليهود والأمم وجعلهم واحدا فيه إذ قد تصالح العالم كله فى المسيح ، وعلى الرغم من أن قسما كبيرًا من الشعب اليهودى لا يزال إلى اليوم منفصلا عن المسيح ، لكن ليس من الحق أن يوصم هذا الشعب باللعنة لأنه مازال عزيزا عند الله من أجل الآباء والعطايا والمواهب التى أعطيت لهم .

وليس من الحق أن يوصف هذا الشعب بأنه مرفوض من الله حيث أن المسيح بصلبه وموته قد كفر عن خطايا جميع الناس ، هذه الخطايا التى كانت فى الحق علة آلامه وموته .

على أن المسيح عندما صلب ومات لم يصلب بواسطة الشعب اليهودى كله الذى كان يعيش فى ذلك الزمان ، وبالأولى أن يقال ذلك عن يهود اليوم لذلك يجب على الكهنة ورجال الدين أن يكونوا حذرين فى تعليمهم وعظهم ، حتى لا يثيروا فى قلوب من يسمعونهم

(٩) فهم الذين قالوا بصلبه (قال لهم بيلاطس فإذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب ، انجيل متى (٢٢ : ٢٢) وهم الذين قالوا دمه علينا وعلى أولادنا انجيل متى (٢٢ : من الفقرة ٢٥) وبراجع يوحنا (١٩ : ٦) .

حقداً أو كراهيةً أو احتقاراً لليهود .

والكنيسة لاتنسى أنه من هذا الشعب قد ولد المسيح حسب الجسد ، وكذلك
مريم العذراء أم المسيح ، بل والرسل الذين هم أعمدة الكنيسة المسيحية ، ولما كانت
الكنيسة المسيحية يربط بينها وبين المجمع اليهودى هذا الإرث المشترك فإن المجمع
المقدس للكنيسة الرومانية الكاثوليكية يريد أن يوصى بالتقدير المتبادل ، والتفاهم السدى
يمكن أن تتيحه للدراسات اللاهوتية ، والحوار الأخوى بين الناس .

والمجمع يدين بشدة كل أنواع الظلم التى ترتكب ضد الناس جميعاً أينما كانوا
ويدين كذلك كل أنواع الكراهية والاضطهاد التى يُعاملُ بها اليهود سواء كان ذلك فى
الماضى أو فى زماننا الحاضر . (١)

ولسنا نحن المسلمين - من دعاة كراهية الناس لبعضهم ، وفى الوقت نفسه ننفسى
الصلب عن نبي وصفه الله تعالى بقوله : (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والاخرة ومن المقربين) . (٢)

نجاة عيسى عليه السلام من الصلب

قامت دعوة عيسى عليه السلام على المحبة ، والتسامح ، والتجرد التام من ماديات
الحياة ، وحقن اليهود عليه وهم القساة ، والمنغمسون فى ماديات الحياة ، فأغروا بسبه
الحاكم الرومانى ولما لم يستجب لهم فى بادئ الأمر ، التمسوا لعيسى عليه السلام سقطة تشير
الحاكم يقول الدكتور أحمد شلبى :
فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا ، فأغضبوا الحاكم الرومانى على عيسى ، فأصدر أمره
بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً . (٣)

وانطلق جند الرومان يبحثون عن المسيح عليه السلام ، حتى عرفوا مكانه وعشروا
عليه ، ولما هموا بالقبض عليه ، ألقى الله شبه عيسى على رجل يدعى " يهوذا الاسخريوطى "
فقبضوا عليه وأسكته الله حتى نفذوا فيه حكم الصلب أما المسيح عليه السلام فقد نجا كما نص

(١) وثائق للتاريخ الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ص ٧٩ - ٨٠ بتصرف .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٥ .

(٣) المسيحية دكتور / أحمد شلبى ص ٣٦ ، ٣٧ ط ٤ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة
١٩٧٣ م .

القرآن الكريم :

(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا • بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) . (١)

فالمسيح عليه السلام كرمه الله ومن الصلب نجاه • ولا شك في ذلك بين المسلمين • ومن أصدق من الله قيلا •

وثيقة الصلب لاتدل على تنفيذه

لقد استشهد بوثيقة الصلب الشيخ محمد المجذوب وهو من النافين لحدوثه ليدل على أن المسيح لم يدع الألوهية • وكل ما أخبر به أنه نبي الله فقال تحت عنوان وشاهد من التاريخ مانصه :

ولقد عثرت لجنة الاكتشاف الفنية الملحقة بالجيش الفرنسي في بعثة نابليون عام ١٨٢٠م على صورة الحكم الجنائي الذي أصدرته المحكمة الرومانية على المسيح • محفورا على صفحة من البرونز ضمن وعاء من الرخام الأبيض • في مذبح دير الكابوشيين - من ضواحي القدس • وهو مكتوب بالعبرية • ومحفوظ حتى الآن بالدير نفسه • وهاتين أولاه نقل ترجمة هذا القرار كما نشرتها مجلة (الإيمان) المسيحية الدمشقية - عدد نيسان ١٩٥٧م منقولاً عن مجلة فرنسية : " بيلاطس البنطلي حاكم الجليل الأدنى • المتسم رئاسة مجلس الشيوخ يحكم على يسوع الناصري بالموت على الصليب بين لصين للأسباب التالية :

- ١ - أن يسوع مظل
- ٢ - أنه ضال
- ٣ - أنه عدو الشريعة (القانون) •
- ٤ - أنه يدعي نبوة الله بطيلا •
- ٥ - أنه يدعي ملك إسرائيل بطيلا •
- ٦ - أنه دخل الهيكل والجموع تتبعه بسعف النخيل •

وبناءً عليه فان بيلاطس يأمر " كرينوس كيرنيليوس " قائد المائة أن يقود المجرم إلى مكان العقاب • ويحظر على أي شخص أن يسترحم السلطة بشأن هذا العقاب • (٢)

(١) سورة النساء الايتان ١٥٧ • ١٥٨ •

(٢) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام محمد المجذوب ص ١٨٣ •

وكل ما قررته الوثيقة أن المسيح ادعى النبوة ولم يدع الاكوهية ضمن بنودها الست المذكورة ، ومن أجل هذا صدر حكم الموت عليه صلبا ، ولم تبين تنفيذ هذا الحكم ونحن أتباع محمد عليه الصلاة والسلام نعتقد اعتقادا جازما بأن الحكم لم ينفذ على المسيح بناء على ما أخبر به القرآن الكريم .

" بداية وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح "

لم تكن الوثيقة وليدة مجمع الفاتيكان الثانى ، وإنما هى وليدة عشرات المنسبين قبله ، دبر لها فى الخفاء وأعد لها الأمر ، وتمت اللقاءات بين زعماء اليهود ، وكبار رجال الفاتيكان ، وكشف عن هذا الأمر حوار أجراه الأستاذ / سامى داود : وهو يوجهه لكل من الأستاذ فريد الفرعونى ، والقص باخوم المحرقى ، الأستاذ سامى داود :

اسمح لى بمزيد من الاستيضاح لأهمية البيانات التى تصدر عن سيادتكم فى تنوير الرأى العام فى مسألة من أهم المسائل التى تشغلنا كمواطنين عرب هل نستطيع أن نعرف تاريخ تدوين هذه الوثيقة ؟

الأستاذ فريد الفرعونى : إنها أعدت فى عهد البابا " يوحنا الثالث والعشرين " (١٩٦٣) ، الأستاذ سامى داود يسأل بما اختصاره : أى بالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية بعد انتهاء كل اضطهاد لليهود فى جميع أنحاء أوروبا فهل هناك ما يبرر صدور هذه الوثيقة فى أوروبا الغربية فى وقت أصبح اليهود فيه متمنعين بزياء المواطن الأورسى ولكن أقول مدللين بما يشعر به مضطهدوهم السابقون من الشعور بالإثم أو عقد الذنب الماضى ؟ أليس هذا فى نظر سيادتكم موضع غرابة ؟ ألا يدل هذا على أن للصهيونية يد ورائدوين هذه الوثيقة ؟

ويجيب القص باخوم المحرقى : (الأنبا غريغوريوس) بما ملخصه : أنه سيتكلم من وجهة نظر الذين وضعوا الوثيقة ذلك أنه فى الوقت الذى اضطهد فيه اليهود فى ألمانيا لم يستطع الذين يعطفون عليهم من الوجهة الإنسانية أن يعبروا عن هذه الرغبة لأن الحكم كان وقتها فى أيدي الذين يكرهون اليهود هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الوثيقة وثيقة دينية تعرض على مجمع الفاتيكان الثانى ، وطبعاً كانت قد مضت عشرات السنين

(*) تبرع على كرسى البابوية بروما خلال خمس سنوات من سنة (١٩٥٨م إلى سنة ١٩٦٣م) .

لم ينعقد فيها مجمع للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، لأن مجمع الفاتيكان الأول وهو آخر مجمع للكنيسة الكاثوليكية ، قبل هذا المجمع الثانى ، كان فى سنة ١٨٧٠م فلم تكن هناك إمكانية لعرض مثل هذه الوثيقة على الهيئة الدينية الرسمية فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلا فى هذه الفرصة وهى بمناسبة انعقاد مجمع الفاتيكان الثانى فى سنة ١٩٦٣م .^(١)

ولاندرى لماذا تحدث بوجهة نظر الفاتيكان ولم يتحدث بوجهة نظره ؟ وهل هو مقتنع بهذا الكلام أم لا ؟ أما قوله بأن الوثيقة دينية ولم تعرض إلا فى المجمع الفاتيكاني الثانى نظرا لطول الفترة بين المجمع الفاتيكاني الأول - والثانى فإنى أقول له أن اليهود يضطهدون من قديم الزمان وهو خير من يعلم ذلك ويكفى أن نذكر ببعض ما جرى لهم من تنكيل لسوء أعمالهم خصوصا بعد الميلاد على يد تيطس الرومانى عام ٧٠م ، وما جرى لهم فى روما ، وفى بلاد الأندلس على يد الوثنيين والمسيحيين ، وكانت المجامع المسكونية والمجامع المحلية المسيحية تعقد بين الحين والآخر ولم تطرأ مثل هذه الفكرة ولم ترد على لسان رؤساء المجامع ، فى فترة تزيد على تسعة عشر قرنا من الزمان ، فما الذى حدا بالبابوية إلى هذا التعاطف المفاجئ مع أعداء المسيح عليه السلام ؟ وهل كانت البابوية مخطئة فى نظرتها لليهود طيلة هذه القرون ، حتى جاء " البابا " يوحنا الثالث والعشرون ، فأعدت فى عهده ، وظهرت إلى الوجود فى عهد الحبر الرومانى " البابا " بولس السادس^(٢) ، وكل هذا يؤكد للمسلمين تغلغل اليهود ، وبسط نفوذهم على خبراء الفاتيكان ، أو على أقل تعبير تعانق الصهيونية مع البابوية ، وكنا نود من القمص باخوم المحرقى : (الأنبا غريغوريوس) الأرثوذكسى المذهب والمصرى الموطئن أن يجيب على السؤال من وجهة نظره ، ويصدق خصوصا وأن البابوية الكاثوليكية لم تعمل لهم حسابا ولم ترفع لهم شأنا بل وضعت مناقشة مذهبهم مع مناقشة الوثيقة اليهودية ويبدو أنه سلك طريق من خاف سلم .

البابا يوحنا بولس ودوره التبشيري

واجهت " البابا " يوحنا بولس مشاكل عدة فى كنائس الغرب فقد انصرف الشبسان بل والشيوخ عن الذهاب إلى الكنائس ، وانصرف الكهنة عن القيام بأعمالهم الكنسية

(١) وثائق للتاريخ : الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ص ٣٠ - ٣٢ بتصرف واختصار .

(٢) بولس السادس : ولد عام ١٨١٧م صار سكرتير دولة الفاتيكان سنة ١٩٤٤م ثم انتخب " بابا " لروما فى ٢١ يوليو ١٩٦٣م واصل المجمع الفاتيكاني الثانى وختمه (١٩٦٣ - ١٩٦٥)

(يراجع : المنجد فى العلوم ص ١٥٢) .

والسبب فى ذلك عدم ملائمة التعاليم المسيحية للحياة وتطورها ، وللفجوة الكبيرة بين ما تشير به الأنجيل ، وما يجرى على أرض الواقع المسيحى ولعل " البابا " يوحنا بولس أدرك أقول شمس المسيحية فى الغرب فأراد لها أن تشرق من جديد فى الشرق بعهد أن تأكد له عجز من سبق عن إحيائها فى الغرب ومعشها من جديد فى بلاد مقاييسها علمية فى كل شئ ، وبالتالي فهو ينفخ فى ما تبقى من رماد النار عليها تنتعش من جديد فى بلاد الغرب ، ويضع ثقله فى بلاد المشرق منبع الديانة السماوية ، ومنبست النصرانية وذلك عن طريق التبشير المستتر أحيانا والمكشوف حيناً آخر وهذا ما تحدث به مجلة الأمة ما يؤكد ما أخبرت به :

يمكن اعتبار اعتلاء " يوحنا بولس الثانى " السدة البابوية فى حزيران (يونيو) ١٩٧٨م بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ، وذلك بالنظر إلى العجز الذى أصيبت به الكنائس فى العقدين الأخيرين وفشلها فى اكتساب أتباع جدد بل حتى الاحتفاظ بالأتباع القدامى ، ما انعكس بشكل واضح على عمليات بيع الكنائس التى شهدتها أوروبا وأمريكا وهى الموطن الذى انتهت إليه النصرانية مؤخراً .

والأخطر من ذلك - كما جاء فى إحصاءات صدرت عام ١٩٨٠م عن الكنيسة الكاثوليكية - الانحسار الرهيب فى عدد الذين يرغبون - من الأوروبيين بشكل خاص - فى تكريس وجود كنائس بدون كهنة !

ولذلك كان هم " البابا " الأكبر ، إلى جانب كسب أتباع جدد اجتذاب الشباب إلى السلك الكهنوتى ، ولم يكتف لأجل ذلك بالنداءات " السرية " التى وجهها إلى المراكز الكاثوليكية فى العالم يدعوها لتكثيف الجهود لمواجهة " الوثنية التكنولوجية " التى تحاول تدمير الحياة وتصرف الشباب عن الانخراط فى سلك الكهنوت ، وإنما انطلقت بحسب وجوب قارات العالم المختلفة مركزاً بشكل واضح على قارتى " أفريقيا " و " آسيا " اللتين أصبحتا - بما تضمان من كثافة سكانية وثنية - أمل الكنائس ومخزنها الاستراتيجى لضمان بقاء النصرانية . (١)

وجاب فى عدد من البلاد الإفريقية ، ومنها على وجه الخصوص توجو ، ساحل العاج الكاميرون ، جمهورية إفريقيا الوسطى ، زائير ، كينيا .

(١) مجلة الأمة (باب شئون المسلمين فى العالم) تحت عنوان (بابا الفاتيكان يزور الهند) ص ٨٦ ، (العدد السابع والستون - السنة السادسة) ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

" على أن الوسيلة الوحيدة لضرب الإسلام - باعتبار أنه يتفق مع الفطرة عكس المسيحية - ولمنع دخول المسيحيين فى الإسلام - هو مزج الكاثوليكية بالمعـسـادات الإفريقية مع التمسك فى الوقت نفسه بتعاليم الكنيسة !! " .

وإذا كان " يوحنا بولس " يحاول بجهد مداراة الأمور حتى أنه قال : " إن الكنيسة تحترم من يذهب إلى الله بطرق مختلفة " إشارة إلى المسلمين إلا أنه أكد على المسؤولين عن التنصير رغبته الشديدة والأكيدة فى تصحيح أخطائهم التى نفرت كثيرا من الإفريقيين من الدخول فى المسيحية وعلى رأسها مسألة الحكام الكاثوليكين " . (١) .

وقد تحدث " البابا " مع كل شعب فى كل بلد بما يتناسب وظروفه مما يدل على أن زيارته لإفريقيا سبقتها دراسة شاملة ، وتقرير واف عن كل بلد زارها ، واستفصل " البابا " سذاجة شعب إفريقيا ، واغتم فرصة طيبته وهداوته فى " توجو " أعلن تبني الكنيسة الكاثوليكية للتقاليد المحلية والطقوس التى تؤمن بأن للمادة روحا ، وللممارسات التى تسمح بالزواج التجريبي وتعدد الزوجات .

وفى احتفال جماهيرى قام " البابا " برسم ١١ كاهنا من " توجو " وخاطبهم قائلا : إن أفقكم كبشرين ليس محدودا ببلدكم ، وعليكم أن تحلوا الأنبياء السارة إلى جميع أبناء إفريقيا وبناتها .

وفى ساحل العاج - المحطة الثانية - قام " البابا " بافتتاح كاتدرائية " القديس بولس " والتى سبق أن وضع حجرها الأساس بنفسه عام ١٩٨٠م وتعتبر هذه الكاتدرائية صرح المسيحية الثانى فى العالم من حيث الضخامة بعد كاتدرائية " القديس بطرس " فى " روما " .

أما فى الكاميرون فقد كانت الكلمات الأولى التى أطلقها " البابا " إلى مستقبله هى : " إننى لم آت إلى هنا كرئيس للكنيسة الكاثوليكية فحسب بل كبشر أيضا " ولذلك حرص على أن يتنقل على مدى أربعة أيام بين أنحاء " الكاميرون " المختلفة وأن يلتقى بزعماء مسلمين وقبليين وأن يرسم ١٦ كاهنا كاميرونيا .

(١) مجلة الهدى النبوى (إصدار جماعة دعوة الحق الإسلامية) بالجيزة بالقاهرة ص ١٧ تحت عنوان (يوحنا بولس يقول) ربيع الأول ١٤٠٦ هـ = نوفمبر ١٩٨٥ م .

وخلال مقابلته لعشرة من زعماء المسلمين هناك هاجم " البابا " - بشكل خفى - التيار الإسلامى المتنامى : موجهاً دعوته للمسلمين بأن يمارسوا التسامح الدينى وفى شمال الكاميرون حيث الأغلبية المسلمة دعاهم " البابا " فى أكثر من لقاء إلى التعايش السلمى بين الطوائف المختلفة ، كما أشاد بالنصرين الكاثوليك القدامى الذين وصلوا " الكاميرون " كبشربين فى سنة ١٨٩٠م .

ومروراً بجمهورية إفريقيا الوسطى " فزائير " أنهى " البابا " فى إفريقيا السوداء زيارة " كينيا " حيث كان التركيز خلالها على مهاجمة تعدد الزوجات والطلاق ، ودعوة أتباع كنيسه إلى مزيد من الإنجاب وأبدى " البابا " رغبته فى زيارة " السودان " فلم يستجب له نظراً لما أحدثته الكنيسة هناك من انشقاق وانقسام بين شعب السودان الشقيق وزار " المغرب " فى نهاية هذه الجولة الثالثة " لإفريقيا " والتي بدأت فى ٨/٨/١٩٨٥م ، واستمرت اثنا عشر يوماً .

والعجيب أن " البابا " يطالب المسلمين بالتخلى عما يسميه عاداتهم القديمة ويدعوهم إلى ترك الحروب والخصام وهذا ماحدث منه فى بلاد المغرب العربى كما ورد فى مجلة الهدى النبوى تحت عنوان " يوحنا بولس " يقول :

أيها المسلمون تخلوا عن عاداتكم القديمة ، كانت هذه النداءات هى محور حديث " يوحنا بولس الثانى " بابا روما وحامى الكاثوليكية فى العالم وقد بدأ خلال خطبته فى أحد ملاعب الدار البيضاء أمام ثمانين ألف مسلم - أثناء زيارته الخاطفة للمغرب الستى دعا إليها الملك الحسن - وتعد هذه الزيارة الأولى من نوعها حسب ما جاء فى مقالة " النبى بريس " الألمانية فى ٢٠ أغسطس ١٩٨٥م - وقد أضاف " يوحنا بولس " أن الحوار المسيحى ضرورى فى هذا الوقت . (١)

وكما صال " البابا " وجال فى إفريقيا ووجه نصائحه إلى المسلمين بزيادة الدعة والمسكنة وكأنهم فى نظره مفتصبوا الفاتيكان وليست السليبة ديارهم ، والطريدة أبناءهم ، والجرحى شبابهم فعل نفس الشئ فى آسيا .

وليته نصح اليهود بالكف عن جرائمهم فى الأرض المحتلة أو نصح المسيحيين بالكف عن محاربة المسلمين فى لبنان والفلبين وغيرها من بلاد المسلمين ، ليته فعل ذلك

لنقول إنه وزع نصابه بالقسطاس المستقيم ، ولكنها الخطة التبشيرية في أرقى مظاهرها تجردوا أيها المسلمون من أسلحة الدفاع واتركوا الجهاد الإسلامي ، ودعوا الدفاع عن الشرف والوطن ، وعندئذ تنزل عليكم الرحمة البابوية ، والتي لا يعرفها إلا الغر والنتيجة إما المسيحية ، أو المجازر البشرية ولا بديل " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير (١) .

البابا " يوحنا بولس " في آسيا

كما تحرك البابا " يوحنا بولس الثاني " في إفريقيا قام بجولات عديدة في آسيا شملت الصين ، والفلبين ، والهند ، ويرى بعض المراقبين الإسلاميين كما ذكر الأستاذ / حلمي محمد القاعود : أن الهدف من هذه الرحلات البابوية يتلخص في شيئين : الأول : طمس كل أثر للصحة الإسلامية إعلامياً . والثاني : هو التبشير (٢) بالصليبية بطريقة مقنعة وجماهيرية (٣) ، وبعض المجالات الإسلامية ذكرت جولاته بالتحديد ، فتقول مجلة الأمة الإسلامية ومثلما زار إفريقيا ثلاث مرات منذ وصوله إلى الفاتيكان ، زار آسيا ثلاث مرات أيضاً ، كان آخرها جولته في شبه القارة الهندية في الفترة من ١ إلى ١٠ شباط (فبراير) المنصرم وذلك بالرغم من أن الكاثوليكية غير منتشرة في آسيا فالطائفة الكاثوليكية " بالهند " ، التي تعتبر الثانية في " آسيا " من حيث العدد بعد الفلبين ، لا تزيد نسبة أتباعها عن ١٦% من مجموع عدد سكان الهند البالغ ٧٥٠ مليون نسمة تقريباً (٤) .

وقد ركز " البابا " في زيارته على المناطق الإسلامية ، والمناطق الفقيرة وقد ذكرت المجلة المذكورة آنفاً ذلك بقولها وكانت أول منطقة زارها بعد انتهاء الجانب الرسمي لجولته ، مدينة " رانش " في ولاية " بيهار " أفقر ولايات الهند ومنها توجه إلى " كالتكسا "

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٢) استخدمنا هنا مصطلح " التبشير " رغم أنه لا يدل على المضمون الصحيح للغزو الصليبي لعقائدنا وأفكارنا وتصوراتنا ولكن شيوعه واقتراحه في الذهن الإسلامي بعملية الغزو هذه جعلنا نؤثره على مصطلح " التنصير " .

(٣) الصحافة المهاجرة " دراسة وتحليل " ص ٧١ ، ٧٢ .

(٤) مجلة الأمة (العدد السابع والستون - السنة السادسة) ص ٨٦ .

— ولاية البنغال — لزيارة المنصورة المعروفة " الأُم تريزا " في مقرها وسط مايسى باحيا .
 اليوس المطلق " وفي " بيت القلب النقي " الذي أنشأته عام ١٩٥٢م لإيواء بعض
 ساكني أرففة " كالكتا " شارك " البابا " في توزيع وجبة طعام على النزلاء في إشارة
 واضحة لأحد الأساليب التي تستخدمها الكنيسة لتنصير الفقراء ، ويذكر أن (٥٠)
 ألفا لجأوا الى هذا المأوى منذ افتتاحه وتوجه من شمالي الهند إلى جنوبها حيث
 زار ولايتي " تاميل نارو " و " كيرالا " وهذه الزيارة التي يمكن تصنيفها في إطار الصراع
 الحقيقي بين النصرانية والإسلام ، تكتسب أهمية خاصة وذلك لسببين :

أما السبب الأول : فهو أن ولاية " تاميل نادو " شهدت في مطلع عام ١٩٨١م
 إقبال أنواع تعد بعشرات الألوف من طائفة المنبوذين " الهارجين " على اعتناق الإسلام
 ودخلت قرى بأكملها في دين الله .

وغيرت قرية " مناكسيورام " اسمها إلى " رحمت نجار " الذي يعنى قرية الرحمة
 ثم انتقل الإسلام من الجنوب إلى الشمال و " الهارجين " هم طائفة هندوسية (٢٠٠
 مليون تقريبا) ولكنهم محرومون من جميع حقوق الإنسان ، فلا يستطيعون الجلوس مع
 الآخرين أو تناول الطعام مع الطبقات الأخرى من الهندوس أو التعبد في معابدهم
 بل يحرم عليهم الشرب من البئر التي يشرب منها الآخرون وفوق ذلك لا يمكنهم المطالبة
 بأى حق من حقوق الإنسان وقد وجدوا في الإسلام مالم يجدوه في غيره من عسدر
 ومساواة ، ولذلك شدد " البابا " في خطاب له في " مدراس " — عاصمة الولاية — على
 " حق المنصرين المسيحيين في نشر الإيمان في مختلف أنحاء الهند " .

أما السبب الثاني : فهو أن ولاية " كيرالا " تعتبر معقل المسلمين في الهند
 ورغم أنهم أشد الفئات فقرا إلا أن تأثيرهم بات واضحا في مجتمع يعانى الفسوق
 الطبقي ولوحظ أنه خلال زيارته لمدينة " تريشور " العاصمة الثقافية للولاية و " كوشين "
 العاصمة السياسية والصناعية .

بارك خلال قداس ديني (١٣٠٠) حالة زواج وكأنه بذلك يدعو أتباع الكنيسة
 إلى التزواج والتوالد لزيادة عدد الأقلية الكاثوليكية كما لوحظ أيضا تشديد نفس
 خطبته التي ألقاها في الولاية على قضيتين : الحوار ثم الوفاق والوحدة بين الطوائف
 المسيحية أولا وبين كل الذين يؤمنون بالدفاع عن حقوق الإنسان ثانيا ، إلا أن الحدث
 الأهم والذي اعتبر أبرز حدث ديني في جولته ، هو القداس الذي أقامه في مدينة
 " كوتايام " ، جنوب " كيرالا " حسب الطقس السرياني المحلي وطوب (والتطويب هو المرحلة
 الأخيرة قبل القداسة في الكنيسة الكاثوليكية) فيه راهبة وكاهنا هنديين لأول مرة في تاريخ الهند

وهو ما يأتى فى إطار السياسة التى ينتهجها من إمكان مزج الكاثوليكية بالعادات والتقاليد المحلية فى سبيل كسب أتباع جدد . (١)

وشمل تحرك " البابا " من أجل كسب الأتباع الجدد العالم من شرقه إلى غربه ، وكانت أمريكا اللاتينية ضمن خطة تحركه .

" البابا " يريد صنع أساقفة من نفس أوطانهم

علمنا أن كنائس الغرب أفلست من الرواد ، وأن جيلها أصبح خاليا من القساوسة لانصرافهم عن هذه المهنة ، التى لا تتفق وعقولهم العلمية ، أو لعدم استجابة الشعب المثقف علميا لخداعهم ، ولما كانت " البابوية " مدركة لذلك تمام الإدراك ، أرادت أن تصطاد عصفورين بحجر واحد ، فعملت على تكوين أساقفة وطنيين ، لمعرفةهم بعسادات بنى جنسهم ، ولتأثيرهم أكثر من القساوسة البيض ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى لتوفر لكنائس الغرب ما يلزمها من الكهنة ، وقد نشرت جريدة هيرالد تريبيون يوم ٨ أغسطس الماضى : أن " البابا " منذ توليه منصبه عام ١٩٧٨م قام بسبع وعشرين زيارة للخارج وهو أمر لم يحدث قبل ذلك من أى " بابا " آخر الأمر الذى يكشف عن حقيقة الأهداف من وراء هذه الزيارات المتكررة المفاجئة كما تقول جريدة هيرالد تريبيون فى نفس العدد إنه كان فى إفريقيا بعد نهاية فترة الاحتلال الاستعماري فى أواخر الخمسينات وكان بإفريقيا قسيس إفريقى واحد أما الآن فهناك أكثر من ٤٠٠ قسيس وعندما أقول إفريقى فإنى أشير إلى حقيقة هامة جدا ، وهى أن الكنيسة الكاثوليكية أو الفاتيكان لم تكن تقبل أن يكون من بين قساوسها رجل إفريقى أسود أما الآن فهناك مخطط لأن يكون أكثر القسس العاملين فى الكنائس التابعة للفاتيكان من أصل إفريقى . (٢)

ويكشف عن الأسباب التى حدثت بالفاتيكان أن يتجه هذا الاتجاه الدكتور عبد الودود شلبى قائلا :

لهذه الأسباب قصة تاريخية أيضا فإن الأفارقة عرفوا المسيحية عن طريق البسواج والدمرات الحربية ، وعن طريق القنص والخطف وتجارة الرقيق ، فرسخ فى عقولهم وقلوبهم

(١) المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) جريدة " النور " (السنة الرابعة - العدد ١٨٣) حديث للدكتور عبد الودود شلبى ص ٤ (تحت عنوان محاولات بابا الفاتيكان وقوى التنصير العالمية للقضاء على الإسلام ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

العلاقة بين المسيحية والاستعمار والخطف والقتل وقد شاهدنا ذلك فى قصة " جذور " للكتاب الأمريكى " اليكس هيلى " الزنجى الذى تتبع جذور أبائه وأجداده فى الولايات المتحدة فوجد أنه من المخطوفين على ظهر البواخر ومن المضحك أن السفينة التى كانت تحمل الرقيق كان اسمها " يسوع " اسم المسيح بهذا كلفان المسيحية لم تجد رواجاً فى بادئ الأمر وكانوا يقولون فى " غانا " عندما جاء الاستعمار كان يحمل الإنجيل وحاكماً يملك الأرض فأخذ منا الأرض وأعطانا الإنجيل فلما رحل أحرق الإنجيل وأحرق الأرض ومن هنا كان لابد أن تتجه الكنيسة الكاثوليكية فى اعتمادها إلى أصل افريقى^(١) ليكون للمسيحية قدم راسخ فى بلاد الإسلام ، وليكون البشر مقبولا لدى الشعب .

البابا " يوحنا بولس الثانى " وتوحيد الكنائس

لما كان القوم بأسهم بينهم شديد ، واتجاهاتهم شتى ، أراد " البابا " أن يجعلهم وإن اختلفوا فى كل شئ ، فليتحدوا ضد الإسلام من أجل نشر المسيحية ويسدا واضحا من أعمال المسيحيين فى كل بلد ، وقد أفصح " البابا " عن نيته فى نهاية جولته بالهند كما يقال :

وفى اليوم قبل الأخير للجولة التى تعتبر التاسعة والعشرين " للبابا " خارج إيطاليا ، أكد على أن الكنائس عندما تلتقى على أراضى آسيا وأفريقيا بهدف التنصير أو إبعاد الناس عن الإسلام على أقل تقدير ، تتحد وتترك خلافاتها العميقة جانبا وتنظم مشروعات مشتركة وتتفق على اقتصار مناطق عملها جاء هذا التأكيد من خلال اجتماعه فى " بومباي " مع الدكتور " روبرت رونس " أسقف كانتربرى ، رئيس الكنيسة الإنجليكانية الذى تزامنت زيارته ذات الأسابيع الثلاثة مع زيارة " البابا " .^(٢)

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة الأمة (العدد السابع والستون - السنة السادسة) ص ٨٦ .

الفصل الرابع

مساعدة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودي المسيحي ضد المسلمين

بدأ اليهود منذ عشرات السنين كقلعة من قلاع التبشير والاستعمار في بلدان الشرق الإسلامي ، وحدث تعاون يهودي نصراني على حساب الإسلام وأهله ، بصورة لم تعهد من قبل بتحديدها السافر لكل القيم الإنسانية ، والقوانين السابوية ، ويمكن اعتبار القرن العشرين الميلادي خير شاهد على هذا النوع من التعاون القائم على الإثام والعدوان والذي بواسطته تم زرع إسرائيل في قلب الأمة الإسلامية شوكة في صدور المسلمين وقاعدة استعمارية للغربيين وركيزة تبشيرية للمسيحية الصليبية ، لتظل السيطرة الغربية ونشر المسيحية في هذه الرقعة الإسلامية أمراً ميسوراً ومادري المسيحيون الغربيون أنفسهم أخطأوا قبل كل شيء في حق أنفسهم بإيجادهم للكيان الصهيوني في بلدان الإسلام فهم إن توقعوا معارضة اليهود لهم نتيجة هذا العمل فإن اليهود يبنون من وراء تسهيل الحركة الاستعمارية والحركة التبشيرية في الشرق الإسلامي تكوين أنفسهم وصنع كيان ثابت لهم بمساعدة الغرب المسيحي ، ثم ضرب المسيحيين بالمسلمين ليكون المنتصر من الطرفين في النهاية فريسة للصهاينة .

فالإسرائيليون يعتبرون تعاونهم مع الغرب ، وساندتهم للحركة التبشيرية الغربية مرحلة توصلهم إلى تحقيق سيطرتهم على العالم أجمع من غربه إلى شرقه ، ولن يرحموا أتباع المسيح يوم يملكون زمام الأمور بأيديهم ، كشأنهم مع كل الإنسانية .

ثم إن المسيحيين الغربيين أخطأوا في حق المسلمين الذين أحسنوا للإنسانية عامة على مدار التاريخ ، وراعوا حقوق غيرهم وخاصة حقوق النصارى القاطنين في بلاد الإسلام وفي كل مكان ، وكان الواجب يحتم على أتباع المسيح أن يقدروا المسلمين حق قدرهم ، وأن لايتعاونوا مع الصهاينة أعدائهم وهذا الفصل يضع النقاط على الحروف لمواقف اليهود والمسيحيين مع بعضهم ولتكتفهم في مواجهة المسلمين .

وبوضح التعاون بين اليهود والنصارى وأثره في اضطهاد الأقليات الإسلامية في العالم ، وما تقوم به البابوية الحديثة من تحركات لصالح الصهيونية العالمية وتأييدها على اعتبار أنها ركيزة التبشير وقاعدته في بلدان الإسلام .

مساعدة الحركة التبشيرية حيلة يهودية

ليس بغريب أن تتعاون الصهيونية العالمية مع الحركات التبشيرية وبلغ علمنا أن اليهود يقصدون من وراء هذا التعاون تحقيق مصالحهم ، والظفر بمطامعهم فالمساعدة من قبل اليهود للمسيحيين وسيلة تحقيق غاية غير أخلاقية .

والغريب حقا أن يجد أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام أيديهم طالعين المساعدة من أبناء صهيون ، وهم الذين وقفوا للمسيح بالمرصاد ، ونكلوا بأتباعه من بعده ، ولكن المصالح السياسية والمنافع الدنيوية طغت على كل اعتبار حتى ولو كان دينيا ، وجعلت كلا منهم يتحايّل على صاحبه في سبيل الوصول لما يريد فاليهود يوجهون باباوات " روما " بما يملكون من وسائل من أجل تحقيق أحلامهم ، وحماة الصليب ينكسونه أمام الضغط ، الصهيوني ظنا منهم أنه سيزول مؤخرا فهم يرون أن الخطر الأكبر على المسيحية كامن في الاسلام وأتباعه ، ويتوهمون أنهم إن تحكوا من المسلمين ، فلن يفلت اليهود من قبضتهم علما بأن الصهاينة يتوقعون ضرب المسلمين على أيدي المسيحيين ، ويصرحون بانتظارهم لحدوث هذا الأمر كي يتحكموا في العالم كله ، وتخطيطات اليهود وأعمالهم في كافة المجالات قرائن مؤكدة لخطرهم على الإنسانية جمعاء فهم في سعى مستمر للسيطرة على العالم يقول المحامي / محمد عبد الله عنان :

ذلك أن اليهودية اليوم توصف بأنها قد أصبحت خطرا داهيا على مستقبل الحريات والمدنية ، ويعتبر الخطر اليهودي اليوم أهم مسألة سياسية واجتماعية تواجه العالم المتمدن ويقول أصحاب هذه النظرية إن اليهودية تعمل بوسائلها الخفية لاستعباد العالم ومحو الأديان ، والنظم والتعاليم الأخلاقية الحاضرة ، وأن فكرة فوز اسرائيل على أمم الأرض جميعا مازالت رغم قدمها تنقد في صدور بني اسرائيل وتتخذ نوعا من العقيدة المقدسة حتى في أذهان المتنورين والأحرار من اليهود .

وفي وسعنا أن نقول إن ظفر الصهيونية بإقامة دولة اسرائيل بالعنف والفصل ، ومعاونة الاستعمار البريطاني قبل الأمريكي في قلب البلاد العربية وتطلعها إلى إحياء المملكة اليهودية القديمة بسائر معالمها وحدودها ، إنما هو خطوة أولى فقط في سبيل تحقيق هذه الفكرة العالمية الكبرى ^(١) ، فوقوف اليهود بجانب رجال الدين المسيحيين في كثير من الأمور ومناصرتهم للحركات التبشيرية المسلحة مستخدمينهم لـ
لصالحهم في الوقت المناسب ، ولذا تـ

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدا - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

حديثا يساندون الكرسي البابوي كى يتمكن " البابا " أن يوجه العالم من فوقه فإذا تم له ذلك بلا منافس سوى اليهود الذين يديرون عجلة الكرسي حسب أهوائهم ، وفيسى اللحظة الحاسمة ستسحب اليهودية هذا الكرسي من تحت " البابا " ليسقط على الأرض وليخر ساجدا تحت أقدامهم إلى ماشاء الله تعالى .

وسيلة الصهيونية للسيطرة على البابوية

إن وسيلة الصهيونية فى إحكام القبضة على البابوية هى نفسها وسيلتها لحكم العالم بأسره ، بالمال أو بالإعلام فبالمال يتحكمون فى الاقتصاد ليركع من يريدون ركوعه وبالضجيج الإعلامى يوجهون دفة الفكر الإنسانى فضلا عن أنهم لا يتورعون عن ارتكاب أى شئ فى سبيل الوصول لما رسهم يقول الماسونى " فشت " : كل شئ جائز لمحاربة الذين يعارضوننا فى أعمالنا " القوة ، والغدر ، السيف والنار ، الخنجر والسسم " ، وتعتمد الصحافة والمطبوعات للسيطرة على الرأى العام العالمى وتوجيهه .^(١)

وهم يمهدون الطريق للبابوية ، ويضعونها أحيانا بكل الوسائل المذكورة لتقوم بتنفيذ رغبة الصهاينة ويقولون فى مخططاتهم : إن من بين مواهبنا الإدارية التى نعدّها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير والآنفراد بالنظريات المؤلفة بدها ، وبالعبارات الطنانة وبسنن الحياة ، وكل أنواع الخديعة الأخرى ، كل هذه النظريات التى لا يمكن أن يفهمها " الأميون " أبدا بنية ، على التحليل والملاحظة مترجمين بفهم يبلغ من براعته ألا يجارينا فيه منافسونا أكثر ما يستطيعون أن يجارونا فى وضع خطط للأعمال السياسية والاغتصاب ، وإن الجماعة المعروفة لنا ويمكن أن تنافسنا فى هذه الفنون ، ربما تكون جماعة اليسوعيين Jesuits ولكننا نجحنا فى أن نجعلهم هزرا ، وسخرية فى أعين الرعايا الأغبياء ، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بيننا نحن أنفسنا باقون فى الخفاء محتفظون بمنظمتنا سرا .

(١) الصهيونية العالمية وخطرها الكبير على البشرية : المحامى / سليمان حاتم ص ١٧٧ ، ١٧٨ بدون عدد للطبعة دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق - سوريا بدون تاريخ .

ثم ما لفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية وأن يكون طاغية من دم صهيون ؟

ولكن لا يمكن أن يكون الأمان سوا بالنسبة إلينا (نحن الشعب المختار) قد يتمكن الأميون فترة من أن يسوسونا ، ولكننا مع ذلك لسنا فى حاجة إلى الخوف من أي خطر مادنا فى أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضا ، وهى كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها .^(١)

وبهذا يوقعون العداوة والشحناء بين المسلمين والنصارى ويطلقون عليهم " الاميون " احتقارا لشأنهم ، فينبغى للمسيحيين أن يفهموا جيدا أن اليهود يحتقرونهم أولا ، وأنهم يريدون الشر للناس جميعا وقد نبه ابراهيم سليمان الحبهان المسيحيين بقوله :

ولكننا نريد أن يعلموا أنهم بهذه الاضطهادات التى يمارسونها ضد المسلمين إنما ينفذون خططا يهودية اجرامية تهدف إلى تدمير النصارى والمسلمين بأيدي الفريقين أنفسهم وليغمدوا فى صدور الإنسانية خنجرهم المسموم الذى أعده مجرموا التاريخ فى محافلهم الماسونية قبل عشرين قرنا من الزمن .^(٢)

وباستمرار ضغط اليهود على المسيحيين سيتحقق لهم ماتصوبا إليه أنفسهم وتشهد ألسنتهم بما يكون فى صدورهم :

بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين حتى ينظروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليا وعندما نصل إلى هذا القام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم ، وأن نشكل حكومة عالمية عليا .^(٣)

قطعت اليهودية مرحلة للوصول إلى التحكم فى العالم فقد تحكمت فى جل دول الغرب وفى مقدمتها أمريكا التى طوعت المسيحية طبقا للتوجيهات اليهودية والخطة التى وضعتها الأقلام اليهودية لتحطيم رأس الكنيسة ، وتهشيم التاج الثلث ماثلة أسام أعين الجميع ومسجلة فى بروتوكولاتهم عباراتها حم والفاظها نثار ذات لهمسب توجه للقلب

(١) الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) محمد خليفة التونسى / ترجمة : عباس محمود العقاد ص ١٢٥ ، ١٢٦ ط (٢) المركز الإسلامى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٢م .
(٢) معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٢٤ ط (٤) طابع عالم الكتب ويطلب مباشرة من الدار فى الرياض على العنوان هاتف ٤٠٤٣٣٨٣ ص ٤٠ ب ٦٤٦٠ بركيسا روية " ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

(٣) الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) ص ١٨٠ ، ١٨١ .

النصارى بلا خجل أو وجل يقول أبناء صهيون :

ومتى حان لنا أن نمحق قصر الفاتيكان تهجم عليه جماعات تديرها يد غسبر
منظورة وإن ذاك يصبح ملك إسرائيل البابا الحقيقي للعالم ورأس الكنيسة الدولية حينما
يحين لنا الوقت كي نحطم البلاط البابوي The Papai Court تحطيمًا تامًا
فإن يدا مجهولة ، مشيرة إلى الفاتيكان Vatican ستعطى إشارة الهجوم وحينما
يقذف الناس أثناء هيجانهم بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة لوقف المذابح وهذا
العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن -
تخرجنا منه حتى تكون قد دمرنا السلطة البابوية . (١)

الصهيونية تقوم بدور الصليبية

ذكرت في الموضوع السابق مباشرة أن المسيحية طوعت في الغرب طبقا للتوجيهات
اليهودية ، والآن حدث اندماج بين أتباعهما لإكمال المخطط الإجرامى ، للقضاء على
المسلمين الذين يكون الخير للإنسانية جمعاء وقامت اليهودية بدور الصليبية .

يقول الأستاذ الفرنسى المسيحى " لويس ماسنيون " (٢) ، فى مقال نشر فى
صحيفة " نيمواتياج كريتيان " تحت عنوان سقوط مدينة الناصرة بين اليهود المعتدين :
منذ ألف سنة لعبت المسيحية الغربية لعبة المغتالين المضللين فعبأت الصليبيين لتحريص
الأرض المقدسة من سيطرة الإسلام الذى كان متسامحا مع العرب المسيحيين ، لأن الإسلام
يعترف بقداسة المسيح ، ويشهد بطهر أمه البتول .

وخضعت المسيحية الغربية فى ذلك الوقت لصدى ذلك الشعور الذى انطسوى
على السذاجة والوحشية معا ، فاستعملت الميكافيليين السياسيين من دعاة التوسع وتاقست
فى حماس إلى انتهاز فرصة وجود إخوانهم مسيحي الشرق فى وضعهم القائم حينئذ بغية
استعبادهم أما اليوم فإن المسيحية تقوم بأكثر من ذلك فإنها قد أصبحت عصرية وتأمركت

(١) المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢) لويس ماسنيون : (١٢٩٩ - ١٣٨٢ هـ = ١٨٨٣ - ١٩٦٢ م) مستشرق فرنسى
مولده ووفاته بباريس تعلم العربية والعديد من اللغات الأخرى وكان ضمن أعضاء
المجمعين العربيين فى دمشق والقاهرة ، وعين فى وزارة المستعمرات فى
شبابه ثم مستشارا لها بقية حياته ، وحدث مواقفه فى قضيتى استقلال المغرب
والجزائر (الاعلام المجلد (٥) ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ باختصار .

فلم تعد تؤمن بسر السيد المختار لتخليصها ، يريد البروفسور أن يقول إن المسيحية
العصرية تقوم بأكثر من ذلك أى بأكثر مما قامت به المسيحية القديمة التى استعملت الميكافيليين
السياسيين من دعاة التوسع فلقد استعملت المسيحية العصرية " الأمريكية " اليهود للقيام
بدور الصليبيين الأوائل ، لأن المسيحية العصرية الأمريكية " لم تعد تؤمن بسر السيد
المختار . (١)

ولعل " ماسنيون " المخلص للمسيحية وصفها بأنها فى الوقت الحاضر صارت
" عصرية أمريكية " ويقصد بذلك أنها " عصرية يهودية " وإلا فما الداعى لاستبعاد المسيحية
لأخيه المسيح ؟ وما هى المبررات لسيطرة مسيحية الغرب لإخوانهم فى الشرق . إن هناك
دوافع من الذين يكرهون المسيح ويظعنون فى أمه الظاهرة ، ولا يحبون الخير لأتباعه
ولا يشعرون نحوهم بأى احترام ، ولذا يقول " ماسنيون " فى موضع آخر من المقال :

ومادام العبرانيون يرتابون فى طهارة مريم ونقاوتها فإننا نحن النصارى لا يمكننا
أن نصدق تأكيداتهم التكتيكية عن احترامهم لديتنا إلا إذا فقدنا احترامنا النبوى لأمنا
مريم .

ومع علم رجال الدين المسيحية بالنظرة اليهودية للمسيحية وأتباعها وللسيد
المسيح عليه السلام ، وأمه العذراء لكسهم طمعا فى عطاء اليهود ، وخوفا من إعلامهم
باعوا أخراهم بديانهم ، وصارت تعاليم عيسى عليه الصلاة والسلام عندهم رمزا شكلياً
اكتفوا بمظهره ، فلم ينعموا بجوهره فباركوا اليهودية على أنها صليبية جديدة زرعت فى
الشرق الإسلامى منبع الرسالات ومهد النبوات وأصبحت البابوية تسير على هوى الصهيونية

البابوية فى ركاب الصهيونية والاستعمار

إن الحوادث خير شاهد بخط سير البابوية ، فبعض الدول المغلوبة على
أمرها فى فترة ما من تاريخها ظنت أن قيادة الفاتيكان الروحية ، قد تؤثر على الدول
الغربية المستعمرة فتوقف من اعتداءاتها ، أو تقلل منه ، وغيرها ما تشدق به البابوية
من كلمات المحبة والرحمة للإنسانية فحاول أحد مفكرىها أن يستنجد " بالبابا " ليتدخل

(١) الصهيونية فى الستينات " الفاتيكان واليهود " محمود نعنانه ص ٤٧ ، ٤٨
(سلسلة من الشرق والغرب) طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٤ م .

لدى من يقودهم روحيا فى مواقف إنسانية خاصة بأهل الإسلام فكان كالمستجير من
الرمضاء بالنار ، فبدلا من مناصرة المظلومين كان واقع البابوية معاونة المعتدين الظالمين .

ويكشف عن هذا الواقع المؤلم الأستاذ / غلال الفاسى^(٩) بقوله :

وقف " البابا " دائما من الاستعمار موقف المؤيد ، وقد كانت بعض حكومات المغرب قد
أملت خيرا فى بعض البابوات عساهم يؤثرون على الدول الخاضعة لنفوذهم الروحى فيخففون
من حملاتهم العدائية ، وهيهات .

قال : وأنا أحكى قصتين وقعتا لى ونحن فى أشد المواقف أيام جهادنا لتحرير

البلاد من الاستعمار الفرنسى :

الأولى : توجهنا باسم حزب الاستقلال أنا وصديقى المجاهد " عبد الرحمن انجاسى " إلى أمريكا الجنوبية لتتصل بشعوبها وحكوماتها شارحين قضيتنا راجين أن تصوت هذه
الدول لمصلحتنا فى المحافل الدولية ، فكان يتبعنا حيث اتجهنا - تارة يسبقنا وتسارة
يلحقنا - الوزير الفرنسى " بول رينو " مبعوثا من قبل حكومته ، كما كان يتبعنا قسيس
لبنانى مبعوثا من طرف الكنيسة وعلما أن إرساله تم بطلب من فرنسا وموافقة من " البابا " وقد قاما
بجهود كبيرة ضدنا ومع ذلك فقد انتصرت دعوتنا والحمد لله ، وحصلنا على
تأييد إخواننا العرب وصوت معنا كل الدول التى زرتها " كالبرازيل " و " الأرجنتين " و " شيلي " وغيرها .

الثانية : دخلت سنة ١٩٥٢م مستشفى " الأميرة فريال " لإجراء جراحة بالكلية اليسرى
وكنت أشكو من وجود أحجار بها وبلغنى وأنا فى انتظار العملية نبأ اعتقال الفرنسيين
للشيخ " عبد الواحد بن عبد الله " من علماء " الرباط " وكان يدعو فى دروسه إلى
تقدير التضحية والاستبسال فى نصرة الحق وتسأل لماذا يضيق الفرنسيون بكفاحنا لتحرير
بلادنا ، ويعدون ذلك جرما وهم يقدسون السيدة " جان دارك " لأنها بذلت وسعها
فى وطنها ؟ أليست لديهم مثالا يحتذى ؟ ولم يعجب هذا الكلام إدارة الحماينة

(٩) غلال الفاسى (١٣٢٦ - ١٣٩٤هـ = ١٩٠٨ - ١٩٧٤م) أو (محمد غلال) بن
عبد الواحد بن عبد السلام بن غلال بن عبد الله بن المجذوم الفاسى الفهرى
زعيم وطنى من كبار الخطباء العلماء فى المغرب ولد بفاس وتعلم بالقرويين جاهد
الاستعمار الفرنسى وعارض الظهور البربرى ١٩٣٠م فأثار أهل المغرب ضد الاستعمار
واعقل ثم نفى وبعد استقلال المغرب تولى وزارة الدولة للشئون الإسلامية وتوفى فى
بخارست بـرومانيا ثم نقل جثمانه إلى الرباط (يراجع الاعلام المجلد (٤) ص ٢٤٦) .

الفرنسية فقررت اعتقاله ووافق الاعتقال أن بعض الناس كان يدعو للتقارب بين المسيحية والإسلام ، فكتبت رسالة " للبابا بيوس الثاني عشر " منيها إلى ما حدث ، وذكرا بسان على ما سلم لديه هذا التفتح الفكري لا يسوغ أن يلقي هذا المسلك ، وأنه لن يعقب هذا إلا توسيع شقة الخلاف بين مسلمي المغرب والنصارى المقيمين فيه وزارني بعد تحرير الرسالة الأستاذ " ماسنيون " المعروف بتدينه ، وإخلاصه الشديد لمسيحيته ، فأنعم النظر فيها ثم قال لي : هل أنت مخلص فيما تبديه من رغبة التقريب بين المسلمين والمسيحيين على أساس القيم الأخلاقية المشتركة بين الدينين ؟ قلت نعم أيها السيد الجليل ولولم أكن مخلصا ما كتبت هذه الرسالة في وقت أتهيا فيه لجراحة خطيرة قد ألقي فيها رسي وأنا أطلع إلى عفوه قال : ثقي أن " البابا " لن يستجيب لك ولا لغيرك لأنه يأخذ المال من الصهانية ولما رأي استغفرت قوله قال لي : ياسيد علال لا تستغرب ، وما يفعله " البابا " لا يجعلني أتخلي عن مسيحيتي ، كما أن قولي هذا لا يخرجني عن ديني الذي تعلم مقدار تمسكي به .

والبابا الذي تحدث عنه " ماسنيون " غير " البابا " الذي أصدر الوثيقة الشهيرة بتبرئة اليهود ترى كم أخذ الأخير؟ (١) .

صدق " ماسنيون " حين ذكر أن " البابا " يأخذ المال من الصهانية وبواسطة المال ، ومن أجل الحصول عليه تنازلت البابوية عن كثير من التقاليد المسيحية ولقد أتاحت سيطرة اليهود المالية والاقتصادية نفوذا سياسيا عاتيا لليهودية ، فاستحوذوا على ثقة ولاية الأمور إذ كانت حاجة الملوك والحكام إلى المال - خصوصا في أوقات الحروب - باعنا على حرصهم على مرضاة اليهود وتلقهم لإمدادهم بالقروض ، حتى أن " البابا " حين لجأ إلى مصرف " روتشيلد " (٢) يستقرضه سمح لشارل " روتشيلد " بتقبيل يده تكريما له وأغفاء من تقبيل قدميه كما جرت العادة بذلك . (٣)

ولم يقتصر الأمر على معافاة البابوية لليهود من تقبيل أرجلها كما جرت العادة بذلك ، وإنما امتد إلى حماية البابوية للصهيونيين ، ويد " الفاتيكان " منذ أوائل

(١) قذائف الحق للشيخ / محمد الغزالي ص ١٢٠ و ١٢١ بدون عدد للطبعة طبع

بيروت ١٣٩٣ هـ .

(٢) روتشيلد (ماير انسلم) (١٧٤٣ - ١٨١٢ م) مصرفي يهودي ألماني الأصل جد أسرة روتشيلد الشهيرة بفنائها وسمى المصرف المذكور باسمه . (يراجع المنجد في العلوم ص ٣١١) .

(٣) الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٣٧٧ .

القرن العشرين مظلة لليهودية ، ولو انكشف ظله عنها بعض الشئ ، ناله اللوم وحفه التشهير
ويكشف الأمر المذكور ما يأتي .

موقف اليهود من البابا " بيوس الثانى عشر "

هذا الموقف يحدد سلوك كل من اليهود والبابوية حيال الآخر وذلك أنه فيما
بين عامى ١٩٦٠م ، ١٩٧٠م ظهرت مسرحية المندوف ، وهى تمثل صورة لتقصير البابا
" بيوس الثانى عشر " تجاه اليهود وقت الغزو الهتلرى .

وقد علقت مجلة الطائفة اليهودية الإيطالية على المسرحية مدافعة عن " البابا " الذى
شهريه اليهود لكسها آخذته على تقصيره فى حقهم فقالت :
إنه على أثر الهجوم الألمانى على الحى اليهودى فى " روما " فى أكتوبر (تشرين
الأول) عام ١٩٤٣م وجه " البابا " " بيوس الثانى عشر " أحد رجال الفاتيكان إلى القائد
الألمانى " شتاهل " يطلب إليه إيقاف ترحيل يهود " روما " حفظا للعلاقات السليمة
بين الفاتيكان والحكومة الألمانية وألح رسول " البابا " إلى أن عدم وقف الاعتقالات لليهودية
قد يضطر قداسه إلى اتخاذ موقف المقاومة العلنية .

وفى اليوم التالى أبلغ الجنرال الألمانى " شتاهل " رسول " البابا " أن " هتلر "
أمر بإيقاف عملية الاعتقالات نزولا عند رغبة الفاتيكان .

وتعلق المجلة اليهودية على هذا التصرف فتقول : " وهكذا فلا يخطئ الناس حين
يعتقدون أنه كان باستطاعة " البابا " أن يعمل الكثير ضد المجازر التى تعرض لها اليهود
فى أوروبا الهتلرية وعلى أى حال فإن أفراد الجالية اليهودية فى إيطاليا يؤثرون ذكر
ما فعله - لا ما لم يفعله - البابا " بيوس الثانى عشر " (ج . ك - ١٩٦٣/٦/٧م) .^(١)

وعرف اليهود وزعمهم بالرغم من قلة عددهم فاستحسنوا من " البابا " ما أيدهم فيه
وردوا عليه مجرد سكوتهم ، فى وقت لم تتح الظروف فيه " للبابا " أن يدافع عن اليهود
حين كانت النازية بألمانيا تقوم بتأديبهم نتيجة لغدرهم .

(١) الصهيونية فى الستينات (الفاتيكان واليهود) ص ٥٤ .

مسرحية المنسذوف

" The Represe Ntativa "

هى مسرحية من تأليف شاب ألمانى بروتستانتى يدعى رولف هوشهوت ، وهى تشمل بصفة رئيسية على انتقاد مرير " للبابا " " بيوس الثانى عشر " بحجة أنه سكت على الجرائم النازية التى تعرض لها اليهود .

وقد سلطت الصهيونية أضواءً بالغة القوة على هذه المسرحية فى الإذاعات ، والتلفزيون والصحافة فى أوربا وأمريكا وإسرائيل ما أدى إلى ردود أفعال قوية تمثلت فى التظاهرات التى قام بها الكاثوليك فى أكثر من بلد أوربى كما وجه بعض أفراد مسن الجماهير المسيحية فى أوربا تهديدات بالقتل إلى المثليين الذين لعبوا أدوار المسرحية ومنهم المدعو وليامز الذى مثل فيها دور ايخمان .^(١)

وحدث كل هذا فى الفترة التى ظهرت فيها المسيحية من عام ١٩٦٠م — ١٩٧٠م ، ولم يشفع " للبابا " المذكور دفاع الذى جاء عقبه وهو البابا " بولس السادس " فقد ذكر راديو إسرائيل بتاريخ ١٢/٣/١٩٦٤م أن البابا " بولس السادس " دافع مرة أخرى عن سياسة البابا " بيوس الثانى عشر " أيام الحرب العالمية الثانية وذلك فى حفل إزاحه الستار عن تمثال " بيوس الثانى عشر " فى كنيسة الفاتيكان وأضاف الراديو أن هذه هى المرة الثالثة التى يدافع فيها البابا " بولس السادس " عن " بيوس الثانى عشر " منذ نشر مسرحية المنسذوف .^(٢)

والمعروف أن البابا " بولس السادس " قدم خدمات لليهود لاتنس ويكفى — ما أذاعته وكالة " رويتر " من " جنيف " بسويسرا بتاريخ ٩/٤/١٩٦٤م تصريحاً للدكتور " هانز دوتش " المحامى الدولى والناشر ورئيس المؤسسة الثقافية فى " برن " (*) جاء فيه أن قداسة " البابا بولس السادس " تعهد ببذل ما فى وسعه من جهد لخلق روح التعاون والتسامح بين المسيحيين واليهود وقال الدكتور " دوتش " الذى اجتمع بقداسة " البابا "

(١) المرجع السابق ص — ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص — ٥١ .

(*) " برن " عاصمة سويسرا الفدرالية " وقاعدة إقليم " برن " على نهر الأرفة

أهلها الألمانية وسها جامعة ، ومنظمة اتحاد البريد الدولى يراجع المنجد فى العلوم ص — ١٢٧ .

اجتماعا خاصا : أن البابا صدق على نداء فيه محاولة لإنهاء التمييز وسوء التفاهم القائم بين اليهود والمسيحيين منذ قرون .^(١)

وتحت ستار إزالة العداء لليهود ، تتوالى من قبل القيادة الفاتيكانية التبريرات لما ترتكبه الصهيونية العالمية من إجرام في حق الشعوب ، وخاصة الشعب المسلم .

واستدروا عطف العالم بإشاعة أن النازية قذفت على الملايين منهم ، وقد ألغى الكرد ينال أغسطس " بيا " من " ألمانيا " ورئيس سكرتارية الوحدة المسيحية ، ومقدم مشروع الوثيقة كلفة اجتماع المجمع المسكوني الثاني دافع فيها عن مشروعه وكان ما قال :

إن ما يدعو إلى وجوب بحث هذه المسألة هو سيطرة العداء لليهودية ، منذ عشرات السنين في بعض المناطق واتخاذ صورة إجرامية ، كما حدث في ألمانيا وإبان حكم النازي حيث قتل ملايين اليهود .^(٢)

وهي نغمة مكررة تستجلب بها إسرائيل عطف الدول الغربية وتبتربها أمم وال " ألمانيا " على أنها تعويض لما حدث لهم في الماضي بالإضافة إلى تخفية جرائم الصهيونية في الأراضي العربية الإسلامية .

ولقد ذكر " أبا إيمان " سفير إسرائيل ووزير خارجيتها فيما بعد في مذكرة قدمها لحكومة " أميركا " أن على الحكومات المتصرفة في شؤون " ألمانيا " إلزامها بدفع ألف ألف وخمسمائة مليون دولار كتعويض لستة ملايين من اليهود أهدر هتلر دماءهم .

وقد ذكر هذا الرقم عشرات المرات ما دعى " جون بيتي " صاحب كتاب الصهيونية لعمتها " أميركا " إلى القول : وكيف أحصوا عدد ضحايا هتلر ؟ .

فموجب آخر الإحصاءات الرسمية الموثوق بها ، بلغ عدد يهود العالم زهاء ٦٣٨ ر ٧١٣ ر ١٥ نسمة ، بينما بينت الإحصاءات الرسمية قبل الحرب أن عددهم كان ٣٥٩ ر ٣١٩ ر ١٥ فهم إذن لم ينقصوا بل زادوا إبان الحرب فكيف ذلك ؟ .

وما هو السر في الزيادة ، وهتلر كما يقولون تخرم أنفاس ستة ملايين ؟ إن عدد اليهود في ألمانيا كان في عام ١٩٣٩م حوالي ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٦ نسمة .

(١) المرجع السابق ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

فتنح الكثيرون منهم إلى الولايات المتحدة بينما هاجر بعضهم إلى فلسطين وبقى البعض الآخر في ألمانيا أما بصدد اليهود الذين كانوا يعيشون في شرق أوروبا فقد فروا من وجه الغزو الألماني إلى روسيا .

وقد جاء منهم بعد ذلك عدد كبير إلى الولايات المتحدة وإلى فلسطين وإيران ورجع آخرون إلى موطنهم الأول في "أوروبا" ليؤلفوا من أنفسهم نواة الحكم الشيوعسي فيه فمن أين جاء هتلر بالملايين الستة التي أهلكها ؟ (١)

إن ما حدث لليهود في "ألمانيا" كان بناءً عن خطة موضوعة بين زعماء الصهيونية والنازية فقد رأت الصهيونية أن تسوق اليهود إلى فلسطين ، فقابلتها مشكلة ارتبساط اليهود بالبلاد التي يقيمون فيها خلال الشتات فتمخض التفكير الشيطاني الصهيونسي عن ضرورة إحداث مذابح لليهود في البلاد التي يستقرون بها حتى يجبروا اليهود على الفرار إلى فلسطين لتكون وطنًا قوميًا لهم ، وتم الاتفاق بين الزعماء الصهاينة وبين إختنان على ما ارتكب من مجازر .

ولقد أثبت "جارودي" بالوثائق الرسمية من قلب إسرائيل أن التعاون المخلص كان هو الموقف الثابت بين الصهيونية مثلة في أقطابها وايزمان ، وبين جورريون ، ومناحم بيجين ، وإسحاق شامير ، وفريق من الزعماء الذين ماتوا أيضا ، وبين أجهزة الحزب النازي والحكومة الهتلرية . (٢)

فلم يكن القصد إبادة الجنس اليهودي ، في هذه القضية المرسومة وإنما إقامة وطن يهودي في قلب الأمة الإسلامية محاطا بهالة من عطف العالم حتى يضمنوا له البقاء .

أيهما أقرب للنصارى المسلمون أو اليهود

أثبت التاريخ الصادق أن المسلمين على مدار الزمن تسامحوا مع غيرهم من الأمم والشعوب أصحاب الملل والنحل المختلفة وخاصة مع المسيحيين ، ويشهد الواقع أن الأقليات

(١) الصهيونية لعبتها أميركا جون بيتي ص ١٥ ١٦٦ دار النشر للجامعيين بدون تاريخ .

(٢) أخبار السبت (العدد ٢١٦٩ - السنة الثانية والأربعون) ص ١٠ من مقال للدكتور

عبد الصبور شاهين بعنوان (فلسطين أرض الرسالات والنبوءات للفكر الإسلامي رجاء

جارودي " ١٦ من رمضان ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦/٥/٢٤ م .

ومن أراد المزيد من معرفة صور التعاون الصهيوني النازي فليرجع إلى كتاب (فلسطين

أرض الرسالات الإلهية تأليف رجاء جارودي ، ترجمة د / عبد الصبور شاهين ص ٣٨٨

- ٤٠٠ مطابع المختار الإسلامي ١٩٨٦ م .

المسيحية نالت ولا تزال تحظى من عدل الإسلام ورعايته ما لم تنله أقلية مسيحية تحت رعاية
أمة أخرى من الأمم غير المسلمة ، وقد عاش النصارى فى ظل مجتمع الإسلام عيشة أرقى
آلاف المرات من حياة الأقليات الإسلامية التى اضطهدت ، وما زالت تعاني من أبشع الاضطهادات
على أيدي المسيحيين .

والواجب يحتم على النصارى أن يبادلوا المسلمين المودة فالإسلام قرب صلتنا بهم
(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مسودة
للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) (١)

فنحن المسلمين أقرب صلة بأتباع عيسى عليه السلام وألصق بهم زمانا وعشرة ، ونؤمن
بعيسى رسولا من عند الله تعالى وكنا نود أن تكون المعاملة بالمثل ، لكن بلغ السيل الزوى
وتكاتف المسيحيون مع اليهود أعدائهم ، وأعداء الإنسانية وتناسوا جرم اليهود فى حقهم
على مدار الزمن ، وكل ذلك على حساب الإسلام والمسلمين ، ووصل بهم الأمر أن ضربوا
عرض الحائط بأقوال " بولس " فى حق اليهود " الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدوا نسا
نحن وهم غير مرضين لله وأعداد لجميع الناس ينعوننا عن أن نكلم الأمم لكن يخلصوا
حتى يتموا خطاياهم كل حين ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية (٢)

ثم تفاضوا عن أقوال اليهود الفناوثة لهم بل وتعاشوا عما هو وارد فى البروتوكولات
من قولهم " لقد اهتمنا بإسقاط هيئة الإكليروس عند الأمميين ولقد خطونا خطوة عظيمة
فى هذا السبيل فأصبح نفوذ الإكليروس على الشعب يتناقص ولن يمر القليل من الأعوام حتى
يتلاشى الدين المسيحى .

وهو ما تسعى إليه اليد الصهيونية التى تريد محو الدين لتضع مكانه تعليمات أبناء
صهيون ويكفى أتباع المسيح عليه السلام ما ذكر فى التلمود من إهانة وسب " يسوع " يقول
الدكتور جوزيف باركللى : إن الطبعات الأولى من التلمود شملت كثيرا من كلمات السب
والشتم ضد سيدنا المسيح عليه السلام ، والمسيحية ولكن الطبعات الأخيرة لاتشمس
إلا القليل جدا بعد أن طهرتها الكنيسة ومن طبعات التلمود التى كانت تسب وتشتم
سيدنا " المسيح " طبعة أمستردام (*) لسنة ١٦٤٥ م ، وقد نعت فيها المسيح بكثير من

(١) سورة المائدة الآية ٨٢ .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي (٢ : ١٥ ، ١٦) .

(*) أمستردام : عاصمة هولندا ، النجد فى العلوم ص ٦٥ .

الكلمات التي تشين مثل أحق ، مجذوم ، غشاش بنى إسرائيل^(١)

فهل أبصر رجال الدين المسيحي مثل هذا الكلام ؟ ، بالطبع شاهدوه بعيونهم وقرأوه بألسنتهم ، لكنهم تحدثوا باليهود ، وكانت أمانة الدين تحملهم مسئولية بيان هذه الأمور لمن يرفعونهم في أعلى شيء على الإنسان لكنهم خانوا الأمانة وطرحوا الدين وراءهم ظهرياً .

وصادقوا اليهود ، وتوجهوا إلى كل الطوائف المسيحية بالدعوة لمصادقتهم ، وفي الوقت نفسه عادوا المسلمين الذين يحبون المسيح عليه السلام كحبهم لرسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

التحالف اليهودي المسيحي

إلتقت الأهداف اليهودية مع الأهداف المسيحية التبشيرية ثم ظهرت الصلة بينهما في صورة تحالف رسمي قال عنه المستشار / محمد عزت إسماعيل الطهطاوى :

ولقد كان أول تحالف رسمي بين اليهود والمسيحيين عام ١٥٠٥م ، وذلك بهدف القضاء على الكيان الإسلامى فقد كتب دافيد روينس مشروعاً وقدمه إلى " البابا " فحسوا

- ١ - إحتلال العالم الإسلامى .
- ٢ - إنتزاع الأرض المقدسة من المسلمين .
- ٣ - إحتلال اليهود لفلسطين .

وحقق التحالف الصهيونى المسيحى مشروع روينس ، فاحتل الغرب المسيحى بلاد المسلمين عسكرياً وفكرياً ، ثم اقتصادياً ، ومكن الغرب إسرائيل من احتلال " فلسطين " ، وتجراً اليهود فاستولوا على الأماكن المقدسة عند المسلمين والمسيحيين على السواء بالقتال الضارى والعدوان الصارخ والمدعم بكل القوى الاستعمارية .

يقول الأستاذ الدكتور / " محمود السمره " أثناء عرضه لكتاب فلسطين فى ضوء الحق والعدل : والذي وصفه بأنه " نوريهدى " الراغبين فى معرفة حقيقة القضية الفلسطينية ، و " نار تحرق " باطل الدعاية الصهيونية ودجلها ، ونشأ عن الحرب مشكله أخرى خطيرة هى احتلال إسرائيل لمدينة القدس القديمة ، وإخضاعها الأماكن المقدسة

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ل (ظفر الإسلام خان ص ٦١ ط (٢) دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٢م باختصار .

للمسلمين والمسيحيين لسيطرتها ، ومحاولتها الدخيلة لتهويد المدينة المقدسة دون احتفال
بالرأى العام العالمى ، وقرارات مجلس الأمن .

وقد أعربت " لجنة كنج - كرين " (١) فى سنة ١٩٦٩م عن مخاوفها من قيام
دولة يهودية فى فلسطين ، تكون مسئولة عن الأماكن المقدسة ، فقالت فى تقريرها :
(إن من المشكوك فيه أن يستطيع اليهود أن يبرزوا أمام المسيحيين أو المسلمين بوصفهم
الحراس الصالحين على المقدسات ، أو المسئولين عن الأرض المقدسة ، أما سبب ذلك
فهو أن أقدس الأماكن عند المسيحيين وهى التى تتعلق بالسيد المسيح ويقدها المسلمون
أيضا ، لا يقتصر الأمر على كونها غير مقدسة لدى اليهود ، بل إنهم يكرهونها ولما كانت
الأماكن المقدسة للرسالات الثلاثة مقدسة عند المسلمين فإن من الطبيعى جدا أن يتولوا
هم حراسة هذه البقاع المقدسة على نحو أبعد على الرضا ما يستطيعه اليهود .

وقد حدث ما خشيته لجنة كنج - كرين ، فى ٢١ أغسطس " آب " ١٩٦٩م -
أضرمت النار بالمسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وأصيب بأضرار
بالغة . (١)

وقبل هذا التاريخ حاول اليهود تدمير مسجد الصخرة ، والمسجد الأقصى توطئة
لإعادة هيكلي سليمان من جديد على أنقاض معالم المسلمين والمسيحيين على السواء ،
ومن أجل طمس المعالم الأثرية والدينية لغير اليهود قامت إسرائيل برسم خرائط لمعالم
فلسطين انتزعوا منها كل المعالم الإسلامية ، والنصرانية ، ونشروها مزينة بالهيكل يعلوها
الشعار القوس والدينى للصهيونية وقد نشرت " لجنة صهيون " بيانا فى جريدة نيويورك
تايمز الأمريكية بتاريخ ١١ يونيو عام ١٩٦٨م ضفته خريطة لمدينة القدس وقد خلا منها المسجد
الأقصى وقبة الصخرة وجعل مكانهما ميدان الهيكل . (٢)

كما لم يوجد بها آثار واضحة للمسيحية أيضا هذا فضلا عن الاعتداء المستمر المتكرر
على قدسية كنيسة القيامة وسرقة تاج العذراء وإشعال النار عمدا فى دير راهبات القربان

(١) " لجنة كنج - كرين " لجنة دولية أوفدت إلى فلسطين لبحث حالة السكان وبدأت
عملها بيانا فى ١٠ يونيو ١٩٦٩م وهى مؤلفة من عضوين الدكتور (كينج - والستر كراين)
وثلاثة مستشارين وقد بحثت الحالة فى مدن فلسطين والبلاد المجاورة (يراجع وثائق
الحركة الوطنية الفلسطينية من أوراق أكرم زعيتر ص ٢٢٠ و ٢٣٠ طبع مؤسسة الدراسات الفلسطينية
بيروت لبنان بدون تاريخ) .

(١) مجلة العربى (العدد ١٣٨ - إصدار وزارة الإرشاد بالكويت) مايو ١٩٧٠م = صفر
١٣٩٠ هـ - كتاب (فلسطين فى ضوء الحق والعدل) تأليف (هنركتن - صدر بالإنجليزية
- وترجمته للمربية (مكتبة لبنان) بيروت عرض الأستاذ / محمود السمرة ص ١٤٩ .

(٢) الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٢٢ .

وأحراق كيسة الاباء البندكت (١)

وغير ذلك مما لا يعبه الحصر ، وكل هذا يؤكد عداة اليهود تجاه المسلمين والمسيحيين ، وهو عداة ديني بحث يؤكد سعى اليهود الدائب لمحاربة المسلمين في كل مكان ، وهم يستخدمون المسيحيين في العدوان على المسلمين لارغبة فيهم وانما استنصارا بهم حتى تلج لهم فرصة ضربهم أيضا فتحالف الصهاينة مع النصارى تحالف إسمي وشكلي فقط وكونهم ركيزة للمسيحيين مؤقت أيضا وإن كان هذا يؤدي الدور المضاد للإسلام والمسلمين في كل مكان بشكل يشير إلى صداقة أتباع الملتين ، وقد تبدو صورة التحالف سافرة كما هو الحال ضد مسلمي الفلبين .

صورة من التحالف الاسرائيلي المسيحي

توضح صورة هذا التحالف العداة للمسلمين في أبشع صورة عرفها التاريخ الحديث فسلمى الفلبين قلة مجردة من أسلحة الدفاع ، في مواجهة كثرة مسيحية في يدها السلطة الصليبية يعتادها وعدتها ، ولكن الصهيونية العالمية تتحسر حين ترى القلة المسلمة صامدة بإيمانها في هذه البقعة أمام الكثرة الصليبية الحاكمة ، فتتظر إليها وكأنها مستبظة لمخطط الإجهاض الصليبي لسلمى الفلبين فتدخل مسرعة للإجهاض عليهم ، بوضوح خطة مشتركة مع "ماركوس" لإيادة المسلمين والتي وصفها مجلة الأزهر بأنها : "مأساة المسلمين في الفلبين" وذكرت صورة لهذا التحالف الهادف إلى إيادة المسلمين بقولها ففي زيارة جولدا مائير للفلبين عام ١٩٦٤م - وكانت يومئذ وزيرة الخارجية لإسرائيل - إنتهى إجتماعها بالزعماء المسيحيين إلى اتفاق تتحمل فيه إسرائيل مساعدة الفلبين بمعونات مادية ومعنوية إشتراطت جولدا مائير مقابلها أن يعمل المسيحيون بكل طاقتهم على امتلاك الأراضي الإسلامية في الجنوب ، وتسلم "فرديناند ماركوس" رئيس الجمهورية عشرة ملايين دولار مساعدة من إسرائيل أعقبها شحنة أسلحة سلمت جميعها إلى عصابة "ابلاجوس" التي تمسارس قتل المسلمين وتشريد هم (٢).

وبالرغم من مقاومة المسلمين الباسلة لهذه العصابات المدربة إلا أنهم يضطرون تحت مساندة الجيش والبوليس الفلبيني للعصابة إلى ترك أراضيهم في الجنوب بعد التضحية

(١) يراجع : الكيسة ومزاعم اسرائيل السبعة للأبنا غريغوريوس أسقف عام للدراسات اللاهوتية العليا ص ٢٢ بدون عدد للطبعة مطبعة دار العالم العربي ١٩٧٣م .

(٢) مجلة الأزهر (ج ٢ - السنة ٤٤) ص ١٨٩ عام ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

بجل أبطالهم •

ويشهد بذلك الدكتور / محمد محمد زيتون : والمسلمون لا يتركون أرضهم إلا بعد أن يقدموا كثيرا من أبطالهم شهداء في مقاومة جماعة (ابلاجاس) وهي تنظيم سرى هدفه الاستيلاء على الأرض التي يملكها المسلمون وقد درب أفراد هذه الجماعة على حرب العصابات في إسرائيل ووجد كثير من المدافع الرشاشة الإسرائيلية في حوزتها وهذه الجماعة تعد من أخطر الجماعات الكاثوليكية تعصبا ضد المسلمين حيث يعملون على إبادة المسلمين والاستيلاء على أرضهم وتحت ضغط قواهم المتفوقة على المسلمين في العدد والسلاح يترك المسلمون أرضهم لينضموا إلى معسكرات اللاجئين المسلمين التي تضم اليوم مايزيد على خمسين ألف لاجئ • (١)

وتكشف "مجلة الأزهر" ستر هذا التحالف المعادي للمسلمين والمدعم بكل وسيلة إجرامية بقولها : وقد استحكم التحالف الإسرائيلي المسيحي في مخططة التنفيذ باثنين من الصهاينة هما :

"مانويل اليسالدي" مستشار "فرديناند ماركوس" لشئون الأقليات ، والجنرال - "هانز متزي" مستشار "ماركوس" الخاص وكلا الرجلين يملكان مزارع شاسعة في جنوب الفلبين حيث يسيطر المسلمون ويقفون حجر عثرة في سبيل توغل النفوذ الإسرائيلي وكسان بإمكان الرجلين أن يحركا كل القوى التنفيذية والضاربة لإبادة المسلمين توافقهما في ذلك رغبة الحكومة الفلبينية في تشجيع التبشير •

موقف الأزهر ازاء محنة المسلمين في الفلبين

نظرا للحال التي وصل اليها مسلمو الفلبين دعا فضيلة الإمام الأكبر "مجلس الأزهر الأعلى" ، و "مجلس مجمع البحوث الإسلامية" إلى اجتماعين طارئین اتخذت فيهما القرارات التالية :

قرارات المجلس الأعلى للأزهر

عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته الطارئة الثالثة والعشرين في الواحدة من بعد ظهر يوم الأربعاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٩٢م الموافق الأول من مارس سنة ١٩٧٢م ، للنظر في الحادث الأليم الذي حل بالمسلمين في جنوب الفلبين على أيدي المصائب

(١) المسلمون في الشرق الأقصى (الفلبين - إندونيسيا - ماليزيا) دكتور / محمد محمد زيتون ص - ٤٩ بدون عدد للطبعة طبع دار الوفاء للطباعة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م •

الكاثوليكية وانتهى بشأن ذلك إلى القرارات الآتية :

- ١ - إرسال وفد من علماء الأزهر فوراً إلى الفلبين للاتصال بالمسؤولين والمسلمين هناك للعمل على تسكين الفتنة ووقف الاضطهاد .
 - ٢ - إرسال برقية إلى المؤتمر الإسلامي المنعقد الآن في جدة للعمل السريع على إنقاذ مسلمي الفلبين من هذه الاضطهادات والمذابح التي تنزل بهم .
 - ٣ - تفويض فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى في الاتصال بالحكومات الإسلامية لبذل جهودها العاجلة فيما يدفع هذه الكارثة عن المسلمين في الفلبين .
 - ٤ - الموافقة على اشتراك الأزهر في المؤتمر الإسلامي الأول الذي سيعقد في " مانيللا " في شهر يونيو سنة ١٩٧٢م لمناقشة مشاكل المسلمين هناك .
- وقرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية إرسال البرقية التالية إلى مؤتمر وزراء الخارجية وقد رفعها فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر .^(١)

إن وقفة الأزهر أمام هذا التحالف الصهيوني المسيحي لها وقعها في نصرة الحق وإنقاذ المستضعفين في الأرض إنه يبعث فريضة الجهاد من جديد ويدعو المسلمين في كل بقاع الأرض إلى الصمود والتذرع بهذه العقيدة لتحرير المستضعفين من الرجزال ومن النساء والولدان ، ولذا لم تهمل ولم تعطل عقيدة الجهاد وآية ذلك بقـ... المسلمين في الفلبين أربعة قرون أو يزيدون ، يكافحون بروح الإسلام الأسبان الصليبيين وتحرير أرض الجزائر من أيدي الفرنسيين ، والسعى الدائب لتحرير فلسطين .

وكان رأي الأزهر في حسم الموقف في الفلبين يتشمل في أمرين :

- ١ - أن تبعث على الفور نداءات من شتى الدول الإسلامية ليتدخل رئيس الفلبين كسي يضع حدا لهذا العدوان الأثيم .
- ٢ - أن يتجاوب المسلمون في بقاع الدنيا لتجدة إخوانهم في الفلبين على النحو الذي يفرضه كتاب الله على كل مسلم .^(٢)

الفوائد التي جناها اليهود من التحالف مع المسيحيين

حقق اليهود من وراء تحالفهم مع المسيحيين مكاسب كثيرة ألخصها في الآتي :

- (١) مجلة الأزهر . (ج ٢ - السنة ٤٤) ص ١٩٠ ،
- (٢) المسلمون في جزر الفلبين " جهادهم ومطالبهم الدكتور / رؤف شلبي ص ١٥٦ ط (١) دار الحامى للطباعة بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

١ - أُنقذ اليهود المسيحيين بأنهم أقرب الناس إليهم ، وتمكنوا من ضم التوراة (كتاب العهد القديم) إلى الأناجيل المسماة كتاب (العهد الجديد) تحت اسم (الكتاب المقدس) ، ونجح اليهود في جعل أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام تبعاً لهم ، في بعض أمور الدين ، فسخروهم في أمور الدنيا .

٢ - حقق لهم هذا التعاون الأثيم الاستيلاء على فلسطين فاغتصبت من أيدي المسلمين بالمكر والخديعة مع القهر وسفك الدماء .

٣ - مكن المسيحيون اليهود من الاستيلاء على فلسطين ولولا الصليبية ما تمكنت إسرائيل من إقامة دولة لها ، فلولا الانتداب الإنجليزي على فلسطين ما تحقق هدف - إسرائيل وقد شارك إنجلترا في معاونة الصهاينة فرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي .

٤ - لم تقتصر أطماع الصهيونية عند الاستيلاء على فلسطين بل تمتد لتشمل من النيل إلى الفرات ، وأكثر من هذا والخرائط الإسرائيلية تشير إلى هذا التوسع ولقد سئل " وايزمان " عما يعنى تماماً بالوطن القوي ، فرد بجوابه المشهور أن تتاح لنا فرصة لنبنى بالتدرج قومية في فلسطين ، هي لليهود بمقام الأمة الفرنسية للفرنسيين والأمة الإنجليزية للإنجليز .

٥ - إزداد حقد المبشرين على المسلمين حتى وصل بهم الأمر إلى التجسس لخدمة إسرائيل ، ولقد نشرت مجلة الشرطة والأمن العام بدمشق في كانون الأول ١٩٥٣م - ٩ ربيع الآخر ١٣٧٢ هـ مقالا عن داعية ومبشر أمريكي " إسمه والفباني " يدعى أنه يدير جمعية للتقارب المسيحي ، مع أن اسم جمعيته الحقيقي جمعية التقارب المسيحي اليهودي ، ويعمل على مساعدة اليهود والدس على العرب ، والتجسس عليهم وتشويه سمعتهم ، مع أنه كان يرتدي ثياب المبشرين .

وغير هذا المبشر من كانوا يعملون بإتقان ضد العرب والإسلام كثيرون ، لكن فسى صمت حتى يتعذر إقامة الدليل والبرهان على كيدهم خصوصا وأن حكوماتهم تسبغ عليهم حمايتها لخدمة غاياتها الاستعمارية^(١) ، وقد تكلم " أديسون " عن فلسطين وقت الانتداب البريطاني المشؤم الذي هباً بمساعدة من التبشير تلك القطعة العزيزة في الوطن العربي لكي تلتهمها الصهيونية فنراه يقول :

منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين إتسع التبشير البروتستانتي وأخذ المبشرون يستخدمون

(١) يراجع : التبشير والاستشراق (أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم) سلسلة مجمع البحوث الإسلامية) للمستشار / محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص ١٠٢ - ١١٢ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

كل شكل من أشكال التبشير استخداما فعلا ، من ذلك التبشير الجماعي ، والتبشير الفردي ، ومن ذلك توزيع الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى ، وكذلك التعليم الابتدائي والثانوي ، حتى أصبح في " فلسطين " ٤١ مدرسة تضم ٤٨٠٠ أربعة آلاف وثمانمائة تلميذ .

ثم هناك الأعمال الطبية والمستشفيات والمستوصفات والأعمال الاجتماعية ، التي تقدمها مؤسسات جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تكون مجلس مسيحي سنة ١٩٤٢م لمساعدة يهود فلسطين بتأثير من الصهيونيين " مانويل نيومان " الأمريكي ودعى هذا المجلس " المجلس المسيحي لفلسطين " ويضم ضمن أعضائه الذين بلغوا سنة ١٩٤٥م نحو ٢٤٠٠ عضو الكثير من الطائفة البروتستانتية الذين كانوا يرون في دعوة اليهود إلى فلسطين تحقيقا لنبوؤة الكتاب المقدس .

الفوائد التي جنتها المسيحية الغربية من هذا التحالف

جنى المسيحيون من هذا التحالف فوائد عدة ، في مقابل تحكم اليهود في جمل الدول المسيحية وتغريبها بالباباوية ، فقد قدم اليهود للمسيحيين في الغرب كل ما عرفوه عن أحوال المسلمين في موطن الضعف والقوة ، وقد ساعدتهم في تقديم المعلومات الدقيقة عن المسلمين لأهم الغرب تغلبهم في الدول الإسلامية وتسامح المسلمين المفرط ، وكل هذه الأمور مكنت دول الغرب من السيطرة على الدول الإسلامية عسكريا ، وفكريا ، واقتصاديا

رأى المبشرون أن في جمع اليهود في فلسطين ما يسهل عليهم مهمتهم في الوصول إلى المسلمين ، لذلك كثرت الجمعيات التبشيرية وتثند حتى وصلت في عددها إلى ٢٧ جمعية مختلفة الجنسيات ، وكانت تعمل بلا ملل أو توقف في فلسطين .

توقع المبشرون من وجود اليهود في فلسطين حدوث قلاقل وحروب وهذا ما يعملون من أجله ، فهم لا يصيدون إلا في الماء العكر ، فإثارة القلاقل بأنواعها المختلفة من سياسية واجتماعية ، وأخلاقية ، واقتصادية فضلا عن تمكين البشريين من القيام بأعمالهم تجعل الدول الأوروبية تتدخل من حين لآخر كحكم بين الخصمين المتحاربين .

المبشرون لا يخافون اليهود ، ولكنهم يخافون من المسلمين ولأن التبشير في صورته الحديثة ، يؤدي الدور الاستعماري في أسلوب حضاري ، فالقائمون عليه ينظرون على أن الخطر

الداهم لهم كامن في الإسلام ، ولم تتغير هذه النظرة من قديم الزمان ، فالتقرير الذي رفعه " بنرمان " رئيس الوزراء البريطاني في مطلع هذا القرن يقضى بكمون الخطر المرتقب على عامة الاستعمار الأوربي في مواطن التقاء الشرق بالغرب ، حيث الجبهة العربية العريضة التي تلتقي شعوبها عند جامعة اللغة والتاريخ والوجدان ، ولا سبيل إلى الأبقاء على الإمبراطوريات الاستعمارية التي تمتد عبر هذه المناطق ، إلا بتمزيق هذا البارء الجبار قبل أن يستتم خلقه وتستحصد قواه . (١)

فالتبشير ، والاستعمار ، والصهيونية هذا الثلاث البشع أجمعوا أمرهم على حـسـب المسلمين ، وفك شملهم وبالرغم من اختلاف وجهات نظرهم إلا أنهم التقوا جميعا حول هذا الهدف وهو " تمزيق الأمة العربية مناط الاتفاق بين هذه القوى الثلاث ، وهو الوحدة الجامعة لصالحهم المتشابكة وهم فيما وراء هذه الغاية المشتركة مختلفون في النشأة ومختلفون في الأهداف البعيدة والقرينة على السواء . (٢)

وكل يعمل من وراء الآخر لمصلحته ، ومختلفون فيما بينهم من أجل منافعهم الظاهرة والخفية .

مكن الضعف في الثالث

إذا كانت مصلحة الجميع من وجهة نظرهم في خلق إسرائيل وزرعها في قلب الأمة الإسلامية ، ظنا من الاستعمار أنه بهذا أبعد خطر الصهيونية عن بلاده واعتقادا من المبشرين أن الصدام المباشر بين اليهود والمسلمين يسهل دورهم التبشيري في بلاد الإسلام فإن الصهاينة لا يفتنون " بفلسطين " ، وإنما هي في نظرهم نقطة ارتكاز ، ومكان انطلاق يتحركون منه لامتلاك العالم كله ، والتحكم في الأميين ويؤكد هذه النظرة اليهودية ما سجلوه في البروتوكول الرابع والعشرين فدايته (والآن سأعالج الأسلوب الذي نقوى به دولة الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر) . (٣)

وخاتمته : (إن قطب العالم في شخص الحاكم العالي World Ruler الخارج من بذرة إسرائيل - لي طرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه إن ملكنا يجب أن يكون مثال العزة والجبروت) . (٤)

(١) جوانب من قضايا الأمة العربية (في الاستعمار والاستشراق والصهيونية) د / حلمي على

مرزوق ج ١ ص ١١٢ طبع دار المعارف بصر ١٩٧٠ م .

(٢) المرجع السابق ص ٤ .

(٣) الخطر اليهودي " بروتوكولات حكما " صهيون ص ٢٧٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

فغايته السيطرة على العالم كله ، وفى سبيل ذلك لا يرتبطون ب صداقة ولا يوفسون بعهد .

أما العداء بين المسيحيين الأوربيين واليهود فله مظاهر عدة منها انطواء اليهود وانعزالهم فى المجتمعات الأوربية وتحاول الدول الغربية بكافة الوسائل التخلص من شرور اليهود ، وترى وضعهم فى بقعة معينة ، وقاية لها من خيانتهم وتجسسهم وتخلصا من وجودهم المقلق ، ومن أجل إبعادهم عن حياة الغرب كان التعاون فى خلق دولة إسرائيل ، وما درى الغربيون أن وجود اليهود داخل إطار دولة أكبر خطر عليهم .

هذا وإن كثيرا من مفكرى الغرب يحذرون أمهم من وجود اليهود بها وتوغلهم فيها ، ويؤكدون أن ذلك مصدر خطر كبير ومن هؤلاء المفكر الأمريكى " جون بيتى " الذى يخشى على أمريكا من خطرهم ، ولا تقتصر النزعة العدائية على المفكرين أو الساسة ، وإنما هى متأصلة فى نفوس المسيحيين لما حل بهم من مكر اليهود وعدائهم " ولا أدل على العداء المستحكم بين الرجل الأوربى وأحلام الصهاينة من تلك النزعة الفاضحة للسامية التى رأيناها فى أبشع صورها على يد هتلر ، ومهما قيل فى هذا الصدد ، فإن الهتلريين محمولون على الوجدان الأوربى وفعلهم محمول على هذه الحضارة ولا شك كما يقول آرنولد توينبى : ولا أظن هذا العداء الخفى بين الصهيونية والاستعمار أقل ما هو بينها وبين التبشير بحال من الأحوال " (١) .

ولم يقف العداء عند حد بين الثالث البغيض ، فهين النوع الواحد منهم عمداً فهناك الخلاف والنزاع بين الصهاينة وغيرهم من عامة اليهود ، والعداء بين المسيحيين أنفسهم " فآزمة المسيحية قد استحكمت حلقاتها ، وكان لأصحاب النظريات أفكارهم الخاصة من الداروينيين ، والفرويديين ، والعقائديين وكانت شعارات الثورة الفرنسية أبلغ دليل على هذا العداء ومن أبشعها " أن اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " (٢) ولما كان الاستشراق والتبشير صنوان ، فالتبشير يتلقى العلم بلغات العرب ، وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم على أيدي المستشرقين الذين تغرغوا للبحث فى هذه العلوم والمعارف وطوعوها لخدمة أغراضهم .

وهم يدركون كما يدرك علماء اليهود ما لجدوى السبق والأصالة فى تقرير الحقائق العلمية وإرجاعها إلى مصادرها من آثار هامة فى تثبيت الإدعاءات ، ولذا فهم يتنافسون

(١) جوانب من قضايا الامة العربية دكتور / حلمى على مرزوق ج ١ ص ٧

(٢) يراجع المرجع السابق ص ٨ .

فيما بينهم ويتصارعون لإثبات سبق الحضارة لأئمتهم والصراع الخفى بينهم يظهر أحيانا
ونلاحظ اختفاءه يتم على مائدة التآمر ، الصهيونى الاستعمارى الاستشراقى التبشيرى حين
يجتمعون من أجل المكائد للعالم الإسلامى ، ويمكن الضعف فى هذا الثالث البغيض
أنهم لا يلتفون على حق واحد أو مبدأ جامع ، وإنما هى المصلحة الحالّة والمنفعة
الماجلة وهم فيما عدا ذلك من المواقف مختلفون أشد الاختلاف قال الله تعالى : (بأسهم
بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) . (١)

كشف القنصاع

سبق أن تحدثت عن الوثيقة الخاصة بتبرئة اليهود من دم المسيح وذكرت أنها
أعدت فى الخفاء .

وهنا أبين الدور اليهودى فى سياسة الفاتيكان والذى من خلاله تتضح التدخلات
الصهيونية فى السياسة الفتيكانية ، فالكردينال الذى قدم وثيقة التبرئة لمناقشتها " بالمجمع
الفاتيكانى الثانى " كان قسا مغمورا فى " ألمانيا " فاتصل به اليهود قبل ذلك ، ثم
صعدوه بوسائلهم إلى رئاسة سكرتارية الوحدة المسيحية فى الفاتيكان حتى يتثنى له تحقيق
مطالبهم .

فقد ورد فى أحد التقارير الموثوق بها عن مؤتمر " سيليج " الذى عقد عام ١٩٤٨
واشترك فيه مسيحيون ويهود أن المؤرخ اليهودى الفرنسى جول ايزاك وضع المقررات
العشر للمؤتمر .

ومن هذه المقررات استوحى الكردينال " بيا " النص المتعلق بمشروع وثيقة التبرئة
ويقول التقرير : إن جول ايزاك تعرف فى روما بكاهن ألمانى متواضع كان يؤثر البعد عن
الأضواء ، ويميل إلى العزلة وهو الذى أصبح بعدئذ الكردينال " بيا " .

كما جاء فى التقرير أن البابا الراحل " يوحنا الثالث والعشرين " استقبل المـ
اليهودى جول ايزاك فى حزيران " يونيو " عام ١٩٦٠م وأفسح له مجالا للاتصال بالكرادلة
المنفذين ، وأحال إلى الكردينال " بيا " مقترحاته ومقترحات " جول ايزاك " بشأن تحسين

الروابط بين المسيحية واليهود (١)

بقى أن نعلم أن الذي قدم مشروع الوثيقة هو رئيس سكرتارية الوحدة المسيحية في الفاتيكان وهو الكردينال "بيا" (٢).

وكان تحرك الصهيونية إلى القطاع الكاثوليكي مرحلة ضمن المراحل في خطتها ، فبعد تحريكها للحركة البروتستانتية واحتوائها بعد كثرة أتباعها ، وضمان وقوفها في صف اليهود إتجهت إلى الكاثوليك بكل الوسائل كي يقفوا في صفها " فقد عقد في الولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر لرجال الكنيسة البروتستانتية عام ١٩٤٤ م .

واتخذ مقررات لصالح اليهودية العالمية ووقع عليها نحو خمسة آلاف كاهن بروتستانتي واستغل اليهود هذه المقررات ليضعوا على كاهل الشعب الأمريكي وحكومته تبعة المشاركة الماسة لبريطانيا في الجريمة الكبرى التي كان إنشاء إسرائيل حلقة واحدة متوسطة لاغسيير من حلقاتها المتتابعة .

وبعد أن ضفت الصهيونية القطاع البروتستانتي من العالم المسيحي ، واستنفذت كثيرا من طاقاته لمصلحتها ، عدت إلى القطاع الكاثوليكي ، فشكلت الجمعيات اليهودية في شتى بقاع العالم ودست يهودا متصرين على الكهنوت الكاثوليكي ، ثم ألقت بثقلها على أبواب الفاتيكان تدفه بعنف وإصرار ، وهي تحاول جاهدة أن تفتحه لإسرائيل تمهيدا لاعتراف الفاتيكان بها ، وما يمثله هذا الإعتراف من قوة أدبية ضخمة لإسرائيل والصهيونية في كافة أنحاء العالم . (٣)

وخطوات باباوات الفاتيكان منذ الستينات في القرن العشرين للميلاد تنجبه نحو خدمة السياسة الصهيونية وتهدد للإعتراف بالكيان الصهيوني الاستعماري في قلب بلاد الإسلام .

الزيارة البابوية لفلسطين

تحرك " بابا روما " لزيارة فلسطين ، وتوجه لتكريم الصهاينة المعتدين ، ولم تتلطف إسرائيل على هذه الزيارة حبا في صاحب القداسة ، وإنما لما وراءه مجيء البابا من مباركة

(١) الصهيونية في الستينات " الفاتيكان واليهود " ص ٣٥ .

(٢) يراجع المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٨ .

للعُدوان الصهيونى ، وهذا ما شهد به الكاتب المسيحى د / وليم سليمان بقوله :

ففى مستهل عام ١٩٦٤م قام " البابا بولس السادس " بأول زيارة يقوم بها عاهل الفاتيكان لفلسطين ، وأعلنت دوائر الفاتيكان أن هدف الزيارة دينى بحث ومهما تكن وجهة هذه الأسباب ، فإنه مالا شك فيه أن للزيارة آثارا بالغة المدى .

" فالبابا " يزور دولة لم تعترف بها الفاتيكان وسوف يستقبله رئيسها ووزراءها بالترحيب وكان من الطبيعى أن تستغل كل أجهزة الصهيونية هذه الزيارة إلى أقصى حدود الاستغلال .^(١)

فهى فى الواقع اعتراف بالكيان الصهيونى ، ومباركة بابوية لعدوان الصهيونية -
مهما قيل فى شأنها من أسباب وهى امتداد لخط اللقاء بين اليهود والمسيحيين ، الذى بالرغم من حدوثه وقرب عهده واصل امتداده حتى وصل إلى المجاملة على حساب الدين وهو ما قام به " يوحنا بولس الثانى " من زيارته لكثيس يهودى " بروما " وأدائه الصلاة فيه ، ثم مخاطبته اليهود بأحبابه الأعزاء وإخوته الكبار بالإيطالية حيناً وبالعبية أحياناً مثنيا عليهم ، معرباً عن أسفه العميق للإهانات والاضطهادات والعزل الذى تعرضوا له عبر القرون ، وبعد استنكاره لجرائم النازية ولمعاداة السامية ، وضح أن الفاتيكان قد دحض رسمياً إتهام اليهود بالمسئولية عن دم المسيح عليه السلام ، وتبرئة اليهود من دم المسيح مسألة تخص النصرانية وأتباعها وأثرها على النصرانية باق مابقى فسرد من أتباع عيسى عليه السلام . أما معاداة اليهود ، وتعذيبهم المبالغ فيه فقد وقّع على أيدي مسيحيين لا بأيدي مسلمين ، فإن أراد المسيحيون أن يكفّروا عن أخطائهم وإخوانهم فى الملة والعقيدة فلهم ذلك من مالهم الخاص ومن أرضهم وأوطانهم أما أن يحملوا المسلمين أخطائهم ويعاونوا اليهود فى إقامة دولة لهم فى بلاد الإسلام وعلى أرض المسلمين ثم يتباكون على ما أصاب اليهود من عدوان فى الماضى فهذا مالا يقبله منطق العدالة ولا تفرقه رسالة مساوية وإن باركته البابوية .

ونحن المسلمين نود من " البابا " وهو الأب الروحى للنصارى أن يربأ بنفسه ومنصبه أيضا عن السقوط إلى هذه الدرجة فيضع اليهود فى كفة المظلومين دائماً بينما هم فى الواقع الظالمون أصحاب مذبحه دير ياسين وماتلاها من إرهاب ، وتسلل للأبرياء ، وتشريد لعرب فلسطين من وطنهم وديارهم .

(١) الكيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ص ٨٨ .

ولشدة وثوق الصهاينة من أن البابوية لا تستطيع أن تخالف إرادتهم ، ولما بسدا من البابا " يوحنا بولس الثانى " ما يؤكد ذلك ، عقب حاخام روما اليهودى على " البابا " بقوله :

" إن عودة اليهود لأرض الميعاد حق يجب الإعراف به كما أن الإعتراف بإسرائيل يعزز دورها الذى لاخلاف عليه بأنها الخلاص الذى وعد به الرب ، وهى مسألة لا تقبل الإنكار " .

واختتم كلمته بتوجيه الدعوة " للبابا " للقيام بعمل مشترك لمحاربة الإرهاب وأعداء السامية ، والسعى لحرية اليهود الدينية فى الاتحاد السوفيتى . (١) ، فمن هم الإرهابيون ؟ ومن الذى يحدث الإرهاب ؟ لعلم " البابا " بالجواب لم يكلف نفسه بسؤال الحاخام اليهودى عن تحديد الإرهابيين .

ومنذ الإحتلال الصهيونى للإرهابى لفلسطين ، والعلاقات بين الفاتيكان واليهود تزداد ارتباطا وتوثيقا فقد حكى أن البابا يوحنا الثالث والعشرين مر بسيارته يوم سبت بجوار كنيسة يهودى " بروما " وتصادف مغادرة اليهود للكنيسة فى تلك اللحظة فمد " البابا " يده من نافذة السيارة ومنح بركته لليهود الخارجين من الكنيسة وعلق كبير حاخامى روما على هذه البادرة وهو يروىها بقوله : (إن يهود روما يعرفون أن ذلك لم يحصل من قبل (٢) .

وحقا لم يحدث هذا الإتجاه الجارف تجاه اليهود من قبل ذلك ، فتدعيم البابوية للصهيونية وتحريك الصهيونية للبابوية من أجل خدمة أهدافها العدوانية أمر حديث وجديد حتى فى بداية القرن العشرين كانت البابوية تتخذ قرارها بمعزل عن التأثير اليهودى ويدل على ذلك أن " البابا " بيوس العاشر جاهر برأيه فى اليهود عند مقابلة هرتسزل لنيافته .

هل أخطأ البابا " بيوس العاشر " ؟

لقد طلب " هرتزل " مؤازرة الفاتيكان بشأن اقتراح " هرتزل " منح الأراضي المقدسة وضا إقليميا خاصا تسهيذا لتحقيق الأهداف الصهيونية ، وذلك فى ١٢/٢٥ / ١٩٠٤م أثناء لقائه بالبابا وكانت إجابة " البابا " واضحة حيث وضع النقط على الحسروف

(١) مجلة الأمة (العدد التاسع والستون - السنة السادسة) ص ٨٢ تحت عنوان (شئون

العالم الإسلامى ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

(٢) الصهيونية فى الستينات (الفاتيكان واليهود) ص ٢٦ بايجاز .

ويدون موارد ، أو مجاملة قال البابا " بيوس العاشر " :
 هناك احتمالان : " إما أن يظل اليهود محتفظين بمعتقدهم ينتظرون مجيئ المسيح
 والمسيح عندنا قد جاء وتمت بعثته للبشر ، وفي هذه الحالة نعتبر اليهود منكروين
 للاهوت يسوع المسيح ولا مجال هنا لمساعدتهم في فلسطين هذا هو الوجه الأول .

والآخر أن يذهبوا إلى فلسطين شعبا بلادين بالمرّة وفي هذه الحالة نجد
 أنفسنا في مجال أضيق وغير مستعدين لمؤازرتهم ومعلوم أن الدين اليهودي هو أساس
 ديننا ، ولكن الدين اليهودي قد جاءت عليه تعاليم المسيح وحلت محله ولهذه العلة
 فليس من الممكن أن تقدم اليوم لليهود من المساعدة أكثر ما فعلنا من قبل والذي
 أنكروا المسيح من اليهود ولم يعترفوا به مازالوا على هذا الإنكار حتى اليوم ، وهنـا
 أجاب " هرتزل " : إن النكبات والإضطهادات لم تكن في اعتقادي خير وسيلة لإقناع
 قوم بما يكرهون .

وهذه العبارة استغزت قداسة " البابا " فحس دفاعه عن وجهة نظره وقال
 لهرتزل : إن سيدنا يسوع أتى إلى هذا العالم ولا قوة له ولا سلاح فقد جاء فقيرا من
 حطام الدنيا وهو لم يضطهد أحدا وإنما هو الذي تعرض للإضطهاد وتخلّى عنه الناس
 وسلطانه على الأرض لم يظهر إلا بعد انقضاء رسالته .

ولم يقم للكنيسة كيان إلا بعد مضي ثلاثمائة عام على تأسيسها
 وقد كان بوسع اليهود خلال تلك الفترة أن يقبلوا رسالة المسيح فلم يقبلوها ورفضوها
 ومازالوا يرفضونها حتى هذه الساعة .^(١)

هذه إجابة " البابا " وحديث هرتزل معه لم تختصر منه شيئا وكان رأي اليهود
 في هذا الموقف البابوي الغير مجامل لهم مذكرو هرتزل بقوله :

إن البابا بيوس العاشر إمتعض مني لأنني لم أقبل يده عند اللقاء ولو كنت قبلتها
 كما فعل " كونت لباي " (الذي رتب للمقابلة) ولما كان قد استه ذهب المذهب الذي
 صدر عنه .^(٢)

فهرتزل مؤسس دولة الصهيونية اعتبر مجرد تقبيل يد " البابا " كاف ليغير الحبر
 الرومي أرائه ومبادئه ، وهنـا بأنه لم يرتب للمقابلة ، ووضع بهذا رأي اليهود على لسان

(١) المرجع السابق ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ بتصرف .

زعيمهم ، فما رأى المسيحيين وبالأخص قادة الكنيسة في موقف " البابا بيوس العاشر " إن كان صوابا وهو مانعته فلماذا جاء " باباوات " النصف الثاني من القرن العشرين واتخذوا مواقف مخالفة لما صنع ، وإن كان خطأ فليخبرونا بخطأه ، وعلى كل حال فالأمر بالنسبة لنا أتباع محمد " صلى الله عليه وسلم " واضح لا غموض فيه والقرآن الكريم كشف الغطاء ، وبين أن بعض اليهود أولياء لبعض النصارى والعكس صحيح (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) . (١)

البابوية الحديثة تعمل لحساب إسرائيل

بدء من يوحنا الثالث والعشرين ، والبابوية الحديثة تتخذ مواقف مؤيدة لليهود ومخالفة لتعاليم الأنجيل ، وغاية عرض الحائط بآراء من سبق من إخوانهم من الباباوات كما حدث بالنسبة للبابا " بيوس العاشر " الذي لم يوافق الصهاينة في مطالبهم العدوانية وبين أنهم مازالوا أعداء للسيد المسيح عليه السلام و " لجريدة المسلمين الدولية " رأى خاص بما جد على البابوية أنقله بنصه بسبب ما يحتوى من معان لها تأثيرها :

لم يكن وصول الكاردينال البولندي إلى كرسى البابوية من قبيل الصدفة بل كان نتيجة لخطة مدروسة ومديرة ، خاصة وأن البابا " يوحنا بولس الأول " لم يمكث نسي منصبه سوى ٣٤ يوما مات بعدها فجأة حقيقة أن لكل أجل كتاب وأن الأعمار بيد الله ولكن موته أثار وقتها تساؤلات الكثيرين ، فالرجل كان في صحة جيدة ، وكان مسلوفا حيوية ونشاطا وهو يلوح لمهنتيه من شرفة كنيسة " القديس بطرس " ، ومنذ الأيسام الأولى لتوليهِ أعلن عن نيته في التغيير من الداخل وعن مشروعات إصلاحية أخرى ، ولكنه مات بعد أقل من خمسة أسابيع من يوم جلوسه على كرسى البابوية ، وهكذا جاء بعده " البابا " البولندي " يوحنا بولس الثاني " وهو ثاني " بابا " أجنبي في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يتولى حكم الفاتيكان .

وأدهش " البابا " الجديد الناس ، بهيته ونشاطه حين أخذ يزور دول العالم واحدة بعد أخرى .

" فالبابا " حين يبذل جهده للتصدي للحد الإسلامي ، فهو بهذا يؤدي خدمة جليلة لإسرائيل وقد بات دوره مكشوفاً حين توثقت علاقاته بالقادة الإسرائيليين ، وكشّر

اجتماعه بممثلى الجاليات اليهودية فى العالم ، بل إنه خرق تقاليد الفاتيكان بقيامه مؤخرا بزيارة معبد يهودى فى روما .

وقد قوبلت هذه الزيارة - بالطبع - بكل ترحيب من المسئولين الإسرائيليين وأعرب أحدهم عن أمله فى أن تكون خطوة تصعيدية للإعتراف " الرسمى " بإسرائيل وفسى الحقيقة أن البابا " يوحنا بولس الثانى " جئ به إلى الفاتيكان ليكمل الشوط الذى بدأه البابا " يوحنا بولس السادس " صاحب الوثيقة المشهورة الذى برأ فيها اليهود من دم المسيح مناقضا بذلك عقيدة المسيحيين .

ولم هذا ليس غريبا أن تكون قنوات الاتصال سالكة بين " بابا " الفاتيكان وبين قادة إسرائيل ، أو أن يكون أول " بابا " فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يزور معبدا يهوديا . (١)

" مؤتمر بازل الجديد " صورة حديثة للتحالف

انعقد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية فى مدينة " بازل " بسويسرا عام ١٨٩٢م وفى الفترة من ٢٧ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥م انعقد " مؤتمر بازل الجديد " بحضور أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية قدموا من ٣٧ دولة ، كما حضر أكثر من المئتين المذكور من المراقبين ، قدموا من الصين والهند وسريلانكا ونيجيريا وجنوب افريقيا واليابون وساحل العاج وزائير وقصة هذا المؤتمر تبدأ من الوقت الذى رفض فيه المجتمع الدولى قرار حكومة إسرائيل باعتبار القدس (عاصمة موحدة أبدية لها) واحتجاجا على موقف إسرائيل نقلت عدة دول سفاراتها من " القدس " إلى " تل أبيب " .

وفى ذلك الوقت هبت المسيحية تؤيد إسرائيل فى موقفها وتتحدى الدول الساخطة على العدوان الصهيونى الصارخ فكانت منظمة من ٣٣ دولة أطلقت عليها إسم (السفارة المسيحية الدولية) وحدث هذا فى نهاية سبتمبر عام ١٩٨٠م حيث اجتمع أكثر من ألف رجل مسيحي فى مؤتمر بمدينة القدس المحتلة وكأنهم يعلنون على الملأ رضاهم عن احتلال القدس ووقوعها فى أيدي الصهاينة واستمر نشاط السفارة فى خدمة إسرائيل بصورة متعددة وأبرز نشاط لها ظهر حديثا " مؤتمر بازل الجديد " ١٩٨٥م .

(١) المسلمون (العدد الثالث والستون - السنة الثانية ص ٩ تحت عنوان (رأى

المسلمون) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

أهم قرارات مؤتمر بازل الجديد ١٩٨٥م.

صدرت قرارات مؤتمر بازل الجديد ١٩٨٥م متناولة مجموعة من القضايا الرئيسية وخصوصاً مقدمتها بإسرائيل وهى :

- ١ - الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولى " بإسرائيل " كدولة لليهود ودعم عمليات تجييعهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصاً من الإتحاد السوفيتى ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكلمة المشروع الصهيونى الممتد من الفرات إلى النيل ، تحقيقاً للنبوءات التوراتية .
- ٢ - مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية الحكومية والخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيلية ، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها " إسرائيل " .
- ٣ - مطالبة جميع الأمم بالاعتراف " بالقدس " عاصمة موحدة وأبدية " لإسرائيل " وبالتالى نقل سفاراتها إليها .
- ٤ - إدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .
- ٥ - مطالبة الدول الصديقة بالإمتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .
- ٦ - تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين (يسميهم المؤتمر اللاجئيين من " إسرائيل ") فى الوطن العربى ، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب فى " إسرائيل " .
- ٧ - دعم ومساندة الإقتصاد الإسرائيلى وإنشاء " صندوق استثمار مسيحي دولسى " لهذه الغاية مقره فى أمستردام ورأس مال مبدئى قدره مائة مليون دولار ، ويخصص للصناعات التقنية والسياحة فى " إسرائيل " .
- ٨ - مطالبة العالم بعدم الإنصياح لأنظمة المقاطعة العربية " لإسرائيل " .
- ٩ - تعبئة الكنائس لنصرة " إسرائيل " وإنشاء تنظيمات بجذور شعبية لهبسة الغاية ومطالبة مجلس الكنائس العالمى بالاعتراف بالربط التوراتى بين الشعب اليهودى وأرضه

الموعودة ودولته "إسرائيل" .

١٠ - الصلاة انتظارا للمجيء الثاني للمسيح وسلوكه القادمة في القدس (١) .

إسرائيل وتغيير نوعية الصراع

لم تتوان الصهيونية في تسخير الدين لتحقيق ماتريد وهي في صراعها مع الأمة العربية استطاعت أن تحرك المشاعر وتغير المواقف فبدلا من أن يكون صراعها مع الفلسطينيين أصحاب الأرض نقلته إلى دائرة القومية العربية حتى لا ينال المطرودون من الأرض عطف العالم من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليثبت للعالم أنها أمام قومية عربية تريد أن تبتلعها ووصل الأمر إلى ما نخشاه فصارت صورة الصراع بين العرب وإسرائيل قومية عربية في مواجهة قومية يهودية مع الفارق الكبير في ميدان العمل بين قومية عربية مفككة ، لم تجعل للدين نصيبا في حياتها ، وبين قومية يهودية قائمة أصلا على الدين تستغل الدين في كل حركة تقوم بها ، ما دعا الدكتور / وليم سليمان إلى أن يقول :

وهكذا تبرز مرة أخرى المهارة الصهيونية في استخدام الدين لخدمة أغراضها فعلى الرغم من أن الصهيونية حركة علمانية سياسية ، فإنها استعملت لمساندة مخططاتها كل حجة وفي المقدمة تأتي الفكرة التي يطلقها القارئ السامى لاسفار " العهد القديم " بخصوص عودة اليهود إلى فلسطين ولكن إذا كان معقولا أن ينجح الصهونيون في إقناع باقى اليهود بعبارات من كتبهم ، فكيف يستطيعون أن يكسبوا تحاطف الأمريكيين من غير اليهود الذين ترفض معتقداتهم الدينية استمرار اليهودية وبعث كيانها ؟ (١) .

وبالرغم من طول السؤال جاءت الإجابة المختصرة والدقيقة من طارح السؤال حين

قال :

هنا يبرز دور الدولار ، يحرك المنظمات الدينية العالمية ويتحكم فيها ولقد شهدت الستينات من هذا القرن أكبر مد صهيونى استطاع أن يحصل من الهيئات المسيحية على قرارات ومواقف عديدة كانت في النهاية رصيذا أضيف لحساب الصهيونية وعدوانها في فلسطين (٢) .

ويستمر الدكتور / وليم سليمان في كشف الاقنعة اليهودية بالحقائق التاريخية محللا مدى تأثير القرارات المسيحية المؤيدة للصهيونية على ضياع الحق العربى في فلسطين وتدعيم الباطل قائلا :

والسألة واضحة نعم لقد تعرض اليهود للإضطهاد منذ قرون عديدة ، وفي القرن

(١) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ .

العشرين ولكن أين تم هذا كله ، إن التاريخ والكتاب المناصرين للصهيونية أنفسهم يشهدون بأنه على امتداد الدولة العربية منذ نشأتها وفي أبعد أقاليمها بالآندلس كان لليهود مكانهم المحفوظ بين المواطنين .

سرح " الجيتو " والتعذيب والذبح كان في أوروبا وهنا تبرز حقيقة جديدة أن " الجيتو " والإضطهاد والمطاردة مضى زمانها وأصبح هتلر خبر يروى عبرة وقصصا في أكبر دول العالم وبدأ وضع مفاير تماما لما سبقه إذ تعرض شعب لم تصدر عنه إساءة لليهود لاعتداءات رهيبة على أرضه وحياته .

فهل يتصور في هذه الظروف الجديدة أن يكون الحديث عن اضطهادات اليهود فتصدر القرارات التي تشجب معاداة السامية وتحض على العناية باليهود دون أدنى إشارة للأرض المغتصبة والشعب المعتدى عليه ، فإذا صدر مثل هذا القرار وسط هذه الظروف الجديدة فماذا تكون آثاره .

إنه أولا - يعطى تبريرا لما يقترفه اليهود فما يحصلون عليه اليوم هو أقل تعويض عما حاق بهم طوال القرون الماضية وأين ما يصنعونه اليوم ما حدث لهم على أيدي القياصرة والملوك والنازيين .

وهو ثانيا - يصور دفاع العرب عن أرضهم على أنه داخل في نطاق معاداة السامية واضطهاد اليهود .

وهو ثالثا - يحفز كل صاحب سلطة أن يتخذ موقفا محددا لتأييد الضحايا - اليهود في مواجهة أعدائهم .

وفوق هذا كله ، يفاجأ القارئ للقرارات المؤيدة لليهود بلهجة غريبة هي لهجة المجرم الذي يقر دون تحفظ بذنبه ، ويعترف بأنه طوال قرون عديدة كان يأثم في وحشية ضد أنقى عناصر البشرية وأكثرها براءة ورحمة .

ونحن لانريد أن نحلل الظروف التي بسببها ظهرت معاداة السامية ، وما مدى مسئولية اليهود والأوروبيين في هذا الصدد ، ولكن الذي نتساءل عنه هو لماذا تصدر مثل هذه القرارات اليوم بالذات .^(١)

(١) المرجع السابق ص ٨٣ ، ٨٤ .

ولماذا تقف المنظمات الدينية في جانب الصهيونية ؟ لقد استطاعت إسرائيل أن تجعل من نفسها ركيزة للاستعمار العالمي وركيزة للتبشير خاصة ، وأدى نفوذها المالي دوره الهام في التأثير على البابوية .

سلطان المال اليهودي

للمال بريق عند كنازه يلهمهم عن الحق واتباع العدل وأدركت الصهيونية بهايرها المادية مدى حب الرهبان للمال من قديم الزمان ، ومن ثم كان المدخل إلى قلب المسيحيين عن طريقه .

" فمن الأمور المعروفة المشهورة أن الفاتيكان قوة اقتصادية في العالم وطبقا لإحصاءات هيئة الأمم المتحدة يملك ثروة تبلغ مائة ألف مليون دولار ويأتي في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وروسيا والرقم الذي تشير إليه إحصاءات الأمم المتحدة فيمينا يتصل بثروة " الفاتيكان " مجرد معلومات بنيت على ما هو ظاهر من أملاكه ونشاطه واستثمارات هذه الثروة منتشرة في جميع أنحاء العالم ففي إيطاليا مثلا أقامت أموال الفاتيكان شركة العقارات الضخمة ، وشركة السكك الحديدية لجنوب إيطاليا ، وشركة ادرياتيكا للملاحة في البندقية وبيوتا مالية أخرى تمثل أقوى وأضخم رؤس الأموال فسي إيطاليا .

وللفاتيكان أملاك كبيرة في سويسرا وهولندا وفرنسا وفي شركات أخرى نمساوية وإنجليزية وألمانية وفي أمريكا اللاتينية يسيطر بالتعاون مع رأس المال الوافد من الولايات المتحدة إلى هناك والذي تحمي استثماراته سياسة الدولة الأمريكية بكل قواها الحربية والسياسية ، يسيطر على أغلب المصانع والبنوك والشركات الكبرى إلى جانب أراض واسعة معفاة من الضرائب في أغلب دول أمريكا اللاتينية .^(١)

ولما كان " مجلس الكنائس العالمي " مكون معظمه من الكنائس البروتستانتية ثم الكاثوليكية ، ومعظم هذه الكنائس بأمريكا وإنجلترا وألمانيا الغربية ومصادر تمويل المجلس تأتي من هذه الكنائس والجزء الأكبر منها يأتي من كنائس أمريكا .

(١) الأهرام الاقتصادية د . الطاهر أحمد سكي ص ١٢ تحت عنوان الفاتيكان قوة اقتصادية في العالم . أول مارس ١٩٦٥ م .

الباب الثالث

آثار التبشير في العالم الإسلامي

ويحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول :-

- ١ - الفصل الأول :-
ظهور النزعات الجنسية ، والقومية .
- ٢ - الفصل الثاني :-
نماذج من آثار التبشير في بلاد الإسلام .
- ٣ - الفصل الثالث :-
تسرب الفكر التبشيري في الثقافة الإسلامية .

الفصل الأول

ظهور النزعات الجنسية ، والقومية

ظهرت النزعات الجنسية ، والقومية في أرض الإسلام كأثر من آثار التبشير ، فقد ساهمت مدارس الغرب التبشيرية ومؤسساته في تعليم هذه النزعات ونشرها ، وبلغ من تأثيرها على الأمة الإسلامية أنها كانت تصنع عقول بعض شباب الإسلام بعد وضعها في قوالب خاصة وأطر معينة ثم تصب فيها الأفكار المدمرة فإذا تأكدت من تشكيلها على مائتيد أودت إلى ساسة الاستعمار بأساء هؤلاء ليكون منهم قادة المسلمين في جميع ميادين الأعمال في أقطار الإسلام وليقوموا بدور التبشير وبث أفكاره وقد تمزقت دولة الخلافة الإسلامية من هذا الطريق بعد أن كانت أمة الإسلام شامخة بوحدةها متكافة بترابطها وظلت أكثر من ألف عام تعلم أن وحدتها منقذة لها من الضياع فجمعت مختلف الأعراق والأجناس تحت لواء الإسلام وكانوا جميعا لا يرضون به بديلا ولا يرفعون أمامه نسيبا أو جنسا حتى فاجأهم الفكر التبشيري الغربي بكل ما يهدم بنيانهم من أنواع الجنسيات والعصبية والأقليات المتعددة والمختلفة ليعودوا إلى الجاهلية بعد أن نجاهم الله منها بالإسلام الذي محا النزعة الجنسية وأما الشعبية والقبلية .

لكن الغرب في العصر الحديث يريد الكيد للإسلام ويترص بأهله الدوائس فواجههم بأسلحة التجزئة ، وصنع بيده الحدود والفواصل بين أقاليمهم ولم يكف بذلك فجا به كل بلد بشعبية حديثة وهم في غفلة من أمرهم فجاء إلى مصر مفرقا من باب الفرعونية ، والحضارة القبطية وإلى لبنان من باب الفينيقية ، وإلى بلاد المغرب الإسلامي من ناحية البربر .

ثم أدخل على بلاد الشام شعبية عنصرية بغیضة جمعها من الشتات وزرعها في قلب بلاد المسلمين وفي الوقت نفسه ساق إلى أمتنا القوميات القائمة على التعصب والتحزب ، قوميات قوامها البغضاء والشحناء فزاد أمة الإسلام فرقة وصار حال المسلمين إلى ما يشاهد اليوم من التحلل والانقسام والتأخر وغير ذلك ما يندى له الجبين .

وكان للفكر التبشيري الغربي الريادة والأثر المباشر في استمرار هذه النزعات بعد بعثها في صفوف المسلمين وهو يريد لأمة الإسلام أن تتلاشى وتذوب ، وهذا ما يبدى يظهر ويلج في الأفق وإن كنا نأمل الخير لهذه الأمة ونطمع في نجاتها من هذا الطوفان المدمر فلا أقل من أن نعرض هذا الجانب من زاوية إسلامية لتتدارك ما فاتنا ونجمع شملنا .

١ - النزعات الجنسية

جاء الإسلام دينا قيما يصلح حياة البشرية جمعا وكل بإرسال خاتم الأنبياء والمرسلين محمد " صلى الله عليه وسلم " وكان خطابه للناس كافة بل سما شافيا للنفس الإنسانية قاطعا الطريق على كل من يتعالى بجنسه أو لونه ، أو يفتخر بقبيلته ، داعيسا الناس إلى التآلف والتعارف أيا كانت مشاربهم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١) .

وأفاض النور النبوي الكريم في ضوء هذه الآية الكريمة فكان نورا من النور السامى يضيء الطريق للجميع بلا استثناء فمن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ رِجْلَكُمْ وَاحِدٌ وَأَبَاكُمْ وَاحِدٌ فَلَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى أَعْجَمٍ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى " (٢) ، وروى البزار بنحوه إلا أنه قال : إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ دِينَكُمْ وَاحِدٌ أَبُوكُمْ آدَمُ وَآدَمُ خَلِقَ مِنْ تَرَابٍ . (٣)

" فجميع الناس فى الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله " صلى الله عليه وسلم " (٤) ، وفى تفسير قول الله تعالى : " وجعلناكم شعوبا وقبائل " .

يقول الإمام الألوسى : الشعوب جمع شعب بفتح الشين وسكون العين وهم الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد ، وهو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العماير والعمارة بفتح العين وقد تكسر تجمع البطون ، والبطن تجمع الافخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل (٥) ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك :

الشعوب الجماع ، والقبائل البطون ، بطون العرب ، والشعب ماتشعب من قبائل العرب والعجم وكل جيل شعب (٦) فليس هناك شرف للعرب إلا باعتبار الخصال

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين على بن أبى بكر المهيتمى المتوفى سنة ٨٠٧ بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر ج ٨ ص ٨٤ (كتاب الأدب - باب لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى نشر مكتبة القدس بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

(٣) المرجع السابق وفيه : رجال البزار رجال الصحيح .

(٤) تفسير القرآن العظيم " لابن كثير " ج ٤ ص ٢١٢ .

(٥) روح المعاني ج ٢٦ ص ١٦٢ .

(٦) لسان العرب المجلد الأول ص ٥٠٠ (فصل الشين - حرف الباء) باختصار .

الحميدة ومكارم الأخلاق فإن هم ابتعدوا عن ذلك فسواهم أفضل منهم ومن الأعاجم من فاق في المعالي كثيرا من العرب وفي مقدمتهم سلمان الفارسي الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في منزلة آل بيته فقال " صلى الله عليه وسلم " " سلمان منا أهل البيت " (١) والإسلام وجد اتباعه مهما تناهت ديارهم ، وتعددت لغتهم - وجعل رباط أمته العقيدة وحدها (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ركنكم فأعبدون) (٢) ويوم أن عمل المسلمون بهذه الآية الكريمة ، والتزموا بسنة النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " دانت لهم الأرض - من مشرقها إلى مغربها وأصبحوا على عدوهم ظاهرين وعز على أعدائهم أن يروّسهم في هذه المكانة فبدأوا في مخططاتهم من قديم الزمان لإيجاد أنواع من الحزازات وأنماط من الفروق تضعف من قوة المسلمين وتفتت في عضضهم وسنحت لهم الفرصة في نشر هذا اللون من العصبية هذا عرس وذاك أعجى وهكذا .

بوادر الشعوبية

ظهرت بوادر الشعوبية منذ القرن الأول الهجري واتخذت صورة التشيع الشعبي بادعاء أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أحق بالخلافة من أبي بكر رضى الله عنه " ولعل نقطة البدء هنا من القرن الأول الهجري وبالتحديد سنة ٣٠ هـ ففى ذلك التاريخ ظهرت الدعوة السبئية التى كان يقودها سرا حبر يهودى مكر اسمه عبد الله بن سبأ ويعرف فى كتب التاريخ بآمين السوداء وقد كان هذا الحبر الأسود الصنعانى المولسد والنشأة قد تظاهر بالإسلام فى أواخر خلافة عمر أو أوائل خلافة عثمان أى فى سنتى ٢٤ أو ٢٥ هـ ثم أخذ يفكر ويدبر حتى خرج حوالى سنة ٣٠ بهذه الدعاية الواسعة النطاق وهى أن المسلمين من العرب قد غيروا وبدلوا . (٣)

وانتقل هذا اللون الشعبى إلى العرب والعجم وانتهاز الزنادقة ظهور بعض الخلافات بينهما ، فعمقوا جذوره ووسعوا دائرته ، وأصبح هذا الصراع بادرة للحركة الشعوبية التى ظهرت بوضوح فى العصر العباسى الأول . (٤)

(١) قال الحاكم فى شأن هذا الحديث (قلت) سنده ضعیف : المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٥١٨ (كتاب معرفة الصحابة - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " سلمان منا أهل البيت " .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٢ .

(٣) المجتمع العربى والإسلامى دكتور / عبد الحميد بخيت ج ٢ ص ٢١٥ ط (٢) دار مطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٧م ، تاريخ العالم الإسلامى " عصر البناء والانطلاق " ج ١ ص ١٥٣ د / إبراهيم أحمد العدوى بدون ذكر لعدد الطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٣م .

(٤) الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما سيرة مختار اللبث ص ٣٧ بدون عدد للطبعة المطبعة الغنية الحديثة بالقاهرة ١٩٦٨م .

فكانت المشاحنات بين العرب والفرس تزداد نتيجة لبث الفتن بينهما في العصر الأموي ، وكانت الزندقة صاحبة اليد الطولى في توسيع شقة الخلاف بينهما ، الذي أدى بدوره إلى ظهور الشعوبية في صورة الدعوة إلى المساواة بين العرب والموالي والتي تطورت خلال المائة سنة الأولى للعصر العباسي (١٣٢ - ٢٣٢) هـ ، وأطلت برأسها محاولة تمزيق الصف الإسلامي وتفريق التجمع الديني .

ظهور الشعوبية

ظهرت الشعوبية بصورة ملفتة للأنظار أثناء المائة سنة الأولى للعصر العباسي (١٣٢ - ٢٣٢) هـ ، وسادت نزعات ثلاث في العصر العباسي المذكور .
 النزعة الأولى : تذهب إلى أن العرب خير الأمم .
 النزعة الثانية : تذهب إلى أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم ولا أية أمة أفضل ممن غيرها فالتناس خلقوا من الطين والتفاضل بينهم بالتقوى .
 النزعة الثالثة : تحط من شأن العرب وتفضل غيرهم من الأمم عليهم . (١)

وأصحاب النزعة الأخيرة كانوا ينادون بالمساواة بين العرب والعجم في الظاهر وإن كان هدفهم التقليل من شأن العرب " وقد أطلق على أصحاب النزعتين الأخيرتين اسم " الشعوبية " وهم الذين يقولون بأنه لافرق بين الشعوب من عرب وغيرهم في الشرف والخسة " . (٢)

على أن هذا اللفظ أطلق في مفهومه العام على معنى المساواة بين الناس والشعوب سواء ، فالعرب شعب ، والفرس شعب ، والروم شعب ، وهكذا والقرآن الكريم بين أن جعل الناس شعوباً للتعارف وأطلق لفظة " شعوباً " لتشمل العرب وغيرهم لكن وجد من فسر الشعوب بالعجم ، والقبائل بالعرب ووصل الأمر بالمعادين للعرب أن أطلقوا لفظ " الشعوبية " على الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم (٣) ، وبهذه الصورة " غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر العرب شعوب " . (٤)

وقد انتشر الشعوبيون في كل مكان وصل إليه الإسلام " ومن الذين لهم الدور البارز في الحركة الشعوبية " أبو مسلم الخراساني " ومن أتباعه اسحق التركي ، والمقتنع

(٢٥١) يراجع ضحى الإسلام أحمد أمين ج ١ ص ٤٩ - ٥٥ ط ١ مطابع الإسلام بالقاهرة ١٩٧٧ م .
 (٢٥٢) يراجع لسان العرب المجلد الأول ص ٥٠٠ .

الخرساني وكان ظهورهم في العصر العباسي * (١) ، كما ظهرت الحركات الشعوبية المتعددة في هذا العصر ، ومن حاملي راية الشعوبية بالأندلس محمد بن سليمان المعافري وأبو محمد عبد الله * ابن الحسن التوفي ٣٣٥هـ * وأبي عامر * ابن غرسية . (٢)

وقد قام هؤلاء الشعوبيين أمراء المسلمين وعلماء الدين ووقفوا لهم بالمرصاد ، حتى كشفوا أمرهم للناس وشلوا حركتهم بعد أن انتشر فكرهم ، وكادوا يكونون حجر عثرة في طريق المسلمين ، وجاء العصر الحالي ليشهد شعوبية من لون جديد شعوبية يغذيها الاستعمار الحديث ، ويقوم التبشير ببث أفكارها بين الناس بكل الطرق لإشعال الفتن وإثارة القلاقل بين المسلمين لتتكسر شوكتهم ، ويظل بأسهم بينهم شديدا فيتناحسروا طوائف وأحزابا ، ويتصارعوا فرقا ودولا فيذهب ربحهم ، وينتهى أمرهم ، بعد أن يتحولوا إلى لقمة في فم أعدائهم .

الشعوبية الحديثة

لما كانت نظرة الشعوبيين في القديم الحط من شأن العرب وخلق جو من التشاحن بينهم وبين بقية الأمم ، فإن الشعوبية في العصور الحديثة ركزت على سلب كل ميزة للعرب وشوهت كل تقدم للمسلمين في أي ميدان من ميادين الحياة وسعت بجديسة لتشهير كل تجمع إسلامي بأي صورة من الصور " ومن خلال محطات التغريب ، بسرت مجموعة من التابعين الذين شكلهم النفوذ الغربي في إرسالياته ومعاهده ، يحتقرون كل قيم العروبة والإسلام ومعارضون كل مقوماتها ويقفون موقف الاستهانة والغض من قدرها .

وقد تشكل من خلال هذه المضامين المنحرفة ما يسمى " بالشعوبية الحديثة " (٣) ، وأصحابها معارضون للقيم الإسلامية ، والمفاهيم المستقيمة للقرآن الكريم وسنة خاتم النبيين " صلى الله عليه وسلم " ويعلنون الحرب الشعواء على الإسلام والتاريخ وكتب التراث واللغة العربية التي جاء بها القرآن الكريم في الوقت الذي يرفعون فيه من شأن الدعوات القديمة البالية فنراهم يمجدون " الفرعونية " والفينيقية " ، والعصبية العربية والوثنية اليونانية ، ويعملون على إحيائها في الأدب والتاريخ وينشرونها بواسطة وسائل الإعلام المتاحة لهم .

(١) يراجع الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ص ١٠٢ - ١٢٦ .

(٢) رسالة في الرد على ابن غرسية " نوادر المخطوطات - ٣ - " تحقيق عبد السلام هارون ص ٢٤٢ ط (١) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٧٣هـ =

١٩٥٣م باختصار .

(٣) الموسوعة الإسلامية العربية (٢) (الإسلام والدعوات الهدامة) أنور الجندى ص ٢٥٥ ط (١) طبع دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٤م .

" وتستهدف الشعوبية الحديثة إزابة العرب والمسلمين في مفهوم زائف وخطير هو مفهوم عالمية الثقافة ، أو منهج الفكر الحر ، وكلاهما في صياغ الدعوات الهدامة التلمودية الصهيونية " . (١)

والمبشرون وأذنابهم أداة المستعمرين في نشر سياسة التغريب في عالم الإسلام ومعاول هدامة في بنيان الإسلام الصين .

" الشعوبية في مصر "

المعروف أنه عاش في مصر منذ سبعة آلاف سنة الفراغة وكانت لهم حضارة بسادات كما بادت الوثنية ، وكانت الرسائل السماوية صادرة إشعاع يهدي الإنسانية إلى طريق الكمال ومن محتويات رسالة موسى عليه الصلاة والسلام وضمن حدودها دعوة فرعون مصر إلى عبادة الله وحده ، ولما جحد فرعون الدعوة وتعالى عن عبادة الله كانت النهاية الغرق له وكل من تبعه من دعاة الفرعونية ، وَمَنْ اللّٰهُ عَلَى الْمُسْتَغْفِينَ فِي الْأَرْضِ ، وخلصهم من العهد البائد ، وجعلهم أئمة .

وأراد المستعمر لمسلمي الكتانة العودة مرة ثانية إلى العهد البائد عهد الظلم والجبروت وحضارة الحجارة ، فدفع بعض مفكري الأقباط للمناداة بالفرعونية في كل محفل وهذا ما شهد به محمد جميل بيهم قائلا :

وجد المستعمر بمصر في القومية الفرعونية أميته المنشودة استنادا إلى وجود تاريخ خاص بمصر حافل بالأجداد سابق للتاريخ العربي ، فدفع بعض المفكرين من الأقباط إلى تبنيها اعتمادا على مادونه الأستاذ " أولبري " وغيره من الأجانب الداعين إلى هذه القومية . (٢)

وجند الاستعمار كل القوى المتاحة له ليث الفرعونية وانطلقت الصحف السائسة في ركابه تمجد الفرعونية وآثارها " كما تبرع روكفلر " (٣) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر . (٣)

-
- (١) المرجع السابق ص ٢٥٦ .
 (٢) المروية والشعوبيات الحديثة محمد جميل بيهم ص ٩٠٨ بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .
 (٣) روكفلر " جون " (١٨٣٩ - ١٩٣٧ م) رجل أعمال أمريكي أسس شركة ستاندر د أويل وخصص قسما من ثروته لمؤسسات العلم والفن وخدمات التبشير (المنجد في العلوم ص ٣١٣ بتصرف) .
 (٣) الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية أنور الجندى ص ٢٤٩ .

وهدف أعداء الإسلام إبعاد مصر عن الإمة الإسلامية وسلخها من عروبتها فأبرزوا المصرية على أساس أنها متصلة بالفرعونية * وكانت الدعوة إلى المصرية هدف إقامة أدب محلى * وفن فرعونى وأحيا التاريخ المصرى القديم فى حلقاته الثلاث الفرعونية - والقبطية - والرومانية واعتبار العرب غزاة كالفرس والترك والإنجليز .

والعمل على تصوير كل شىء : اللغة * والفكر * والتاريخ وقد ارتبطت الدعوة إلى الماضى الفرعونى * ونشرت فى سبيل ذلك أبحاث أخرى لمحاولة اثبات أن المصريين ليسوا من العرب ولا من الشرق ولكنهم من دول البحر الأبيض يرتبطون مع الغرب ومع أوروبا فى العقلية والثقافة وتركيب الججمة والبشرة . (١)

وانها لمحاولة مرسومة لطمس ماضى مصر الإسلامى المشرف الذى نعم فيه القبط بالعدل والأمان * إلى عهد وثنى يائد ومجد زائف * وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة فى مختلف مظاهرها إلى أصل فرعونى قديم ويدعون بكل صراحة أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعونى القديم * مثلما قامت النهضة الأوروبية الحديثة على بعث التراث اليونانى والرومانى فى عصور الوثنية السابقة على المسيحية * . (٢)

أما عن الوسائل التى يقول بها دعاة " الفرعونية " لإحيائها من جديد فهى تتم من وجهة نظرهم بالرجوع إلى الفن المصرى واللغة المصرية المنفصلة تماما عن اللغة العربية والأدب المصرى يقول محمد محمود الصواف :

وكان ما يقترحه هؤلاء الدعاة من الوسائل إلى خلق هذه الروح المصرية الفرعونية فى النشء * هو توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية * وجعله مسرحا مصرية روحا وقوة وإنتاجا والعناية بالأناشيد القومية * وجعلها تصور على قدر الإمكان أمانى المصريين وآمالهم * والعناية بالآداب الفكهة والأدب الرفيع إلى ما هناك من دعوات ووسائل لفرغنة مصر وسلخها عن العروبة والإسلام * ولأشك أن هؤلاء الدعاة كانوا يخدمون مصالح الاستعمار بدعوتهم هذه * وأنهم يريدون أن يقطعوا أوصال البلاد العربية والإسلامية * ويأخذوا بعضها عن البعض الآخر ببث روح التنافر والتدابى * والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها استدامة للوضع الراهن الدليل الذى كانت عليه تحاشيا من اتحادها مع بقية الأقطار الذى يؤدى إلى قوتها * وعزتها وتمردا على هذا الوضع (٣) .

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٣٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤١ .

الشعبوية بلبنان

لقد سلك التغريب مع لبنان نفس المسلك الذى سلكه مع مصر وبقية بلدان العالم الإسلامى ، لعزل لبنان عن العروبة والإسلام فقامت مدارس التبشير فى هذا البلد العربى المسلم بنشر فكرة أن منطقة لبنان كان يسكنها الفينيقيون منذ أكثر من ثلاث آلاف مسن السنين وأن أهل لبنان الحاليين متفرعين من هؤلاء فهم لا يتون للعرب بصلة .

" وقد ارتكزت هذه الدعايات على أن اللبنانيين هم أحفاد الفينيقيين القدماء الذين كانوا سكان هذا الساحل قبل أن يأتى العرب وادعت بأنهم تاريخيا ليسوا عربا ، وإنما هم خليط من أبناء الفينيقيين ، وأحفاد الإمارات الصليبية " . (١)

وقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يفرس هذه الدعايات فى نفوس اللبنانيين بكل ما أوتى من قوة وقد لفت أنظار المسلمين لهذا المسلك الاستعمارى الصليبي محمد جميل بيهم بقوله :

منذ احتل الفرنسيون لبنان بعد الحرب العالمية الأولى وعهدت إليهم عصبة الأمم بالانتداب طمعوا بأن يخلقوا فيه أمة إذا طالبت بالاستقلال فإنما تطالب بالاستقلال عن العروبة وعن كل شئ يتصل بها ، وطمعوا أيضا بأن يجعلوا من وطننا ذا وجه غربي إذا تلفت إلى الماضى فإنما يولى وجهه شطر الفينيقية وإذا التفت إلى الحاضر فإنما يتجه بقلبه إلى الغرب عامة وإلى الأم الحنون خاصة ، وذلك على أمل أن يبقى لبنان يـوم تزلزل الأرض زلزالها ضد الاستعمار فى بلاد الشام " يقصدون الاستعمار التركى " ومستقرا أمينا لهم ومركزا استراتيجيا فى شرق البحر المتوسط وقد استهلت دولة الانتداب عملها بتهديم كل مناعة عند المعارضين فأقصتهم عن المناصب المرموقة ، وحرشهم من المنافع العامة ، بينما أخذت تباعد بين المواطنين وتنشط الشعوبيات وكاد يبلغ بها الحرص على التفريق بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة مستوى ما تقوم به بمراكش فى صدد التفريق بين العرب والبربر . (٢)

وانتشرت الدعوات التى تهدف إلى تقسيم " سوريا " وتجزئة دول حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكلها دعوات هدامة تبناها الاستعمار الغربى ، وعمل على نشرها بواسطة

(١) الموسوعة الإسلامية العربية - أنور الجندى ص ٢٣١ .

(٢) العروبة والشعوبيات الحديثة ص ١٦ و ١٧ .

مؤسساته التبشيرية في الشرق والغرب حتى رأينا كثيرا من يحملون رايات الشعوبية الحديثة في كل بلد عرس من أولئك الذين تربوا على أيدي البشرين ، وتحت اشراف هيئاتهم .

الطائفية بلبنان

حين نعود إلى الوراء قليلا نجد أن " التنظيمات " التي أعلنتها الدولة العلية العثمانية كانت أحد العوامل المباشرة التي أدت إلى إثارة الفتى الطائفية في لبنان لأنها أعطت امتيازات للأقليات التي استغلستها بتشجيع من الدول الاستعمارية التي تريد تفويض دولة الخلافة وهي التي سعت في أول الأمر واستعملت وسائل الضغط على الدولة العلية حتى استصدرت هذه الامتيازات حتى صار وضع الأقلية أحسن من وضع الأغلبية في كافة المجالات فظهر التنافر والتنازع بين أبناء الوطن الواحد ، وأدت المؤسسات التبشيرية دورها في إثارة موجات التعصب بين الموارنة وهم من طائفة الكاثوليك ، والدروز وهم من المسلمين ، ومكن لزيادة التعصب حدة سيطرة محمد علي على بلاد الشام فقد كان يرمى في سياسته إلى ترجيح كفة الموارنة وجعلهم السادة على الدروز المسلمين وبالتالي أدى هذا الأمر إلى التدخل من قبل الدول الاستعمارية ذات المظالم الخاصة .

كما أن محمد علي - اتباعا للسياسة نفسها - أذن للبعثات التبشيرية بالقسودم إلى لبنان وسوريا ، وسمح لها بمباشرة نشاطها في أثناء حكمه الذي استمر نحو تسع سنوات (١٨٣١ - ١٨٤٠م) فكان في مقدمة الوافدين بعثات " الجزويت " أي اليسوعيين التي بدأت عملها في عام ١٨٣٣م بعد أن كان متوقفا منذ صادر " البابا " جماعتهم قبل ستين سنة ثم لحقت بها - فيما بعد - البعثات الأمريكية والإنجليزية .

ولم يكن نشاط تلك الإرساليات قاصرا على الدين ، بل كل منها كانت تمهد لنفوذ سياسي وتعمل على خلق الجو الثقافي المناسب لاستعمار الدولة التي هي تتبعها أو للاستعمار الأوربي بوجه عام .

ولما كانت سياسة " محمد علي " رامية لتقوية نفوذ فرنسا ومهددة لاستعمارها لبلاد الشام فقد رأت انجلترا وروسيا أن تقفا في وجهه ، ورأت انجلترا أن تتصل بالدروز وقد كان فاتخذت منهم حلفاء لها وحرضتهم على الموارنة الكاثوليك ، وكان لها في نفس الوقت غرض ديني وهو أن تمنع الموارنة بأنه لاحماية لهم في ظل " فرنسا "

ولابد لهم أن يتحولوا من الكاثوليكية إلى "البروتستنتية" ويعيشوا في كنف "انجلترا بدلا من فرنسا" وكان الأمريكيون أيضا يشجعون الإنجليز في هذا السبيل (١).

وهذه الصورة هي "الجو للفتن" والأحقاد الطائفية وظل آثارها للآن حربا مدمرة تآكل الأخضر واليابس وتلتهم شباب الوطن "وينبغي أن ننوه إلى أن هذه الطائفية المدمرة تعدت كل الحدود فهي لا تقتصر على مسلم ومسيحي فحسب بل يظهر تعدد المذاهب الإسلامية فنجد الشيعي والدرزي والسني " كما نجد تعدد الطوائف المسيحية الموارنة والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والأرمن وفئات مسيحية أخرى والاستعمار يستخدم بعض هذه الطوائف لتحقيق مصالحه.

والمؤسف حقاً أن يجد الاستعمار له أعواناً وأنصاراً يغرهم الدرهم والدينار وتعميهم العصبية البغيضة فيأخذون المعاول لهدم بنيان أوطانهم بأيديهم (٢).

ومن هؤلاء الاعوان الآباء اليسوعيون في بيروت فقد قاد أحدهم حملة استعمارية ضد عروبة لبنان قال الأب اليسوعي :

"أي مصلحة تربطنا بالدول العربية : لبنان ليس عربيا ولم يكن على مر التاريخ عربيا مطلقا لبنان ذو وجه عربي فقط ثم قال : طائفة المسلمين هم الذين يتأثرون بتيارات تأتي من وراء الجبال ووراء البحار وتسم أفكارهم ومعتقداتهم .

هذه الطائفة هي التي نخاف منها " هذا ما قاله الأب اليسوعي العميل للاستعمار (٣) ولو فكر أهل لبنان بعقولهم لطرحوا أفكار الاستعمار والتغريب وراءهم ظهريا " ولأدركوا أن مؤسسات التبشير قد جرت عليهم النكبات بفكرها الموالي للدول الاستعمارية وأن عليهم أن يتناسوا آثار الحروب " ويبدأوا صفحة جديدة تتمثل فيها رحمة الإسلام في رسالته الخالدة ومسألة النصرانية الحقبة في دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام كي يعود الأمن والسلام للبنان .

الشعبوية في سوريا

اتبع الاستعمار الفرنسي مع "سوريا" أسلوبا خاصا وذلك لبسالة شعبها فعقب معركة ميسلون سنة ١٩٢٠م " تأكد أن روح الإيمان مشتعلة في قلوب السوريين لم تخب

(١) تبشير النهضة في العالم الإسلامي أو "الشرق الأوسط في التاريخ الحديث" ،

د / محمد ضياء الدين الرئيس ص ١٢١ ، ١٢٢ بتصرف .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

جذوتها بعد " فوطد الفرنسيون العزم على إخمادها واستئصالها بسياسة التفريق بين الأفراد والجماعات والبلاد ، وبإثارة النعرات الشعبية ولكنهم كانوا يحاولون عبثا .

وعلى هذا القصد استهل الجنرال " عورو " عمله بتقسيم " سوريا " إلى حكومات متعددة بلغت خمسا فجعل كلا من دمشق وحلب وجبل الدروز واللاذقية والإسكندرونه حكومتا مستقلة ترجع كلها في صفائر الأمور وكبائرها ، إلى المفوضية الفرنسية في " بيروت " ونصب على كل من جبل الدروز وبلاد العلويين حاكما فرنسيا كان يحكم حكما مباشرا على سياسة شعبية هدفها التفريق بينهما وبين سوريا ، والتباعد بين شعبيهما وبين العرب والمسلمين بينما منح متصرفية الإسكندرونه استقلالاً إدارياً وإستيازات خاصة وبث فيها روح الخلاف بين العرب والترك حتى كأنه كان يعدّها لقمة سائغة لحكومة فرنسا وبالاتفاق مع إنجلترا (١) كما ظهرت الحركات المعادية للعرب بل والحاكمة على العربية والإسلام وأبرزها " حركة أنطون سعادة " في لبنان المنتشرة إلى حد ما في الأردن والإقليم السوري ، وقد جمعت بين الطائفية والعنصرية معا وصاغت نفسها في قالب علماني وحدوى يخدع النظر . (٢)

وحل الاستقلال المحلي لسوريا سنة ١٩٤١م ، وكان المنتظر من الحرية الخسيرة " لسورية " ولكن سوريا منيت في عهدها الاستقلالي بشعبوية طارئة لاتزال تعاني منها المشاكل ، ذلك أنه أثناء ما كان لبنان يطارد الحزب القومي السوري بعد إعدام زعيمه " أنطون سعادة " (٣) ثم بعد أن قتل الحزب السيد رياض الصلح انتقاما منه " لسعادة " فتحت سوريا أبوابها على رحابها لهذا الحزب واعترفت به ، حتى أفسحت له المجال لأن يتسل في مجلسها النيابي ، وكان من عواقب ذلك أن تغفل الحزب في أوساط الجيش ، ولا سيما خلال حكم السيد أديب الشيشكلي العسكري ، وأن يتخذ دمشق قاعدة لأعماله . (٤)

وخطة الحزب القومي السوري قائمة على التجزئة وإثبات أن العرب متخلفون عمن بيثة سوريا ، وتعمل جاهدة على هدم تراث العرب وأحياء تراث الشعوب التي حكمت سوريا قبل كالآشوريين والكلدانيين والبابليين والحيثيين والفينيقيين ، وجاء دور حزب البعث العربي الذي أسسه " ميشيل عفلق " المسيحي وقد ظل هذا الحزب كابوسا

(١) العربية والشعوبيات الحديثة ص ٢٧ بتصرف .

(٢) تطور المفهوم القومي عند العرب أنيس صايغ ص ١١ ، ١٠٠ ط (١) طبع دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ١٩٦١م .

(٣) قبض على " أنطون سعادة " في ٢٠ يوليو ١٩٤٩ م وحكم عليه بالإعدام .

(٤) العربية والشعوبيات الحديثة ص ٣٠ ، ٣١ بتصرف يسير .

جائما على صدور السوريين ومحطما لآمال العراقيين ، والذي أظهر الشعبوية وفلسف القومية بفكره الخاص فجردها من الدين ، وفرغ كل سموه في حزب البعث والذي اعتبره الدكتور كليم صدقي تطورا أوربيا دخل إلينا مستعمرا ثم سيطرا ثم مهيدا من بساب القومية .

هذا التطور تم بعض منه بتدخل خارجي تحت ستار فكرة القومية ، والبعض الآخر على يد بعض العرب المحليين ، بدءاً من خرجي بيروت التبشيرية إلى القوميين العرب إلى " انطون سماعة " إلى البعث المعاصر لميشيل عفلق طايور خامس صليبي من داخل العرب . (١)

الشعبوية في العراق

كانت العراق بعد الحرب العالمية الأولى من نصيب الاحتلال الإنجليزي ولقسسد حاولت لندن منذ احتلالها العراق ، أن تستغل خلافا قديما فيه كان قد نشب بين أهل السنة والشيعة قبل العهد العثماني وخلالها ولكنها لم تغلح لأن الوطنية البائرة في الرافدين غمرت كل خلاف بين الطوائف ، وجمعت بينها صفا واحدا ضد الاستعمار فكانت الثورة التي اشتعلت بشدة ضد الإنجليز منذ صيف سنة ١٩٢٠م على أن انجلسترا وإن استطاعت في النهاية ، أن تقمع الثورة ، ولكنها لم تستسلم للعاطفة في النكاية بالمعارضين شأن فرنسا بسوريا بعد ثورة ١٩٢٥ - ١٩٢٧م وإنما راعت رغبات العراقيين في الاستقلال فأنشأت دولة لهم رفعت على رأسها الملك فيصل بن الحسين (*) ملك سوريا السابق ، وذلك على أساس معاهدة تعقد بين لندن وبغداد . (٢)

وسعت دولة الاحتلال البريطاني في إثارة الخلاف بين السنة والشيعة ولم تكشف بذلك فاتجهت إلى بث الشعبوية العنصرية لتقضي على كل تجمع للشعب العراقي المسلم ما سبب في حدوث ثورات طائفية بالعراق " فبرزت ثورة أكراد السليمانية في سنة ١٩٣٠م .

(١) مجلة (المختار الإسلامي) (العدد ٣٧ - السنة السابعة) ص ٣٢ (ندوة عالمية

حول : تأثير القومية على الأمة الإسلامية) تحت رعاية المعهد الإسلامي بلندن في الفترة ما بين ٣١ يوليو - أغسطس ١٩٨٥) ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .

(*) فيصل الأول (١٣٠٠ - ١٣٥٢ هـ) = (١٨٨٣ - ١٩٣٣م) وهو فيصل بن الحسين بن علي الحسيني الهاشمي ، أبوغازي ، نودي به ملكا على البلاد السورية سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠/٣/٨م) وبعد موقعة بيسلون ١٩٢٠/٧/٢٤م واحتلال الجيش الفرنسي لسوريا رحل الملك فيصل إلى أوربا إلى أن رشع لعرش العراق سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢١م وظل ملكا حتى توفي في سويسرا ودفن ببغداد (الإعلام - المجلد ٥) ص ١٦٥ و ١٦٦ باختصار .

(٢) العروبة والشعوبيات الحديثة ص ٣١ و ٣٢ .

وتلتها فتنة أخرى قام بها الشيخ محمود الزعيم الكردي الذي هاجم العراق على رأس قوة كبيرة ، ورفع مذكرة إلى المندوب السامي الإنجليزي كرر فيها نغمة إنشاء حكومة كردية مستقلة في " كردستان " (*) تحت الانتداب البريطاني ولكن حكومة بغداد المستنصرية كانت قد قمعت بشدة ثورة أكراد السليمانية انقضت على الشيخ محمود أيضا واعتقلته في ١٣ مارس سنة ١٩٣١ وشتت جموعه (١) ، وكانت هذه الثورة الكردية في الفترة التي علت فيها صيحة القومية العربية وذلك لشعورهم بأنها دعوة خاصة فنادام العرب يعملمون على إقامة قومية خاصة بهم فلماذا هم أيضا لا يكونون قومية خاصة بهم .

والحق يقال : إن الأكراد لم يستجيبوا لكل القوى الخارجية التي حاولت استخداهم ضد باقى الأمة الإسلامية ، حاولت بريطانيا ، وبعدها أمريكا وروسيا وما تزال ، وتحاول حاليا إسرائيل بكل الوسائل وجميع الإغراءات لكن المدخل الذي أثارهم ضد إخوانهم العرب كان مدخل القومية العربية وقد استطاعت بريطانيا بواسطته أن تثيرهم .

علما بأن الأكراد بين شقى الرحا منذ القضاء على دولة الخلافة الروس يقاتلونهم والأرمن يقاتلونهم ، وهم يقومون بمنطقة عازلة بين ثورة إسلامية في إيران وبين بعث لادينى في الهلال الخصيب وبين روسيا الشيوعية القترية منهم في أفغانستان ، وأهم من ذلك الإنكار التام لحقوق مدنية من جانب إخوانهم المسلمين وأهمها حقوق المواطنة المشروعة والاشتراك فى الغنم كما يشتركون هم فى الغرم منذ صلاح الدين حتى آخر خليفة للمسلمين . (٢)

الشعبوية الدخيلة على فلسطين

إن الشعبوية التي تسلمت إلى فلسطين لها طابع خاص فهي تختلف عن كل الشعبويات فالعنصرية تسرى فى دم أصحابها ، وهم أنفسهم يفتخرون بها ، ومن خلالها يرسدون فرض سيطرتهم على سواهم ، ولقد ابتلى العالم الإسلامى بهذا النوع المتعالى على الإنسانية

(*) كردستان : منطقة جبلية بين الأناضول وأرمينيا وأذربيجان والعراق تتقاسمها تركيا والجمهورية العراقية وإيران والاتحاد السوفيتى سكانها أكراد (السجد فى العلوم ص ٥٨٦) .

(١) المرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) مجلة " المختار الإسلامى " (العدد ٣٢ - السنة السادسة) ص ٥٥ من مقال " الأكراد يتامى المسلمون " د / فهمى الشناوى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م بتصرف .

يقول عبد الرحمن زكى : فى أوائل الحرب العالمية (١٩١٤ - ١٩١٨ م) اتفقت الحكومة الإنجليزية مع المغفور له الملك حسين على استقلال البلاد العربية شرقى قناة السويس من عدن الى جبال طورس ومن خليج فارس (الخليج العربى) وحدود إيران الى البحر الأحمر ، والبحر المتوسط ماعدا المنطقة الواقعة غربى خط حلب - حمص - دمشق فقد أرجى النظر فى صيرها إلى ما بعد الحرب .

بيد أن هذا الاتفاق بين إنجلترا والعرب لم يحل دون عقد الاتفاق السورى المعروف باسم اتفاقية " سايكس - بيكو " فى التاسع من مايو عام ١٩١٦ على تقسيم البلاد العربية إلى منطقتى نفوذ إحداهما لانجلترا والثانية لفرنسا ، وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ م صدر وعد " بلفور " يجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود . (١)

والهدف من جعل فلسطين وطنا خاصا باليهود :

- ١ - الاستفادة من قوى اليهود العالمية .
- ٢ - إقامة حاجز أجنبى بين الأتصار العربية فى آسيا وبين شمال أفريقيا يحد من تضامنها على مكافحة الاستعمار .
- ٣ - إعداد قاعدة استراتيجية لانجلترا على البحر المتوسط " بفلسطين " .

وبرت انجلترا بوعدا للصهيونية أم الشعوبية ، فحين تأكدت من هيمنة اليهود على فلسطين أعلنت سحب انتدابها عام ١٩٤٨ م تاركة لليهود فرصة إعلان قيام اسرائيل وهكذا زرعت انجلترا دولة شعوبية بين البلاد العربية وهى أخطر نوع فى الشعوبية العالمية لأنها شعوبية تابعة من ذات نفسها يشعر بها اليهود دائما فى صورة تعال على كل الأجناس ، وأفتخار بالجنس اليهودى ، شعوبية لا يريد لها أصحابها أن تذوب ضمنى البشرية الرحبة ، والإنسانية السوية ، وهى فى الوقت تعتدى فى أى لحظة تشعر فيها بالقوة ولن يهدأ العالم أجمع إلا إذا أدى السلمون عامة واجبههم والعرب خاصة دورهم المفروض عليهم وتخلصوا من هذه الشعوبية البغيضة .

(١) الشرق الأوسط ص ١٦٥ و ١٦٦ .

الشعبية فى المغرب

من قديم الزمان كان يقطن بلاد المغرب العربى جماعة البربر^(*) وقد تعددت الأقوال وتضاربت فى أصل البربر فمن قائل إنهم من ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومن قائل إنهم يمنيون أو من غسان ، ومن قائل إنهم من نسل النعمان بن حمير بن سبأ وفدوا إلى بلاد المغرب ، ونخرج من هذه الأقوال بأنهم جماعات من عرب الصحارى واليهودى فى الشام وجزيرة العرب ، الصلة بينهم وبين عرب الحواضر وثيقة من الوجهة الإجتماعية .

وقد اختلف العلماء فى أصل الشعوب التى كانت تغطى أفريقيا الشمالية قبل الفتح الفينيقي والاحتلال الرومانى ، بل قيل أن يكون بين البحرين المتوسط والأطلسي المضيق الذى يدعى اليوم بمضيق جبل طارق فى ذلك الزمان الجيولوجى يوم كانت أوروبا متصلة بأفريقيا ، نزحت بعض الشعوب الأفريقية إلى أوروبا واستوطنتها فيكون الأوربيون بحسب هذا الرأى العلمى من أفريقيا أصلا ولا يكون الأفريقيون من أوروبا .

وقد ذكر ابن خلدون أن البربر من عرب اليمن نزحوا إلى المغرب قبل الفتح الإسلامى . (١)

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن القبائل البربرية اختلطت بالعرب الفاتحين ونسلهم فصار الدم بين الشعبين واحدا ومن ينكر أن دول المغرب منذ الفتح الإسلامى حسنى اليوم هى دول إسلامية وأن للبربر المسلمين الكثير من المآثر الحميدة والمجيدة فسى دولتى المرابطيين ، والموحدين لا ينكر ذلك إلا عدو حاقده خصوصا وأنه قد برز فى الدولتين أبطال مشهورون كابن صوفر ، وابن ياسين والبربرى العظيم يوسف ابن تاشفين

(*) أصل كلمة " بربر " يقال إن الذين سموهم بهذا الاسم هم العرب حينما خالطوهم ولم يفهموا كلامهم قالوا : " ما أكثر بربرتكم " فسموا بالبربر والبربرة بلسان العرب هى اختلاط الاصوات غير المفهومة وقيل : إن أول من أطلق كلمة " البربر " على هؤلاء الخلق هم الرومان (يراجع كتاب امير المسلمين يوسف ابن تاشفين تأليف إبراهيم محمد حسن الجمل ص ١٣ ، ١٤ بدون عدد للطبعة مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٩٢٦م .

(١) المغرب الأقصى " رحلة فى منطقة الحماية الأسبانية أمين الريحانى ج١ بدون عدد - للطبعة طبع دار المعارف بمصر .

قاهر الصليبيين في الغرب وموحد المغرب والأندلس (٤٠٠ - ٥٠٠ هـ) .

محاولة تجزئة المغرب " البربر والعرب "

لما فشلت فرنسا في فرنسة أهل المغرب العربى (تونس والجزائر ومراكش) فكرت في تزيق الأمة العربية بالفصل بين البربر والعرب على اعتبار أن سكان المغرب يرجعون في جنسهم إلى عرقين

١ - الحاميون الشماليون وهم البربر .

٢ - والساميون وهم العرب .

على اعتبار أن البربر جنس لم يذب في الجنس العربى بل ظل محتفظا بميلسه إلى الجنس الأوربى " وأفسح الفرنسيون المجال للبعثات التبشيرية بين البربر لتنصيرهم ووجهوا حملة إعلامية دعائية إلى البربر على أساس أنهم شعب مستقل عن " الغزاة العرب " ينحدر من شعوب أوربية ، وأنهم أوربيون أصلاء ، ولذلك يجب أن يرتبطوا مع فرنسا وأن يتجهوا إلى الغرب ، وعند الفرنسيون من ناحية أخرى إلى أحياء العرف والعادات والتقاليد القديمة ، واعترفوا بها مصدرا للتشريع المدنى وأقاموا لهم عملا وأعوانا من شيوخ القبائل الذين أصبحوا حلفاءهم " . (١)

وقد وضعت فرنسا برنامجا لتحقيق وإبراز هذه الشعوبية " حين أصدرت الظهير البربرى^(٢) الأول ١٩١٩م ، والثانى ١٩٣٠م ومجملها أن القبائل ذات التقاليد البربرية يجري عليها الحكم والإدارة بموجب شرعها الخاص وعاداتها أما ظهير (١٦ مايو ١٩٣٠) فقد قضى بإغلاق محاكم الشرع الإسلامى بين البربر على أن ترجع قضاياهم إلى هيئته تؤلف تسمى الجماعة تربط مباشرة بالسلطة الفرنسية . (٢)

ويرى أمين الريحانى أن الظهير وضع لأغراض ثلاثة :

أولا : فصل القبائل البربرية عن المغاربة لغة ودينا وذلك بنشر التعليم الفرنسى فيهم وبالتبشير بالدين المسيحى الكاثولىكى .

(١) الفكر العربى المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية الأستاذ / أنور الجندى ص ٢٢٧ .

(٢) هو عبارة عن وثيقة استقلال البربر عن العرب المسلمين ، والعودة بهم إلى تحكيم عادات وتقاليد القبيلة بدلا من أحكام الإسلام .

(٢) المرجع السابق .

ثانيا : استقلال القضاء البربرى ، أو مايسمونه العرف البربرى عن الشرع الإسلامى
 وادخاله تدريجيا فى القضاء الفرنسى .
 ثالثا : تملك الفرنسيين أرض القبائل بطرق مشروعه يستتبطونها من عادات البربر وتقاليدهم
 التى تعهدوا أن يحترموها .^(١)

ويتساءل " الريحاني " قائلا فهل فى احلال القضاء الفرنسى محل القضاء العرفى
 كما هى الحقيقة فى التقارير الملحقة بالظهير وهل فى احلال الثقافة الفرنسية محسّل
 الثقافة العربية شىء من الاستقلال البربرى ، أو من المحافظة على حقوق البربر التقليدية؟

ثم يجيب بأن المسألة مرتبطة بقاعدة استعمارية هى قاعدة " فرق تسد " وهذا ما
 نطق به بعض الكتاب الفرنسيون : قال " روبرتو " : يوم يصبح فيه أبناء فرنسا أصحاب
 الرأى المطلق فى الشمال الأفرقى فينشأ على أنقاض الإرث الرومانى بئس من وسلام شعب
 فرنسى ويرفرف على شواطئ البحر المتوسط العلم المثلث الألوان هوذا الفوز السذى
 يضمن لنسلنا المتزايد أصقاعا أمينة يلجأ إليها كلما مست الحاجة إلى ذلك .

وقال مارتى (P . Marty) : " ماجننا هذه البلاد " أفريقيا الشمالية " حبا
 بأهلها ، بل لنجعل من تربتها أرضا صالحة لأبناء فرنسا ، ونعيد لها إلى الحضيرة
 اللاتينية كما كانت قبل الغزو الإسلامى " .

وقال جيرو (Guiraud) الذى انتدبته الحكومة الفرنسية لإصلاح العدلية
 التونسية وكان بعدئذ عضوا فى لجنة اصلاح العدلية المغربية : " إن القضاء البربرى
 قائم على الفكرة فى أن البربر مسيحيون فلا يجب أن يخضعوا للشرع الإسلامى " .^(٢)

ويلغ من يقظة شعب المغرب أن عقد مؤتمر اسلاميا بمدينة فاس فى ٢٢ رجب
 و ٢٢ شعبان عام ١٣٥٠ هـ ، وعهد المؤتمر إلى رئاسته بالاحتجاج على موضوع
 الظهير ويطلب الغائه والكف عن الأعمال التبشيرية .

(١) المغرب الأقصى ص ٢٢٨ .
 (٢) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

ب - ظهور النزعات القومية

إن بنية دولة الإسلام قامت على الوحدة الشاملة ولقد كانت الدولة الإسلامية في المدينة النبوية حقيقة واضحة للوحدة الإسلامية في أجلي معانيها شملت المهاجرين والأنصار وأخت بينهم أخوة لم تعهد من قبل وكانت هذه الوحدة الشاملة جزءاً من صلب رسالة الإسلام واستجابة لأمر القرآن الكريم : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " . (١)

ودولة الإسلام الواحدة أساس متين للإسلام وعون للمسلمين في تأدية رسالتهم في الحياة كما أمر الله تعالى يقول الدكتور كليم صديقي : والحقيقة هي أن القومية كانت مجهولة لدى المسلمين قبل نحو مائة عام سواء كنظرية سياسية أو كشعور شعبي وكان المسلمون على مدى ١٣٠٠ عاماً قبل ذلك يحكمون أجزاء كبرى من العالم وأنشأوا دولا وإمبراطوريات كبيرة بدون أن يشيروا في غرائز الناس شيئا يشبه القومية الحديثة ولا بصورة غامضة . (٢)

معنى القومية

اختلف المعرفون للقومية في تحديد مفهوم لها وتعددت تعاريفهم حولها تبعاً لاختلاف نظرتهم إلى الرابطة التي يلتف حولها الناس أو تربط مجموعة منهم وتؤلف من مجموعهم قومية واحدة ولذا يقول الدكتور / محمد محمد حسين :
القومية مصدر صناعي ، مقيس على ما توضع العرب المعاصرون على اشتقاقه بإضافة ياء النسب ، وتاء التأنيث لمواجهة الكثرة الفائرة المتدفقة من المصطلحات الحديثة في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية المستحدثة وهي ترجمة للاصطلاح الفرنسي Nationalism . (٣)

-
- (١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .
(٢) المختار الإسلامي ص ٣٠ (من مقال بعنوان) ندوة عالمية حول تأثير القومية على الأمة الإسلامية .
(٣) الإسلام والحضارة الغربية د / محمد محمد حسين ص ١٩٥ .

وقد شرحت " الإنسيكلوبيدى " ^(٩) كلمة الأمة Nation بما يلى اسم جمع يستعمل للدلالة على كمية كبيرة من الناس الذين يعيشون على قطعة من الأرض داخل حدود معينة ويخضعون لحكومة واحدة ، كما أنها شرحت كلمة الدولة " Etat " بما يلى :

اسم جنس يدل على جماعة من الناس يعيشون معا تحت حكومة واحدة فى حالة سعادة أو شقاء يظهر من ذلك أن " الانسيكلوبيدين " ماكانوا يميزون بين الجماعة التى تؤلف الأمة وبين الجماعة التى تعرف باسم تبعة الدولة ورعاياها ، ونظرتهم للدولة والأمة تستلزم - كما يفهم من التعريفين - اعتبار جميع رعايا الدولة الواحدة أمة واحدة بقطع النظر عما يكون بينهما من فروق واختلاف كما تستلزم أيضا أن الناس الذين يخضعون لدولتين مختلفتين منقسمون لأثنين دون مراعاة لما بينهما من مشابهة كبيرة بل مجانسة تامة . (١)

ويعرف : هانز كهن القومية : بأنها شعور الفرد بالمرء المطلق الموجب عليه نحو دولته القومية ^(٢) ويرى أنها تستعص على التعريف الدقيق وكثير منها يشتمل على عناصر خارجية معينة تميزها عن غيرها من القوميات كوحدة الاصل واللغة ، أو الاقليم أو الوحدة السياسية ، أو العادات والتقاليد أو الدين .

ولكن من الواضح أن وجود القومية أو تعريفها لا يستلزم أى عنصر من هذه العناصر فشعب الولايات المتحدة لا يدعى وحده ومع ذلك فهو يكون قومية ، والشعب " السويسرى " يتحدث بثلاث لغات أو أربع ومع ذلك فهو يؤلف قومية واضحة المعالم ومع التسلسيم بأن العناصر الخارجية ذات شأن كبير فى تكوين القوميات فإن الزم العناصر لتكوينها هو وجود إرادة حية جماعية فعالة هذه الارادة هى التى نسميها القومية ^(٣) وينبغى أن نعلم أنه ذكر الدين كعنصر للقومية عرضا ، وهو فى الواقع الأساس الذى ساعد على ظهور القومية بأوربا ضعف الكنيسة وبالتالى ضعف التدين فنذ القرن الرابع عشر الميلادى والكتاب يشيرون إلى القومية كبديل عن التجمع حول الكنيسة بمعنى أنه لو كانت الكنيسة تسير على نهج المسيح عليه السلام لما كانت أوربا فى حاجة إلى قومية

(٩) الإنسيكلوبيديا : هى دائرة العلوم والفنون الفرنسية ، أنشئت فى القرن ١٨ ثم أطلقت على كل دائرة علوم وفنون (يراجع السجد فى العلوم ص ٧٧ و ٧٨) .
(١) ماهى القومية ساطع الحصرى ص ١٥ ط (١) دار العلم للملايين بيروت حذيران يونيو ١٩٥٩ .

(٣٥٢) القومية معناها وتاريخها تأليف هانز كهن ص ١ و ٢ بتصرف يسير ، ترجمته أمين محمود الشريف بدون عدد للطبعة مطبعة نهضة مصر بالقاهرة بدون تاريخ .

وكفاها الدين رباطا يوحدھا ، وهو مايقول به : " بويد شيفر " وترجمته ولوأ ن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لم تفقد قوتها وجاذبيتها لكانت القومية الحديثة أضعف بكثير وأقل انتشارا ما هي عليه الآن وكان من المحتمل أن تظهر دولة عالمية تقوم على أسس ودعائم دينية ولكن الكنيسة لم تعد تحتفظ بالمركز الأول المسيطر على حياة الناس وهذا ما حمل هؤلاء الناس على البحث عن الخلاص في مكان آخر عند الملك وعند الأمة فقد حول بعض الناس الكثير من الحماس والولاء الذي كان يشعر به أسلافهم للكنيسة نحو الأمة^(١) وكان التفكير في القومية كبديل عن الالتفاف حول الكنيسة وانتشرت القومية في أوروبا وأمريكا إبان القرن التاسع عشر بصورة ملفتة للنظر ثم سرت عدواها في آسيا وإفريقيا إبان القرن العشرين للميلاد .

ولقد استعاض الغرب عن الوحدة الشاملة التي تنبع من العقيدة باحلاف عسكرية تظهر قوته ، ثم بوحدة اقتصادية تسد حاجته بينما كانت " القومية " في كل من " آسيا " و " إفريقيا " نكبة حلت بالشعب الإسلامي ، وفتحت باب الشعبوية من جديد ، فأقبلت الإقليمية هي الأخرى تظهر بصورة مخيفة .

أوروبا والقومية

كانت هناك بدايات للقوميات في الغرب منذ القرن الرابع عشر وكانت تتمثل فـس الدعوة إلى الإتحاد إلى أن جاء عهد النهوض القومي (١٨٣٠ - ١٨٤٨ م) ، وانتهى هذا العهد بعصر انتصار الحرية والقومية والأمر الملفت للنظر أن القوميات في أوروبا كان لها ما يبررها

١ - فهي بالدرجة الأولى تخلص من تناقضات الكنيسة وتسلطها المتجبر باسم الدين .

٢ - وهي تجمع لقبائل متعددة تحت شعار قومية معينة فقومية " فرنسا " حققت وحدة لها بواسطتها تمكنت أن تحمي نفسها من عدوان جيرانها ، وقومية إيطاليا كانت بمثابة تحقيق لوحدة إيطاليا على أثر الفشل الذي أصاب الثورات التحررية .

(١) القومية (عرض وتحليل) تأليف / بويد شيفر ترجمة د / جعفر خصباك د / عدنان الحميرى ، تقديم / محمد بديع شريف ، ومراجعة حسن على الذنون ، أحمد رفعت البدر أوى ص ٢١٣ بدون عدد للطبعة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد - نيويورك ١٩٦٦ م .

ولما رأى مازينى " Mazzini " (١٨٠٥ - ١٨٨٢ م) الذى يلقبونه برسول الحرية والحركة القومية أن " جمعية الكارونارى " النائرة لا تؤدى إلى تحقيق الآمال القومية فأنشأ جمعية " إيطاليا الفتاة " وجعل شعارها " الله والشعب " فسوى بذلك بين الإيمان الدينى والإيمان الوطنى وكان قصده من ذلك على ما يبدو أن تقسم القومية على نزعة دينية عقدية .

فجانبه الصواب لأنه سوى بين الإيمان بالدين والوطن وأرادت ألمانيا أن تجعل قوميتها رداً يجمع ولاياتها فى اتحاد واحد فقد كان أمير لكل من سكونيا وغيره وهتوفر وكل أمير يرفض أن يعترف لغيره بالزعامة ولم تكن القوميات الأوربية كلها تجميع للإمارات فبعضها كان انفصالا من إمبراطوريات يقول الدكتور / محمد محمد حسين : وقد نتجت عن الحركات القومية فى أوروبا فى القرن التاسع عشر ظاهرتان متناقضتان ، أحدهما يدعو إلى الإنسلاخ من الإمبراطوريات الكبرى ، كالذى حدث فى حركات دول البلقان والبلاد العربية حين تداعت إلى الإنسلاخ من الدولة العثمانية ، والأخرى تدعو إلى ضم شتات الإمارات الصغيرة التى يعتقد بناءً على علم الأجناس البشرية الحديث - أنها تنتمى إلى أصول عرقية مشتركة ، كالذى حدث فى نشوء الدولتين الألمانية - والإيطالية واجتماع كل منهما فى دولة كبرى بعد أن كانت مجموعة من الإمارات الصغيرة المتنافسة . (١)

عناصر القومية

القوميات التى ظهرت فى أوروبا وفى البلاد الغربية عامة تكونت فى الغالب من مجموعة من العناصر ، أو العوامل المشتركة كالعرق واللغة والتاريخ المشترك والصالح المشتركة ووحدة الأرض كما يدعى القوميون .

وعلى أرض التجربة ومن الواقع المشاهد ثبت فشل بناء القومية على أى من هذه العناصر ، وقد أثبت عدم صحة قيام القومية على أى من العناصر المذكورة أو مجموعها محمد محمود الصواف حين قال نقلا عن " مازينى " مؤسس القومية الإيطالية : لانستطيع أن نجد فى بقعة واحدة من بقاع أوروبا شعبا نقيا خالصا لم يمتزج بسلالات شعبية أخرى ففرنسا من الأم الحديثة أهلها مزيج من الألمان والسلافيين والرومان وهذه

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٦٥ .

النظرية تنطبق على أكثر الشعوب بما فيها الشعب العربى فانه بعد الفتح الاسلامى اتصل العرب بالفرس والروم والترك وغيرهم من شعوب العالم . (١)

ولم يكن عنصر اللغة هو العنصر الأساسى للوحدة القومية فالهند يتكلم أهلها بأكثر من ثلاثمائة لغة تختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافا أساسيا بحيث لا يستطيع أحدهم التفاهم مع الآخر ، ولابد من مترجم بينهم ومع ذلك فساكن الهند شعب واحد وحكومة واحدة وكذا الحال فى " الباكستان " فاللغات الأصلية فيها خمس لغات عدا اللغات الفرعية وهى أمة واحدة وشعبها شعب واحد .

كما نجد " أمريكا " و " إنجلترا " تتكلمان اللغة الإنجليزية ذات الأصول والقواعد والاشتقاقات الواحدة ومع ذلك فهما شعبان مختلفان وأمتان متباينتان فلم تجمعهم اللغة الواحدة ولم تربط بينهما قومية واحدة لاشتراكهم فى اللغة الواحدة ، والقائلون بأن التاريخ المشترك يكون الوحدة ، يرد عليهم بأن التاريخ يصنعه الرجال ، وكثيرا ما قامت أم بأعمال جسام .

وسجل التاريخ لتلك الأمم الانتصار الذى جاء نتيجة الجهد الموحد فإذا انتهت المهمة التى من أجلها كان الاتحاد ذهب كل إلى وجهته ، وفى الحرب العالمية الأولى قاتلت " ألمانيا " دول الحلفاء إلى جانب " تركيا " وفى الحرب العالمية الثانية اشتركت أمريكا وبريطانيا وروسيا سوية فى محاربة ألمانيا النازية وعند انتهائ الحرب بدأ الصراع الرهيب بين هذه الدول فكان تجمعها لدرء الخطر ، أو لجلب المصالح وانتهى بتأدية الدور والذين يجعلون من الأرض رابطا يصددهم الواقع فالأرض العربية سكنتها شعوب مختلفة متباينة فى كل شئ الآشوريون ، والفينيقيون والفراعنة كل هؤلاء جميعا عاشوا على الأرض العربية التى نسكنها نحن اليوم وهم شعوب مختلفة منهم بقايا بيننا ، ولكننا لانشعر أبدا بما يربطنا ويشدنا إلى هـذه الشعوب .

ونرى الدول التى تربطها مصالح مشتركة متباينة فى كثير من الأحوال .
والخلاصة : أنه يظهر ما تقدم أن نظرية العرق ، واللغة والتاريخ ، والأرض ، والمصالح المشتركة كلها لاتصلح أسسا ولا قواعد للفكرة القومية ، والفكرة القومية نفسها لاتصلح أساسا لوحدة الأمة العربية فى هذا الزمن والذى يسود الشعوب ويجتمع بينها ويصنع منها أمة واحدة إنما هو العقائد ، والحرب منذ القدم عقائدية وقد انتهت

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٢٣ • ٢٤ •

المبشرون والدعوة القومية

حاول المبشرون ومن يسير في ركابهم إثارة النعرات القومية من جديد في عالم الإسلام • فلقد فكر أعداء الإسلام من الفرنج في سعة رقعة البلاد الإسلامية • وتقدم أتباعها • وسريان دعوة الإسلام في أرجاء الأرض في فترة وجيزة • وعرفوا أن أسباب رفعة المسلمين وعلو مكانتهم وسر قوتهم هو التمسك بالدين والالتفاف حول عيسى عليه السلام التي جمعت المسلمين في المشرق والمغرب قلبا وقالبا • فكانت وحدتهم نقطة الانطلاق والنصر مما أفاظ أعداء الإسلام • فأجمعوا أمرهم في صورة صليبية حديثة تتحرك من منطلق فكري معاد للمسلمين • وترسم الخطط لإزالة الترابط الإسلامي وتقطيع أوصال أمة الإسلام • وسلك أعداء المسلمين طريق التفرقة بإثارة النزعات العصبية وبعث مايسمونه بالقومية علما بأن الإسلام قضى على هذه النزعات ودفن أمثال هـنـذ القوميات وتبرء من كل من يريد الانشقاق لإمة الإسلام أو يفعل ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي " صلى الله عليه وسلم " أنه قال : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عيبة يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أو يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ فقتل فقتله جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه • (١)

واستجاب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لهذه التعاليم فعاشوا أخوة متحابين يربطهم الإيمان برباطه المتين • وعز على أعدائهم أن يتآلم المسلم لألم أخيه المسلم أيا كان لونه ووطنه يقول : محمد محمود الصواف :

ولكن الغرب قرر احياء هذه العصبيات • وبذل الجهد والمال واث الرجال من وكلائه في ديار الإسلام حتى يعملوا على نشر هذه العاطفة القومية التي من شأنها أن تبعد المسلم العربي عن أخيه المسلم الأعجمي وتشر بينهم هذه العصبية التي نهى

(١) يراجع المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام من ص ٢٣ - ٢٩ •
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٣٨ • ٢٣٩ " كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة •

عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وحاربها الإسلام " ليس منا من دعا إلى عصبية " (١)
 لكن الاستعمار وعملائه أرادوا الشر لعالم الإسلام فأشار الاستعمار القوميـة
 الطورانية في تركيا والقومية الفارسية في إيران ، والقومية العربية في البلاد العربية
 والقومية البربرية في المغرب ، والقومية الباكستانية في باكستان ، والقومية الجاوية في
 إندونيسيا ، وكل هذه النعرات وغيرها في ديار الإسلام رعاها الاستعمار وغذاها
 رجاله وأعرانه ليهدم بها بنيان الإسلام الشامخ ويمزق شمل المسلمين ويشتت وحدتهم . (٢)

وما يؤسف له أن يلتقط بعض المثقفين أشياع الفكر الغربى فكرة القومية ويرددونها
 ويفلسفونها كل على حسب هواه تقليدا للغرب واقتداء به فى كل شىء .

فكرة القومية عند الأتراك

المتتبع لنشوء الفكرة القومية عند الأتراك العثمانيين يرى أن الأتراك العثمانيين
 كانوا على علاقة وثيقة بالأمة العربية فلقد كانت دولة الخلافة العثمانية تحكم معظم الأمة
 العربية وكانت دولة إسلامية بكل ماتحمله الكلمة من معنى .

" كان الأوروبيون يسمونها " تركيا " ولكنها هى نفسها ماكانت تتلقب " التركية "
 أبدا بل كانت تسمى نفسها على الدوام " الدولة العليا العثمانية " (٣) . (٤)

وكان المسلمون فى جميع الأقطار العربية يجلبون السلطنة لما تقدمه للإسلام من
 تضحيات يقول ساطع الحصرى : والسبب فى ذلك يعود إلى تاريخ نشوء السلطنة
 وكيفية تأسيسها ، فمن المعلوم أن الدولة العثمانية كانت فى بادئ الأمر إمارة من
 الإمارات التابعة إلى الدولة السلجوقية ثم انفصلت واستقلت عندما مات آخر سلاطين

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٢١ - ١٨٢ .

(٢) سميت " بالدولة العليا العثمانية " نسبة إلى مؤسسها وهو السلطان عثمان - وذلك
 فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وقد استقر له ولذريته
 الحكم فى هذه السلطنة ، (انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين فى العالم
 محمد كمال حسين ص ٩٤ ط (١) طبع دار التراث العربى بالقاهرة ١٩٧٦ م .

(٣) محاضرات فى نشوء الفكرة القومية (أبو خلدون ساطع الحصرى) ص ١١٣ ط (٢)
 ألفت هذه المحاضرات فى قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة بدعوة من كلية الآداب
 ١٩٤٨ م .

السلاجقة ، وهذه الإمارة كانت تتنازع عن سائر الإمارات التي انفصلت عن الدولة السلجوقية بموقع جغرافى هام ، إنها كانت مشاخرة لحدود الإمبراطورية البيزنطية الهرمة من نواحيها الغربية من الدردنيل فكان أمامها مجال واسع للفتوحات على أساس " غزو بلاد الكفر " والجهاد فى سبيل الإسلام وكلما كانت تفتح مدينة من المدن البيزنطية كانت تتلقى من سائر أمراء المسلمين رسائل التهاني والتبريك لأنهم كانوا يعتبرون هذه الفتوحات بمثابة توسيع حوزة الإسلام ونشر رأيه بين الأنام . (١)

وما يدل على الوفاق بين مسلمى دولة الخلافة فى ذلك الحين أنهم كانوا يحرصون على استعمال اللغة العربية فى مكاتباتهم ، ويعتبرون لفظة " تركيا " مرادفة للعامية وكان الكتاب والمؤرخون يعتبرون التاريخ العثمانى جزءاً متصلاً لتاريخ الإسلام ، وينظرون إلى السلاطين العثمانيين كأخلاف لسلفهم من الخلفاء الأقدمين من الراشدين فالأمويين إلى العباسيين وسلاطين الأتراك لم يرغبوا فى الانتساب إلى التركية لأن كلمة التركية كانت فى عرف رجال الدولة مرادفة للعامية والبداية وبعض المؤرخين عندما يضطرون إلى ذكر كلمة أترك كانوا يردفونها بتعبير " بى إدراك " بمعنى المحرومين من الإدراك .

هذا واللغة الرسمية ماكانت تنسب إلى التركية بل كانت تنعت بالعثمانية فانهم يقولون " لسان عثمانى " بمعنى اللغة العثمانية وصرف عثمانى " بمعنى الصرف العثمانى " وأديبات عثمانية بمعنى الآداب العثمانية .

وذلك لأن الكتاب والأدباء كانوا يكترون من استعمال الكلمات العربية والفارسية وكانوا يعتبرون القواميس العربية والفارسية ملكاً مباحاً ومشاعاً يسوغ لهم أن يقتبسوا منها ما شاءوا من الكلمات لإيجاد قوافى طريفة فى أشعارهم ، أو ابداع عبارات رنانة فى كتاباتهم (٢) ، وظل الأمر فى السلطنة العثمانية على هذا الوضع كل شئ فيها يدعى بالعثمانى أو الإسلامى ، وفكرة القومية بعيدة عن خاطر رجال الدولة ومفكرى الأمة ، وسواد الشعب ، حتى جاء العصر الذى عرف فى التاريخ العثمانى باسم عهد التنظيمات وخلالها ظهر دعاة القومية الطورانية ، ودارت الاتجاهات داخل السلطنة العثمانية فى القرن التاسع عشر فى ثلاث محاور متباينة : واحد يؤيد الجامعة العثمانية العثمانية بوضعها الراهن ، وآخر يحض على إقامة جامعة إسلامية ، وثالث يدفع

(١) المرجع السابق ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ص ١١٦ ، ١١٧ بتصرف .

الشعب دفعا إلى القومية الطورانية ، وساعدت الحوادث على بروز الاتجاه الثالث
فقد قيل أن الحرب الكبرى الماضية قضت على الأولى ، " مصطفى كمال " عززل
الثانية عن تركية فلم يبق إلا الثالثة وهذه النزعة نفسها تحولت إلى نزعة تركيـسـة
بدل أن تكون طورانية . (١)

وكان لأفكار دعاة الطورانية أثر ملموس في بروزها على ساحة الأحداث وفي مقدمة
الدعاة إليها " ضياء كوك ألب " الذي يقول عنه السيد أبو الحسن على السحسيـسـنى
الندوى : إن " ضياء كوك ألب " دعا بكل قوة وصراحة إلى سلخ " تركيا " من ماضيها
القريب ، وتكوينها تكوينا قوميا خالصا ، وإيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد
للحضارة القديمة التي ساهم الأتراك - على زعمه - في تكوينها وحراستها . (٢)

فهو يرى أن هناك عصرا طورانيا سابقا للعصور القديمة وأن هذا العصر
الطوراني عصر أجداده الأتراك الذين سكوا آسيا الوسطى وكانت لهم حضارة رقاها
الأتراك المسلمون ثم نقلوها إلى الأوربيين .

ومن هنا عاوده الحنين إلى الحضارة الغربية على أساس أنها من صنع أجداده
والتاريخ لم يثبت هذا التوهم الذي قال به هو ورفاقه الذين نبذوا فكرة الجامعة
الإسلامية واستبدلوها " بفكرة الجامعة الطورانية المبنية على التأليف بين الناطقين
باللهجات التركية أولا ثم تكوين اتحاد حلفي منهم ومن الأمم التي أصلها طوراني
مثل المجر " هنغاريا " " والبلغار " و " فنلندا " فهو يرى الاتفاق مع هؤلاء طبيعيا
ومفيدا أكثر من فكرة الجامعة الإسلامية . (٣)

واستطاعت القلة المتأثرة بالتعاليم والحضارة الغربية المادية أن تجذب إليها من
شباب تركيا الذين لا يحملون عداوة للإسلام لكنهم في نفس الأمر وقعوا تحت تأثير دعاة
القومية ولذا يقول شيخ الإسلام بدولة الخلافة العثمانية مصطفى صبرى : وبالرغم من أن

(١) المروية في ميزان القومية نقولا زيادة ص ٥٢ بدون عدد للطبعة طبع دار العلم
للملايين بيروت ١٩٥٠م بتصرف .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٤١ ط (٣) مطبعة التقدم بالقاهرة
١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

(٣) الأسرار الخفية وراء إلغا الخلافة العثمانية (دراسة حول كتاب " النكير على
منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة لشيخ الاسلام مصطفى صبرى تقديم
د / مصطفى حلمي ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

الداعين إلى الجامعة الطورانية كثيرون فإن الذين يضررون العداوة منهم للإسلام أقلية غير أننا نقول بكل أسف أن هؤلاء لم يكونوا موجودين من قبل نصاروا الآن موجودين وأن عددهم في ازدياد ولهم تأثير لا يمكن إنكاره وإذا كان هذا التأثير ليس هو كل شيء في تركيا فإنه إذا لم يقاوم ، وإذا لم يقف عند حد سيكون له شأن غير شأنه الآن فهم يعتبرون الدين مظهرًا من مظاهر القومية العربية ومفخرة من مفاخرها ورجال الإسلام هم أمجاد الأمة العربية .

أما الترك فهم في نظر هؤلاء لاعلاقة لهم بكل ذلك وخير لهم أن يحيا ذكسرى عقائد الجاهلية التركية كالوثن التركي القديم * يوزقورت * (الذئب الأبيض) ولهذا الوثن أناشيد يترنمون بها وهو مصور على بعض طوابع بوسطة حكومة أنقرة . (١)

وانكشف أمر الطورانيين ، ورأى الجميع أن الطورانية في أجمل صورها خضوع لغير الله تعالى وعودة للجاهلية بما فيها من تمجيد للأصنام ، وحب للأوثان يقبول هانزكوهن ماترجمته : وأضخم شخصية وضعت أسس القومية التركية في الربع الأول من القرن العشرين كان هو " ضياء كوك ألب " وقد تحول من العثمانية إلى التركية ، من مجموعة من الشعوب التي تعيش تحت الحكم العثماني والأخوة في الإسلام إلى وحدة الجنس والثقافة المفترضة في كل الشعوب التي تتكلم التركية وتعتبر " طوران " (تركستان في آسيا الوسطى) وطنهم المشترك .

وقد كتب إحدى قصائده " إن الشاعر التي تنبض في دمي هي صدى ماضي أبني لا أقرأ عن الأعمال المجيدة لاسلاف في صفحات مزقة صفراء متربة من التاريخ ، ولكن في الدم الذي يجري في عروقي وشخصيات " أتيل " (٢) وجنكيز خان (٣) البطولية لا تقل

(١) المرجع السابق ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) أتيل Attila ملك الهون (٤٣٢ - ٤٥٣ م) والهون أقوام أسيوية جاءوا من " سيبيريا " أو من أواسط القارة الآسيوية (منغوليا) وقد انفرد أتيل بالحكم من عام ٤٣٤م وغزا الإمبراطورية البيزنطية عام ٤٤١م وهاجم " غاليا " وهي البلاد الشاملة لـ (فرنسا - بلجيكا - وإيطاليا الشمالية) وقد اجتاحت مدن إيطاليا دون أن يمس روما ٤٥٢م (يراجع المنجد في العلوم ص ٢٢ ، ٥٠٢) .

(٣) جنكيز خان (ابن يشوكي) (١١٦٧ - ١٢٢٧م) منشئ الإمبراطورية المغولية التي انتشرت في العالم ولد في إقليم دولون بلدي (بلاد الروس) وكان اسمه الأصلي تيموجين هز بفتوحاته أركان الدول جميعا فيما بين الصين والبحر الأسود (يراجع المرجع السابق ص ٢١٩) .

ضخامة عن الإسكندر وقبصر .

وأدنى مع ذلك إلى قلبي أوكوزخان وهو شخصية مغشورة غامضة في التاريخ ومسح ذلك فهو يعيش في قلبي وينبض في عروقي بكل مجده وعظمته و " أوكوزو " هو الذي يفرح قلبي ويوحى لي بأن أهتف بفخر أن تركيا ليست وطن الأتراك ولا التركستان أنها الأرض إلا بعد من ذلك امتدادا إنها طوران الخالدة . (١)

وانطلق " ضياء كوك ألب " نحو الغرب مقلدا إياه في مظاهر خادعة ، وصور براقعة في طريقة المأكل ، واللبس ، والزينة ، واللهو ، في الوقت الذي تحلل من تعاليم الإسلام وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

يقول شيخ الإسلام مصطفى صبرى : وهذا الرجل وأمثاله يعتقدون أن الديسن الإسلامي هو عبارة عن احتلال عرسي بسط سلطانه على الترك ودخل بيوتهم وجعل لنفسه سيادة على نفوسهم ومن الواجب الخلاص منه بأي حال ويقولون إن الوضع وسائر القواعد الإسلامية وضعت لأم تسكن البلاد الحارة والمعتدلة أما الترك وأمثالهم من أبناء الأمم الباردة فلا تلائمهم هذه القواعد . (٢)

ومضى في طريق " ضياء كوك ألب " مصطفى كمال وكان هذا الرجل قد تعلم فسي المدارس الفرنسية منذ صغرة فلما خرج منها كان يؤمن بأربع نظريات :

- ١ - أفضلية نظام " الدولة اللادينية " .
- ٢ - تقديس المادة واعتبارها أساسا للعلاقات الدولية .
- ٣ - اعتبار " فرنسا " وأنظمتها ، أمثلة عليا جديدة بأن تقلدها الشعوب .
- ٤ - الإزدراء بالحضارة العربية وانكار فضلها على الإنسانية (٣) ، ولذا احتقر ماضي تركيا العثمانى والإسلامي ، وجنح في رغبته إلى الغرب مرتيا في أحضانه ، وكما كتب " خليل اينالكيك " الأستاذ بجامعة أنقرة قائلا : كان انتصار " مصطفى كمال " هو انتصار " التغريب " في أكثر ما فهم من أشكاله فهما جذريا كانت الدولة التي أصبحت جمهورية منفصلة تماما عن الدين وألغى الإسلام بوصفه نظاما سياسيا وأصبح التعليم

(١) عصر القومية تأليف هانز كوهن ترجمة عبد الرحمن صدقي ومراجعة مصطفى حبيب ص ١٥٠ .

(٢) الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ص ١٧٣ .

(٣) المغرب المسلم ضد اللادينية إدرس الكتاني ص ٤٦ ، ٤٧ بدون عدد للطبعة مطبعة الجامعة بالدار البيضاء ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م .

والقانون والأدب عصريا وغربيا تماما ونزعت من اللغة كل ارتباطاتها التقليدية —
 " العربية أو الفارسية " وكانت تكتب بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية واستبعد
 كل ما يمت للإسلام بصلة وصارت تركيا مثلا للقومية التي قطعت كل روابطها بماضيها غير
 الأوربي^(١) فسلخها " أتاتورك " من جلدتها وعراها من شوبها الأصيل .

وما قام به مصطفى كمال بعد الحرب العالمية الأولى إنما كان تطبيقا صريحا لدعوة
 " ضياء كوك ألب " الذي دعا إلى إلغاء المشيخة الإسلامية ، والمحاكم الشرعية ، والمعاهد
 الدينية ، وتأسيس مدرسة للإلهيات في الجامعة وإلغاء نظارة الأوقاف ، بعد أن فرق
 بين الخلافة والسلطنة وعرف الأولى بأنها الإمامة الكبرى وبأنها رئاسة جميع الأئمة الذين
 يصلون بالمسلمين في جميع أنحاء الإسلام وهذا بعض ماورد في قانون ٨ نيسان ١٩٢٤م^(٢) .
 يضاف إلى ذلك الدعوة إلى السفور ، والحملة الشعواء على الحجاب ووصفه بأنه عبادة
 عربية ، والتطاول على اللغة العربية والأدب وكل الأخلاق الإسلامية ، والمواظب الحسنة
 والعادات الأصلية القويمة على اعتبار أنها لا تتماشى مع الأخلاق والعادات التركية ،
 وذلك في الوقت الذي اقتبس فيه سفاسف الأمور من الغرب على اعتبار أنها قسمة
 التحضر والرقى والتقدم .

بدء الاستتراك وتسامه

حركة الاستتراك بدأت في اللغة أولا ، وانتقلت إلى الأبحاث التاريخية والأدب فقد
 وضعت الأدبية التركية المشهورة " خالدة أديب " رواية كبيرة عنوانها باسم " الطوران
 الجديد " وتخللت فيها أبطال الرواية يرتلون هذا النشيد : أيها الطوران الجديد
 أيها القطر الجليل ! أرنأ أين السبيل إليك .^(٣)

وجريان اللفظ على ألسنة الناس ، وسعى القوميين إلى تعميق مفهومه وبالتقليد
 الأعشى تحول الاستتراك من مرحلة إلى أخرى حتى صارت الدولة تسمى باسم الحركة
 " تركيا " في النهاية .

وهو ما توصل إليه " ساطع الحصري " وعبر عنه بقوله : إن الفكرة القومية عند الأتراك
 العثمانيين بدأت أولا كحركة لغوية أدبية ، ثم صارت تظهر في الأبحاث التاريخية —

(١) عصر القومية ص ١٥٣ بتصرف يسير .

(٢) اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ص ٣٩ ، يراجع تركيا الحديثة محمد عزه دروزه

ص ٧٢ مطبعة الكشف ببيروت ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

(٣) محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ١٤٥ .

وبعد ذلك انتقلت إلى ميادين الحكم والسياسة ، وإذا سمينا حركة القومية التركية بالاستتراك جاز لنا أن نقول : إن تيارات القومية التركية عند الأتراك العثمانيين - بدأت باستتراك اللغة ثم انتقلت إلى استتراك التاريخ وانتهت في آخر الأمر إلى استتراك الدولة . (١)

وينبغي أن لانغض الطرف عن الدور الأول لمفكرى القومية الغربية في هذه الحركة الاستتراكية فهم الموجه الأول لها ، والمحرك الأساسي لدعاتها ويرى " لوتسف توماس " أن هذه الدعوة الطورانية نزعة عاطفية أكثر منها حقيقة علمية ، ويجب أن نقول إن - القومية التركية ليست في الواقع سوى تقليد للقومية الغربية في كثير من وجوهها ، وأن الدافع الحقيقي لنشأة القومية التركية هو إحساس هذه القلة المثقفة بأن القومية ستكسبون رباطا يجمع ماتبقى من أوصال مفككة للإمبراطورية التركية التي لم يكن لها أمل في أن تعيش إلا إذا أخذت بأساليب الحكم والإدارة الأوروبية .

وهكذا يمكن القول إن هذا التيار قد شق طريقه منذ عام ١٨٦٥م حتى تبلور عام ١٩٠٨م في نظام حكم وفي عام ١٩٢٤م في الانقلاب الكمالى وأنه كله كان امتدادا طبيعيا للمدرسة الغربية التي كانت تعلن بأن الطريق الوحيد للدولة العثمانية في مواجهة التخلف والضعف ومرحلة الجمود لن يحقق إلا ببلوغ نهاية الطرف الآخر من الاتصال بالحضارة والفكر الأوربي - انتقالا من مفهوم الوحدة الإسلامية إلى القومية الطورانية المتعصبة للأجناس ومن الفكر الإسلامى إلى الفكر الغربى ومن اللغة ذات الحروف العربية إلى اللغة ذات الحروف اللاتينية . (٢)

مدلول القومية العربية

لما كانت القومية العربية أبرز القوميات التي نشأت في بلاد الإسلام وتحيرت المفاهيم في مدلولاتها ما جعل الدكتور : محمد محمد حسين يقول :

وكان المقصود بها في كل الأحوال هو الصفات الجامعة لذلك الجنس من الناس المسمى عند المعاصرين بـ " العرب " على خلاف ما بين الناس في تصور مدلول هذه الكلمة وفي مقومات ذلك الجنس .

(١) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٢) اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى) ص ١٠٤ .

فالمحافظون من دعاة القومية العربية يرون أنها فرع من التصور الإسلامى ، وكسـل مافى الأمر أنه خاص بالذين يتكلمون العربية من المسلمين الذين تتجاوز مساكنهم والذين تكونت منهم الدولة الإسلامية أول الدول التى ضمتها الخلافة الإسلامية منذ ظهور الإسلام أما المتفرنجون من دعاة القومية العربية ، فهم يستمدون تصورهم من غسـلة القوميين عند مفكرى الغرب ، ولا يقيمون وزنا لقديم العرب الإسلامى الذى حدد شخصيتهم ولا يرتبطون بالسـات التاريخية لهذه الشخصية .^(١)

والقومية العربية يتسع مدلولها باتساع كلمة عرب وهذا من وجهة نظرنا فكلمة عرب بمعنى الإسلام تشمل المسلمين فى كل مكان ، وسنعرض مدلول الكلمة ببعض التفصيل .

" مدلول كلمة عرب "

كلمة " عرب " كانت تطلق قبل الإسلام على سكان الجزيرة العربية التى يحدها من الشمال (العراق والشام بما فيها الأردن) والتى يحيط بها من الشرق الخليج العربى (الذى كان يسمى الخليج الفارسى) والمحيط الهندى ومن الجنوب خليج عدن ، ومن الغرب البحر الأحمر من العرب .^(٢)

وتشمل هذه المنطقة : المملكة العربية السعودية - دول جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربى - سلطنة عمان ، دولة الإمارات العربية المتحدة (إمارة أبو ظبى - دبى - الشارقة - رأس الخيمة - الفجيرة - عجمان - أم القيوين) دولة البحرين - دولة الكويت .

وسكان هذه المنطقة العربية هم الجنس العربى الأصيل الذين تركوا ميراثا هائلا فى اللغة العربية والبلاغة والأدب والشعر والنثر لا يضاها - وهذا الميراث الهائل - زاده القرآن بها ، وكشف عن محاسنه وهذب منه ما يحتاج إلى تهذيب فى بلاغة وأدب ، لا يحاكى كما كانت السنة النبوية الكريمة اثرا ، لأدب العرب من أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا " صلى الله عليه وسلم " فكنـت بما يحتاج إلى تكمية ، وفاض أدبها بما دعت إليه من مكارم الأخلاق ، قومت الإعوجاج ، وحصنت التقاليد القومية فسرادت أمة العرب بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حسنا ، وصفا ، وجلدا وقوة فى الحق

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص - ١٩٢ .

(٢) يراجع المرجع السابق .

ونصرته ودفاعا عن المحامد وكانت لقبائل العرب من سكان الجزيرة العربية هجرات ورحلات قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعدها تعدو فيها نطاق الجزيرة العربية اندمجوا بسكان البلاد التي رحلوا إليها ونقطنف من كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر " لابن خلدون بعض أثمار من قبائل عربية رحلت إلى إفريقيا وبلاد المغرب العربي حيث يقول :

١ - ثم ترجع إلى ذكر المنتقلين من هذه الطبقة إلى إفريقيا والمغرب فنستوعب أخبارهم لأن العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن وإنما انتقل إليهم في أواسط المائة الخامسة أفريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هنالك ، وكانت آخر مواطنهم برقة وكان فيها بنوقرة بن هلال بن عامر ، ولما أجاز بنو هلال وسليم إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب .

٢ - فيما بين برقة والعقبة الكبيرة ، والإسكندرية على التوالي أولاد سلام ، وأولاد مقدم ، وأولاد قائد .

٣ - حتى محارب ويقال إنهم من جعفر بن كلاب وقبيلة رواحه التي تنتمي إلى آل زبيد ، وسكنهم الواحات من بلاد القبلة .

٤ - يوجد فيما بين الإسكندرية ومصر قبائل عربية كثيرة ومتنوعة ومنهم من ينتقل في نواحي البحيرة .

٥ - يوجد في " الصعيد " الأعلى من أسوان وماوراءها إلى أرض النوبة السى بلاد الحبشة قبائل متعددة ، وأحياء متفرقة كلهم من جهينة إحدى بطون قضاة والذين يلون أسوان منهم يعرفون بأولاد الكثر كان جدهم كثر الدولة وقد نزل معهم في تلك الأماكن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبي طالب ويعرفون بالشرفاء الجعافرة . (١)

وفي كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي وهو مؤرخ معاصر استمر كتابه إلى سنة ١٣١٣ هـ أخبار كثيرة عن القبائل العربية التي تدفقت على

(١) كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " ويسمى الكتاب (تاريخ ابن خلدون) " عبد الرحمن بن خلدون المغربي " ج ٦ ص ٤ - ٦ طبعة بولاق ، ويراجع كتاب : العرب والعروبة محمد عزة دروزة ج ٣ ص ١٦ - ١٨ بدون عدد للطبعة طبع دار الميقاتة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت ١٩٥٩ م .

المغرب الأقصى وانتشرت في أرجائها وماكان من نشاطها ومشاركتها في الأحداث التي كانت تقع في عهود دول هذا المغرب الأولى . (١)

وقد ذكر القلقشندي في كتابه " صبح الأعشى " عن العرب العاربة وهم بنو قحطان ، والمشهور منهم شعبان

أ - جرهم : وهم بنو جرهم بن قحطان .

ب - يعرب وهم بنو يعرب بن قحطان .

وهم أصل عرب اليمن ، والقحطانيون ينتسبون إلى قبيلتين قبيلتا حمير ، وكهلان ولدى سبأين قحطان وتفرعت من حمير " قبيلة قضاعة " ومنها فروع " بصر " وفروع قضاعة السبعة المذكورة في " صبح الأعشى " هي بلي ، وجهينة ، وكتب ، وعذرة ، وبهرا ، وبنو نهد ، وجرم ، ولأربعة منها بقايا في مصر .

- قبيلة بلي : ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى ، وبقايا بالحجاز وغيرها .
- ومثلها قبيلة جهينة .

- وقبيلة عذرة : ولهم بقايا بالدقهلية والمرتاحية من الديار المصرية ، وبقايا بالشام .

- قبيلة بهرا : وهم منتشرون ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر .

- قبيلة " بنى كلب " ينزلون دومة الجندل ، وتبوك ، وأطراف الشام ، ومنهم فروع حول القسطنطينية ، وشيزر وحلب .

- قبيلة " بنى نهد " وكانت منازلهم باليمن ، وكان منهم طائفة بالشام .

- قبيلة " جرم " وهم من فروع طى ومنهم ببلاد غزة من الشام ، ودخلت طائفة منهم مصر . (٢)

فلما ظهر الإسلام ، وانتشرت الفتوحات الإسلامية بالتدرج والتوالي في شبه الجزيرة العربية ، وماحولها فكانت غزوة مؤتة سنة ٨ هـ ، ثم غزوة تبوك سنة ٩ هـ ، والتي انتهت بصالحة صاحب أيلة (العقبه اليوم) على الجزيرة وحدثت واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ في خلافة سيدنا أبي بكر " رضى الله عنه " وقد توفي أثناءها قبل أن يتحقق النصر للمسلمين ، وتوالت فتوحات عمر بن الخطاب في العراق ومصر وما وراءها ثم في خلافة سيدنا عثمان ومن بعده .

(١) العرب والعروبة محمد غزه دروزه ص ٣٥٣ .

(٢) يراجع صبح الأعشى للقلقشندي ج ١ من ص ٣١٥ - ٣١٢ ، العرب والعروبة ج ٣ ص ١٩ - ٢١ .

وتتابعت هجرة القبائل العربية إلى الأمصار المفتوحة فمضهم من طابت له الحيساء فاستقر في موطنه ومنهم من استمر غازيا مع الجيوش الفاتحة ، ومنهم من هاجر طلبا للأمراء الذين أرادوا أن يتقوا بهم كما حدث في ولاية " الوليد بن رفاعه " على مصر في خلافة هشام بن عبد الملك الأموي حين استقدم القيسية ومنهم من هاجر التماسا لسعة العيش في هذه البلاد .

ولما كان العرب يعتزون بأنسابهم ، حافظوا عليها فلم يختلطوا بغيرهم من أهل البلاد المفتوحة ، فظل إطلاق " العرب " في عهد الدولة الأموية على من قسدم من شبه الجزيرة العربية إلى البلاد المفتوحة في مقابل اسم (الموالى) الذي يطلقه العرب على غيرهم من أجناس البلاد المفتوحة ، ويستثنى من ذلك بلاد الشام والعراق التي بدأ اختلاط العرب فيها بأهل البلاد منذ الفتح ، لانتشار العنصر العربي فيها من عهد بعيد قبل الإسلام ، فضلا عن انتقال عاصمة الخلافة إليهما في عهد الأمويين ثم العباسيين . (١)

وبازدياد الانتشار الإسلامي ، ازداد معه انتشار لغة القرآن الكريم وتبادل أهل البلاد الحديث بها مع الفاتحين فحصل ارتباط وامتزاج زاد بتوالي السنين ، وكثر الزواج والتسرى من ناحية أخرى بين العرب بغير العربيات في العامة والخاصة ، حتى أصبح الخلفاء في أواخر الدولة الأموية ، من بعد الوليد بن يزيد وفي سائر الدولة العباسية من بعد الأمين بن الرشيد من أمهات غير عربيات .

وزاد على مر الأيام عدد الفقهاء ، والشعراء ، والمشتغلين بالعلوم العربية ، والذين يشغلون المناصب الخطيرة الشريفة من غير العرب ، بل سادت عناصر غير عربية وتسلطت على الدولة منذ عصر المعتصم وبذلك انتهت النعرة العنصرية العربية وأصبحت الصبغة الظاهرة في البلاد الإسلامية على اختلافها هي الإسلام ، وأصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها حظا سائغا بين العرب وغير العرب بلا تمييز وكثر عدد المشتغلين بها والذين يدنون منها شعرهم ونثرهم وفكرهم ومعارفهم من غير العرب وبرز العديد منهم في مختلف العلوم . (٢)

ويجمل الدكتور محمد حسين القول حين يبين بوضوح أن البلاد العربية كلها من الخليج العربي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا - فضلا عما وراءها شرقا

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٩٨ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩ - ٢٠٠ باختصار .

من بلاد ارتدت بعد ذلك عن عروبتها - ليس لها تاريخ في العروبة يسبق الإسلام بل إن عروبتها في الحقيقة تتأخر عن إسلامها ، وهذه العروبة لم تجئها إلا من طريق الإسلام وبسببه .^(١)

ومن هنا كان التفريق بين العروبة والإسلام في أيامنا لا يستند إلى أساس فالإسلام جمع العرب ومن دخل فيه من غيرهم ومزجهم فاجتمعوا حول الكتاب الكريم والسنة الشريفة أمرا ونهيا ، واطلاق لفظ العروبة على من يسكنون شبه الجزيرة العربية - مغالطة دينية وتاريخية فالعروبة بالإسلام امتدت وشملت بلاد الشام والعراق وامتد خطها من مصر والسودان إلى بلاد الشمال الأفريقي بل تعدته إلى أسبانيا والبرتغال عبر مضيق جبل طارق وانسابت العروبة المسلمة في بلاد الأندلس .

وفي الوقت نفسه انسابت العروبة المسلمة إلى أواسط آسيا - إلى بلاد إيران وإلى الهند وجزر الهند الشرقية وكانت في شمولها أمة تربطها العقيدة الإسلامية قبل أي شيء آخر .

القومية العربية صورة للتفكك

كانت القومية العربية - في نهاية دولة الخلافة - حركة انسلاخ من الدولة العثمانية ، وكان الأمل المرجو من وراء هذه القومية جمع الأمة العربية تحت قيادة موحدة وتكوين أمة واحدة ، وخاب الأمل بتعدد آراء القوميين .

فمن قائل بوحدة لبنان وعدم بقاءه في حدود عام ١٨٦٠م وتوسيعه ليشمل البقاع وبيروت ومن رأى يقول بوحدة سوريا الطبيعية وتشكيل دولة صغيرة منها ضمن إطار الدولة العثمانية ويبدو من خلال ذلك وضوح في التسمية " سورية " و " لبنان " .

كما انبثت الدعايات الأجنبية وخاصة على يد اليسوعي الأب " لامنسى " وكان يدرس التاريخ في جامعة بيروت اليسوعية ، ويكره الإسلام وفكرة القومية العربية ، ويدعو إلى فكرة كيان سوري ، وإلى ترجع فكرة التمييز بين السوريين والعرب^(٢) فالقومية على النمط

(١) المرجع السابق ص - ٢٠٠ .

(٢) يقظة القومية العربية " وهو عبارة عن محاضرات أُلقيت على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية " د / نور الدين حاطوم ص ١١٠ المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون بالقاهرة ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨ م .

المذكور تقسيم الأمة العربية وتجزئتها إلى أقاليم متعددة ، وأخذت الدعوة إلى القومية العربية التي كان المأمول منها جمع شمل العرب في دولة واحدة كما صرح الكثيرون من دعايتها تتحول إلى دعوة تفكك الأمة العربية إلى قوميات متعددة ومختلفة تحت ضغط الظروف والواقع السياسي المفروض على العرب بعد الحرب العالمية الأولى السذي قسم بلادهم بين إنجلترا وفرنسا ، وراحت كل قومية من هذه القوميات الناشئة تدعس وجودها ، وتعمق جذورها وتوصل كيائها بأحيا تاريخها السابق على الإسلام والتفنى بأمجاد تلك الأيام الغابرة . (١)

وتوجيه التاريخ والأدب والفنون المتنوعة من موسيقى وتصوير ونحت ، ومسرح لخدمة هذا الهدف وهذا النوع من القوميات أبغض ما يكون إلى الإسلام ، والنوع الثاني من القومية وهو الذي يهدف أتباعه إلى توحيد العرب جميعا دون غيرهم من بقية المسلمين كان لعلماء الإسلام المحايدين رأى صريح فيه ومن تحدث في ذلك في جريدة المصري شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي قائلا " ليس لي رأى في الوحدة العربية لا اشتغل به لست من انصارها ولا من أعدائها غير خاف عليكم أن الدين لم يذهب إلى العصبية الجنسية ولم يفرق بين العرب وغير العرب وجعل الأمة الإسلامية وحدة لا فرق بين - أجناسها إن الاتجاه بالتفكير إلى الوحدة التي يتطلبها القرآن الكريم هو السذي يتحتم على علماء المسلمين . (٢)

فأى قومية تميز مسلما عن مسلم ، وتفصل مسلما عن أخيه نوع من الانحلال وقطع للصف الإسلامي وفرط لعقده .

نتائج الدعوة القومية

من الواضح أن الفكرة القومية التي حلت بالبلاد العربية أوفدت إليها من الغرب لفك رباط الدين الذي يربط المسلمين في كل بقاع الأرض .

وهكذا فإن تيار الفكرة القومية كان مهمته اقضاء الإسلام وتغريب القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامي ، واحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل

(١) يراجع : الإسلام والحضارة الغربية ص ١١٦ .
(٢) ماهي القومية ؟ " أبحاث ودراسات على غزو الأحداث والنظريات . " ساطع المصري ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ط (١) طبع دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٩ م

عقيدته واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى الستى تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها ، والتي لم تكن تربطها بها أى رابطة ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الإسلامية وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة القرآن ، والقيم الخلقية ويقضى تيار الفكرة القومية على الإخوة الإسلامية . (١)

وينتهى الأمر بحدوث التمزق بين أمة الإسلام الواحدة لو هن العلاقة بين اتباعها تلك العلاقة التى كانت من القوة والصلابة بمكان والتي أمرنا القرآن الكريم أن نحافظ عليها : " إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " . (٢)

١ - " بداية التمزق نتيجة لدعوة القومية " :

إن حركة القومية كانت بداية أليمة ، وضربة موجعة للأمة الإسلامية ويشير إلى أضرارها " أنور الجندى " بقوله : ولقد كانت نقطة التمزق الأولى هى دفع الخلاف بين الترك والعرب إلى ذروته ، ومحاولة التفرقة بين القومية والدين ، وبين الحرية والإسلام فقد التمس المفكرون الذين هم أكثر تطرفا ما التمسته أوروبا فى العصر الحديث من إقامة جمعيتها على أساس وحدة الجنس واللغة ، ورأى أمثال " كوك ألب " وغيره من الناظرين إلى ضرورة التماس مناهج الغرب أن الوحدة التى قامت على أساس الفكر الإسلامى قد ضعفت وأصابها الاضطراب (وعندنا أن ضعفها كان نتيجة تخلف المسلمين عن مفاهيم فكرهم الأصلية فى هذه الفترة وليس لضعف فى هذه الفترة وليس لضعف فى هذه المقومات ذاتها ، وأن على العالم الإسلامى أن يلتمس قوته فسى القومية والرابطة الجنسية واللغوية . (٣)

ولم يقف الأمر عند التفرقة بين العرب والترك أو القومية والدين على أساس أن دولة الخلافة قائمة على أساس متين من رباط الدين ، وحامل لواء القومية من كل الأطراف المتنازعة وخصوصا الذين ينادون بالقومية الأقلية يحملون فكرا يعادى الوحدة القائمة على أساس الدين ولذا يقول جب : وتطورت نقطة النزاع إلى شئ أبعد مدى فما كان فى ذلك الحين ، لم تكن الحركات السياسية ، هى التى بدأت

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى د / على محمد جريشه د / محمد شريف الزبيق ص ٧٢ ط (٢) طبع دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٣) البقعة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ص ٩٦) .

تصب العالم الإسلامي في قالب جديد وتهزه بما لم يسبق له مثيل منذ ألف عام وفي ظاهر الأمر جاء الإصلاح السياسي أولاً ومعه الإصلاح الاجتماعي تابعاً ضئيل الشأن ، أما الدين ومبادئه ، فقد تركا وحدهما عمدا لغرض مرسوم ، هو أن زعماء القومية أبوا مخاصمة الشعور الديني ، ومع ذلك فإن الشباب الذين تصدروا حركة القومية بينما طرحوا الخمول الذي دام طويلاً ، وأحلوا محله نشاطاً سياسياً قوياً وأحياناً عتيقاً نبذوا في الوقت نفسه الجزء الأكبر من وجهة نظر الإسلام الأولى وقبلوا بدلها آراء الغرب السياسية الحديثة وأهم ما فيها مبدأ السيادة القومية .

واضطروا فوق هذا أن يقبلوا أصول هذه السيادة ولواحقها فيما يختص بتكوين الدولة ، وماهية القانون ووظيفته ، وحقوق المشتركين في الوطن وواجباتهم . (١)

٢ - ومن النتائج المؤلمة لدعوة القومية العربية :

ضياع فلسطين واقتطاعها من قلب الأمة العربية والإسلامية وما تبع ذلك من تحوير القضية الفلسطينية من قضية إسلامية مقدسة ، إلى قضية عربية صرفة ، أو بالأحرى إلى مشكلة فلسطينية تخص أصحابها فقط على الرغم من أن القضية إسلامية بالدرجة الأولى كما يقول محمد محمود الصواف :

فالأقصى لم يكن قبلة العرب الأولى بل كان قبلة المسلمين الأولى ومعاركنا عبر القرون كانت معارك دينية ، لم تكن معارك قبلية أو قومية ، ومن زعم غير ذلك فقد خدع نفسه وافترى على الواقع والتاريخ . (٢)

فمن قديم الزمان وساحة فلسطين المقدسة تشهد للمناضلين المسلمين من جميع البلدان ومختلف الشعوب بالضحية وبذل النفس والمال في سبيل الله وفي مقدمة هؤلاء الشهيد نور الدين زنكي " التركي " ، والبطل صلاح الدين الأيوبي " الكردي " العربي المتوج قبل كل شيء بتاج الإسلام .

والذي ضم جيشة المسلمين من المشرق والمغرب الكل جاء يعلن الشهادة ويرفع راية القرآن الكريم فمكثهم الله عز وجل من عدوهم ، واستعادوا قدس الإسلام الأرض المقدسة ، التي فرط العرب المسلمين أثناء القرن العشرين في ترابها الغالي فوطأت

(١) وجهة الإسلام " نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي ص ٥٠ ٥١ " .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٢٣٤ .

أقدام الصهيونية ثراء ولم يستطع المسلمون تخليص هذا الثرى الشريف لأنه قد انحـل عقدهم تحت تأثير الدعوات الإقليمية ، والقوميات العرقية ، وتحزب كل فريق ضد الآخر وصار كل حزب بما لديهم فرحون ، فتمكنت الصهيونية تعاونها القوة الاستعمارية من الشهاق قلب الأمة الإسلامية ، ثم اطلقت عليه اسم النبي يعقوب عليه السلام " اسم اسرائيل " لتعلن على الملأ أنها تحيا من جديد وتنشأ دولة من العدم على العقيدة والدين بينما تفوقعت البلاد العربية وصار الدفاع عن فلسطين مقتصرًا على شعبها الشريد الطريد ، الذى لم يمكن هو الآخر من دق أوتاد على الحدود ، يتخذ من خيامها مأوى ومرتكزا يدافع منه ، ليطهر أرضه ، ويسترد وطنه ولو كانت الأمة الإسلامية متحدة لدافعت عن هذا المكان الطاهر بكل قوتها ولتغير الحال .

وما حدث فى المؤتمر الإسلامى الأول المنعقد فى كراتشى عاصمة الباكستان يؤكـد لنا ضرورة اتحاد المسلمين فى العالم كله للدفاع عن الأرض المقدسة جماعة ، فقسـد اجتمعت قوى الشر وزرعت الصهيونية فى الأرض الإسلامية ، وعلى قوى الخير أن تجتمع لكى تزيل هذا الجرم .

إن وفود رؤساء " قبائل الباتان " وتلك القبائل التى تعد بالملايين - رجالهم أولى قوة وبأس شديد ، سلاحهم من صنع أيديهم يسكنون الجبال المستدة بين باكستان وأفغانستان يفصلها مضيق خيبر المشهور .

عند مناقشة قضية فلسطين احتدم الجدل فقام رئيس هذه القبائل الشجاع فوقف وسط المؤتمر وتكلم باللغة العربية وكان من قوله الملو بالجد والحماس :

افتحوا لنا الطريق أيها العرب نحن تكفيكم الحرب ، ونحن نقتل ونطرد اليهود والإنجليز ونخلص مسجدنا المبارك وسرى نبينا وحبيبنا وإمامنا محمد صلى الله عليه وسلم وقبلتنا الأولى المعظمة ، افتحوا لنا الطريق لنجاهد فى سبيل الله اعلنوهـا أيها العرب جهادا اسلاميا ونحن ننقد الأقص وأنسى حديثه بقوله افتحوا لنا الطريق لنموت شهداء فى سبيل الله كيف تضيق منكم فلسطين ؟ كيف تضيق ؟ كيف تضيق ؟ ثم دمعت عيناه وجلس وسار المؤتمر صمت عجيب وشعرنا نحن العرب بالخجل والأسف ثم أيدى رجال القبائل جميعا . (١)

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ باختصار .

فما الذى جرى ؟

إن النعرات القومية آتت أكلها ضعفين حين تغنى دعاة القومية بأمجاد عفتسة وتركوا واقع أمرهم لعدوهم ولم يجمعوا أمرهم فكان التخلف الحضارى من نصيبهم فتحول عدوهم بالرحى فى عكس اتجاهها ليسحقهم سحقاً ، ويجعل من جثثهم رمادا تطأه الأقدام بينما هم فى غفلة معرضون وإثارة النعرات الطائفية بين السنة ، والشيعة وبين الأكراد والعرب وخلافه عود بالرحى على المسلمين .

الفصل الثانى

نماذج من آثار التبشير فى بلاد الإسلام

بعد الحديث عن ظهور النزعات الجنسية ، وأحيائها فى الأمة الإسلامية من جديد ، ونقل فكرة القومية إلى مجتمع الإسلام المؤمن بالله تعالى ، والمقربا لوحدة الإسلامية من مطلق الإيمان ، وبيان دور الفكر التبشيري فى تغلغل هذه النزعات وسريانها فى كيان الأمة الإسلامية حتى تنقسم إلى دويلات ، وتفرقت إلى شيع وأحزاب متضاربة فجنى أعداؤها الثمار ، فى الوقت الذى يلحق فيه المسلمون فى كل مكان مرارة التفكك ويكتون فيه بنار الصراعات الإقليمية والمذهبية التى سرت كالتيار الكهربائى فى جسم الأمة الإسلامية بواسطة المستشرقين والمبشرين .

بعد ذكر هذه الأمور ، وكشف أبعادها ، والتحذير من مخاطرها على كمال المسلمين أعود لإعطاء نماذج من آثار التبشير فى البلاد الإسلامية فالمبشرون - يؤيدهم الاستعمار ، وتدعمهم الهيئات الغربية ماديا ومعنويا - لم يتركوا فرصة إلا اغتتموها ضد الإسلام واتباعه ، فقد استخدموا كل أسلحتهم من أجل تنصير المسلمين ، ولا يزالون فى استغلال كل جديد لإكراه المسلمين على الدخول فى حوزتهم فخلقوا المواقف الحرجة فى أرض الإسلام كوسيلة للضغط على السلم واجباره على ترك دينه فأيا أن يستجيب للمبشرين ، وأيا أن يحرم من ضرورات الحياة بدء من لقمة العيش إلى حق الإنسان فى التعليم ، وذلك كله يحدث فى الوقت الذى تصم فيه حوام السمع عند الحكومات وتعمى الأبصار فتجرى عمليات التنصير الفردى والجماعى على مرأى وسمع وكأن شيئا لم يقع مما يدعونا إلى الخيرة والشك .

لذا سأقتصر على ذكر بعض النماذج لآثار التبشير فى قارتى آسيا وأفريقيا فإن فى ذكرها عبرة لمن يعتبر " إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " (١)

وأبدأ بنماذج لآثار التبشير فى آسيا كاشفا المخطط التبشيري الاستعماري .

١ - إندونيسيا (*)

إندونيسيا بلد إسلامي به نسبة كبيرة من المسلمين وقد تعددت الأقوال في تحديد زمن دخول الإسلام إلى هذا البلد ، لكنها اتفقت في دخوله إليها قبل المسيحية وقبل الاحتلال البرتغالي لجزر اندونيسيا .

فقد قال "ماركوبولو" Marco Polo الذي صرف خمسة أشهر فسي الشاطئ الشمالي من سومطرا سنة ١٢٩٢م " إن كل السكان كانوا مجوسا وعباد أصنام عدا سكان البلدان في ملكة بارلك Parlak الصغيرة الموجودة في الشمال الشرقي من سومطرا لأنهم اعتنقوا الإسلام بواسطة تجار العرب (١).

وشاهد ابن بطوطة أثناء رحلته بهذه الجزر ملكا مسلما وأقر أن حدود سلطنته على امتداد مسافة شاسعة وأكد مشاهدة ابن بطوطة السيد اسماعيل العطاس في محاضرة ألقاها في نادي الثبان المسلمين بالقاهرة في ٦ يناير ١٩٢٩م والدونة في كتاب حاضرم العالم الإسلامي :

حيث قال : ولما دخل ابن بطوطة " سومطرا " سنة ١٣٤٥م ، وجد هناك ملكا مسلما اسمه الملك الزاهر وتمتد سلطنته على الشاطئ مسافة أيام سفرا وقد كان محبسا للمباحث مع علماء الدين وكان في حاشيته شعراء وعلماء (٢).

كما يقال إن الإسلام دخل هذه البلاد منذ القرن الأول الهجري على أيدي التجار العرب ، ولهذا فقد زار تجار العرب تلك الجزر واستوردوا منها وهدروا إليها حتى أن التقاويم الصينية تتحدث في عام ٦٧٤م عن جالية عربية في الشاطئ الغربي من سومطرا ولكن ظلت الدعوة الإسلامية تسير بخطى بطيئة حتى أواسط القرن الثامن الهجري " الرابع عشر الميلادي " حيث بدأ الإسلام يأخذ مكانة شعبية بين الجماهير في اندونيسيا (٣).

(*) " إندونيسيا " كلمة تحتوي على مقطعين " إندو " ومعناها الهند ، و " نيسيا " ومعناها جزر أي أن " اندونيسيا " معناها " جزر الهند " " يراجع : انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم . محيد كال حسين ص ١٠٦ .

(١) ، (٢) حاضرم العالم الإسلامي تأليف لوثرود ستودارد الأمريكي تعليق : الأمير شكيب أرسلان ج ١ ص ٣٦٧ طبع دار الفكر العربي - بيروت بدون تاريخ .

(٣) آسيا المعاصرة ، وكتاب المسلمون في العالم د / عبد الرحمن زكي ص ٥١ .

ودافع شعب إندونيسيا المسلم المستعمر وظل يقاوم نير الاستعمار الصليبي ، في صورته المتعددة من برتغال ، وإنجليز ، وهولنديين ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف حتى استرد استقلاله في ١٧ من أغسطس عام ١٩٤٥م (٩ من رمضان سنة ١٣٦٥هـ) ومنذ نيله الحرية والغزو الصليبي لم ينقطع عن أرضه في صورة محاولات تبشيرية مستمرة تستهدف القضاء على الإسلام في هذه الرقعة الشاسعة ، بتحويل أكبر تجمع إسلامي في آسيا إلى النصرانية الغربية .

وقد وضعت الهيئات التبشيرية الخطة لتنصير هذا البلد المسلم وهي تطبقها في القرى الإندونيسية فقد أعلن في إندونيسيا أن قرية مسلمة في "بونوروجو" بشرق "جاوه" قد تحولت إلى الكاثوليكية بعد أربعة عشر عاما من تنفيذ خطة لتنصير أهلها .

وقد بدأت الخطة عام ١٩٦٨م بإقامة كنيسة كبيرة في القرية ثم اتخذت الخطوات الآتية بمساعدة السلطات :

- ١ - تنحية عدة القرية المسلم واستبداله بيسحي .
- ٢ - تنحية أعضاء مجلس القرية المسلمين ووضع مسيحيين محلهم .
- ٣ - إجبار طلاب القرية الذين أنهوا مرحلة التعليم الابتدائية على اعتناق الكاثوليكية كشرط لدخول المدارس الثانوية الكاثوليكية بمدينة مودين القريبة .
- ٤ - قامت الكنيسة بتوزيع الطعام المجاني على أهالي القرية بالإضافة إلى منح للطلاب لإكمال دراساتهم المتوسطة والعليا في معاهد كاثوليكية .^(١)
- ٥ - اشتركت في هذا المخطط عدة كنائس وأفراد من ألمانيا الغربية حيث قدموا معونات لهذا الغرض وكانت المحصلة النهائية للعملية اعتناق ألف ومائة وثلاثة وعشرون شخصا للمسيحية من بين سكان القرية البالغ عددهم ألفين وخمس وأربعين شخصا وتعترم الكنيسة اعتبار هذا المشروع تجربة رائدة تعم فيما بعد على القرى المجاورة .

خطة للنصرين في إندونيسيا

إن المبشرين يضعون خطة للانتهاك من تنصير إندونيسيا كافة خلال عشرين سنة على الأكثر ويكفي أن نشير إلى إحصائية (١٩٧٥)م :

١ - طائفة البروتستانت ٩٨١٩ كنيسة ٣٨٩٧ قسيس ، ٨٥٠٤ مبشر متفرغ

(١) مجلة " المختار الإسلامي " (السنة الخامسة - العدد ٢٩) ص ٣٠ ، ٣١ من مقال بعنوان تبشير : للتحريز ١٥ محرم ١٤٠٥هـ = أكتوبر ١٩٨٤م .

ب- طائفة الكاثوليك ٧٢٥٠ كنيسة ٢٦٣٠ قسيس ٥٣٩٣ مبشر متفرغ ٥ فـ شعب
إندونيسيا الآن أمام جيش رهيب يغزو قلوب المؤمنين ٥ وقد زود هذا الجيش بما يضمن له
نجاحه ٥ وبالقاء نظرة إلى إقليم واحد من إندونيسيا هو منطقة (كاليمنتان الغربية) نرى
مدى الإمكانيات المتاحة لهذا الجيش الصليبي فالمؤسسات التبشيرية في هذا الإقليم
وحده تملك ٢٧ مطاراً تبشيرية ٥ وأسطولا من السفن وضع تحت تصرف المبشرين ٥

فإذا أضفنا أن المبشرين يملكون صحفاً يومية كبرى (صحيفة الكومباس وسينارها رابات)
كما يسيطرون على وسائل الإعلام ولديهم الإذاعات المحلية التبشيرية كما أن لديهم شبكة
اتصال لاسلكية ٥

إذا عرفنا كل هذا أدركنا الأساة التي يعيشها الشعب الإندونيسي المسلم
وأدركنا فداحة الجريمة التي يرتكبها المسلمون بصفتهم وسلبيتهم إزاء إخوانهم المستضعفين^(١)
والواجب يحتم على المسلمين أن يتعاونوا ويقدموا لإخوانهم يد العون حتى يتمكن
المخلصون في هذه الجزر المسلمة من إبطال دور التبشير وإبطال مفعوله ٥ والقضاء على
باطله ٥

أخطر أسلوب تبشيري في إندونيسيا

لم يترك الغزو التبشيري فرصة إلا واغتنمها في تحقيق أطماعه ٥ والفرصة السني
سحنت للمبشرين بإندونيسيا - ضمن الأشياء المتعددة والأمور الكثيرة التي يغتنمها -
وجود غابات كثيرة مائتزال بكرا ٥ وكانت الفكرة المطروحة للبحث تهجير السكان من الأماكن
المزدحمة بالسكان في جزيرة " جاوا " إلى الغابات الموجودة بـ " كاليمنتان " و " سولاويس " و
" سومطرا " ٥

وللمرء أن يتصور خطورة الدور التبشيري أمام خطة التهجير فالمؤسسات التبشيرية
جندت نفسها بأساطيلها الجوية وسفنها البحرية لتقوم بعملية نقل السكان إلى الأماكن
البكر كما سخرت المعدات لتطهير الغابات وبناء مساكن مجهزة مكان الغابات التي أزيلت
ثم تكوين قرى نموذجية مهيئة للعمل التبشيري فالمدارس المسيحية مشيدة ٥ والكنايس

(١) أخطار التبشير في ديار المسلمين ص ٢٤ ٥ ٢٥ ببعض التصرف ٥

مقامة والمستشفيات مجهزة وكل القائمين على أمر الإسكان الجديد من أنصار الصليب والويل لمن يعترض هؤلاء في سيرهم ويظهر شعائر إسلامه ، ويصور هذا التسلط المسيحي ومدى تأثيره وفاعليته رجل عاش في واقعه وهو من أهل البلاد فيقول :

فالذي يحدث أنها (أى الهيئات التبشيرية) تقوم بالإنفاق والإشراف والوصاية على المهاجرين في مهاجرهم الجديدة وأكثرها واقعة في أماكن نائية عن مراكز التجميع الإسلامي إشرافا يمكنها من التصرف وفق مخططات التبشير قد يكون أغلبية المهاجرين من النصارى وقد لا يكون كذلك ، ولكنهم في مقرهم الجديد لا يلبثون إلا وقد عين لهم — موظفون إداريون مسيحيون ، وقادة عسكريون وبسوليس مسيحيون ، وهكذا يجدون أنفسهم أمام واقع لا يستطيعون منه فكاكا ، وقد يكون جيرانهم الأضلاء في المنطقة من تم تنصيرهم مسبقا ، وهكذا يستمر العمل تحت إشراف الهيئة التبشيرية التي تسارع إلى إنشاء كنائس ومدارس الأحد وغيرها .

وتصبح السبل موصدة أمام المسلمين حيث لا تتوفر لهم فرص التوظيف والعمل ، وفرص التعليم أمام أبنائهم نادرة جدا .^(١)

كل هذه الأمور عوائق لانطلاق المسلم بإسلامه في هذه الأماكن الجديدة وفرص تضغط بها المؤسسات التبشيرية على المسلمين ، ولما كانت هذه المناطق خالية من أماكن عبادة للمسلمين إلا ماندر فعلينا أن نتصور مدى التأثير المسيحي على المسلمين في هذه المناطق وعلى أجيالهم على المدى البعيد إن الأمر يحتاج لتحرك إسلامي شامل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان .

٢ - " ماليزيا "

ماليزيا من الدول الواقعة في جنوب شرق آسيا وتتكون من ١٤ ولاية وعدد سكانها يبلغ ١٢ مليون نسمة ٥٣% في المائة فقط مسلمون ، ويتعرض المسلمون للخطر الشيوعسي في الداخل والخارج ، حيث الحزب الشيوعي الصيني في الداخل وفي الخارج الدول الواقعة شمال ماليزيا ، والتي سرى فيها التيار الشيوعي " كفيتنام - ولاوس - وكبوديا " وقد وجدت الإرساليات المسيحية مجالا خصيصا في هذا البلد وشكلت خطر لأهله .

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا : أبو هلال العسكري ص ٩٦ - ٩٩ باختصار .

فضلا عن الخطر التبشيري الذي لفت الأنظار إليه الدكتور / عبد الجليل حسن بقوله :

وتشير الدلائل إلى وجود أعمال تبشير نشيط عبر حدود ولاية سراواك وولاية صباح (بماليزيا) ولقد تدفقت ملايين الدولارات إلى هذه المنطقة من المنظمات المسيحية من جميع أنحاء العالم ، وهناك تقارير تفيد وضع كثير من طائرات " المليكوتر " تحت تصرف المبشرين وفيهم عدد من القسس الأجانب ، ونظمت العملية كلها تنظيما محكما ومولت تمويلا سخيا .^(١)

وذلك في محاولة منهم لاستغلال حاجة الفقراء ، والاستفادة من كل شجرة في المجتمع الإسلامي لتحويل المسلمين إلى النصرانية وقد أوجد ذلك رد فعل لدى كثير من علماء المسلمين جعلهم ينشطون في بث التعاليم الإسلامية بين مختلف الفئات وخاصة الشباب .

ولكن المبشرين يعرفون طريقهم فقد حولوا دقة التنصير بسرعة بين غير المسلمين كما تشير الجريدة التي تسمى " المسلمون " بقولها :

ومع ذلك فإن التبشير ينمو بسرعة بين غير المسلمين فمؤتمرات " كنيسة اللسنة " التي يرأسها هندي قد تمت خلال عامين من حفنة من الأعضاء أكثر من ١٢٠٠ خلال ما يزيد قليلا عن السنتين وأيضا احتفلت كنيسة باسل المسيحية في ماليزيا وهي كنيسة لوثرية بعيدها السنوي بمناسبة مرور قرن على تأسيسها وخصصت مبلغ ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدولارات الماليزية لبناء مجمع يخلد المناسبة وسيؤمن هذا المجمع البالسغ اللازمة للكنيسة لتابعة مهمة تنميتها على المدى الطويل ولتحقيق أهدافها في الاعتماد على نفسها .^(٢)

٣ - الفلبين

الفلبين من المناطق التي شهد فيها المسلمون الحملات التبشيرية الشرسة والاضطهادات المسيحية في صورتها الصليبية والتي لم تترك للمسلمين شيئا إلا انقضت عليه بشراسة ، وقد وصل الإسلام لجزر الفلبين منذ عهد مبكر ، ويقال إنه وصل إليها

(١) المؤتمر الثامن لجميع البحوث الإسلامية ج ٢ ص ١٨٩ طبع بالهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

(٢) جريدة " المسلمون الدولية " السنة الأولى - العدد الحادي عشر السبت ٣٠ رجب ١٤٠٥ هـ = ١٥ / ٤ / ١٩٨٥ م) ص ٢ من مقال بعنوان استنفار تبشيري في أوروبا .

مع انتشاره فى أراضى الشعوب (المالايوية فى جنوب شرقى آسيا - بمعناها الجغرافيسى) شبه جزيرة الملايو - وجزر إندونيسيا وبورنيو - والفلبين) وتقرر الدراسات الدينيسية التاريخية أن الفلبين كانت تضم عدة دول إسلامية قبل أن يذهب إليها الرحالة الصليبي المتعصب " ما جلان " فى ١٦ مارس ١٥٢١ م :

- أ - فكانت فى جزيرة " سولو " سلطنة إسلامية تأسست بحكومتها عام ١٢٨٠ م .
- ب - وكان فى جزيرة " منداناو " حكومة إسلامية أسسها الشريف كيوغسوان .
- ج - وكان فى منطقة (لاناو) حكومة إسلامية أسسها شقيق كيوغسوان (١) .

وما أن جاء القرن الخامس عشر حتى كان للمسلمين سلطنة معتقلة تمثل أرقس نظام فى تاريخ الفلبين برئاسة السلطان شريف الهاشم (٢) ، ومع مرور الوقت اتسعت سلطة الحاكم المسلم وتجاوزت حدود أرخبيل سولو .

وعندما وصل المستعمر الأسباني لارخبيل الفلبين (١٥٦٥ م) كان الإسلام ينتشر ويتوسع فى هدوء فى تلك الجزر وكانت سلطنات " سولو " و " منداناو " و " بوايان " قائمة ومتراصة ، وكانت " مانيللا " إحدى البلديات المسلمة (أصل الاسم : أمان الله) وكانت أحكام الشريعة الإسلامية مطبقة فى عدة مناطق فى " خليج مانيللا " حتى أن الأسبان أطلقوا على سكانها الاسم نفسه الذى يعرفون به مسلمى شمال إفريقيا والأندلس (مورو Moros) واستغل اليسوعيون " الجزويت " انشغال المسلمون بمحاربة الأسبان ، فسارع اليسوعيون بوضع خطة لتنصير المسلمين هناك " ولما استعاد مسلمو الفلبين قلعة " زانبوانجا " حرض اليسوعيون ملك اسبانيا لاحتلالها مرة ثانية (٣) .

وذلك ليتمكنوا فى النهاية من تنصير كل المسلمين فى هذه البلاد ، والآن وبعد أربعة قرون من كفاح المسلمين بالفلبين للصليبيين كي يحافظوا على إسلامهم وأرضهم يواجهون خطر الإبادة والتهجير والطرده وليس أمامهم إلا التسليم بالأمر الواقع أو البقاء تحت رحمة الغزوات التبشيرية المستعدة والمجهزة بأحدث وسائل العصر .

(١) المسلمون فى جزر الفلبين - جهادهم ومطالبهم الدكتور / رؤف شلبي ط (١) طبع دار الحماى للطباعة بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

(٢) قبره موجود على إحدى منحدرات جبل (كومانانجش - بالقرب من مدينة بواتسا) .

(٣) يراجع : مجلة الأمة (العدد الحادى والأربعون - السنة الرابعة) ص ٥٧ ٥٨ .
استطلاع بعنوان " المسلمون فى جنوب الفلبين من مغامرة ماجلان الصليبية إلى الحرب السابعة " ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

المناطق الإسلامية والغزو التبشيري

إن المناطق التعليمية الخاصة بالمسلمين في الفلبين يوجد بها هيئات تعليمية إسلامية تحاول أن تقف أمام أعاصير الهجمات التبشيرية وهي تحتاج من المسلمين أن يدوها بكل ماتحتاجه ، وتنادى الدول الإسلامية أن يكون لها موقف ووزن حتى تحمي الأقليات المسلمة ، وتحافظ على حقوقها ، والمناطق التعليمية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق :

المنطقة الأولى : وهي منطقة " البرناو " والتي تشمل منطقة " لاناو " الجنوسى والشمالى وحول بحيرة " لاناو " والتي تند " منداناو " بالداقة الكهربائية نتيجة تدفق المياه من هذه البحيرة الكبيرة .

وفي هذه المنطقة يوجد الآن مركز " الملك فيصل " للدراسات العربية والإسلامية والذي يعتبر إحدى كليات جامعة منداناو الحكومية وجامعة الفلبين الإسلامية وكلية " بنفا مرغان " التي تدرس قدرا من العلوم العربية والإسلامية بالإضافة إلى المعاهد والمدارس المنتشرة في جزيرة " منداناو " كما قامت جمعية إقامة الاسلام بإقامة جامعة إسلامية ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧م أسسها (أجاما إسلام أكاديمي) وسها كلية المعلمين ، وكلية التربية ، وكلية الآداب ، كلية التجارة .

المنطقة الثانية : تقع هذه المنطقة إلى الجنوب من المنطقة الأولى تمتد من الحدود الشمالية " لكوتاباتو " إلى حدود " دافاو " من الشرق وتسمى منطقة " النداناو " وبالرغم من وجود عدد من المدارس بهذه المنطقة إلا أنه نظرا لعدم الاستقرار بالمنطقة نتيجة للحروب المعلنة على المسلمين ومايتبعها من جهل وفقر ومرض لم تؤد هذه المدارس الدور المنوط بها ، ما جعل المنطقة مفتوحة أمام الغزو التبشيري المدعم بالاستعمار .

المنطقة الثالثة : وهي منطقة " التاوسق " وتقع إلى الجنوب الغربى من المنطقة الأولى والثانية ونشطت المدارس الإسلامية بهذه المنطقة وكثر بها الطلاب نتيجة لقسودهم مبعوثوا الأزهر الشريف سنة ١٩٦٢م .

وأنشئ في مدينة " هولو " كلية مسلمي الفلبين ونظرا لاقبال الطلاب المسلمين عليها وازدهارها بالتعليم وبالعلوم ، عز على المعصبات الصليبية أن ترى مؤسسة إسلامية تسود

دورها في تثقيف أبناء المسلمين وتزويدهم بسلاح العلم والمعرفة وتربيتهم إسلامياً .

عز على العصابات المسيحية أن ترى براعم هذه الكلية شامخين بتعليم الإسلام فقامت بحرقها ، والواقع يشهد أن المسلمين في هذه المنطقة يعانون من إرهاب خطير إنــــه إرهاب أشد ضراوة وأكثر شراسة من إرهاب المستعمرين إنه إرهاب مزدوج دمجت فيــــه عصابة الصليب بعصابة الصهيونية فلم يقتصر على ناحية واحدة بل يمتد ليشمل تدمير المساجد ، والمدارس ، وتخریب البيوت حتى أن علماء المسلمين قد شغلتهم حروب العصابات المسيحية والصهيونية الدائمة ، ووقوف الحكومة بجانب عصابات البغي عن تأديسة رسالتهم التعليمية ، وكان ذلك بمثابة فرصة ذهبية للبشرين ليرحوا في البلاد بنشاطهم الصليبي وقد فرغت لهم الساحة من علماء المسلمين الذين أنهكتهم الحروب ، وكبلت أيديهم السلطات .^(١)

٤ - الهند

لقد تمتعت الهند بدخول الإسلام مبكراً فيقال : إن أول حملة إسلامية وصلت إلى بلاد السند كانت سنة ٢٥ هـ ، ومن ذلك الوقت والإسلام يمتد نوره في بلاد السند وماجاورها من بلاد الهند ، وقد زاد انتشاره هناك منذ الفتوحات الإسلامية التي تمت على يد السلطان محمود سبكتكين الغزنوي^(٢) .

ولما كانت الدولة الغزنوية هي الدولة التي سطع في عهدها نور الإسلام بالهند فقد حدث عنها بإيجاز قائلين :

أسس هذه الدولة الأمير ناصر الدين أبو المظفر سبكتكين وكان تركيا من موالى آل سامان وقادة جيوشهم وقد جاهد حتى تمكن من الاستقلال بملكة صغيرة (عاصمتها غزنة)^(٣) وورث أبو القاسم محمود بن سبكتكين هذه المملكة عن أبيه واتخذها قاعدة حربية بدأ منها غزواته للأقاليم المجاورة لها والتي امتدت من لاهور شرقاً إلى أصفهان غرباً .^(٤)

- (١) يراجع كتاب (المسلمون في الشرق الأقصى) د / محمد محمد زيتون ص ٨٩ - ١٠٠
- (٢) ولد محمود سبكتكين الغزنوي سنة ٣٨٨ هـ وتوفي ٤٢١ هـ الموافق بالميلاد (٩٩٨ - ١٠٣٠ م)
- (٣) الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم الأستاذ / حامد عبد القادر ص ٢٦٢ ط (٢) مطبعة نهضة مصر بالجالة بالقاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .
- (٤) مدينة غزنة هذه تقع في أفغانستان الحالية لأن أفغانستان وباكستان والهند كانت جميعها يطلق عليها شبه القارة الهندية .
- (٥) المرجع السابق .

وكلها فتوحات إسلامية اتسمت بالرحمة والعدل ، وترتب عليها دخول الهند في الإسلام .
 " وفي القرن الثاني عشر دالت دولة سلاطين غزنة وقامت على انقاضها السلطنة
 الغورية وفي عام ١١٩٣م استولى السلطان محمد غور على دلهي وبنارس وتم له اخضاع
 الهند العليا ١٢٠٣م وعهد إلى إدارة شئون الهند وإلى " مالك قطب الدين أيسق "
 الذي أسس دولة " الملوك العبيد " الذين حكموا الهند من دلهي حتى عام ١٨٥٧م (١)
 فكانت الهند تنعم بالحكم الإسلامي حتى هذا التاريخ .

وبعد التاريخ المذكور حل الاستعمار الغربي ولقى المسلمون اضطهادا من المستعمر
 ما دعى المسلمون إلى المطالبة بتكوين دولة إسلامية خاصة بهم " وفي مؤتمر " مدراس " عام
 ١٩٤١م كرر المسلمون المطالبة بإنشاء دولة إسلامية وأطلقوا عليها الاسم الذي اختاره لها
 مولانا رحمت علي منذ ١٩٣٣م الباكستان وهي تجمع الأحرف الأولى لأسماء الولايات
 الإسلامية في الهند ب : بنجاب - أ : أفغانستان الشمالية الغربية - ك : كشمير - س :
 سند - تان : بلوخرستان (٢) .

وماكاد الاستعمار البريطاني يرحل عن الهند حاملا عصاه على كتفه ، حتى سلمها
 للحكم الوثني يتحكم في المسلمين الذين قدموا الكثير من أجل تحرير الهند والذين كان
 حكامهم المسلمون مثالا للإنسانية الكريمة المادلة في حكمها طيلة ثمانية قرون ، وكان من
 جراء الحكم الوثني المعترف به من قبل الاستعمار أن اضطد المسلمون إلى المهجسرة
 من المقاطعات الهندية (من دلهي وضواحيها ومنطقة شرق البنجاب ومقاطعات الهند
 الوسطى ، وولاية حيدر آباد الدكن) من كل هذه الولايات هاجر المسلمون إلى باكستان
 تحت ضغط الاضطهاد الوثني للحكم في الوقت الذي ترك فيه الجبل على الغساسا رب
 لعصابات التبشير النصراني تسرح وتمرح في البلاد ، وترتكب باسم المسيحية في العصر
 الحديث ما يخل من الإنسانية فالأم " تيريزا " تعمل في حقل التنصير في الهند على نطاق
 واسع ، وفضيحة بيع الفتيات الهنديات للكنيسة الكاثوليكية في أوروبا منذ سنوات لإدخالهن
 في الأديرة كراهبات بعد خلو هذه الأديرة من المتقدمات الأوروبيات ليست بعيدة عن
 الأذهان مهما حاول أنصار الناتيكان اسدال الستار حولها ، وإحاطة الأم " تيريزا "

(١) يراجع كتاب : الإسلام في العالم الحديث - المسلمون في آسيا جنرال " بوهر " .

أندري تعريب لويس الحاج ج ٢ ص ٤٧ ط (٢) طبع بيروت لبنان ١٩٥٣م .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ .

— صاحبة الدور الكبير في صفقة بيع الهنديات — بدعاية واسعة في الإعلام العالمي وجعلها في مصاف القديسات ، وذلك على العكس حين أرادت قبائل (الهاريجان) وهم طوائف من الهندوس (النبوذيين) أن تختار الإسلام ديناً لما رأوا فيه من الخير والكمال هبت وسائل الإعلام الموالية للاستعمارين تتهم حكومات ومنظمات إسلامية بأنها تستدرج هؤلاء النبوذيين وتخربهم بالمال ، يقول الدكتور عبد المجيد وافي :

وترجع بداية القصة إلى سنة ١٨٨١م عندما تحدثت صحيفة "تايمز أوف إنديا" عن مخطط يعمل على تحويل — ثمانين مليوناً — من الهندوس "النبوذيين" الهاريجان البالغ تعدادهم مائة وعشرين مليوناً إلى الإسلام ، وذلك عن طريق المعونات المالية والمساعدات الاجتماعية ، وكانت البداية خمسين أسرة من الهاريجان ، قبلت الإسلام بعد تقديم معونة — ٤٠٠ ر ٤٠٠ — أربعمائة ألف روبية هندية لإقامة مشروع زراعي وهي في الحقيقة — كما زعموا — للاستدراج إلى الإسلام .

وتدعى الصحيفة المذكورة أن إسلام "الهاريجان" مخطط منظم من جماعة الإسلام في الهند تموله دول بخروية عربية والمنظمات الإسلامية في أوروبا والتي من بينها ما يدعى بمنظمة (تأسيس الإسلام بلندن وهذا ما ذكرته مجلة "الموج") الإسبوعية الصادرة في نيودلهي في نفس الوقت تقريباً . (١)

والسبب الحقيقي لإسلام "الهاريجان" ما يدانونه من الظلم والاحتقار من طوائف أخرى في الهند في الوقت الذي يشاهدون فيه عدل الإسلام وسماحته في تعامل المسلم معهم وما يقال ويشاع عن تحريض دول أو إغرائها بالمال لدفع "الهاريجان" إلى الإسلام إدعاء صليبي وتحريض استعماري صنعت أسسه بريطانيا منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً وروج له زعماء التبشير وناصروهم في محاولة منهم للقضاء على الإسلام الذي انتشر في معظم أرجاء الهند في القرن الأول الهجري . (٢)

وفي الوقت نفسه يحاولون قطع الصلة بين المسلمين وإخوانهم المستضعفين فسيئس البلاد النائية بحجة أن أي معونة تقدم إليهم القصد منها التحريض على الوثنية في كافة صورها ، في الوقت الذي يتاجر التبشير فيه بالإنسان ويشتره ويبيعه في آن واحد بحجة

(١) يراجع (منار الإسلام : العدد الرابع — السنة التاسعة) ص ١٠٠ من مقال للدكتور

عبد المجيد وافي بعنوان إسلام الهاريجان ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

هدايته وبالحيا من نكسة إنسانية تسترق الإنسان بدعوى إنقاذه فياله من إنقاذ مدين .

٥ - إمارات الخليج والخطبة التبشيرية

جدد المبشرون خطتهم التبشيرية في منطقة الخليج العربي على أساس يكفل لهم نشر الإنجيل بين رعييل المسلمين بلامنازع وهذا ماورد على لسان أحدهم ليكون محسـل التطبيق العملى على أرض الخليج العربى :

- أ - يجب أن يكون الهدف التبشيري غالبا على التعليم .
- ب - يجب أن يكون للإنجيل المقام الأول فى الدروس اليومية وحضور هذا الدرس كما يجب أن يكون شرطا للقبول فى المدرسة .
- ج - يجب أن يكون الهدف التبشيري ظاهرا وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة ليتحولوا إلى المسيحية .
- د - يجب بذل الجهود للحد من استخدام المدرسين المسلمين وتزويد المؤسسة بهيئة قادرة على التأثير الفردى المباشر .
- هـ - يجب على خبراء التبشير أن يضعوا فى حسابهم أهمية هذه الأمور وارتباطها بالنشاطات التبشيرية الأخرى . (١)

آثار التبشير فى دول الخليج العربى

ظهرت آثار التبشير سافرة فى دول الخليج العربى فى محاولة لتنصير ولاياته ، وسح تعاليم الإسلام فى هذا الجزء المسلم من قارة آسيا ، وتكشف آثار التبشير الخطيرة فبمسا ذكره الدكتور / عبد الودود شلبى نقلا من وثائق مركز الدعوة الإسلامية - الشارقة - دولسة الإمارات (م . ش) بعنوان : حقائق عن التبشير فى أبو ظبى :

أولا - الكنائس:

توجد فى أبو ظبى ٣ كنائس ، اثنتان منهما فى شارع الكورنيش وهو الشارع الرئيسى على الخليج فى المدينة وتقعان فى مكان بارز ومن العجيب أن بجوارهما توجد سفسارة

(١) التبشير فى منطقة الخليج العربى (دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى د / عبد المالك

الكويت في أبو ظبي ، أما الكنيسة الثالثة فتقع في حي الخالدية وهو من أرقى أحياء أبو ظبي ويلاحظ الاتى :

أ - الأرض المقامة عليها هذه الكنائس هبة وهدية من الدولة وتقع هذه الأراضي في أفخم وأرقى الأماكن في أبو ظبي ويقدر ثمنها بعدة ملايين من الدراهم .

ب - سيتم نقل الكنيستين القاطنتين في شارع الكورنيش إلى أماكن وسط المدينة ويبدو أن ذلك تم بعد إعادة النظر في موقع هذه الكنائس وستعطي الحكومة لأصحاب هذه الكنائس أرضاً أخرى ذات مساحة كبيرة جداً وعدة ملايين من الدراهم .

ج - يلاحظ أن الكنيسة الكبيرة المقامة على الكورنيش ملحق بها مدرسة راهبات الوردية التي يتعلم بها كثير من أطفالنا المسلمين كما ألحقت بالكنيسة مدرسة أخرى اسمها مدرسة القديس جوزيف .

د - الكنيسة المقامة في حي الخالدية تقع بجوار المدرسة الإنجليزية ويتعلم بها كذلك عدد من ابنائنا المسلمين ، ويقال إن وزير التربية والتعليم السابق قدم إعانات كبيرة لهذه المدارس .

ثانياً - المدارس :

المدارس الأجنبية أساساً هي مراكز للتبشير في أبو ظبي وأهم هذه المدارس الأجنبية هي :

- ١ - مدرسة راهبات الوردية : وهي مدرسة لبنانية أصلاً .
- ٢ - مدرسة الشويفات : وبدأت أصلاً في قرية الشويفات ببلدان ثم فتحت أول فروعها فسي الشارقة ، ومنذ حوالي سنتين فتحت فرعها في أبو ظبي ، وتقيم هذه المدارس بالذات احتفالات في العديد من المناسبات مثل عيد الأم مثلاً في الربيع ويحضرها كبار رجال الدولة والشيوخ وتقوم الصحف ووسائل الإعلام المختلفة بنشر صور المسئولين في هذه الاحتفالات .

٣ - مدرسة سانت جوزيف .

٤ - مدرسة جاك أند جل .

٥ - المدرسة الأمريكية .

٦ - المدرسة الفرنسية .

٧ - المدرسة الألمانية .

٨ - مدرسة الليتز .

٩ - المدرسة الهولندية

١٠ - المدرسة الإنجليزية .

وقد حدث أن طالبت المدرسة الفرنسية من وزارة التربية والتعليم عدم الالتزام بتدريس الدين الإسلامى فردت عليها الوزارة بأن ذلك ممكن لو أن تلاميذها كلهم من الفرنسيين لكن إذا دخلها أطفال مسلمون فلا بد من الالتزام بتدريس الدين الإسلامى .

ويلاحظ كذلك أن مدرسة الشويفات المسيحية اللبنانية تم دعمها بمبلغ ٢٢ مليون درهم من بعض الجهات الحكومية (وغير خاف أن ماجرى ويحدث بلبنان من نكبات السبب الأول والرئيسى فى جريانه وحدوثه تلکم المدارس والمعاهد التبشيرية الأجنبية) .

ثالثا - المستشفيات والبنوك :

أ - فى بعض المستشفيات يكون رؤساء الأقسام من المسيحيين فعثلا رئيس قسم العظام فى المستشفى المركزى مسيحى من مالطة واسمه الدكتور أماتو وقام بنقل ٣ أطباء مسلمين من بينهم طبيب عظام عالمى قام باعادة يد عامل بنجالي مقطوعة إلى مكانها بينما أبقى الطبيب المسيحى معه ٣ أطباء مسيحيين لم ينقلهم .

ب - بنك أبو ظبى الوطنى : واجهة الدولة المصرفية رئيسه مسيحى مصرى اسمه "أسعد سمان" وبالتالى فإن معظم موظفى البنك فى أبو ظبى وفروعه من الأقباط والمسيحيين وهذا أمر معروف لكل رجال البنوك .^(١)

يضاف إلى ما تقدم : " دور الفنادى التبشيرية ، ودور المستشفيات ، والأندية " ^(٢) وتدل الإحصائيات الرسمية على أن نسبة غير المسلمين ترتفع فى دولة الإمارات بشكل مطرد سريع .

ففى خلال عشرين سنة ارتفعت نسبتهم فى السكان من نصف فى المائة إلى عشرين بالمائة خصوصا بعد تدفق العمال السيخ من الهند والعمال النصارى من الفلبين ولبنان وأوريا .^(٣)

أما فى المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين الذى انعقد فى القاهرة فى أوائل شهر ذى الحجة سنة ١٣٩٧ هـ ، فقد قدم الشيخ عبد الله بن على المحمودى إلى المؤتمر " وثيقة تبشيرية " وكان من أخطر ماورد فى الوثيقة - كما يقول الشيخ عبد الله - :

-
- (١) أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية دكتور / عبد الودود شلبى ص ٩٤ - ٩٦ .
 (٢) يراجع المرجع السابق ص ٩٦ - ١٠١ " لمعرفة دور هذه المؤسسات " .
 (٣) المرجع السابق ص ٩٨ .

إن التبشير ركز من نشاطه في الخليج تمهيدا للقضاء على الإسلام والسيطرة على معاقلة الرئيسية ، وإن المنظمات التبشيرية العالمية قررت جعل "دبي" مركزا وقاعدة للانطلاق والهجوم على مكة المكرمة (١).

ولتحقيق ذلك أقيمت أكبر كنيسة وأكبر مدرسة تبشيرية في هذه المنطقة والشخص المحزن والمؤلم حقا أن أثرياء المسلمين وأصحاب النفوذ "بدبي" كانوا من أسبق الناس تبرعا وسخاء لإقامة هذه المؤسسة التبشيرية الضخمة ، وقد وضع الشيخ عبد الله النقاط على الحروف وقد لخص بحثه في عدة نقاط مبينا خطورة الهجمات التبشيرية وواجب المسلمين في التخلص منها ومحوها مع آثارها في الآتي :

أولا : إن التبشير يهدف إلى غاية خطيرة تتلخص في هذه الهجمات المستمرة التي يقوم بها في العالم الإسلامي كله وإن هذه الهجمات قد خطط لها من زمن بعيد على نحو ماورد في كتاب " الغارة على العالم الإسلامي " الذي ظهر وطبع منذ خمسين سنة .

ثانيا : إن تقصير المسلمين تجاه إخوانهم المنكوبين وتخليهم عن واجبهم تجاه مايتعرضون له من المحن والنكبات يتيح لهؤلاء المخرين الغرض لضرب الإسلام في معاقلة والتشكيك في الرابطة الإسلامية بين شعوبه .

ثالثا : إننا نستطيع بالتعاون المنظم بين الشعوب الإسلامية والجماعات الإسلامية العاملة في هذه الشعوب أن نغسل هذا المخطط ونكشف هذه المؤامرات ولايمت ذلك إلا بالعطاء والبذل والتضحية بالقليل من الأموال والمساعدات .

رابعا : إننا لا ننكر أن لضرر المملكة السعودية والكويت ودولة الامارات مواقف نبيلة تجاه المنكوبين المسلمين في شتى بقاع العالم ولكن هذا المؤتمر يستطيع أن يخطط لعمل إسلامي موحد يتم بمقتضاه دراسة الأحوال ، وتقديم المساعدات والتصدى لكل المحاولات الهدامة ضد الإسلام والعالم الإسلامي .

خامسا : إن الدعوات التي تنطلق هنا وهناك داعية إلى التفاهم بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات لن يكتب لها النجاح ما لم يتوقف أصحاب هذه

(١) المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص ٤٤٠ (وثيقة تبشيرية لساحة الشيخ عبد الله بن علي المحمودي بدولة الإمارات بتصرف ، مجلة الأمة (العدد التاسع عشر - السنة الثانية) ص ٨٠ من مقال بعنوان غارة تنصيرية شرسة على الخليج - د / عبد الودود شلبي ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

العقائد عن حملاتهم المسعورة ضد الإسلام وشعوبه ويقدموا الدليل الواضح على صدق هذه الدعوة بالتفاهم والحب لا بالبغضاء والكراهية وسوء النية والتناقض الواضح بين أقوالهم المعلنة وأفعالهم الخفية .

سادسا : إن الأظهر كما يتضح من هذا التقرير خطر كبير على أعداء الإسلام في كل الدنيا ، فعلينا أن نعمل لتقويته وإعلاء شأنه ، وإحاطته بكل أنواع الرعاية والإعزاز والمساعدة .

سابعا : لابد من الإسراع في إنشاء صندوق خاص للدعوة الإسلامية تتجمع فيه كل أنواع التبرعات والزكوات والمساعدات - حكومية أو شعبية - وأن يكون لهذا الصندوق مجلس إدارة تمثل فيه كل الشعوب الإسلامية وتتكون له فروع في كل الأقطار القسادية على الإسهام في هذه القضية المقدسة .^(١)

هذا ما عرضه صاحب الوثيقة من نقاط وضع فيها آثار التبشير الخطيرة وقدم الوسيلة الفعالة لمجابهتها ، وإذا لم نتعاون فيما بيننا لنصرة ديننا ، ولحماية عقيدتنا وأجيال المسلمين من كل معتد أثيم فالطوفان قادم إلى بلادنا نحن المسلمين ، والويل لمن يقصر أو يتوانى أو يحط من شأن هذا الخطر الكبير يقول وليم جيفورد :
متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا أن نرى العرب يتدرج نسي طريق الحضارة التي لم يبعده إلا محمد وكتابه ، فالزحف إلى مكة إذن هو الغاية والتبشير في الخليج هو رأس الحرية في هذه الغارة .^(٢)

تمهيد حول الإسلام في إفريقيا

إن الإسلام دخل قارة إفريقيا عن طريقين :-

١- عن طريق الساحل الشرقي المحاذي للبحر الأحمر ، ويعتبر الجغرافيون أن هذا البحر ليس حاجزا أو فاصلا بين شبه الجزيرة العربية وبين شرق إفريقيا ، وإنما هو مجرد كسر التوائى بين منطقتين في أرض واحدة مناخها واحد وتضاريسها متشابهة ، وما يؤكد الصلة القوية بين سكان المنطقتين أنه في السنة الخامسة من البعثة النبوية أشار النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالهجرة الأولى إلى الحبشة

(١) المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية (وثيقة تبشيرية) ص ٤٤٨ .

(٢) " مجلة الأمة " (العدد التاسع عشر - السنة الثانية) ص ٨٠ .

فخرج من مكة أحد عشر رجلا وأربع نسوة ولما وصلوا إلى البحر ركبوا سفينة أوصلتهم إلى الحبشة فأقاموا في جوار النجاشي ، وكانت هذه الهجرة لفئة كريمة مبكرة بالديـن الإسلامي في هذه البلاد وإعلانا مباشرا برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في هذه البقعة الطيبة ، وتصريحا بعالمية الدعوة الإسلامية التي لا تقف في وجهها حواجز أو موانع ، وبلغ من تأثير المهاجرين الأوائل في بلاد الحبشة أن أسلم ملكهم النجاشي ولذا لما مات صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر له^(١) ، ومن حين الهجرة الأولى والإسلام يمتد نوره إلى إفريقيا من هذه الجهة الشرقية .

٢- عن طريق مصر في الشمال الشرقي للقارة ، ومن هذا المدخل وفد الإسلام بضوئه الساطع إلى بلاد المغرب العربي ، وتشعب نوره إلى قلب القارة ، وإلى جـبل المناطق في غربها ، في الوقت الذي يسرى فيه الإسلام إلى قلب إفريقيا من جهة الشرق والجنوب الشرقي حتى وصل غرب القارة في فترة ظهور الإسلام .

فمن جهة وصول الإسلام من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي فقد سار عمرو بن العاص إلى مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية فنزل العريش ثم أتى الفرما ، وبها قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ومضى قدما إلى القسطنطينية وبعد إتمام فتح مصر توجه إلى الإسكندرية ، يقول الشيخ الشرقاوي :

فلما وصل إليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل إليهم المقوقس يسألهم في الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية^(٢) . لكن عمرو تمكن من فتحها ، وتابع فتوحاته حتى برقة^(*) فلما كان عهد عثمان مد عبد الله بن أبي سرح فتوجه أكثر إلى الغرب وأخضع جزءا من إفريقية ودانت له قرطاجنة بدفع الجزية ، وقد ظل عمرو بن العاص واليا على مصر فترة خلافة عمر بن الخطاب فلما توفي عمر وولّى عثمان بن عفان الخلافة وولّى عبد الله بن أبي سرح على مصر بدل عمرو بن العاص ، فبعث السرايا لغزو أفريقيا

(١) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع من البعثة ، ونعاه رسول الله " صلى الله عليه وسلم " إلى الناس في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه بالبقيع (السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٦٤ بالهامش) بتصرف يسير .

(٢) فتح الشام (بالهامش) تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين للإمام الشيخ : عبد الله الشرقاوي ص ٥٠ . بدون عدد للطبعة - المطبعة المصرية ١٣٠٢ هـ .

(*) برقة - مدينة في أنطابلس ، وهي بين مصر وأفريقيا ، وهي المنطقة الشرقية من جمهورية ليبيا العربية فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤٢ م ومن مدنها الهامسة بنغازي ، طبرق ، درنة (المنجد في العلوم ص ١٢٦) .

فتوغلت في البلاد وأصابته الكثير من المغنم وتمكن عبد الله بن الزبير من قتل ملوك
أفريقيا (جرجير) ، واستمر التقدم الإسلامى فى القارة حتى جاء عهد يزيد ابن معاوية
يقول الدكتور / عبد الفتاح على شحاته :

فقد استعمل يزيد عقبة بن نافع الفهري على إفريقيا ، فافتتح بلاد المغرب حتى
وقف على المحيط الأطلسى فى حركة عسكرية خاطفة وأنشأ مدينة " القيروان " لتكون مركزا
إسلاميا وله الآن بالجزائر مسجد . (١)

وبعد موته خلفه حسان بن النعمان الفسائى من قبل عبد الملك ابن مروان فكان
لحسان الفضل الأكبر فى استعادة إفريقيا وطرد الروم منها سنة ٧٨ هـ = ٦٩٨ م فقد فتح
" قرطاجنة " (*) ، " وتونس " وحمل على البربر فقتل الكاهنة ملكتهم ، ثم خلفه موسى بن
نصير وفى عهده بعث القائد طارق بن زياد سنة ٩٣ هـ = ٧١٢ م لفتح بلاد الأندلس
وواصل المسلمون الفتح حتى جبال الألب بفرنسا ، وقد توغل العرب فى شجاعة إلى
أن وصلوا إلى قلب فرنسا عند مدينتى تور وبواتيه . (٢)

ومن الباحثين من يشير إلى أن الإسلام سلك طريقه إلى غرب أفريقيا من ثلاثة
منابع رئيسية وقد منها الإسلام بلغته وحضارته .
١ - من مصر إلى النوبة (*) إلى برنو (*) إلى بلاد " الهوسا " .
٢ - عن طريق الحبشة إلى " البيرويا " و " الأشانى " .
٣ - من شمال إفريقيا عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغرب . (٣)

-
- (١) تاريخ الأمة العربية - دراسات فى تاريخ الأميين ج ٩٢ ط (١) مطبعة زاهران
بالقاهرة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م .
(*) قرطاجنة : مدينة فى تونس قامت على أنقاض مدينة قرطاجه يراجع " المنجد فى العلوم ص ٤٧٥ " .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٦ " مادة الأندلس " ص ٦ .
(*) النوبة : منطقة إفريقية تمتد على شاطئ النيل بين أسوان والسودان وتنقسم إلى
النوبة السفلى : وهى الجزء الواقع فى مصر بين أسوان ووادى حلفا ، والنوبة
العليا وهى المناطق الواقعة فى السودان يراجع (المنجد فى العلم ص ٧١٥) .
(*) البرنو : من مناطق السودان الأوسط مساحتها نحو ١٥٠٠ كم^٢ ويحدها شمالا
الصحراء ، وغربا بلاد الهوسا بنيجيريا ، وجنوبا " أدوم " بجرى ، وشرقا تشاد
وسكانها من العرب والبربر (يراجع المرجع السابق ص ١٢٢) .
(٣) الإسلام واللغة العربية فى غرب أفريقيا " مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة
القاهرة المجلد السابع والعشرون ١٩٦٥ م " د / إبراهيم على طرخان ص ٥٣ بدون
عدد للطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩ م .

وقد ساهم الدعاة والتجار المسلمون الذين جاءوا من وادى النيل ومصر بصفة خاصة ومن بلاد المغرب فى نشر الدعوة الإسلامية فى غرب إفريقيا ومعهم دخلت المدنية الإسلامية وماحوت من علوم وآداب وتقاليدها الاجتماعية ونظم حكومية " ويؤرخ لدخول الإسلام فى غرب إفريقيا بالقرن السابع الميلادى أى بالقرن الذى ظهر فيه الإسلام لأول مرة وما أن مالى جزء من غرب إفريقيا ، فقد وصلها الإسلام كما وصل غيرها من جهات هذه البقعة ، ولكن بدرجة محدودة فى فجر ظهور الإسلام ويكفى دليلا على اتساع انتشار الإسلام فى حوض النيجر ، أنه عندما أراد ملك جنى " على النيجر ، أن يعتنق الإسلام فى القرن الثانى عشر الميلادى ، أمر بحشر العلماء فى بلاده ، فاجتمع له فيما يقول السعدى ٤٢٠٠ عالم مسلم وأسلم على أيديهم ، وليس من المعقول أن يكون هذا العدد أو حتى نصفه من العلماء قد تكون فى فترة قليلة ، كما أنه ليس من الضروري أن يكون جميع هؤلاء العلماء من الوطنيين الإفريقيين فى غرب إفريقيا ، أو من الأجانب بل إن اجتماع مثل هذا العدد ، فى وقت واحد ، يدل على مدى نشاط الدعوة الإسلامية ، وكثرة المعتنقين للإسلام ، فضلا عن تشجيع الحكام المحليين للدعاة على العمل وحرية التنقل . (١)

ويشير الدكتور إبراهيم على طرخان إلى دخول الإسلام مبكرا إلى هذه البلاد قبل عهد المرابطين ، وإلى الاتصال الإسلامى بين مصر والسودان الأوسط والغربى والشمال الإفريقى منذ عهد مبكر ما يؤكد حيوية الإسلام وسرعة انتشاره وتقبل الشعوب له لأنه دين الفطرة وذلك بقوله : الإسلام قديم فى غرب إفريقيا عامة ، إنه لم يدخل تلك البلاد لأول مرة على المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى كما هو مشهور بل إن الصلات المتنوعة القديمة القائمة بين بلاد السودان الأوسط والغربى وبين البلاد الإسلامية فى وادى النيل وماوالاه شرقا ، وشمال إفريقيا كانت ذات أثر كبير فى حصول الإسلام والتعريف به فى بلاد السودان وذلك قبل عهد المرابطين بما لا يقل عن أربعة قرون .

وأثرت دولة البرنو الإسلامية المكتبات العربية ، بالصفقات فى شتى فنون العلوم الإسلامية التى خلفتها بالرغم من ضياع معظم الصفقات العربية خلال حركات الصراع الإفريقى ضد المستعمر الأوروبى .

(١) قيام امبراطورية مالى الإسلامية (دراسات فى التاريخ القومى الإفريقى) " مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم العدد الأول سنة ١٩٧٠م " د / إبراهيم على طرخان ص ٢٦ بدون عدد للطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٠م ، الإسلام واللغة العربية فى غرب إفريقيا ص ٥٥ و ٥٦ .

وتلاشت إمبراطورية البرنو التاريخية في غمرة الاستعمار الأوربي في مطلع القرن العشرين بعد أن جزّتها إلى عدة أقسام وأقام على أنقاضها أو على أجزاء منها دويلات منها :

- ١ - جمهورية تشاد التي شملت أغلب الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية .
- ٢ - جمهورية أفريقيا الوسطى التي ضمت الأطراف الجنوبية من الإمبراطورية .
- ٣ - جمهورية النيجر وتحتوى على أغلب الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية .
- ٤ - جمهورية نيجيريا وتضم إقليم برنو الأصلي غربى بحيرة تشاد .
- ٥ - جمهورية الكمرون وتضم الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من برنو واستقلت جميعها على مدار عام ١٩٦٠م .

" وبرنو " ملكة قديمة واسعة كانت من ممالك السودان القديمة وصل نفوذها إلى حدود مصر شمالا وإلى المحيط الأطلسى جنوبا وكانت صلتها بحضر متينة أدت إلى إرسال بعثات علمية إلى مصر وتخصيص رواق منسوب إليها ضمن الأروقة الإسلامية بالأزهر ويدعى حتى اليوم برواق برنو (١).

وهناك عدة مراكز هامة في شمالى أفريقيا ينطلق منها الدعاة المسلمون إلى غرب القارة ، وما تزال هذه المراكز عوامل تثبيت للدعوة الإسلامية في مواجهة الزحف التبشيري الشرى القادم من أوربا ، ومن الأمريكين عبر المحيط الأطلنطى ، ما يجعلنى أشير إلى بعض هذه المراكز نظرا لأهميتها التى مازالت قائمة ولمحاولة العمل التبشيري الدائبة لسلب فاعليتها وهامى :

- ١ - برقة بلبيا : كانت قوافل المسلمين تغادر برقة محملة بالبضائع وتتوجه صوب بيلما Bilma . حتى تصل منطقة بحيرة تشاد ، وقد تصل القوافل نسمها بلاد برنو Borno .
- ٢ - القيروان بتونس : كان التجار المسلمون يغادرون القيروان بجمل لهم المحملة بمنتجات " إفريقية " إلى " تكيدة " حيث تقع مناجم النحاس ، ومنها تقصد كانوا Kano " فى بلاد " الهوسا " بنيجيريا .
- ٣ - تلمسان بالجزائر : كانت قوافل التجار المسلمين تنطلق من تلمسان إلى ثنية نهر النيجر حيث تقع مدينتا تيبكتو وغازو الشهيرتان .

(١) موجز تاريخ نيجيريا : آدم عبد الله الأثورى ص ٦٦ طابع منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥م .

٤ - طريق المتونة : وهي الآتية من المغرب الأقصى على امتداد ساحل المحيط الأطلس إلى حوض نهر السنغال^(١) ، ويظهر أن الإسلام وفد ومازال إلى غرب إفريقيا من الطريق الثالث والرابع .

نبذة حول غرب إفريقيا

في كثير من دول غرب إفريقيا نسبة عالية من المسلمين وتشمل هذه الدول كـ من موريتانيا ، والسنغال ، وجامبيا ، وغينيا ، وغينيا بيساو ، وسيراليون ، وفولتا الحلبا ، ومالي ، والنيجر ، وتشاد ، ونيجيريا ، والكاميرون - ومن الملاحظ أن الإسلام ينتشر في جميع دول غرب إفريقيا بلا استثناء بحيث يكون هو الدين السائد في بعض تلك الدول وهي الدول الإسلامية المذكورة سابقا ، (اثنتا عشرة دولة) بينما تكون أقلية مسلمة كبيرة وذات شأن (أكثر من ٢٠ ٪ من السكان) في بقية الدول وهي ليبيريا ، وساحل العاج ، وغانا ، وتوجو ، وبنين (داهومي)^(*) وإفريقيا الوسطى وجزر الرأس الأخضر .

وسنقتصر على نماذج محددة لدول غرب إفريقيا توضح آثار التبشير الخطيرة في هذه المنطقة من القارة الإسلامية ومنها :

١ - موريتانيا :

ويحدها من الشمال الشرقي الجزائر ومن الشمال والغرب الغربي الصحراء المغربية ومن الشرق مالي ومن الغرب المحيط الأطلنطي ومن الجنوب مالي والسنغال .

وأراد الاستعمار أن يمنع الرافد الإسلامي عن الساحل الغربي لإفريقيا بجعل " موريتانيا " حدا فاصلا بواسطة الهجوم التفضيري المركز عليها وخاصة في السنوات الأخيرة لقد بدأت الزحف النصراني على " موريتانيا " بالتدريج بعد أحداث الجفاف عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م ، وأظن أن هذه الأحداث كانت مجرد مبرر فقط ، وقد بدأ الزحف النصراني المركز جدا على موريتانيا منذ ١٩٨٣ م بعد إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية فـ

(١) المسلمون في السنغال (معالم الحاضر وآفاق المستقبل) (كتاب الأمة - ١٢)

عبد القادر محمد سيلا ص ٥١ ط (١) مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٦ هـ .

(*) (داهومي) صارت بنين حاليا .

موريتانيا وقد تنبه الغربيون إلى نقطة هامة جدا هي أن موريتانيا تقع إلى جوار اثنتين من أهم الدول في غرب أفريقيا ، السنغال التي تعتبر أهم بلد بالنسبة للفرنسيين في غرب أفريقيا ، ومالي وهي دولة ذات تركيز إسلامي عال جدا في المنطقة ويمكن أن تؤثر على ساحل العاج وعلى " بوركينا فاسو " (*) وغيرها من دول غرب أفريقيا هذا بالإضافة إلى أن هناك مجموعة قوية وكبيرة جدا من الطلاب الزنوج في هذه الدول يأتون باستمرار إلى " موريتانيا " ليتعلموا اللغة العوية ، والعلوم الإسلامية في المحاضر وغيرها من المؤسسات التعليمية . (١)

كما أنه يوجد " بالسنغال " وهي الدولة المجاورة " لموريتانيا " صحوة إسلامية ذات مضمون شمولي تحاول أن تبني الأمة على تعاليم القرآن الكريم وتنبذ كل ماديته الاستعمار والتبشير من تعاليم فاسدة وعادات قبيحة وهذه الصحوة الشمولية تدهس " موريتانيا " بالزاد فهي تواجه الاستعدادات النصرانية التي تمتلك مئات المدارس من ابتدائية وأعدادية وثانوية منتشرة في المدن والقرى وتسلم الطائفة النصرانية من أجل تسييرها مساعدات سخية من الدولة منذ أيام الاستعمار .

وعلى سبيل المثال : حصلت المدارس النصرانية عام ١٩٨٤م على مايزيد قليلا على (٥٥) مليون فرنك أفريقي من أصل (٧٥) مليون فرنك قدمتها الحكومة لمساعدة المؤسسات التعليمية الحرة عدا ما تلتزم من المنظمات النصرانية العالمية ، الأمر الذي جعل مدارسها أفضل تجهيزا وأكثر ازدهارا من أية مؤسسات تعليمية أخرى في البلاد كلها . (٢)

ولذا خشي أرباب الغزو التنصيري من تأثير الإسلام على السنغال الذي أصبح مركزا للبشرين الذين تضاعف نشاطهم فيه في السنوات الأخيرة ، فبالقرب من السنغال من يمد سلميها بالزاد الديني والتعليم الإسلامي وباستمرار هذا المدد سوف يقيس النشاط الإسلامي حيا ومتحركا يقض مضاجع التنصيرين وأسيادهم بل ويزيل أعشار البشرين من هذا البلد الإسلامي الكريم لذلك حاولت الكنيسة أن تحاصر " موريتانيا " بالتنصير لتقطع الطريق على المد الإسلامي .

وبدأت هذه المحاولات في صورة منظمات خيرية عادية مثل " كارتاس " " وتيرد يزوم " أو " أرض الرجال " " كوردي لابييه " أو " هيئة السلام " وأندية الروتاري و " الليونسز "

(*) اسمها سابقا (فولتا العليا) (السياسة الدولية - ٨٤) ص ٣١٦ سنة ١٩٨٦م

(١) مجلة " الأمة " (العدد الحادي والسبعون - السنة السادسة) ص ٧٥ .

(٢) المسلمون في السنغال " معالم الحاضر وآفاق المستقبل ص ١٠٥ بتصرف .

هذه كلها الآن مؤسسات تنصيرية موجودة في داخل " مورتانيا " وتعمل علنا .^(١)

ويخشى منها على مسلمي السنغال ، لأن خلاياها تعمل بجد ونشاط ، وأفرادها يجدون العون المادي والأدبي من قبل الاستعمار .

٢ - صورة للتبشير النصراني " بنيجيريا "

دخل الإسلام " نيجيريا " قبل أن تتسلل النصرانية إليها بنحو سبعة قرون يقول آدم عبد الله الألويسي:

لقد قامت دولة الإسلام في " برنو " بالقرن الحادي عشر الميلادي وقامت دولته في بلاد كانو أيام " محمد رنفا " في القرن الثالث عشر الميلادي (التاسع الهجري) .^(٢)

وكالعادة أقبلت النصرانية إلى " نيجيريا " بصحبة الاستعمار الذي جاء من أوروبا عبر المحيط الأطلنطي حتى الشاطئ الغربي من إفريقيا ولما كان للاستعمار البرتغالي جولة " بنيجيريا " منذ عام ١٤٧٢م فإن التبشير النصراني لم تكن له فعالية تذكر إلا في القرن التاسع عشر حين حل الاستعمار الإنجليزي محل الاستعمار البرتغالي وبدأت عملية التبشير بصورة جدية على أيدي المرسلين من الإنجليز الذين نزلوا أولا بمدينة بداغري ١٨٤١م ، ثم تغلغلوا إلى داخل البلاد ، وهبطوا إلى " أبيكوتا " و " كلابر " ١٨٤٦م ثم تبعهم (جمعية الكنائس التبشيرية) (C. M. S) التي اتخذت مركزها " بأبيكوتا " وبداغري .

ثم تابعت موجات البعثات التبشيرية من " إنجلترا " و " أمريكا " وخصوصا من " سيراليون " التي تركزت فيها كلية تبشيرية تدعى " كلية فورابي " التي قامت بإمداد " نيجيريا " بالمبشرين المتخرجين منها .^(٣)

ولما كانت الخطة المرسلية قائمة على " أفارقة الكنيسة " وتزويدها بكنهنة أفارقة فرأوا أن يمدوا أساقفة من عبيد إفريقيا الذين تحرروا بغية إرسالهم إلى الكنائس فسي غربي إفريقيا " وقد نزلت الدفعة الأولى من موجات التنصير المركز إلى نيجيريا في عام ١٨٤١م وكان من بينهم " صوبيل اجاي كراوتر " الذي تحرر مع الصحريين وتخرج مع

(١) مجلة الأمة - (العدد الحادي والسبعون - السنة السادسة) ص ٧٥ بتصرف .

(٢) الإسلام اليوم وغدا في " نيجيريا " ص ٥٢ .

(٣) موجز تاريخ " نيجيريا " ص ٨٨ .

النصرين ، ثم أرسل إلى نيجيريا مع المرسلين إلى جنوب " نيجيريا " حيث عمل بجد ونشاط ، وقد وضع أيضا الحروف اللاتينية لكتابة لغة " البيرويا " لترجمة الإنجيل ، بدلا من الكتابة العربية التي كان المسلمون يكتبون بها لغة البيرويا ^(١) .

ويقال في الدور الذي قام به المبشر المذكور سابقا " ولقد أرسلوه بصفة " اسقف " وأنفق في سبيل التبشير المسيحي كل مرتخص وغال وأسس عدة مدارس ، وكنايس ومكتبات ولقد تمركز المبشرون أولا " بأبيكوتا " وصار لهم مكان مرموق بين رجال السلطة المحلية وبدأوا في إصدار جريدتهم السبابة بصحيفة الأخبار وكادوا يقبضون زمام الحكم كله لولا أن تظن بعض العقلاء لهذا الخطر التبشيري المحدق بهم فأجلوهم منها إلى " لاجوس " سنة ١٨٩١م ، فأصبحت بفضل كونها العاصمة أكبر مراكز التبشير وأهمها في هذه البلاد ^(٢) .

وبمرور الزمن تغير الوضع ووجد الإسلام حصنا في " لاجوس " فبعض الذين أعدهم التبشير وصنعهم على عينه من أهل البلاد ليكونوا عوناً له في محاربة الإسلام تأثروا بالمشورات الإسلامية الواردة من علماء " الهند " و " باكستان " أمثال مشورات " حسن خان " و " الأمير علي " والشاعر " محمد إقبال " وأشباههم .

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى تحولت مدينة " لاجوس " بالتدرج إلى مركز من مراكز الإسلام في غرب إفريقيا إلى أن تحررت نيجيريا مع البلاد المتحررة عام ١٩٦٠م وجاءتها النع اندراسية من البلاد الإسلامية وخاصة جامعة الأزهر الشريف فتلاّ نفس البلاد نور الدعوة الإسلامية من جديد " وكان أمر الله قدرا مقدورا " وتحقق وعيد الله " يريدون أن يحافظوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ^(٣) " .

وما يحدث بنيجيريا من نشر للدعوة الإسلامية ، ومقاومة للتبشير الغربي ، يعطى صورة حقيقية لجهد علماء المسلمين الدوائر في كل مكان ، ويوضح أثرهم في مقاومة الخطر المترين بالمسلمين ، كما يبين بجلاء أثر الجامعات الإسلامية في حماية المسلمين من كيد المبشرين

-
- (١) مجلة الأمة (العدد الرابع والأربعون - السند الرابعة) ص ٤٨ من مقال بقلم
 بابكر حسن محمد قدر ماري : عنوانه (التبشير النصراني في غرب إفريقيا) (١٤٠٤هـ =
 ١٩٨٤م بتصرف يسير .
 (٢) موجز تاريخ نيجيريا ص ٨٨ .
 (٣) (٤) يراجع الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ص ٦٨ ، ٦٩
 التوبة الآية ٣٢ .

وتدبيرهم ، وبرز دور جامعة الأزهر الشريف التي بحكم مسئوليتها الإسلامية تتحمل العبء الأكبر في مواجهة التيارات المعادية للإسلام والمسلمين في كل البلاد .

محاولة تنصير قبيلة " الفولا نيين "

هذه القبيلة الضاربة بجذورها في أعماق غرب إفريقيا والتي يزيد عدد أفرادها عن عشرة ملايين ، ولهم قوة لا بأس بها في نيجيريا ، قوة يحسب العدو حسابها وللمبشرين تجربة مع قبيلة الفولاني فركزوا عليها لسببين :

السبب الأول :

هو أن جل أفراد القبيلة لم يتعرفوا أحكام الإسلام ، ومبادئه وبالتالي يسهل خداعهم باسم الدين وذلك لأنهم في شوق إلى المعرفة والتعلم ، ولذا يقول : عبد الرحمن أحمد عثمان :

إن تجربة الفولانيين في الإسلام تختلف عن غيرها ، إذ أنهم يجهلون أسس ومبادئه ، لذلك فقد حاول المنصرون إيهام الفولاني بأن الإسلام والنصرانية لا يختلفان فميسى هو ابن الله ، فعلم المسلم أن يعتقد ذلك وعندما تتمكن منه هذه العقيدة يسعى المنصرون لتكثيف عقيدة أخرى هي أن المسيح ابن الله يتحمل عن يؤمن به غناء الصيام والصلاة فقد استمعنا إلى هذا الكلام مشافهة من استطاع المنصرون التأثير عليهم ثم قرأناه في وثائقهم .

والسبب الثاني :

(هو أن الفولانيين قوم فيهم مكونات الزعامة ، فمنهم عثمان انفوديو الذي أسس إمبراطورية " سكو " وهي التي مكنت للإسلام في غرب إفريقيا ، ومنهم كثير من زعماء الدول الإفريقية الحالية " رئيس جمهورية نيجيريا الاتحادية ، شيخو شقاري ، ورئيس جمهورية الكاميرون ، بل إن الأصول التاريخية ترجع برئيس وزراء السودان الأسبق السيد " اسماعيل الأزهرى " إلى أصول فولانية) .^(١) ، ما جعل الهيئات الكنسية تجمع أمرها فيما بينها لتنصير هذه القبيلة .

ولما كانت اذاعة " جوس " بولاية بلاتو النيجيرية تبث برامجها التنصيرية " بالهوسا " والإنجليزية ، والفولانيون ليسوا على علم بهذه اللغات .

(١) مجلة الأمة (العدد السادس والخمسون - السنة الخامسة) ص ٣٠ من مقال بقلم عبد الرحمن أحمد عثمان بعنوان : " تنصير قبيلة الفولاني في غرب إفريقيا ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

لذا اتجهوا إلى إذاعة " سيشل " ورايو " الرا " في " منروفيا " أما إذاعة " الجابون " فقد رصدت عربة صالون (داتسون) لمن ينجح في حل المسابقة الرئيسية لتحديد الزمن المناسب للبث التنصيري لقبيلة الفولاني ، والجدير بالذكر أن استوديوهات فاؤندري " بالكامرون " هي التي تزود كل هذه الإذاعة بأشرطة الكاسيت الفولانية .

ومحاولة تنصير الفولانيين بل والإفريقيين عموما باستخدام البرامج المذاعة مرحلية أولى تليها عدة مراحل :

- منها استغلال التنصير لتعلق الفولانيين بأبقارهم فقام المنصرون بجلب الدوا والعلف واستخداموا الصيدلية البيطرية ، والطب البيطري في المعالجة وعمليات التهجين .
- ومنها التعليم التنصيري في جميع المراحل وخلق ساحة المدارس من مدرسي التعليم الديني في الغالب .
- ومنها دور الحضانة والملاجئ الخاصة بالأطفال واللقطاء والمستشفيات ، والمستوصفات والعيادات .

وآخر المراحل التبشير المكشوف بدعوة القبائل للدخول في النصرانية والتقريب الموضح هو للجنة صغيرة منحصرة في ولاية " فنقولا " شرقى " نيجيريا " (١) .

تقرير لجنة العمل التابعة للمنصرين C.R. GN

ولاية فنقولا " يولا " نيجيريا ، باسم المسيح نحيبكم ونتوجه إليكم بأطيب الأمانى إن لجنة التنصير التابعة له " سى . آر . سى . ان " تود أن تتقدم بالشكر على روح التعاون التى أبديتها نحو الحملة التنصيرية التى قمنا بها فى عام ١٩٨١م وفيما يلى التقرير الذى يعكس التقدم الذى أحرزناه حتى الآن بفضل الرب ومعونته .

تقرير رقم (١) الحملة التنصيرية أثناء عام ١٩٨١م ، لقد عينا أحد عشر منصرا من المنصرين الجدد وذلك عندما تلقينا طالبات من أهل القرى الذين عبروا عن رغبتهم فى الإنضمام إلى النصرانية وهناك كنائس فى جميع هذه القرى تدرس فيها النصرانية

(١) يراجع المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣١ .

ولقد استقبلنا أربعين من المعتنقين الجدد الذين تحولوا إلى النصرانية وتسم تعميدهم وبعضهم لا يزال يتلقى دروسا في التعميد ، أما القرويون الذين يقطنون منطقة جبل " فالى " فقد بدأنا بإنشاء الكنائس بينهم منذ بداية العام ، ولقد اكتمل بناؤها والآن فإن ثمانية عشر من الوافدين الجدد إلى النصرانية يتلقون دروسا في التعميد وفي قرية " جكواى " بالقرب من جبل " بيت " فإن طيبيا من الأهالى ألقى حديثا نصرانيا مؤثرا أعلن فيه قبوله للنصرانية في حضور ذوي القرويين وذلك في التاسع عشر من يوليو (تموز) ١٩٨١م واليوم فإن عدد المعتنقين الجدد للنصرانية قد بلغ الثمانية والعشرين .

ولقد عقدنا هناك في أغسطس (آب) دورة تدريبية مع الفولانيين ولقد حضرها فوق المائتين وخمسين فولانيا ، وفي ختام الاجتماع وزعنا أشرطة الكاسيت للوافدين الجدد حتى يتمكنوا من تعليم النصرانية لذويهم في مناطقهم الدعوية ، كما يوجد منصر يتجول بينهم بدراجته البخارية على سبيل التشجيع ، وكذلك فإن الفولانيين الأربعة الذين تحولوا إلى النصرانية يترددون على المدرسة الإنجيلية ويتقدمون بصورة حسنة .

وفي وسط المجتمع المسلم في مدينة " يولا " يعمل منصر نصراني كان في السابق مسلما وهو يعيش بين ظهرائى هذه الجماعة بصورة سرية وبعد نقل التقرير نعود إلى خطتهم التي أعلنوها قائلين خطة عملنا لعام ١٩٨٢م .

نريد أن نحين منصرين مستديمين في بعض القرى " ماى " " هولا " " قندن " - " دوتس " إجابة للطلبات الواردة من المعتنقين والذين يقطنون هناك منذ عام ١٩٨٠م ، ونريد إرسال بعض المنصرين إلى " داکو " بين " بلى " " وقانين " لأن الأهالى هناك لم يستمعوا لكلامنا حتى الآن ونحن الآن نحضر للاجتماع مع الفولانيين الذى سيعقد في مايو (آيار) ١٩٨٢م ، ولقد استلمنا بكرة هدية لتذيع أثناء الاجتماع أهداها إلينا أحد الفولانيين كما تلقينا تقريراً يفيد بأن عددا من الفولانيين يرغبون الاشتراك هذا العام كما نخطط لاقتناء قارب بخارى بين سواحل نهر " قنقولا " كما نريد أن نوظف صيدليسا بجانب المنصر يستخدم القارب البخارى للوصول إلى أهالى قبيلة " جوكوت " الذين يعيشون محاذين لشاطئ النهر ودعوتهم إلى النصرانية .

ومن ضمن برامجنا أن ننجز الوعد الجديد عندما تقرأ كيف حول المسيح بعض الصيادين إلى حواريين فعلينا التأسي به قدوة إننا نعد بحثا ونأمل أن نتصل ببعض

أعضاء قبيلة " الكانورى " الذين يعيشون فى ولاية " برنو " وندعوهم إلى النصرانية
فإن سبعة أشخاص منهم قد اعتنقوا النصرانية من بين مليونين من أفراد القبيلة .

وكما جاء فى التاريخ فإن قبيلة " جوكنز " قد تعاونت مع أهل " الكانورى " ففى
حروبهم ضد " الطوارق " فنود أن نستغل هذه الخلفية التاريخية للعلاقات الكانورية
" الجوكنزية " فى عملنا التنصيرى وسط الكانوريين وللوفاء بهذه المقترحات فإننا نطرح
أمامكم الميزانية المرفقة لتنفيذ هذه المقترحات .

إننا نتوجه إليكم بالدعوة للحضور والاشتراك والتعاون معنا لإنجاح هذا المشروع
وكل من يساهم معنا لإنجاح هذا المشروع فسنعطيه وصلا وسوف نرسل له تقرير عمل عن
كل ما نقوم به من نشاط . (١)

أثر النشاط التبشيرى فى غرب إفريقيا

إن النظرة الواقعية للنشاط التبشيرى فى إفريقيا عامة تؤكد لنا أن التبشير نشب
مخالبه فى هذا الجزء الكبير والسهام من قارة إفريقيا .

فى " غانا " نشطت الكنائس فأنشأت المدارس ، وأسست كلية " أشموتة " الثانوية
المختلطة " بأكرا " لإعداد مجموعات تنصيرية وطنية خاصة وتم إنشاء عدد من المكتبات
لخدمة التنصير ، وترجمة الإنجيل للغات المحلية .

وأنشئت مطبعة " بأكرا " بالإضافة إلى توالى جمع الإرساليات التنصيرية من قبل
انجلترا ، وفرنسا ، وهولندا إلى بلاد غرب إفريقيا ، حيث غم نشاطها كلا من
" سيراليون " و " ليبيريا " و " ساحل العاج " و " الكاميرون " . (٢)

وظهرت خطورة الإرساليات على المسلمين فى بلدان إفريقيا فبواسطتها تمكنت القلة
النصرانية فى هذه الدول أن تسك بزمام الحكم وتوجه الدفة فى دول إسلامية ، ولناخذ
دولة " سيراليون " كمثال على ذلك فنجد أن نسبة ٨٠ ٪ من السكان هم من المسلمين
ولكن الأقلية النصرانية التى تبلغ نسبتها ٥ ٪ فحسب تسيطر على ١٢ مقعدا وزاريا

(١) يراجع المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) مجلة " الأمة " (العدد السادس والخمسون .) ص ٤٢ .

من أصل ٢٢ كما نجد أن كلا من رئيس الدولة ورئيس الوزراء وزراء الخارجية والمالية والإعلام هم جميعا من النصارى ويزعمون أن المسلمين متأخرون وغير متعلمين أو متقنين ولذلك فإنهم غير قادرين على تسيير بلادهم وحكمها .

- وهذه هي نسب الأكرات الإسلامية في دول تحكمها أقبليات غير إسلامية : السنغال ٩٠ % سيراليون ٨٥ % إفريقيا الوسطى ٢٠ % تانزانيا ٤٥ % الحبشة (*) ٤٥ % تشاد ٣٣ % فولتا العليا ٣٣ % وإذا ما استمر الوضع الراهن المؤلم وغير العادل فإن التبشير سوف يسيطر على غرب إفريقيا ذات الأغلبية المسلمة الكبيرة التي تستطيع بقليل من أعمال الفكر والجد والنشاط والاهتمام السياسى أن تتحول إلى دولة من أقوى الدول الإسلامية في إفريقيا .^(١)

- انتشار اللغات الأجنبية بجانب اللهجات المحلية في جل إفريقيا وساعد على ذلك سرعة النشاط التبشيري بنشر لغته وترجمة كتبه إلى لهجات البلاد وأيضا قلة النشاط الإسلامى بالقارة بالكامل فهو محدود ، ويؤسفنا جميعا كمسلمين نتحدث بلغة القرآن الكريم وهدى خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام أن تترك جل الأفارقة يتحدثون باللهجات محلية بينما " إفريقيا " قارة منحها الله عز وجل معازل اللغة العربية وحصونها جامعات (الأزهر الشريف - والقرويين الزيتونة) فإهمال نشر لغة القرآن الكريم والتخصير في تبليغ الدعوة لأهل هذه البلاد مكن للغة المبشرين في الانتشار وبالتالي تمكوا من جذب الكثير من الأفارقة الى المسيحية ويقال :
- إن البعثات التبشيرية الغنية بالوسائل المادية والاعلامية والتي تؤيدها حكومتها القوية ومنظماتها المعطاءة تبذل نشاطا محمولا في التبشير بالنصرانية وفي إعاقه سير الإسلام بسبب الهجمات الضارية التي تشنها عليه . وإن ٣٥ % من البعثات البروتستانتية في العالم تعمل بنشاط في إفريقيا كما أن الكاثوليك ليسوا أقل نشاطا وتركيزا على هذه القارة من زملائهم بالإمكان إعطاء القارى فكرة عن سرعة وشدة النشاط التبشيري في إفريقيا الوسطى على سبيل المثال .

فقد كان في " الكونغو " قبل الاستقلال بعثات تبشيرية أجنبية يبلغ عددها ألف بعثة وجميعها تعمل بنشاط محموم وقد تمكنت من جنى محصول غنى يبلغ تعداد خمسة ملايين شخص مقابل هذا العدد الضخم لا يوجد في " الكونغو " جمعية واحدة للدعوة

(*) نسبتها أكثر من ٥٠ % إلا أن الإحصائيات الغربية تحاول تقليل نسبة المسلمين بها .

(١) مأساتنا في إفريقيا د / عماد الدين خليل ص ٨٣ ويراعى أنه قد يكون الحاكم مسلما فمضى بعض السنوات إلا أن ذلك نادرة .

إلى الإسلام ونشر تعاليمه * رغم وجود ما لا يقل عن ٨٥٠ ألف مسلم في "الكافو" .

أما في جنوب أفريقيا فإن الكنيسة الإصلاحية الهولندية وحدها تنفق هناك من ١ إلى ٢ مليون جنيه استرليني سنوياً من أجل التبشير أما تبرعات المومنين من المسلمين لأجل نشر الدعوة الإسلامية هناك فإنها تساوى صفر . (١)

"إفريقيا الوسطى"

تقع "جمهورية إفريقيا الوسطى" جنوبي "تشاد" وشمال "الكافو" ويحدها من الشرق "السودان" ومن الغرب "الكرون" وكانت تعرف قبل استقلالها بمقاطعة "أوينجي شاري" ويحتل دخول الإسلام إلى هذه البلاد منذ القرن الحادي عشر الميلادي عن طريق التجارة مع الدول المجاورة لها وخاصة السودان * والمسلمون موزعون في أربع مناطق :

أ - منطقة "كوتو الشمالية" "قبائل الباندا" ويعود الفضل في اعتناقهم الإسلام إلى التأثير "رابح السوداني" .

ب - منطقة "مومبو" حيث يعيش الزاندي (الزاندى أو تيام نيام) .

ج - منطقة "أراهم" في الشرق حيث يعيش قبائل "مانجيايا" و "لاكاس" وبعض مهاجري الفولا .

د - منطقة "بانجوى" وهي أهم مناطق المسلمين حيث يختلط فيها قبائل "الفولا" و "الباجرى" و "البورنوه" و "الهوسا" . (٢)

وقد برز نشاط بعض دعاة الإسلام فبلغوا الدعوة إلى أهل إفريقيا الوسطى في القرنين التاسع عشر والعشرين (ومن ساهموا بنشر راية الإسلام رابح بن فضل الله وذلك حوالي عام ١٩٠٠م * وقد اشتهرت غزواته بين عامي ١٨٧٣م * ١٨٩٠م * ومنهم أيضاً "محمد السنوسى" فيما بين ١٨٩٠ - ١٩١١م) . (٣)

البعثات الكنسية إلى إفريقيا الوسطى

شهد القرن العشرين نشأة كسبا مثلاً في الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية

(١) المرجع السابق ص ٨١ * ٨٢ .

(٢) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا د / عبد الرحمن زكى بدون عدد للطبعة مطبعة يوسف بالقاهرة بدون تاريخ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٤ .

موصول أتباع الكنيستين إلى أرض " أفريقيا الوسطى " أشاعوا الافتراءات حول الإسلام في محاولة حاقدة لتشويه حقائقه • وتخليط وقائعهم •

وقد حملوا شعار مكافحة الرق وإنهائه • واستخدمت الكنائس والحكومات الاستعمارية هذا الشعار لتوقف زحف الإسلام بل لتجعل الناس يتحولون من الإسلام إلى النصرانية • ونسوا أنهم كبار تجاره • وأنهم استرقوا الإنسانية اقتصاديا • وفكريا • بل فسي أغز ما يملك الإنسان وهو الإيمان بمحاولتهم استغلاله عقديا •

" وقد ألف عدد من كتاب فرنسا وإنجلترا كتب كثيرة يذكرون فيها أن العرب ساء أتوا إلى إفريقيا إلا بحثا عن الرق • واستجلاب سن الفيل • وقد لاقت هذه الدعاية رواجاً كبيراً في أوساط المدارس التي كان يقوم المبشرون بالتدريس فيها • وكانت السدول الاستعمارية تدعّمها بكل وسيلة " • (١)

وقد تمكنت الكنيسة من الوصول إلى القرى الصغيرة • وأشرفت على رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والإعدادية • وقدمت الخدمات الطبية • من كشف وإعطاء للدواء بلا ثمن أو بثمان التكلفة •

كما فتحوا مكتبات كثيرة يبيعون فيها الكتب بأثمان رمزية • وقد فتح هذا المجال الأبواب للدخول بعد أن كانت موصدة في وجهها •

وخرجت مدارس التبشير كبار السياسيين والإداريين والتربويين الذين قادوا البلاد فيما بعد ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الرئيس للجمهورية " بارتلمى برفندا " كان يشغل وظيفة راهب " أب كسى " ثم نزل إلى ميدان السياسة ليمثل مهنته خسر تثيل • (٢)

الإسلام والمبشرون في إفريقيا الوسطى

علما دور الكنيسة في تغيير الناس من الإسلام في هذا البلد الإفريقي • ولما كان المبشرون يدركون تأثير الدعوة الإسلامية المباشر على القلوب وفعاليتها في نفوس الناس

(١) الإسلام في إفريقيا الوسطى إبراهيم النعمة ص ١٥ ط (١) طبع دار الاتحاد العربي

للطباعة بالقاهرة ١٣١٧ هـ = ١٩٧٧ م •

(٢) يراجع المرجع السابق ص ١٥ • ١٦ •

فإن المبشرين يموتون فرقا من دخول الإسلام ودعائه إلى هذه البلاد • يقول إبراهيم النعمة :

ومن كلامهم الذى كانوا يتناقلونه بينهم : لقد دخل الربا • ويعنون الإسلام - إلى إفريقيا افترأوا على إفريقيا السلام ^(١) • ويستمر فى حديثه قائلا :

ويملك المبشرون إمكانيات مادية كبيرة جدا • ولا لحسب أن آية منظمة فى العالم تملك ماتلكه الحركات التبشيرية وقد قال لى مشول يعمل فى المركز الثقافى الليبى نسي (بانكى) إن المبشرين هنا يملكون أكثر ما تملك حكومة "ليبيا" كلها •

فى العاصمة - وحدها - شيذرا عشرات • بل مئات الكنائس الشاهقة وما تكاد تمش خطوات قليلة حتى يستوقفك منظر كبير • فإذا هو كنيسة وكثير من هذه الكنائس تملك مطابع حديثة وتقوم بطبع الكتب طباعة جيدة على ورق صقيل وتوزعها على الناس مجانا مع الإنجيل ^(٢) •

ويعطى واعظ سلم صورة لما شاهده فى أوائل الثمانيات من القرن العشرين أثناء زيارته الاستطلاعية لإفريقيا الوسطى • أن الأهالى يقومون ببناء المدارس بجهودهم الذاتية ليحصنوا أبناءهم من فخاخ المبشرين • وليواجهوا تحدى المجتمع الكسبى المستغل لفقر الأهالى وحاجتهم إلى الغذاء والكساء والدواء وذلك فى الوقت الذى تقوم الإرساليات التبشيرية هناك ببناء مدارس على أحدث طراز • وتلحق بها مساكن للطلبة والطالبات كما تقيم المستشفيات والكنائس وتبذل كل الجهود لتتصير أكبر عدد سكن من الناس • ^(٣)

وهى معتمدة على العون المادى والمعنوى الوارد من " مجلس الكنائس العالمى " كما تملك وسائل النقل الحديثة من سيارات • وسفن • وطائرات • حتى المعونة الدولية من الأطعمة تعود إلى الإرساليات فتقوم بتوزيعها على الأقارعة لتشعرهم بأنها هى التى تقوم بإطعامهم ولاغنى لهم عنها وذلك فى الوقت الذى تحرم فيه القرى الإسلامية - من هذا العون •

البعثات التبشيرية تشر الفساد

رحل الاستعمار الفرنسى عن " إفريقيا الوسطى " تاركا آثارا سيئة فقد ملأ الأرض وغبر الجو بالأمراض الاجتماعية وأعقت البعثات التبشيرية والجماعات الكسبية الاستعمار

(١) المرجع السابق ص ٢٥ •

(٢) المرجع السابق •

(٣) منار الإسلام (مجلة إسلامية تصدر فى غرة كل شهر عرس) (العدد السادس - السنة السادسة) ص ٤٤ من مقال (مع المسلمين فى إفريقيا الوسطى) للشيخ / عبد الوهاب عبد الرزاق ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

فى هذه البلاد فحلت محل المستعمر وكان المظنون حسب ادعائهم أنهم سيمالجون
الأمراض الخلقية والاجتماعية التى استشرى أمرها لكن وجدنا منهم التشجيع على نشر
الفساد الخلقى فى البلاد ويؤيد ما نقول :

ما قام به عدد من القسس فى مرتبة كمسية مهمة (مرتبة أب كسى) من نشر الانحلال
والرذيلة فى المجتمع فالاب Jeanle Grand (جان الاكبر) وكان إضافة إلى
وظيفته الدينية يعمل استاذاً فى ثانوية مختلطة تسمى Jceede Ropide يعمل على
استدعاء عدد من الفتيات الفقيرات ، والتقط لهن صوراً جنسية مخجلة مستغلاً ظروفهن
المعيشية السيئة وقد انكشفت هذه الفضيحة وأثارت ضجة كبرى فى البلاد ، الأمر الذى
جعل رئيس الجمهورية "صلاح الدين أحمد بوكاسا" يقوم بطرده من البلاد ومعاقبته
الفتيات .

هذا بعض ما فعله "الكاثوليك" فى العاصمة (بانكى) ولم يكن نصيب "البروتستانت"
أقل مما فعله الكاثوليك بشأن القذارة الخلقية فى مدينة كبيرة تقع فى جنوب شرق البلاد
تسمى (بنقاسو) ونع عدد من الفضائح المذهلة كان وراءها هؤلاء . (١)

وإن كنا نربأ بأنفسنا عن ذكرها وتعدادها لكنها نكية منيت بها إفريقيا الوسطى
يوم سقطت تحت يرائن الاستعمار ، يوم أن جالت بها بعثات التبشير تنشر الرذائل
وتكمل دور الاستعمار ، فانتشرت الموبقات ، وعم الانحلال والميوعة بين الناس وشباع
شرب الخمر والمسكرات وعم الضرر المجتمع بأسره فقد عطلت طاقات افراد المجتمع ، ودمرت
قوته بوأد الفضيلة .

إسلام بوكاسا

لمس "بوكاسا" من موقع المسئولية ساحة الإسلام ، وصدق رجاله وحسن نيتهم
بينما أحس بمراوغة من يتسحون بالمسيح عليه السلام وخبث أفعالهم فأسرع الرئيس
(جان بيديل بوكاسا) بإعلان إسلامه يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٨
أكتوبر سنة ١٩٧٦م ونغير اسمه إلى (صلاح الدين أحمد بوكاسا) أما ابنه فقد غيّر
اسمه إلى (أحمد) وسعى رئيس الوزراء باسم مصطفى ، ووزير الإعلام باسم محمود ،
وزير الدولة والتخطيط باسم محمد على ، ووزير الاذاعة المرئية باسم على ، وقد دخل
هذا الجمع الغفير الجامع الكبير فى (بانكى) عاصمة الدولة وأعلنوا إسلامهم وما إن تم

(١) الإسلام فى أفريقيا الوسطى إبراهيم النعمه ص ١٧٠ ١٨ بتصرف يسير .

لهم ذلك حتى ارتفعت حناجر المسلمين بالهتاف المعروف الله أكبر . الله أكبر وقصد
ارتدى " صلاح الدين بوكاسا " عند قدومه إلى الجامع زيا إسلاميا : هو عبارة عن جبة
زرقة وقلنسوة حمراء .

وبعد أن أدوا صلاة الظهر في الجامع المذكور وأذيع هذا النبأ باللهجة المحلية
- السانغوا - غير المسلمين فرح شديد وصار بعضهم يصافح بعضا ويقدم له التهانى .

موقف الاستعمار من إسلام " بوكاسا "

بالرغم من أن دول الغرب عموما تنادى بحرية الإنسان في معتقده ، وتشهد
بخرافة الديمقراطية الجوفاء إلا أن موقفها من الإسلام كشف زيفها وخداعها وهذا ما حدث
عندما أعلن " بوكاسا " إسلامه .

لقد كانت " أفريقيا الوسطى " تتلقى مساعدات من أمريكا وفرنسا وألمانيا ولما
أعلن الرئيس إسلامه ، قطعوا هذه المساعدات وقالوا له : إن لم ترجع عن الإسلام فلا
نعطيك شيئا من المساعدات ولكنه لم يلتفت إليهم ، وتحمل أزمة اقتصادية خانقة حتى
أن موظفى الدولة ظلوا أربعة أشهر من غير أن يستلم أحدهم مرتبه من دائرته .

وهذا الوضع اضطر الرئيس (بوكاسا) إلى أن يبيع عارته الخاصة به فى (باريس)
ليعطى للموظفين مرتباتهم وإنها لتضحية إيمانية ستكون بفضل الله تعالى فى ميزان حسنات
" بوكاسا " فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون . وإنه لموقف مخز لمن يرفعون شعارات الديمقراطية
والحرية وفى الوقت نفسه يحاربون الإنسان فى حرته وعقيدته .

آثار التبشير فى جنوب إفريقيا

بعد الحديث عن آثار التبشير فى " أفريقيا الوسطى " ننتقل إلى الحديث عن
آثاره فى " جمهورية جنوب إفريقيا " فهذا البلد الإفريقى يتحكم فيه البيض ، ومنهم من
خيراته والحماية الغربية ، والمعاونة الإسرائيلية الصهيونية لهؤلاء البيض جعلوا من " جمهورية
جنوب إفريقيا " عسا غليظة لتأديب دول الجنوب الإفريقى بالكامل ، واعداد حركات التمرد
بالسلاح وخلافه ، كما أن لهذه الدولة سيطرة اقتصادية على الدول المجاورة لها ويكفى
العلم بأن المؤتمر المنعقد فى (هرارى) عاصمة " زيمبابوى " فى الفترة من ٣٠ إلى ٣١

يناير ١٩٨٦م عقد لوضع حد لسيطرة " جمهورية جنوب إفريقيا " اقتصاديا على الدول المجاورة لها • وقد حضر المؤتمر ممثلو سبع دول وهى :

انجولا - بيسوانا - ليسوتو - مالاوى - موزمبيق - زامبيا - زيمبابوى وحضر ممثلون عن دول أخرى • (١) • وسكان جنوب إفريقيا من البيض والافارقة • والملونين الآسيويين وجنوب هنود ويحاول المبشرون تنصير هؤلاء الهنود جميعا •

فاستنادا إلى إحصاء عام ١٩٨٠م فإن ١٢% من مجموع الهنود فى جنوب إفريقيا هم من المسيحيين ومن الواضح أن أعدادا كبيرة من الهندوسيين قد تنصروا خلال العقدين الآخرين فأوجدوا بذلك وضعاً جديداً بين الهنود •

والجماعة الهندية فى جنوب إفريقيا هى من المهاجرين الذين كان بينهم ٢٠% إلى ٥٠% من المسيحيين و ١٧% من المسلمين بينما الباقون كانوا من الهندوس وقد بدأت أعمال التبشير بين هؤلاء الهنود على نطاق ضيق وبعد مقاومة عنيفة قبل كسبيرون من الهندوس أن يتنصروا • وكان معظمهم من شعوب التاميل والتيلوغو •

والآن أصبح هدف التبشير فى جنوب إفريقيا يتركز على الـ ١٧% الباقية من هؤلاء المهاجرين وهم فى غالبيتهم يتكلمون باللغتين الكجراتيه والأردية •

ويعيش حوالى ٦٤٠٠٠ من المسلمين الهنود فى منطقة " دربان " ويشكلون حوالى ١٢% من مجموع السكان الهنود فى المنطقة • ولديهم (٣٠) مسجداً والعديد من المؤسسات الاجتماعية والدينية وتقول المصادر المسيحية إن الشعور بالانتساب إلى الجماعة قوى جداً لدى المسلمين هناك • وتعتقد هذه المصادر أن هذا الشعور يشكل أكبر عبة فى تنصيرهم كما تعتقد هذه المصادر بأن هؤلاء المسلمين يعرفون أركان دينهم ويطبقونها • ولذلك اقترح المبشرون أن تشكل فرق تبشيرية خاصة للعمل بين المسلمين فى منطقة " دربان " (٢) للتنصير ويقترح أن يكون الفريق مؤلفاً من ثلاثة أزواج ويفضل أن يكون أحد أفراد الفريق من المسلمين المتنصرين •

ويجب أن يدرّب الفريق الذى سيوجه للعمل بين المسلمين تدريباً خاصاً على أن يتابع فيما بعد دراساته للغة العربية وللقرآن وللثقافة الإسلامية • (٣)

(١) يراجع (السياسة الدولية) (العدد ٨٤ - اصدار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام) ص ١٦٨ من مقال للدكتورة / سلوى لبيب بعنوان الجنوب الأفريقى فى الثمانينات ١٩٨٦م •

(٢) تقع " دربان " فى الجنوب الشرقى لـ " لجمهورية إفريقيا وتطل على المحيط الهندى •
(٣) منار الإسلام (العدد الخادى عشر - السنة العاشرة) ص ١٠٥ - ١٠٦ تقرير
للندوة العالمية للشباب الإسلامى بعنوان (مخططات التبشير) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م •

أثر التبشير في شرق إفريقيا

حين نتجه من غرب القارة الإفريقية إلى جنوبها ، ومنه نُؤَلَّى وجوها صوب الشرق نجد الصليبية فاعرة فاعرا وبارزة أنيابها تحاول التهام هذا الجزء بكل ما أوتيت من قوة استعمارية ومخططات غربية ولما كان الإسلام دخل شرق القارة في بدء ظهوره وانتقل بعد ذلك إلى أجزائها من الشمال الشرقي إلى الغرب إلى الوسط فإن الاتصال الأوربي بشرق إفريقيا قد جاء مؤخرا فيقال : إن أول اتصال الأوربيين بأوغندا كان سنة ١٨٦٢م حين وصلها " سبيك " و " جرانت " في رحلتها لكشف منابع النيل كما وصلت أول بعثة تبشيرية سنة ١٨٧٧م .

على أن اتصال الأوربيين بغرب إفريقيا جاء في وقت مبكر فقد عرف البحارة البرتغاليون ساحل غانا منذ القرن الخامس عشر^(١) ، فقد جاء الإسلام من الشرق ، وزحفت الصليبية من الغرب لتلتهم القارة المسلمة ، وإنها لمأساة حقيقية أن تمتد الأيدي التبشيرية المدعومة بالصليبية إلى هذه الرقعة الإسلامية من شرق القارة لتمحو أثر الإسلام وتزيل رائحة القرآن الكريم فيها هي مؤسسات التنصير تعمل ليل نهار ترمي بشرورها ، وتصنع الحكام بنفوذها وتخلق حركات التمرد والعصيان بمكرها ثم تمدّها بالزاد وزادها سهام موجهة لتدمير كسل ما هو إسلامي بوحشية منقطعة النظير ، وما جرى في " زنجبار " من قتل ثلاث آلاف وعشرين مسلما من مجموع ستة وعشرين ألفا ، وما جرى ويجري من تمرد في جنوب السودان وما يحدث من تسلط الحكومة التشادية المسيحية على رقاب الكثرة المسلمة بمساندة فرنسا حتى بعد الاستقلال كل ذلك خير شاهد على العداء التنصيري للصليبي للإسلام والمسلمين بل واستمراره يقول الدكتور / عماد الدين خليل :

ما إن استقلت معظم بلاد شرق إفريقيا ، استقلالها المزعوم حتى أخذت البعثات التبشيرية من بلدان أوربا وأمريكا تزيد نشاطها وراحت تنهال على القارة بأعداد كبيرة وخطط جديدة ، حاملة معها الأموال والأغذية ، مستقدمة عددا ضخما من الأطباء المبشرين والقسس^(٢) .

(١) يراجع كتاب (صفحات من تاريخ شرق إفريقيا) (الكتاب ٢٢٧) بقلم رونالد ريث ص ٢٥ طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦١م .
(٢) مأساتنا في إفريقيا ص ١١١ و ١١٢ .

والأمثلة كثيرة تؤكد محاولات البعثات التبشيرية ومن ورائها السلطات الاستعمارية للعمل على محاربة الإسلام وإخفاء حقيقة انتشاره في هذه البلاد ، ومن هذه الأمثلة ماكتبته الأنسة أليسون ردمين Ali Son Red Mane التي كانت تعمل مع المبشرين لمدة عامين وسط قبائل " الهيمى " داخل " تنجانيقا " لتصحيح ماشره الاستاذ ترمنجهام في كتيب له عن قوة الإسلام بين هذه القبائل ففت الأنسة ردمين ماوصل إليه المؤلف بعد دراسته لهذه الشعوب وأكدت أن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام قويا بل إنها ذهبت إلى أبعد من هذا وادعت في رسالتها أنه أخذ في التدهور وقالت إن بعض أسباب هذا ترجع إلى أن التعليم في جميع مستوياته نفس المقاطعة التي تعيش فيها هذه القبائل خاضع للبعثات التبشيرية .

وبالإضافة إلى ذلك فإن مسئولا انجليزيا كبيرا في الإدارة الإنجليزية في " تنجانيقا " قبل استقلالها في منتصف عام ١٩٦٢م كان قد أبلغنى أن المسلمين يشكلون ٢٢% من مجموع السكان بينما كان من الواضح أن الذى لا يدعو إلى أى شك أن نسبتهم أكبر من ذلك بكثير بل إنها قد تتعدى نصف السكان فهاهى أسباب وجود تلك الرغبة المشتركة بين العاملين في الحقل التبشيري ؟ ، وبين المسؤولين في الإدارة الأجنبية قبل الاستقلال لإخفاء الحقيقة وما هو السر الكامن وراءها ؟ .

ويقول المترجم : ولقد رأيت في مناطق إفريقية أخرى زرتها مركزا للتبشير تقسم به سيدة منذ ثلاثين عاما في منطقة جبلية نائية تقيم في منزل أتيق تحيط به حديقة صغيرة ولديها طائرة عمودية " هليكوبتر " وضعت هي وطيارها تحت أمرتها لكن تنقلها في أى وقت تختاره إلى وسط الغايه فخاطب سكانها وتتحدث معهم بلهجاتهم التى أصبحت تتقنها اتقاناً تاما وتقدم الهدايا إليهم وتعيش بينهم أياما .

ثم تصحب المجدومين منهم بطائراتها إلى المركز العلاجي للجذام الذى أقامته وزودته بالأطباء والمرضات . (١)

وقد قام من سبقنا من علماء الأزهر العاملين بدور فعال تجاه الهجمات التبشيرية على العالم الإسلامى وخاصة شرق أفريقيا وأماى تقرير للدكتور المرحوم / محمود حسب الله في الأربعينات حين ذهب بمعوثا من الأزهر إلى بلاد شرق أفريقيا عام ١٩٤٦م .

(١) الإسلام في شرق إفريقيا ص ٢١ - ٢٢ .

بناءً على طلب مسلمي إفريقيا الشرقية ورسائلهم التي كانت كالسيل المنهمر والسقي قام بإرسالها أفراد بل جمعيات •

تلك الرسائل التي التفت من الأزهر أن يلاءم الفراغ وحذرت علماء من التفسير قائلة : إن لم يقم الأزهر بتلك الرسالة عاجلاً كانت العاقبة ميالاً • وكان رجال الأزهر أنفسهم مسئولين فان جهود المبشرين هناك بالمسيحية جهود جبارة وذات أساليب شتى • وتجد مع ذلك عوناً من أولى الأمر فلو لم يتدارك الأزهر الأمر ليقوى على الأقل الحالة النفسية للمسلمين بزياراته المتكررة لخشى على المستضعفين منهم أن تزل بهم الأقدام تحت الضغط والتخويف • أو بفعل الإغراء • والترغيب • ولكان مصير الأقوياء منهم إلى الفناء الاقتصادي والأدبي ثم إلى الزوال وبذلك تنحى معالم الإسلام من إفريقيا الشرقية كما انحلت من قبل من إسبانيا • (١)

فكان زهاب الدكتور / محمود حسب الله إلى هذه البلاد وإطلاع على أحوال أهل البلاد وكتب التقرير الذي يقتصر منه على الجزء الخاص بالمبشرين •

المبشرون وجهودهم - " في شرق إفريقيا "

كان بودي أن أنقل الجزء الخاص بالتبشير من تقرير الدكتور محمود حسب الله بالكامل بدلاً من أن أقطع منه بعض السطور لكن أكتب منه القليل الذي يحتوي على الكثير حتى نتبين ما يراد بالإسلام والمسلمين • ونفعل ما يوجهه علينا أسلافنا • فقد قال الدكتور في تقريره : عن شرق إفريقيا :

أما المبشرون بالمسيحية هناك فهم قوة لا يستهان بها وهم متغلغلون في جميع أنحاء البلاد • فلاتكاد تجد قرية أو بلدة يخلو منها نفوذهم • ولهم مراكز تبشيرية يتكون كل واحد منها من ملجأ • ومستشفى • وبعض المدارس والكنائس وهي موزعة توزيعاً تاماً على البلاد كلها والبلاد مقسمة إلى مناطق • وفي كل منطقة منها عدة من المراكز التي يختلف عددها باختلاف أهمية المناطق نفسها ولهم أقطاعات كبيرة - أقطعتها إياهم الحكومة • أو اشتروها هم من ثروتهم التي تعد بالملايين من الجنيهات

(١) الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا (تقرير للدكتور / محمود حسب الله) (مبعوث الأزهر في إفريقيا عام ١٩٤٦م) ص ٥ مطبعة منبر الشرق بالقاهرة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م •

التي يستمدونها من أرباب الثراء من أمريكا ، وإنجلترا ، وأوربا ، ومن الجيوش الكثيرة في هذه البلاد التي رصدت لهذا الغرض .

لذلك تراهم ينفقون بسخاء على بناء الكنائس والمدارس والمستشفيات والمكاتب العامة ، وكثيرا ما يذهبون إلى البيوت ويوزعون كثيرا من الكتب التي تتضمن ، بجانب شرح المسيحية شرحا عاطفيا يتضمن كثيرا من المطاعن ضد الإسلام ، ولا يفوتهم دائما أن ينبهوا المسيحيين ومن اعتنق المسيحية من الوطنيين بالتباعد عن المسلمين بقدر الإمكان . — يصفون من يدخلون المسيحية لظروف ملحة وتحت ضغط الحاجة بأنهم منافقون بالمسيحية وأن طول العهد يجعلهم هم وأبناءهم من السحيين حقا .

— مدارس التبشير ومستشفيات المبشرين مفتحة الأبواب للجميع ، ولكن جمهور المسلمين يخشاها ويصدقونها ، وهي تنتهز ساعة الضعف ، وساعة الحاجة وتلك الساعة التي يضعف فيها المرء نفسيا عن الدفاع وتهاجم الإسلام ، وتبشر بالمسيحية لذلك تسرى المسلمين يفضلون أن يموتوا بعلتهم وجهلهم على أن يضعوا أنفسهم في مواطن الزلزل ولكن يوجد من بينهم من يخبره حب التعليم أو تدفعه شدة وطأة المرض فيذهب هناك على كره منه فلا يلبث أن يسمع تلك العبارة المريرة التي طالما حدثني كثيرون أنهم سمعوها بأذانهم الأوهى . أن الإسلام يقدم المرض والفقر والجهل ، وأما السحبة فتقدم الصحة والثروة والمعرفة ، كأن تلك المعاني من الأوصاف الذاتية واللوازم الضرورية للمسيحية والإسلام وهكذا يلعبون بمقول الاغرار وقت ضعفهم النفس وحاجتهم إلى المعونة فبأذا يصنع ضعفاء المسلمين هناك وقد سدت في وجوههم سبل العيش وسبل التعلم وسبل الاستشفاء ولم يبق أمامهم إلا هذا السبيل الرعير ؟

— يحكى قصة حقيقية حدثت " بأوغندا " كان البرنس بدر الدين ابن سلطان " أوغندا " السابق ورث عن أبيه ضمن ميراثه مساحة ثمانين فدانا على أحد جبال ثلاثة محيطية بكبالا وقد بنى على الجبلين الآخرين كنيستان واحدة للكاتوليك والأخرى للبروتستانت فكان من الطبيعي أن تكون هناك منارة للمسلمين على الجبل الثالث وهم كثيرون بالبلد .

وكان البرنس يعلم نية والده ورغبته في بناء مسجد على هذا الجبل فأرسل السلطان السحبي الذي تولى عقب والده من يساوم " البرنس " ويقدم له عشرة أمثال ثمن الجبل الحقيقي وظل يساوم حتى وصل العرض إلى ثمن خيالي لكن نفس " البرنس "

الأبية رفضت العرض وتنازل عن الجبل ليكون ملكا عاما للمسلمين فأقاموا عليه مسجدا ومدرسة*

— حركة التبشير هناك على ما يبدو حركة استعمارية ولكنها تلبس بسوح القسيس، وسحنة التاجر، وهذان يسبقان عادة رجال الجيش وهذا هو الشأن في إفريقيا الشرقية فليست حركة التبشير اذن منبعثة عن حب للمسيحية أو حب للناس رجاء أن تطهر نفوسهم فيصلون إلى النعيم الأبدى ولكنها حركة استعمارية فطن لها الوطنيون أنفسهم ويعجبوني هنا ما قاله أحد الإفريقيين ردا على أحد القسيسين حين سمعه يقول :

إننا نجهد أنفسنا ونترجم الإنجيل إلى لغتكم الوطنية ونأتيكم بالتعليم وبالرحمة، والأمن والعافية لتزكوا نفوسكم ولتعيشوا في أمن ورخاء، وأما المسلمون فلا يأتونكم بشيء، فقال الإفريقي : نعم إنكم تأتوننا بالإنجيل وسبأى، لا تؤمنون بها أنتم لأنكم لا تعملون بها، وتأخذون منا نظيرها أموالنا وأرضنا وحياتنا ونصبح لكم عبيدا وخداما .

أما المسلمون فحق إنهم يأتون هنا مزودين بقليل من المعرفة ولكنهم يعملون بما يعرفون، ولا يأخذون منا شيئا، بل يعملون مثلنا في تعمير بلادنا من غير أن يطفوا علينا، وإذا قبلنا دينهم أصبحنا لهم إخوة وإخوانا، وأما إذا قبلنا دينكم ظللنا لكم عبيدا وخداما خذوا أنجيلكم وردوا علينا أموالنا وحياتنا ودعوا أرواحنا تذهب ولو إلى الشياطين اعلوا بانجيلكم أولا ثم تعالوا للتبشير به فلم يحرق القس جوابا .

— ثم يقول الدكتور محمود حب الله في نهاية تقريره عن المبشرين إننى مؤمن كل الإيمان بأنه لو كان للمسلمين هناك واحد من عشرة من جهود المبشرين لكانت البلاد الآن كلها أو جلها من المسلمين ولكن هل تنفع شيئا لو ؟ .

ثم يتحدث عن بعض الأماكن التي زارها وحاضر فيها بإفريقيا الشرقية فيوضح أنه زار " الزنجبار " وكثيرا من مساجدها وقراها كما زار " تنجانيقا " " ودار السلام " ورأى مساجد دار السلام الفسيحة، وأقام فترة طويلة من الزمن في " مباسا " ومكث أسبوعا في نيرويس، وفي كثير من مقاطعات إفريقيا الشرقية رأى عددا وفيرا من مدارس المبشرين ومراكزهم التبشيرية (١).

كما توجد بعض التقارير التي كتبت في الستينات من القرن العشرين عن عديده من الدول التابعة لشرق إفريقيا من بينها .

تقرير للمجلس المركزي لمسلمي كينيا :

وقد ورد في تقرير للمجلس المركزي لمسلمي كينيا أن في مدينة نيروبي - العاصمة - وحدها أربعين كنيسة مبنية بناء حديثا ، يقابلها للمسلمين ثمانية مساجد قديمة وفي حالة مهلهلة كما ذكر التقرير " إن الجمعيات التبشيرية تشتري أفضل المواقع لتقيم عليها أبينتها وعلى واحد من هذه المواقع أقامت عارة ضخمة من عشرة طوابق تشغلها رئاسة المجلس المسيحي الكيني ، يقابلها مكتبنا الصغير المستأجر الذي لا يتسع لتأدية أعمالنا .

ولعل الرسالة التي بعث بها السيد " جمعة مبوندا " نائب رئيس المجلس المركزي لمسلمي كينيا ، إلى المركز الإسلامي في جنيف عام ١٩٦٤م ، تلقى أضواء أوضح على النشاط التبشيري في شرق إفريقيا وعلى الظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون - هناك .

وقد جاء فيها : " بين الاستقصاء Survey الذي أجريناه أن الجالية المسيحية قد وجدت نفسها تحت لواء الجمعيات الكبيرة التالية .

- أ - الكنائس المسيحية لمجلس الكنائس في كينيا .
- ب - المجلس العالمي للكنائس المسيحية .
- ج - البعثة التبشيرية للروم الكاثوليك .
- د - كنائس إسرائيل .

وهذه الجمعيات تحول تمويلها جيدا من " روما " و " بريطانيا " والقدس المحتلة وأمريكا ، وفرنسا . (١)

أما التقرير الذي كتبه الدكتورة زهيرة حافظ عابدين التي دعته هيئة الصحة العالمية ، بالاشتراك مع هيئة إغاثة الطفولة الدولية ، لجولة في أقطار إفريقيا الشرقية ضمن ستة أطباء أطفال للاطلاع على ما يبذل هناك من جهود صحية واجتماعية فسي هذا التقرير نلتقى بعزید من الحقائق عن مآسى المسلمين هناك في مجابهة النشاط الصليبي : " إن هذه البلاد وإن كانت مفتقرة عموما إلى معونة كثيرة للارتقاء بالتعليم على أنواعه ، والنواحي الاجتماعية والصحية ، واستصلاح الأراضى وزيادة الدخل الخ .. فان مسلمي هذه البلاد خصوصا يقاسون ظلما اجتماعيا يدعو للأسف والحسرة وحتى

في البلاد التي تتمتع بأكثرية مسلمة كـ "تنجانيقا" وتعدادها حوالي ١١ مليون منهم أكثر من ٦٥% مسلمين الحاكم مسيحي وجل الوظائف الحكومية يشغلها مسيحيون أما المسلمون فإنهم في فقر وجهل وذلل اجتماعي • ويرجع ذلك لسياسة المستعمر وأساليبه فنفس دخل المستعمر هذه البلاد دأب على نشر المسيحية والعمل على القضاء على الإسلام (سواء لأغراض دينية بحثة بالغة في الانتقام للحروب الصليبية أو لأغراض دينية مترجمة بأغراض سياسية وهو في الغالب) وذلك على النحو الآتي :

تقوم بالتعليم مدارس تبشيرية يتجنبها عادة المسلمون الذين لبثوا في حالة جهل في حين تخرج من هذه المدارس طائفة الأفريقيين الذين اعتنقوا المسيحية • وأسندت إليهم القيادات • وشتى الوظائف الهامة • وضع القيادات العليا في يد أفريقي مسيحي حتى في البلاد التي يكون المسلمون فيها الأغلبية كما قلت •

ولقد علمت أنه أول ما دخل الإنجليز "أوغندا" عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانونا بالآ يتولى الحكم إلا مسيحي إلى جانب هذا تغفلت البعثات التبشيرية فسي كافة أنحاء هذه البلاد تشيد المدارس ودور الحضانه (التي تربي الأيتام وأولاد الفقراء على المسيحية) والمستو صفات وتساندها الآن الهيئات المختلفة (هيئة إغاثة الطفولة الدولية • هيئة الصحة العالمية وهيئة "نافيلد" و "روكفلر" .. الخ) •

والجامعات والعلماء والأطباء كل هؤلاء يعمل على نشر المسيحية تحت ستار العلم ويساند الهيئات التبشيرية بشتى الطرق المدروسة المنظمة • وهكذا نجح المستعمر فسي تحويل جل • بل كل القبائل اللادينية إلى المسيحية • في أوغندا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٦٥% مسيحيون • وفي "كينيا" وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٦٥% مسيحيون • ولم يبق سوى قبائل قليلة لاتعتق ديانات مساوية وهنا أريد أن أوضح أن المجهود التبشيري مركز على بث روح عصبية • وكراهية للمسلمين وكبرياء عليهم أكثر منها روح دينية وخلق سلم • فهي مسيحية اسمية يسمح فيها بتعدد الزوجات الخ • بإدام الشخص مسيحيا بالاسم وينذهب إلى الكنيسة • ويحقد ويتعصب ضد المسلم ويشعر بأفضلية عليه هذا وقد اتخذت أساليب شتى لاشغال روح الكراهية بين الأفريقيين المسيحيين والأفريقيين المسلمين من ناحية أخرى •

فعملت دعاية كبيرة حول استعباد وتسخير العرب للإفريقيين فشلا في صالمة الاجتماعات الشهيرة في "أديس أبابا" أول ما يسترعى النظر في شباك زجاجي كبير بجوار

السلم الداخلى • رسومات ملونة تمثل العربى بعقاله يقود جماعة من الزنوج الافريقيين مربوطين بعضهم ببعض بالسلاسل •

صورة أخرى تمثل هؤلاء الزنوج يفكون عنهم هذه القيود ويتخلصون من هذا العربى الظالم المعانى وحوالى نصف متحف تنجانيقا به " دار السلام " عبارة عن صور فوتوغرافية ورسومات تصور هذا المعنى •

ولقد قيل لى إن الإفريقى الآن يتعلم ويشبع بخطر السلم ويقال له إن خطر السلم والعربى أكبر من الخطر الشيعى • أما الأقلية من الإفريقيين المسلمين الذين ينالون قدرا من التعليم العالى (ثانوى أو جامعى) فالجهود منسوبة على إفسادهم خلقيا ما يجعل تعاليم الإسلام أقرب للخيال منها للواقع ، ويجعل السلم مسلما بالاسم لاغير •

أما المسلمون الفقراء والجهلاء فقد بدأ بعضهم • بالإغراء وللحاجة والفاقة يتحول فعلا إلى المسيحية (كما علمت أن نسبة المسلمين فى " تنجانيقا " كانت حوالى ٨٥ ٪ والآن ٦٥ ٪ فقط) فالمسلم الإفريقى عموما معرفته بدينه سطحية نظرًا لجهلهم باللغة والدين .^(١)

ولكون الحاكم فى الغالب مسيحى يحجب الرؤية الإسلامية عن الشعب ، ويسخر الإعلام لخدمة التبشير • وأكثر من ذلك فقد يدفعه التعصب الملبى إلى الإستعداد السافر على المسلمين بصورة وحشية تخالف ما يدعى من الرحمة المسيحية " وتجدر الإشارة هنا إلى أن حكومة " تنجانيقا " قد قامت فى يناير ١٩٦٤م (قبل قيام دولة تنزانيا) بمذبحة وحشية فى جزيرة زنجبار المسلمة وقتل عشرات الآلاف من أبناء زنجبار • وكانت تلك المذبحة بقصد تغيير الهوية الإسلامية للشعب المسلم هناك تسهيدا لدمج الجزيرة مع تنجانيقا فى دولة تنزانيا المتحدة وقد بذلت حكومة الدولة الموحدة بعد ذلك جهودا ضخمة لإزالة الصورة الإسلامية لشعب زنجبار وساعد على ذلك وجود رئيس مسيحى متعصب على رأس الدولة التى ينتشر المسلمون بنسبة كبيرة فى شتى أنحاءها وكذلك وجود من يتشدقون بالاشتراكية العلمية ويدعوى أنها البديل الأمثل للتخلف الحضارى الذى يعانى منه المسلمون فى تلك البلاد على حد تعبيرهم .^(٢)

(١) مأساتنا فى إفريقيا ص ١١٤ - ١١٢ نقلا عن المجتمع (السنة الرابعة عدد ١١)

كانون الثانى ١٩٦٥م •

(٢) المسلمون فى العالم (أضواء على مشاكلهم وتوزيعهم) دكتور / عادل طه ص ٨٠ و ٨١ •

وهى صورة متكررة وسياسة مرسومة تتبع مع دول إفريقيا المسلمة وتتشابه فيها إحدى الحكام الصليبيين مع أصابع الاستعمار الحديث والصهيونية الماسونية وتتداخل الفكرة التبشيرية بحيث يصعب على الباحث أن يكتشف أيهما وجه الشرية إلى المسلمين أولا ويعسر عليه تحديد دور كل منها ومن النماذج الدالة على ذلك ماحدث في اثيوبيا .

أثيوبيا " الحبشة "

تعبير أثيوبيا يطلق على القومية السودا* ، ولكسهم نصبوه إلى دولة أثيوبيا ويقال: إنه لما تحيز الأوربيون ضد الإفريقيين عبرت المقاومة الإفريقية عن نفسها بما يسمى بالأثيوبية وهى تكوين كنيسة زنجية سودا* تلون بها تعاليم المسيحية التى تلقوها من البعثات التبشيرية بما يلائم طرق المعيشة الزنجية .^(١)

وكما فعلت حكومة تنجانيقا المسيحية مع زنجبار المسلمة فعلت حكومة أثيوبيا المسيحية بقيادة الإمبراطور هيلاسلاسى نفس الشئ مع أريتريا " السلمة " فى محاولة للقضاء على المسلمين فما كادت بريطانيا تنهى احتلالها " لأريتريا " عام ١٩٥٢م . حتى صدرت الهيمنة الصليبية ممثلة فى أعمال إمبراطور الحبشة يقول الدكتور كمال الدين جعفر عباس :

ووفقا لأصول المخطط الصليبي وفى اليوم نفسه الذى صادق فيه على قانون الاتحاد وعلى الدستور الأريتري^(*) ، أصدر الأمر رقم ٦ لعام ١٩٥٢م والقاضى بتطبيق القوانين والنظم الأثيوبية على أريتريا فكان بذلك يجمد جميع مميزات وقوانين الحكم الذاتى لأريتريا .^(٢)

وبلغت الجراحة الصليبية مداها عند الإمبراطور هيلاسلاسى فبجانب السيطرة على أريتريا عمد إلى محاصرة الوجود الإسلامى وتمزيقه وتشتيته .

(١) موجز تاريخ إفريقيا ص ٢٥٩ بتصرف .

(*) فى ١٠ تموز يوليو ١٩٥٢ أقر البرلمان الأريتري الذى اجتمع لأول مرة فى ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٥٢م ، الدستور الأريتري الذى جعل لأريتريا علما خاصا وسلطات قضائية وتشريعية خاصة بها كما تم اعتماد اللغتين العربية والتجريدية لغات رسمية .

(٢) مجلة (الأمة) (العدد السابع والأربعون - السنة الرابعة) ص ٤٥ من مقال للدكتور كمال الدين جعفر عباس بعنوان : أريتريا " أرغز الصدق " بين أحقاد الصليبيية ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م .

" وفى سبيل ذلك نفذ خطته لاسكان النصارى فى المناطق الإسلامية ، فسلم الأراضى الزراعية الخصبة فى وادى زولا - وهو منطقة إسلامية - إلى نصارى جى " بهم من الهضبة كما بنى لهم كنيسة وشيد سدا فى الوادى لرى الأراضى التى ملكها النصارى وما فعله فى " زولا " فعل مثله فى " صوع " و " عصب " و " أغردات " و " كرن " والمناطق الإسلامية كلها ولعل فى تضيقه على المسلمين حتى يتركوا أرضهم ويهجروها إنما كان يتبع الأسلوب نفسه الذى تتبعه دولة صهيون فى فرض سيطرتها على الأراضى الإسلامية فى فلسطين . (١)

واشد خط الاستعمار الصليبي حتى التهم هذا البلد السلم حيث أعلن راديو " أديس أبابا " فى ١٤ تشرين ثانى (نوفمبر) ١٩٦٢م الغاء الاتحاد الأريتري الإثيوبي وضم أريتريا إلى إثيوبيا ، وفى اليوم التالى أذاع الراديو نفسه أن أريتريسا أصبحت الولاية الرابعة عشرة فى الإمبراطورية الإثيوبية . (٢)

ويعتبر الإسلام فى إثيوبيا دينا لأكثر من نصف السكان حيث تعتقه القبائل فى مناطق " أريتريا " وأوجادين (هرر) و " بالى " و " سيدامو " و " تجرى " و قبائل الجالا والقبائل الأخرى المنتشرة فى شرق وجنوب وغرب البلاد ويكون المسلمون فى منطقة أريتريا حوالى ٢٥ ٪ من سكان الإقليم وفى مناطق " هرر " و " بالى " حوالى ٨٠ ٪ من السكان (وهم من أصل صومالى) وتحد المصادر الإسلامية عدد المسلمين فى إثيوبيا بأكثر من ٨ ر ١٥ مليون من نحو ٢٩ مليون نسمة هم سكان البلاد عام ١٩٧٢م أى بنسبة تزيد عن ٥٥ ٪ ، وبقى السكان منهم ٣٥ ٪ مسيحيون ، ١٠ ٪ وثنيون أما المصادر الغربية فإنها تذكر أن المسلمين فى " إثيوبيا " يشكلون ٤٥ ٪ من سكان البلاد ويشكل المسيحيون نحو ٤٨ ٪ وأصحاب الديانات البدائية (الوثنيون) نحو ٧ ٪ وللمسلمين فى إثيوبيا مشاكل جمة سواء أثناء حكم هيلاسلاسى السيجى المتصلب أو مانجستو ماريام الماركسى النزع وتقوم حكومة مانجستو حاليا بأعمال قمع وحشية للمسلمين فى إثيوبيا فتدمر قراهم وتهدم مساجدهم وتعمل على إبادة الأعداد الغفيرة منهم وخاصة فى إقليم " أريتريا " وأوجادين لمطالبة سكان الإقليمين بالاستقلال عن إثيوبيا (٣) كما يوجد مخطط رهيب لتنصير أبناء شعب جيبيوتى المسلم مائة فى المائة ويشترك فى تنفيذه وتمويله الفاتيكان

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

(٣) يراجع المسلمون فى العالم ، أضواء على مشاكلهم وتوزيعهم ص ٧٩ ، ٨٠ .

وفرنسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية * والبدائية بآفساد أخلاق الشعب بتشجيع شرب الخمر وأكل شجر القات ونشر الدعارة. و " جيپوتى " المنفذ الرئيسى للوصول إلى القرن الإفريقى حيث تقع على الساحل الشرقى لقارة إفريقيا فى موقع استراتيجى على الشاطئ الغربى لمضيق باب المندب ويدين كل سكانها البالغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة بالدين الإسلامى .

وتوجد فى " جيپوتى " عدة منظمات تبشيرية مسيحية تعمل فى جميع مجالات الحياة هناك لهدم الإسلام * ومن بينها المنظمات الكاثوليكية ومصدرها الفاتيكان والمنظمات البروتستانتية ومصدرها ألمانيا الغربية والمنظمة الأمريكية ومصدرها أمريكا وهى تعمل مستقلة عن غيرها وتقوم برعاية اللاجئين وإيجاد المأوى لهم وترحيلهم إلى أمريكا ولها إدارة خاصة لتنظيم ترحيل اللاجئين من جيپوتى وتقوم المنظمة بنفس العمل فى السودان والصومال وأوغندا وبعض البلاد الإفريقية وتتضح خطورة السيطرة التبشيرية بأشرافها على دار للأيتام بهذا البلد المسلم " جيپوتى " حيث يتعهدون الأطفال منذ صغرهم وعندما يكبرون - يرسلونهم إلى أوروبا فى ضيافة عائلات نصرانية وبعد الفراغ من تعليمهم يعودوا إلى نفس بلادهم ليتولوا مناصب قيادية * وليسروا دفة البلاد وفقا للأفكار الغربية^(١) * وما يفعلونه خير ضمان لتخريب كثير من أقطار إفريقيا بدون قتال وبالتالى يمكنهم استغلال خسائر البلاد الخام ثم إرسالها إليهم مصنعة بأعلى الأثمان .

ولانتمى الصومال وهى المجاورة " لجيپوتى " من جهة الشرق وللحبشة من جهة الشرق والجنوب * فالتبشير بها آثار ويقول محمود بيومى أثناء عرضه لكتاب الإسلام فى الصومال :

وقد سجل التاريخ الصومالى كفاح المسلمين ضد المنصرين الذين كانوا قد أقاموا مدرسة تنصيرية فى بربرة وأخرى فى قرية ديمولى واستطاعوا تنصير خمسين طفلاً من الأيتام وحدث أن أطلق منصر بمدرسة بربرة الرصاص على أحد المسلمين وهو يؤذن لصلاة الفجر فقام المسلمون بحملة ضد المنصرين أدت إلى خروجهم من الصومال وعدم بناء الكنائس أو الأديرة وعدم فتح محلات للخمر أو السماح بتعاطيها .

غير أن الصراع عاد من جديد بين المنصرين والشعب الصومالى حينما ظهر التنصير مرة أخرى على يد الحملات التنصيرية الأمريكية وشركات البحث عن البترول ومن

(١) جريدة " النور " (السنة الرابعة - العدد ١٨٣) ص ٢ مقال بعنوان (منظمات تنصيرية غربية تحاصر المسلمين فى جيپوتى ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م)

أبرزهم القس " ويلبرت لند " البروتستانتي والقس الأمريكي " مورد بكرويد " . (١)

وتحت ضغط الحاجة ، وشدة الجفاف تشد الأيادي المسيحية لأطفال المسلمين بحجة انقاذهم بينما تقوم بتنصيرهم كما ذكرت مجلة " الأمة " ما جرى في الصومال وهو أن منصرا بلجيكا يدعى " دوجاردين - وزوجته " حصلا على موافقة السلطات الصومالية بتبني (٣٠٩٠٣) ثلاثين ألفا وتسعمائة وثلاثة من أطفال المسلمين الصوماليين . (٢)

السودان

أما في السودان فقد تآزرت القوة الاستعمارية مع العصبية التبشيرية ومهد الاحتلال الإنجليزي البغيض لعملية عزل جنوب السودان عن شماله المسلم ، بواسطة البعثات التبشيرية وذلك لأن المستعمرين يعلمون مدى تأثير الإسلام ودعوته ، وسرعة انتشاره إذا تسرك بدون معوقات ، كما ازداد معرفة بمواءمة الإسلام لفطرة الانسان ، فهو يحو العصبية ويلبى مطالب الفطرة السوية ، ويقوى الصلة الإنسانية ويربط بين الأفراد والجماعات برباط الأخوة التامة وقد أدرك الاستعمار هذه الحقائق فبنى سياسته في جنوب السودان على أساس وقف تيار الهجرة إليه من الشمال ، أو الاختلاط بين أهل الشمال والجنوب وأطلق على هذه السياسة " سياسة الجنوب " والهدف الواضح منها هو جعل جنوب السودان حدا فاصلا في وجه المد الحضاري الإسلامي ، والثقافة الإسلامية العربية حتى يحول بين كل ذلك وبين الوصول إلى قلب أفريقيا إذ يطمع في أن يجعل منها منطقة احتكار لانتشار التبشير المسيحي بين قبائل وثنية تعيش في ظلمات الجهل أسيرة التقاليد والعادات القبلية .

سياسة التبشير في جنوب السودان

أطلق الاستعمار أيدي الإرساليات التبشيرية في جنوب السودان منذ الاحتلال الإنجليزي لهذا البلد ، ودعاهم بالمال وخلافه ليقدموا خدمات يشعر بها أهل الجنوب من تعليم ، وتطبيب وبقية الخدمات الاجتماعية .

(١) مجلة " الأمة " (العدد الخامس والستون - السنة السادسة) ص ٣٠ ، ٣١ من

مقال (كتاب في مقال) الإسلام في الصومال للدكتور عبد الرحمن النجار عرض محمود بيومي ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

(٢) مجلة " الأمة " (العدد التاسع والعشرون - السنة الثالثة بعنوان) منظمة الدعوة الإسلامية في إفريقيا (ص ٣٤ ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) .

يقول محمد محمود الصواف عن تأثير هذه الخدمات :

أدت هذه الاعمال إلى احساس الأهالي بالجنوب بأن البشرين الأجانب يعملون لصالحهم وتقدمهم في جميع المجالات • كما ربي طول التمرس لهذه الأعمال في نفوس رجال التبشير الأجانب الاحساس بأنهم يمكنهم التحدث نيابة عن الأهالي • وتولى رعاية شئونهم من جميع الوجوه • (١)

ومن أسطح البراهين التي تدل على استعمال الاستعمار الإنجليزي للهيئات التبشيرية كأداة لتنفيذ خططه في تقسيم السودان هو ما جاء في تقرير الحاكم العام للسودان سنة ١٩٢١م حيث قال : إن الإرساليات هي أحسن قلعة ضد الإسلام في الجنوب (٢) • ومن أجل قيام الإرساليات التبشيرية بالمهام المنوطة بها من قبل السدول الاستعمارية وفر لها المستعمرون الإمكانيات البشرية • والمادية • والمعنوية •

فمن الناحية البشرية : زود الجماعات التبشيرية بالقس وسبح لجميع الهيئات التبشيرية بالتجول في جنوب السودان وقسمه إلى مناطق كل هيئة تبشيرية تقوم بدورها في منطقتها الخاصة بلا منازع •

ومن الناحية المادية : منح الاستعمار الهيئات التبشيرية اقطاعات من الأراضي الشاسعة لتستغلها في الزراعة والانتاج كما مهد لها سبل التجارة مع الجنوبيين وأنشأ خطوطا للمواصلات البرية • والجوية • وهى وسائل الاتصال اللاسلكى •

أما من الناحية المعنوية : فقد ترك الحجة للعمل التبشيري دون رقيب وجعل مصالح الجنوبيين في أيدي بعثات التبشير وكرم التخرجين من مدارس الإرساليات بتوظيفهم بأرقى الوظائف • (٣)

وقد حدث كل هذا في الوقت الذي أغلق الاستعمار فيه باب الجنوب في وجه دعاة الإسلام ومنع تجار المسلمين من أهل الشمال من ارتياد الجنوب وحرّم استخدام اللغة العربية والزي العرس في الجنوب وأكثر من هذا منع أداء الشعائر الإسلامية وأغلب سق

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف ص ١٢٣ •

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤ •

(٣) مجلة الأزهر (الجزء الثانى - السنة الحادية والأربعون) ص ١٢٩ من مقال للأستاذ

عبد الستار البدرى بعنوان (جنوب السودان الوثنى بين الإسلام والمسيحية) -

١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م بتصرف •

المساجد واستمرت هذه السياسة الاستعمارية من (١٩٠٢م - ١٩٤٨م) ولو أنه اضطر إلى تغييرها تحت ضغط الغيرة الدينية في نفوس سكان الشمال أو مايسى بالحركة الوطنية في شمال السودان إلا أن سياسة الاستعمار حيال التبشير في هذه الفترة أدت مهمتها وخلقت جوا في الجنوب معاديا للشمال وبدأت آثار التبشير في أهمل الجنوب كما استحکم نفوذ التبشير ، فبعد استقلال السودان أصدرت الحكومة السودانية عام ١٩٦٢م قرارا بتنظيم أعمال الإرساليات التبشيرية مع ضمان حرية العبادة والتبشير والاعتراف بالهيئات التبشيرية قانونيا فاعتبرت الهيئات التبشيرية هذا القرار مقيدا لنشاطها وتعرض السودان لحملة دعائية من بعض دوائر التبشير المسيحي في أوروبا كما نظروا إلى قرار تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية الذي أصدره الرئيس السابق جعفر نميري في سبتمبر ١٩٨٣م على أنه يعني أن المواطنين من غير المسلمين تحولوا إلى مواطنين من الدرجة الثانية .

وأوضح آثار التبشير في السودان الجنوبي ماحدث ويحدث الآن من تمرد ومحاولة انقسامه وانشقاقه عن الجزء الشمالي وإنها لايدى التبشير ورسل المبشرين تعمل باسم المسيح تبث الفرقة والانقسام والمسيح عليه الصلاة والسلام يرى من أعمالهم وأقوالهم ليس هو القائل " كل ملكة منقسمة على نفسها تخرب " .

مصر

وحيث ننتقل من بيان بعض آثار التبشير في السودان إلى بيان بعض آثاره في مصر بلد القرآن فيكفي أن نعلم أن الكنيسة القبطية في مصر لم يقتصر نشاطها على تخريج قساوسة للعمل بإفريقيا وآسيا بل تعدى ذلك إلى نطاق أوروبا تحت دعوى تقديم الخدمة لمسيحي المهجر . .

ولست من مشيرى الشاعر فما ذكره (الأنبا شنودة) في الاجتماع المفلق الذي عقده في ١٩٧٣/٣/٥م مع القساوسة والأثرياء بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية وسجلته الأجهزة الخاصة ، يبين بما لايدع مجالا للشك طمع القبط في جعل مصر الإسلامية بلدة قبطية .

وسنكتفى بذكر فقرات من حديثه ونحيل القارئ الكريم إن أراد المزيد على نص الحديث بالكامل من المرجع الذي نقتطف منه الفقرات .

بدأ (البابا شنودة) كلمته بأن بشرهم بأن كل شيء يسير على مايرام حسب الخطة الموضوعه * والتخطيط المرسوم لكل جانب من جوانب العمل على حده في إطار الهدف الموحد وقد تحدث في عدة موضوعات نشير إلى نقاط منها تبين آثار التبشير المسيحي وخطته في بلد مسلم يكن كل الحب لرعاياه الأقباط .

١- عدد شعب الكنيسة :

صرح " البابا " بأن صاددهم في إدارة التبعة والإحصاء أبلغتهم أن عدد المسيحيين في مصر أصبح مايقارب ثمانية ملايين نسمة * ويجب أن يعلم ذلك شعب الكنيسة كما يجب عليهم أن ينشروا ذلك ويؤكدوه * بين أفراد فئات المسلمين لأنه سيكون سنداً في المطالب التي سنطلبها من الحكومة وسنذكرها لكم اليوم .

والتخطيط العام الذي تم الاتفاق عليه بالاجماع * والذي صدرت بشأنه التعليمات وضع على أساس بلوغ شعب الكنيسة إلى نصف الشعب المصري حتى يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة (منذ الاستعمار الغربي والغزو الإسلامي لبلادنا (على حد تعبيره) والمدة المحددة في التخطيط للوصول إلى هذه النسبة هي بسين (١٢ - ١٥) سنة من الآن .

والخص من حديث " الزعيم الديني " ما اتخذته الكنيسة لتحقيق هذه الخطة من وسائل :

- أ - تحريم تحديد النسل وتنظيمه بين شعب الكنيسة .
- ب - تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين - خاصة وأن أكثر من (٦٥ ٪) من الأطباء وبعض الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة .
- ج - تشجيع الاكثار من النسل بين شعب الكنيسة بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية للأسر الفقيرة من شعبنا .
- د - التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستوى الحكومي وغير الحكومي بمضاعفة الخدمات الصحية بين شعبنا المسيحي * وبذل العناية والجهد الوافرين وذلك من شأنه تقليل نسبة الوفيات بين شعبنا المسيحي على أن يكون تصرفهم غير ذلك مع المسلمين .
- هـ - تشجيع الزواج بالسن المبكرة بتخفيض تكاليفه وذلك بتخفيض رسوم فتح الكنائس ورسوم الأكليل بالكنائس الكائنة بالأحياء الشعبية .
- و - تحريم الكنيسة تحريماً باتاً على اصحاب العمارات والمساكن تأجير أى مسكن أو شقة

أو محل تجارى للمسلمين ، وتعتبر من يفعل ذلك من الآن مطرودا من رحمة الرب ، ورعاية الكنيسة كما يجب العمل بشتى الوسائل على اخراج المسلمين الذين يسكنون العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة (*) ، وهذه السياسة الاسكانية إذا استطعنا تنفيذها بقدر الإمكان فإن من شأنها تشجيع الزواج بين الشباب المسيحي وتضيقه بقدر الإمكان على المسلمين ما يكون له أثره الفعال للوصول إلى هذا الهدف حيث لا يخفى أن الفرض من هذه القرارات هو انخفاض معدل الزيادة بين المسلمين ، وارتفاع هذا المعدل بين الشعب المسيحي .

٢- انتصار شعب الكنيسة :

قال " البابا " إن المال يأتينا أكثر ما نطلب من ثلاث مصادر هي " أمريكا - والحبشة والفاتيكان " ولكن يجب علينا أن نعتد على مالنا الخاص ، كذلك يجب الاهتمام بشراء الأراضي ، وتنفيذ القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمساعدتهم على البناء ، وقد اثبتت الإحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠% من تجارة مصر الداخلية بأيدي المسيحيين ويجب العمل على زيادة هذه النسبة وتخطيطها في المستقبل يركز على إفقار المسلمين ونسزع الثروة من أيديهم والقدر الذي يؤدي إلى إثراء شعبنا .

٣- الجانب التعليمي :

قال " البابا " إنه يجب بالنسبة للتعليم العام للشعب المسيحي الاهتمام بالسياسة التعليمية حاليا في الكنائس مع مضاعفة الجهد خاصة وأن بعض المساجد بدأت تقسم بمهمات تعليمية كالتي تقوم بها كنائسنا ، وذلك سيجعل مضاعفة الجهود المبذولة أمرا حتميا حتى تستمر النسبة التي نحصل عليها من مقاعد الجامعات ، وخاصة الكليات العلمية .

ثم قال : إني أهنئ شعب الكنيسة وخاصة المدرسين منهم بهذا الجهد وهذه النتائج حيث وصلت نسبة الوظائف الخطيرة العامة كالطب والهندسة والصيدلة إلى أكثر

(*) هذا يحدث في الوقت الذي توجر فيه مساكن الأوقاف التابعة للمسلمين لكثير من النصارى في مختلف محافظات القاهرة ، ويرفع المار في شوارع القاهرة وباقي المحافظات رأسه لأعلى ليجد جل مساكن الاوقاف عليها يغط وإعلانات لأصحاب مهن من اسماهم يعرف أنهم نصارى ولم يفكر مسلم حتى في حرمانهم من تأجير هذه المساكن في الوقت الذي نجد فيه من المسلمين من يسكن المقابر والخيام .

من (٦٠ %) من الشعب المسيحي .

٤ - التبشير :

قال البابا : إنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية على أن الخطة التبشيرية التي وضعت بنيت على أساس أن الهدف الذي اتفق عليه من التبشير في المرحلة القادمة هو التركيز على التبشير بين الأفراد وذلك لزعزعة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم أو التمسك به .

ويرى " البابا " أن زعزعة في نفوس المسلمين تكفي في نجاح مخططاتهم فليس مسن الضروري دخولهم في المسيحية بل يكفي إزاحتهم من طريقها ، ويخشى " البابا " من تسرب نجاح المسيحيين في تنصير مسلم لأنه ينبه المسلمين وهذا يؤثر بالتالي على جهود المسيحيين .

ثم قال مانصه بالحرف الواحد :

إننا يجب أن نتنزه ما هم فيه من نكسة ومحنة لأن ذلك في صالحنا ولن نستطيع إحراز أية مكاسب أو أي تقدم إذا انتهت المشكلة مع إسرائيل سوا " بالسلم أو بالحرب " وإنني أعتبر أن هذا الكلام خير نذير لولاة الأمور في كافة المجالات وليس له من تعليل غير أن المسيحيين عازمون وماضون في جعل مصر وتحويلها إلى النصرانية ومن أراد - المزيد من تصريحات " البابا " ومطالبه التي تؤكد هذا الكلام فليراجع نص الحديث (١)

نموذج للتبشير في المغرب الإسلامي

إشارة سريعة وملخص قصير لما جرى ويجرى في المغرب يبين الآثار الخطيرة والتي ذكر بعضها المجاهد المغربي إدريس الكتاني بقوله :

ولانزال نذكر أن " فرنسا اللادينية " لم تكف في المغرب بعد احتلاله ، بإفساح المجال أمام جيش المبشرين ، وبناء الكنائس في جميع المدن والقرى النائية بل إنها استعملت سلطتها كدولة حاكمة لإملاء " الظهير البربري " الذي كان يهدف لفصل

(١) يراجع مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية إبراهيم سليمان

الحبشان من ص ٢٣ - ٣٠ طبع بالرياض ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

البربر المسلمين عن حكم الشريعة الإسلامية ، كمرحلة أولى لتتصيرهم ، وأعدت لهذه الخطة ٥٠٠ مبشراختصاص في " فن التمسح " وصنعوا تصميما شاملا للهجوم على الإسلام بالمغرب بالتعاون تام مع السلطات العسكرية ولولا يقظة الشعب المغربي الذي جعل من ذكرى ١٦ مايو ١٩٣٠م يوم " المقاومة الإسلامية للاحتلال السيجي " وتأييد العالم الإسلامي كله لنا لكانت الخطة الاستعمارية قد نجحت .

ولإعطاء مثل واحد لنشاط الجالية المسيحية الحديثة العهد في المغرب بالنسبة لنشاط السكان المسلمين ، يكفي أن نذكر أن مدينة الدار البيضاء ، وهي أكبر مدينة مغربية ^{تحتوي} على ١٨ كنيسة لـ ٢٠٠٠ ر ٢٠٠ من السكان المسيحيين منها ١٥ كاثوليكية وواحدة بروتستانتية ، وواحدة أرثوذكسية ، وواحدة انجليزية ، بينما لا يوجد فيها إلا ١٤ مسجدا لـ ٢٠٠ ر ٧٠٠ من السكان المسلمين أي بمعدل كنيسة واحدة لكل ١١١ ر ١١ من المسيحيين في مقابل مسجد واحد لكل ٥٠٠ ر ٥٠ من المسلمين .

هذا بالإضافة إلى أنه توجد كنائس فخمة في قرى آهلة بالسكان المسلمين وخصوصا في المناطق البربرية ، لا يكاد يوجد فيها مسجد واحد بالمعنى الصحيح كما هو الحال في أفران وأمزار .^(١)

كما أن المدن الشمالية المطلة على البحر الأبيض للمملكة المغربية والتي بدأ مسلسل الغزو بالنسبة للمغرب بهجوم غادر على مدينة " تطوان " عام ١٣٩٩م تمهيدا لاحتلال مدينة " سبتة " والذي تم عام ١٤١٥م ، " وطنجة " عام ١٤٧١م ، و " مليلة " عام ١٤٩٧م . علما بأن تصفية الوجود الإسلامي بالأندلس كان في عام ١٤٩٢م ، وقد انتهز الاستعمار الأسباني خضوع القسم الشمالي من المغرب لحمايته ١١١٢ - ١٩٥٦م ليكسرس احتلاله لمليلة فبدأ بإزالة كل المعالم الإسلامية والعربية حتى أن أحد المستظلمين لهذه المدينة يقول :

وقد تبحت في المدينة عما يعطى لها وجهها عربيا إسلاميا فلا تعثر إلا على مسجدين قديمين ومدرسة ابتدائية واحدة بالحى العربى وإمام المسجد يلقى تهديدات مستمرة من انصار الصليب ، والأهالى هناك يعانون من ضغط الاحتلال وعدم وجود مدارس - تعليمية إسلامية ، وعلى أمل في نصره الله تعالى ومدد إخوانهم في تخليص المدينة

(١) المغرب المسلم ضد اللادينية إدريس الكتاني ص ٨٦ ، ٨٧ .

المسلمية من سيطرة الاستعمار ، وما يدعو إلى الحسرة أن " مليلة " المدينة الإسلامية - تحولت إلى وكر للمبشرين الذين يتحدثون العربية بطلاقة وهم يوزعون المنشورات باللغة العربية والمجان ، وكلها ترمى إلى زعزعة ثقة المسلمين بالإسلام ، وتوهين عزيمتهم .^(١)

وما يحدث في مليلة يجرى مثله في بقية المدن المغربية التي تقع تحت الاحتلال الأسباني والتي ذكرتها سابقا كسبتة وتطوان وهامم المثقفون الجزائريون يطرحون فسى رسالتهم المفتوحة قضية من أخطر القضايا التي تواجه المغرب العريس وهي " قضية الجيوب المنسية " وهم يحذرون الحكام من انشغالهم بالصراعات فيما بينهم ومحاولة سيطرة شعوب على شعوب شقيقة مجاورة بينما أهل " الجيوب المنسية " يثنون من نير الاستعمار ويطلبون النجدة فلا يجدون آذانا صاغية ، ولا قوة حامية حيث الحكام قد صكوا آذانهم وأغضوا عيونهم وهذا مادعا مثقفوا الجزائر إلى القول :

ونحن أبناء المنطقة المدركين لكل تلك المخاطر فإننا نرى أن أولى تلك المخاطر هي الهروب من الواقع الوطني وتشتيت القوى في مغامرات الهيمنة والسيطرة بقوة السلاح على شعوب شقيقة ومجاورة ، وغض النظر عن الجيوب الاستعمارية الأسبانية في مدن سبتة ومليلة والجزر الجعفرية هذه الجيوب التي ما فتئت تذكرنا بليل الاستعمار الطويل ، وتقضى مضاجعنا أئات سكانها المنكوبين ، وندأؤهم المستجدي .^(٢)

" أما في الجزائر فلم تترك الحكومة الفرنسية أية وسيلة للقضاء على الإسلام ومؤسساته ومعاهده ، بما في ذلك الأوقاف التي صادرتها ، والمساجد التي حولت الكثير منها إلى كنائس والمدارس الإسلامية الحرة التي أغلقتها وتشرف السلطات الفرنسية بنفسها على إدارة الشؤون الدينية الباقية ، فتقوم بتعيين الخطباء والمفتين والأئمة من قدماء المحاربين الجهلة ، بل إن الذين يفتحون المساجد ويشرفون عليها ، ويحملون عصا الخطيب يوم الجمعة هم جنود الشرطة البلدية بلباسهم الرسمي .^(٣)

-
- (١) يراجع مجلّة الأمة (العدد الحادي والثلاثون - السنة الثالثة) ص ٤١ - ٤٤
استطلاع بقلم بيجوفريد بعنوان (مليلة الجوهرة المسلمية) .
(٢) الأهرام (السنة ١١١ - العدد ٣٦٤٣٥) من مقال بعنوان : " فتح ملف المغرب العربي الكبير عام ٢٠٠٠ " ص ١٣ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م .
(٣) المغرب الغربي ضد اللادينية ص ٨٧ .

وكان التبشير يسير قدما بقدم مع الاستعمار ، وقد عاش الأب " فوكو " ستة عشر عاما بين رجال الطوارق جنوب الجزائر ، وعلى حدود (مالي) والنيجر ليكون بعد ذلك دليل الجيوش الفرنسية التي دخلت هذه البلدان الإفريقية في بدايات القرن العشرين وتذكر " مجلة العالم " الأسبوعية أنه بعد أعوام قليلة من الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وبالضبط عام ١٨٣٧م أنشأت السلطة الاستعمارية أول صحيفة تصدر بالفرنسية والعربية ، وهي صحيفة " المبشر " وهي اسم على مسمى ومن خلالها راحت تتقرب إلى انسان المنطقة المهزوم . (١)

ولقد سارت حكومة الجزائر عقب التحرير في طريق السياسة الغربية يقول النسدوى لائما عليها هذا الاتجاه : الجزائر التي دفعت ضريبة الحرية بتضحية مليون نسمة وكان السر في هذه التضحية والثبات " الذي لا يوجد له نظير في العصر الحديث " حسب الشهادة ، والحنين إلى الجهاد وكانت وكالات الأنباء الغربية تعبر عنهم - أي الجزائريين - بكلمة المسلمين فحسب في أخبار معاركهم وكفاحهم ، هذه الجزائر المجاهدة تعاني نفس المشكلة وتسر بنفس التجربة التي مرت بها الدول الإسلامية التي يتزعمها قادة التجديس والتغريب في هذه البلاد . (٢)

أما تونس :

فقد سار بها رئيسها الأول الحبيب بورقيبة بعد استقلالها عام ١٩٥٧م في طريق " كمال أتاتورك " وسلسلة التحقيقات التي نشرتها " جريدة لوموند " الباريسية عن " تونس المستقلة على عتبة السنة الثالثة " نجدها تنشر في الفصل المعنون " بين الغرب والإسلام " بتاريخ ١٩/١/٥٨ ما يختصر منه الآتي :

- ١ - وضع الحبيب بورقيبة حداً لتعدد الزوجات ثم (تم إبطاله فعلا)
- ٢ - ومنع الطلاق الإنفرادي ، وما ساء بالاستبداد الزوجي .
- ٣ - اتبع هذا التحرير العائلي في نظره بتحرير سياسي واجتماعي فدخلت المرأة فسي جميع الوظائف وصارت ناخبة ومنتخبة .
- ٤ - نتيجة لذلك نهجت تونس نهج تركيا الكمالية ، فالحجاب أخذ يقل عند الفتيات وجلس الرجال جنباً إلى جنب في الاجتماعات والنوادي .

(١) مجلة " العالم " الأسبوعية (العدد ٢٤) ص ٤٥ السبت ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨٤ - ٢٩ شوال ١٤٠٤ هـ) .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي ص ١٤٩ ط (٣) مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٥ - تجنب " بورقية " مهاجمة الجامع الكبير (الزيتونة) وجها لوجه ، ولكنه منسّف سنتين يحدد بالتدرّج دوره ومهامه ويفكر كما قيل في تحويله إلى مجرد كلية لعلم اللاهوت في إطار الجامعة التونسية . (١)

ويحرك المجاهد إدريس الكتاني شاعر " بورقية " عله يرتدع عن غيه بأسلوب رقيق قائلا :

إن العالم في عهد الرئيس " بورقية " هو غير عالم الرئيس " أتاتورك " فإذا كان أتاتورك عاش أيام الاستعمار العاتية ، فان بورقية لا يعيش فقط ساعات احتفاره الأخيرة ولكنه يساهم في الاستعدادات العالمية للاحتفال بجنائزته ، وإذا كان أتاتورك قد خلف جيلا من العبيد يقفون على منبر هيئة الأمم المتحدة ليصوتوا ضد استقلال تونس أولا والمغرب ثانيا والجزائر أخيرا من غير أن يحسوا بالعار يصفع وجوههم بينما " الحبيب بورقية " في السجن وشعبه يعيش تحت العذاب ، و " محمد الخامس " وأسرته نفسى النفى ، وأمه تعاني الإرهاب والتقتيل ، و " أحمد بن بلا ورفاقه " في السجن والجزائر كلها بنسائها وشيوخها وأطفالها تجابه النار والإبادة والخراب ، فان الأجيال الستى بعشها " محمد الخامس " في المغرب والحبيب بورقية في تونس ، و " جبهة التحرير " نفس الجزائر جديدة بأن تعطى اليوم دروسا في " المثل العليا " لخلع المصطفى كمال الذين افتقدوها . (٢)

ولكن بكل أسف وجدنا منهم أمثال الحبيب بورقية الذي سار في خط التغريب وتوج كفاح شعبه وكفاحه بارتداد مسوح الغرب والتتبع لخطوات التبشير وكلها نهائيتها التغريب بكل أبعاد .

(١) المغرب العربى ضد اللادينية ص ٩٥ ، ٩٦ بتصرف واختصار .

(٢) المرجع السابق ص ١٧ .

الخلاصة

خلاصة هذا الفصل أن جيش التبشير توغل مع جيش الاستعمار في كل من "آسيا" و "إفريقيا" وتعاونوا سويا في تحقيق المهام الاستعمارية ولـسـو كان جيش الاستعمار يقتل ويسيل الدماء فان جيش البابا يـضـمـد الجـسـسـرـج ويتبنى الأيـتـام ويفتح الملاجئ تحت شعار هداية الضالين كما يزعمون وبعد رحيل الاستعمار يظل التبشير قابعا في أوكاره ، يدعمه الاستعمار بكل وسائل الدعم ليؤدي دوره في تخريب البلاد .

وهم يصرحون بأنهم في سبيل القضاء على الإسلام في "آسيا" وتحويل "إفريقيا" عام ٢٠٠٠ الى النصرانية .

فهل استيقظ المسلمون ؟ • وماذا هم فاعلون ؟ •

الفصل الثالث

تسريب الفكر التبشيري في الثقافة الإسلامية

من المعلوم أن ثقافة الإسلام لها طابعها الخاص في تكوين الإنسان ، وفي بنيان مجتمعه ، فهي مستمدة من القرآن الكريم وسنة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

والتبشير كأداة من أدوات الاستعمار يقوم بالعصب الأكبر والدور الهام في الحركة التغريبية الشاملة ، والتي تنفذ في بلاد الإسلام ، ويحمل لوازمها الغرب عامة بكسـل مؤسساته وهيئاته لإحلال ثقافته ومنهجه في الحياة محل ثقافة الإسلام ومنهجه .

ومن أجل ذلك قام الاستشراق والتبشير بدور فعال في تسريب أفكار الغرب إلى أمة الشرق المسلم من تغريب اللسان لقطعها عن لغة القرآن الكريم إلى تغريب الأخلاق والآداب والنظم الإسلامية إلى تغريب التعليم في محاولة لربط المسلم بالغرب وتقليده له فيما يسمح به الغرب فقط من شكلية ومظاهر أو على أقل تقدير فصل المسلم عن تعاليم دينه ما يجعله في ضياع ويتم كل هذا على أيدي زبانية الغرب من البشريين ومن يسير في فلكهم ويقوم بدورهم من أولئك المحسوسين على الإسلام وعلى مفكره ، بينما هم في أودية الغرب يتردون ، فلاغربة إن وجدنا منهم من يساعد البشريين في تسريب الثقافة الغربية ، فيطالبون بإحلال اللغة العامية واللهجات المحلية محل لغة القرآن في وقت كنا نتوقع فيه أن يطالبوا بارتقاء الناس والصعود بالعامية من العامية واللهجة المحلية إلى تعلم العربية الفصحى ، لكنهم قطعوا حبال الأمل فيهم حين طالبوا بتقديم اللغات الأوربية على العربية ، وما إلى ذلك من محاولات - للإنقذار على لغة القرآن والفكر بها وبمعاقلها أيضا في الوقت الذي نجد فيهم من يدعو المسلمين والمسلمات إلى تقليد الغرب في التفرنج والتخنث والسفور ، والبعد عن التخلق بأخلاق الإسلام .

أو من يقلد الغربيين في عاداتهم أو تقاليدهم الاجتماعية حتى وصل الأمر أن تتبادل البعض التحية بالفرنسية أو الإنجليزية بدلا من تحية الإسلام ، أو سمي أبناء أسماء غربية بدلا من الأسماء العربية الإسلامية وهكذا .

ويتحمل رجال الإسلام عبأ كبيراً في كشف أبعاد هذه الأفكار والتقاليد الغربية المتسللة إلى بلادنا وبيان أغراضها حتى لا يندفع الناس ببريقها ويتقبلونها على أنها لون من ألوان الحضارة والرقى بينما هي في الواقع بُعْدٌ عن تعاليم الإسلام ونظمه وثقافته كما يتضح في الآتي :

١ - تسرب الدعوة إلى العامة كبديل للغة العربية :

شن المستعمرون حرباً شعواء على الإسلام فاستخدموا المستشرقين والبشريين في الهجوم على لغة القرآن الكريم فقاموا بالهجوم عليها تارة عن طريق الدعوة إلى استعمال العامة ، واللهجات المحلية ، وتارة أخرى عن طريق استخدام الأحرف اللاتينية بدل الأحرف العربية .

وتغيير لغة الإنسان المسلم ، يقصد بها تغيير فكره بالكامل ، يقول الاستاذ / محمد المجذوب : سئل "كونغوشيوس" (*) عن أفضل الوسائل إلى تصحيح الأفكار فأجاب "تصحيح الألفاظ" وفي اعتقادي أن في هاتين الكلمتين جواب كل سؤال عن كسب إصلاح ، فما لم يتمكن الإنسان من استعمال اللغة في بدلائلها الصحيحة لم يتمكن من تحديد أفكاره ، وبالتالي سلوكه ، ومن ثم تعذر عليه أن يفهم أو يفهم وكفى بذلك اضطراباً ولبلاً ! (١) فكان مسعى المستشرقين والبشريين في القضاء على اللغة العربية لخلق جو مضارب في عالم الإسلام ، تتميز فيه كل لهجة بميزة خاصة يضارب بها اتباعها أصحاب اللهجة الأخرى بدلا من التقارب بين الجميع حول فهم لغة القرآن الكريم والتقاء أفكارهم وزيادة الصلة بينهم عن طريق لغتهم .

وكل ذلك يسهل المهمة الاستعمارية الرامية إلى السيطرة على الأمة الإسلامية كما أمار أنور الجندى إلى هذا بقوله : وقد شغل عدد من هؤلاء الأجانب بأمس الحاجة والاهتمام بها وألقوا عنها وفي مقدمتهم في مصر "دولهم سبتيا" ، و"كارل فولرس" و"سلدن ولمور" و"وليم ويلكوكس" وقد بدأ ذلك منذ عام ١٨٨٠م واستمر حتى عام ١٩٢٦م وفي خلال ذلك كان "لطفى السيد" و"قاسم أمين" و"سلامة موسى"

(*) كونغوشيوس : عاش في الفترة من (٥٥١ - ٤٧٦ ق م) وهو فيلسوف صيني ، أسس المذهب الكونغوشياني وهو مذهب فلسفي لا يقر بالله إنما يدعو إلى حياة عائلية واجتماعية مثلى (يراجع المنجد في العلوم ص ٦٠) .

(١) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام ، محمد المجذوب ص ٣١٥ - ٣١٦ .

قد حملوا هذه الدعوة ، ثم اتصل ذلك بالدعوة التي دعاها عبد العزيز فهى عام ١٩٤١م عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية ، هذا فى مصر وأما فى المغرب فقد تولى " كولان " ومن بعده " ماسنيون " لواء هذه الدعوة وفى لبنان ظهر كثير من الدعاة إلى الحروف اللاتينية والعامية اللبنانية وقد كان هدف هذه الدعوة التى حصل لواءها التبشير أساسا لخدمة مخطا السيطرة الاستعمارية الثقافية إنما يرس إلى تمزيق اللسان العربى فى العالم الإسلامى كله وليس العربى وحده ، والقضاء على لفظة القرآن كلية بإحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى فى كل قطر وبذلك ينفسر عقد الوحدة الجامعة التى يكون قوامها هذا الكتاب المنزل والذي حفظ وحدة اللغة العربية طوال أربعة عشر قرنا . (١)

وتبع ذلك تلك الدعوة التى تحدث كثيرا عن الأدب الشعبى والتلكلور الشعبى ووجهوا بحوشهم إلى الثقافة الشعبية سنانين إليها مايسس باللهجات العامية " وقد جرت هذه الدعوة فى الوقت الذى كان " دنلوب " يستولى فيه على مقاليد التعلسم فى مصر وينزع النظام الذى يجرى به تغليب العامية والإنجليزية .

وبعد الاحتلال جاء دور " سلدن ولمور " فأضاف إلى من سبقوه العمل على كتابة العامية بالحروف اللاتينية وأزرت مجلة " المقتطف " والجماعة من خريجي الارساليات والمعاهد الأجنبية هذه الدعوة ورددوا آراء هؤلاء الذين يرون إحلال اللغة الأجنبية فى التعليم نتيجة الارتباط بالدول الأوربية .

ومن أجل تقرب ثقافة المستعمر ونشرها بين أجيال المسلمين أنشأ " كرومر " " كلية فكتوريا " لتربية أبناء الحكام والزعماء والوجهاء تربية غربية ، ليكونوا أنصار الاستعمار فى بلاد الإسلام ، وأدواته فى الوقت نفسه فى نشر حضارته الغربية .

" وقد أعرب " اللورد لويد " الذى كان مشلا لبريطانيا فى مصر ، أو " مندوبا ساميا " كما كان يسمى فى ذلك الوقت عن هذا الهدف ، حين قال فى خطبة القاها فى كلية " فكتوريا " بالأسكندرية سنة ١٩٣٦م ، عن طلبة هذا المعهد وخريجيسه كل هؤلاء لايمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بنفسه

(١) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) ص ٢٠٩ و ٢١٠
يراجع كتاب : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر / نفوسه زكريا سعيد
ص ٢٠٧ ط (٢) مذابح دار الناصر بالأسكندرية ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

المشقة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويحافظوا عليها متى تسنى للجماهير أن يعرف هذه الكلية أكثر ما عرف عنها غسى الماضى يتنبه الآباء إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمى فيهم من الشعور الإنجليزى ما يكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب .^(١)

وإن كان " اللورد لويد " يرى أن هناك وسائل أخرى تؤدى الغرض نفسه ومنها تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره من جديد بحيث يبدو متفقا مع الحضارة الغربية أو على الأقل غير متعارض معها .

ومنها أيضا : استخدام النصارى الموجددين بالبلاد الإسلامية والعربية خصوصا الذين لا يشاركون المسلمين فى الاحساس بالولاء القلبي للحكم الإسلامى والذين تتعلق آمالهم بالعلمانية الغربية ، التى تقوم على الفصل بين الدين والدولة ، وحين يحدث هذا فى بلاد المسلمين سيزول احساس المسلمين بالاعتزاز ، وسيشعر النصارى بالغبطة والافتخار .^(٢)

ودخل التغريب إلى ديار الإسلام من هذه المداخل وعن طريق هذه الوسائل من النصارى القائلين بالعامية " سلامة موسى - ولويس عوض " من تلاميذ المستشرقين والمبشرين " سلامة موسى " " ولويس عوض " وهما من نصارى العرب ولم يشعرا بالولاء لحكم الإسلام ومن الذين ساروا فى ركب الاستعمار ، وتربوا على فكرته فصارا غلسى نهجه فى الدعوة إلى العامية ، ورددا مقولاته التى غزت بلاد المسلمين فى كل مكان كما يقول صاحب كتاب " أباطيل وأسمار " ، وأقرب ذلك عهدا تقرير " لندبرج الاسوجى " فى مجمع اللغويين فى ليدن سنة ١٨٨٣ م ، وتقرير " دوفرين " اللورد الإنجليزى المحترق ، الذى رفعه إلى وزارة الخارجية البريطانية فى شأن اللهجة العامية المصرية ، وأمين دار الكتب الألمانى بمصر ، و " ولمور " القاضى الإنجليزى بالحكمة المختلطة ، ومترجم الإنجيل إلى العامية لأقباط مصر " وليم وكلكس " المهندس البشير الذى كان مقيما بمصر ، والذى وصفه التالف القديم " سلامة موسى " فى كتابه الذى ملأه بذاعة على العرب والمسلمين ، وسماه " اليوم والغد " قال : " واللهم الكبير الذى يشغل بال السير ولكس " بل يقلقه ، هو هذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها ، فهسو يرغب فى أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العامية ، فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا " .

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ٤٦ .

(٢) يراجع المرجع السابق ص ٤٦ ، ٤٧ .

فهذه الدعوة كانت قائمة في إنجلترا في الجامعات التي تدرس المشرقيات وفي مراكز التبشير ، قبل أن يولد هذا الداعية الجديد . (١)

أما لويس عوض الذي كتب كتابا سنة ١٩٤٧م سماه "بلوتولاند وقصائد أخرى من شعر الخاصة" فقد قال في الصفحة الأولى منه :
 "حظوا عمود الشعر ، لقد مات الشعر العريس مات عام ١٩٣٣م ، مات بمسوت أحمد شوقي مات ميتة الأبد مات . (٢)

فالدعوة إلى العامية وليدة الأم الغربية ، واستخدموا من أجل نشرها في بلاد الإسلام نصارى الشرق ومن استهوتهم شهوات الدنيا فانساقوا تبعا لأهوائهم

الرد على دعاة العامية

أذكر دعاة العامية والذين يفضلون اللغات الأجنبية ويقدمونها على العربية بل ويشترطونها في بعض الوظائف في بلاد الإسلام أذكر هؤلاء بما تحدث به مسيحي أسباني شغوب واصفا أقبال طالب العلم من قومه على اللغة العربية وأدبها .

قال مطران قرطبة " الفارو " Alvaro في القرن التاسع الميلادي " الثالث الهجري " : إن جميع الشبان المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وأدبهم ، ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولج ، ويجمعون مكاتب كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة ، ويعلنون في كل جهة على رؤس الأشهاد اعجابهم بذلك الأدب .

وإن كان ما قاله " الفارو " ترديد لكاتب مسيحي يتحسر على إهمال النصارى للفتنهم في حين أنهم يقبلون على اللغة العربية وأقبالهم عليها ليس عن طريق الإجبار والقسر ، وإنما رغبة منهم واستحسانا لبلاغتها ولما احتوته من الفاظ عذبة ومعان جذابة وأدب فريد ، ولذا ترى من تنمى كلام الرجل المسيحي كما ورد على لسان " الفارو " عن شباب قومه قوله : " بينما هم حينما يسعون بالكتب المسيحية يأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات فيا للأسى أن المسيحيين

(١) أباطيل وأسفار : محمود محمد شاكر ج ٢٥١ ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .

قد نسوا لغتهم فلانكاد نجد فيهم اليوم واحدا في كل ألف يكتب بها خطابا إلى صديق أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب . (١)

ليس بعد ذلك دليل يثبت أن لغة القرآن الكريم هي لغة العلم ؟ وهي جديدة بما فيها من اشتقاقات وما تحتويه من معان في كل كلمة من كلماتها أن تكون لغة الحياة الثابتة ، ويكفى أن الحق تبارك وتعالى العالم بما يصلح كونه اختارها لفئة للرسالة الخاتمة الخالدة .

شبهة " اللغة الدينية "

أراد المبشرون وأعوانهم أن يجعلوا لغة القرآن لغة اخبار وعظات وعبيادات ورسوم كما هو العهد بلغة التوراة والإنجيل وتناسوا أو أغضوا الطرف عن أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم لا يمكن لأحد من المسلمين أن يستغنى عنها حتى السامع من غير الناطقين بها مطالب بمعرفتها ويتعلم آيات وسور قصار من القرآن الكريم بلغة القرآن بدابة .

أما ذوى الخبرات والاختصاص في العلم فهم في أشد الاحتياج إليها كل فني اختصاصه في الفقه ، في الأدب والبلاغة والنحو في الخطب ، وسواء بعد ذلك أكتب في اختصاصه باللغة العربية أم بغيرها من سائر اللغات وقد عرف علماء التفسير القرآن الكريم بتوليههم : القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد " صلى الله عليه وسلم " المتعبد بتأويله . (٢)

واللغة العربية نزل بها القرآن الكريم " قرأنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون " . (٣)

وهي لغة الحديث النبوي الشريف وعلى هذا فأمة الإسلام ترى أن اللغة العربية حياتها التي لا يمكن الاستغناء عنها بحال فيها يعرف المسلم المراد من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فيصل إلى ما يصلح دينه ودنياه في جميع النواحي من

- (١) النزول الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر دكتور / علي عبد الحليم محمود ص ١٣٦ ط (١) مطابع الشروق القاهرة - وبيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م نقلا عن " منشورات وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية بالجزائر - (مولود قاسم اثية وأصالة) ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .
- (٢) النبأ الحليم (نظرات جديدة في القرآن) دكتور محمد عبد اللطيف رازمي ط (٢) طبع دار القلم الكويت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .
- (٣) سورة الزمر الآية ٢٨ .

دينية وعملية ، ومن نظام اجتماعيه ..

ولذا يقول الأستاذ / محمود محمد شاكر : فالأسم المسلمة سواء أكانت عربية
اللسان والأصل أم كانت غير عربية اللسان والأصل ، لا ترى القرآن إلا على الوجه
الذي حاولت بيانه فيما سلف .

وهي لا تعد اللغة الفصحى ، أو اللغة العربية ، " لغة دينية " أي لفظة
للعبادات والرسوم ، كالذي عند طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بل هي
عند جميعهم لغة المسلمين التي لا يستغنى أحد من الناس كائنا ما كان عن اتقانها ،
والتوسع في معرفتها ، والذبط لعلمها ومادتها وفقهها مادام منتسبا إلى شأن من شئون
الحضارة التي يمشيها . (١)

ويستمر في دحض هذه الشبهة " شبهة اللغة الدينية " مزيلا اللبس عن توهم
ذلك ، وحاضا العرب إلى حمل أمانة اللغة العربية ونشرها في أرجاء المعمورة الأستاذ
محمود شاكر بقوله : وأما شبهة " اللغة الدينية " فإن الداعي إليها ، إن صرح
ما أقول ، هو أن الدعاة والمبشرين والمستعمرين ، لما دخلوا بلاد الإسلام فـسـى
إفريقية والهند وغيرها ، ورأوا الحافل الصغير والجارية والغلام كلهم يحفظ القرآن عن
شهر قلب ، ويتلوه في صلاته خاشعا باكيا ، ورأوا أن بعضهم لا يعرف من العربية
إلا ما يحفظ من القرآن ، ولا يحسن أن يقرأ شيئا بالعربية إلا القرآن ، ظنوا أن ذلك
كذلك لأن اللغة العربية " لغة دينية " وهذا ظن سخيف جدا عندنا بالطبع .

وذلك لأن كل مسلم ، عربيا كان أو غير عربى ، يعلم علما يقينا أن القرآن
كلام الله ، وأن مجرد تلاوته عبادة يثاب المرء عليها ، وحفظه عبادة أخرى وفهمه
عبادة ثالثة ، والتفقه في معانيه عبادة رابعة والنظر في كتابته عبادة خامسة ولكسل
من هذه العبادات ثواب ، فغلا عن أنه كلام الله الذي يفارق كلام البشر من كل
وجه ، وعلى المسلم المتعبد بالقرآن أن يتعلم لغة القرآن وكل هذا كاف في الدلالة
على أن اللغة العربية ليست " لغة دينية " بالمعنى الذي تعد به " اللاتينية "
مثلا " لغة دينية " ومن يمعن النظر يجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة
كانا أول فاتحين فتحا جل الكرة الأرضية في مدى قرن واحد من الزمان .

وهذا خليق أن يدفع العرب إلى حمل أمانة القرآن بحقها مرة أخرى والإقدام
بالاتردد على انجاز أكبر فتح يرد جميع البلاد الإسلامية غير العربية إلى القرآن كلام

الله واتمام ما بدأه الآباء من تعريب نصف اللغة كما في التركية والفارسية والأردنية وغيرها يَردُّ هذه الألسنة إلى لسان واحد هو اللسان العربي بعد أن أزاله عن مكانه مكسر العدو وطفيان الغازي^(١) ، وعلى العرب المسلمين أن يجاهدوا بكل ما أتوا من قوة وعلم في نشر لغة القرآن ابتغاء مرضاة الله عز وجل فهي الرباط الذي يحى أمة الإسلام من التفكك وهي المفتاح لفتوحات الإسلام وتبليغ دعوة الإسلام في كل مكان .

كيف تنهض باللغة الفصحى ؟

إن اللغة العربية لم تعد غريبة عن الاسماع ولا بعيدة عن الأذهان ، والوسائل لتقريبها للأذهان كثيرة ومتنوعة المدرسة ، والمعهد ، والمسجد ، والصحافة ، والإذاعة وكل المؤسسات الثقافية الملتزمة باللغة العربية فضلا عن قيام علمائنا الأفاضل ببيسان مكونات اللغة في كتب عديدة من مختلف فروعها في النحو والصرف ، والبلاغة والأدب وكل ذلك يؤذن بازدهار العربية ، ويعيد شبابها من جديد .

لكننا نلاحظ إشاعة مغرزة مازالت تنتشر في الجو المدرسي وهي " صعوبة - اللغة العربية " وهي أذوية لا أساس لها من الصحة يراد من ورائها تنفير الطلاب من لغتهم الجميلة ، بعد توفر الوسائل المعينة على فهمها من المدرس الكفء والكتب الموضحة الشارحة ، ووسائل الإيضاح وعلى مدرسي هذه اللغة وأدائها أن يزيلوا هذه الفكرة من نفوس الطلاب ، وأن يغمروا الطلاب بآيات من روائعها ، وأبيات من نفائسها وأمثال من تجارب حكمائها .

وأن يزيلوا من تفكير أبنائهم الطلاب أن اللغة العربية مادة تقاس بالدرجات وعلى المسؤولين وولاة الأمور كل في موقعه أن يجعلوا للغة القرآن اعتبارا في نفوسهم وأن يضعوها في ميزان الوظيفة والعمل .

يقول الشيخ محمد المجذوب : ومن أجل تصحيح نظرنا إلى لغتنا يجب أن نؤمن بما يلي :

- ١- أن هذه اللغة هي الصلة الوثقى التي تربطنا بماضى أمتنا وتراثنا الإسلامي .
- ٢- أنها الأداة الوحيدة للتعبير عن إحساسنا بالحياة وفهمنا لحقائقها .
- ٣- أن كل كلمة نتعلمها من هذه اللغة ، وكل تعبير سليم نقتبسه من روائعها يضيف إلى شخصيتنا جزءا من الثروة العقلية التي تميز الإنسان .

(١) أباطيل وأسمار ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ باختصار .

وأخيرا علينا أن نتذكر دائما أن في كل كلمة فكرة فبقدر ما نملك من الكلمات نملك من الأفكار (١) ، وهذه بعض الإشارات من أجل اللغة العربية .

٢ - تسرب فكرة السفور والاختلاط

من المعلوم أن الاسلام دين كله خير ، وقد جاء مبقيا على الفضائل ، وما حيسا للزنازل ، وكانت جاهلية ما قبل الاسلام في الغالب تصون المرأة خوفا من الحار لا خشيعة للجبار بخلاف الجاهلية الأولى الذي نهى القرآن الكريم نساء المؤمنين عن الاقتداء بنسائها يقول الله تعالى : " ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى " (٢) .

وآلم الغرب أن يرى النساء المسلمات ملتزمات ، فعل جهمه لفرجة المرأة المسلمة لتعود إلى سيرة الجاهلية الأولى وتلتحق بالمرأة الغربية في ركب العرى .

فكثرت الكلام في صحف الغرب ، وكتبه عن القيود والأغلال التي توضع فيها المرأة الشرقية كما يعبرون ، وانتقلت الصورة إلى صحافة الشرق وإلى بعض كتابه والقصد من ذلك محاكاة المرأة الشرقية المسلمة للمرأة في الغرب تحت شعار " تحرير المرأة الشرقية " حدث ما لم يحدث قبل في الوقت الذي صارت فيه المرأة الغربية المطلوب محاكاتها سلعة رخيصة لجلب المنافع الدنيئة لأصحاب الأهواء والمآرب فهي رقيقة يباع شرفها من أجل المال وتلصق صورها المخزية على غلاف الصحف والمجلات وهي وسيلة من وسائل الجاسوسية وهي غير ذلك ما يعف القلم عن كتابته .

ويريد أعداء الإسلام أن يقهروا أمته من هذا الطريق طريق إفساد المسلمة وتحولها عن فطرتها البناءة التي فطرها الحق عليها يقول الدكتور محمد محمد حسين :

أساءت المرأة إلى نفسها ، وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها من يزعمون أنهم أنصارها فقد كانت ربحانة تشم فأصبحت مشكلا يتطلب الحل ، وكانت عرضا يمان وأمانة تحفظ فأصبحت حملا ثقيل يضيّق به الأب والأخ ويتحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش (٣) . وعلي سلم المرأة الغربية تنزلق أقدام المرأة في بلاد إسلامية ، وبحجة حرية المرأة تهوى المرأة في السقوط إلى القاع وتحول في الرق إلى درجة لم يشهد لها

(١) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام ص ٣١٨ و ٣١٩ .

(٢) سورة الاحزاب من الآية ٣٣ .

(٣) حصونا مهددة من داخلها ص ٨١ و ٨٢ .

التاريخ قبل حضارة الغرب والحرية عند من يفقدونها ليست لها حدود والساثر فسي نهجها لا يصل إلى بر الأمان ، وكان على رأس المنادين بحرية المرأة قاسم أمين : وتتلخص آراؤه في الآتى :-

- ١- أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة في العالم .
 - ٢- أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصا بنا ولأن المسلمين هم الذين استحدثوه ولكنه كان عادة معروفة عند كل الأمم تقريبا ثم تلاشت طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم والترقى .
 - ٣- لو أن في الشريعة الإسلامية نصوا تقضى بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب على اجتناب البحث فيه ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرّة في ظاهر الأمر .
 - ٤- بعد ذكره لآية سورة النور يقول : أباحت الشريعة في هذه الآية للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسمها أمام الأجنبي عنها غير أنها لم تسم تلك المواضع .
 - ٥- النقاب ، والبرقع من أشد أعوان المرأة على اظهار ما تظهر وعمل ما تعمل لتحريك الرغبة لأنهما يخفيان شخصيتها فلا تخاف أن يعرفها قريب أو بعيد .
 - ٦- يجعل التشريع الإسلامى فى مسألة الحجاب منقسما إلى قسمين وبالتالى موجه إلى صنفين من النساء وهذا ما لم يقل به أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم يشر إليه أحد من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث يقول قاسم أمين : أما ما يتعلق بالحجاب بمعنى قصر المرأة فى بيتها والحظر عليها أن تخالط الرجال فالكلام فيه ينقسم إلى قسمين :
- ما يختص بنساء النبى " صلى الله عليه وسلم " وما يتعلق بغيرهن من نساء المسلمين ولا أثر فى الشريعة لغير هذين القسمين :

- ١- وأما القسم الأول فقد ورد فيه ما يأتى من الآيات (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسنلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكفروا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما) . (١)

" يانسأ النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة والزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " . (١)

ولا يوجد الاختلاف في جميع كتب الفقه من أى مذهب كانت ولا في كتب التفسير في أن هذه النصوص الشريفة هي خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم ثم بنى على هذه النتيجة الباطلة ما هو باطل بقوله : " وكانت أسباب التنزيل خاصة بهن لا تنطبق على غيرهن فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على أحد من نساء المسلمين " .

ب - وأما القسم الثانى فغاية ماورد حديث عن النبي " صلى الله عليه وسلم " نهى فيه عن الخلوة مع الأجنبية وهو " لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم " ثم ينتقل إلى الحجاب من " الجهة الاجتماعية "

١ - فيرى قاسم أمين : أن حجاب المرأة سبب تأخر المجتمع بقوله : (وإنما نحن بصدد ما به قوام حياتنا كلامنا الآن) هل يلزمنا أن نعيش ونحيا أو نقضى على أنفسنا بأن نموت ونفنى ؟ هل علينا أن نهتر مكاننا ونرضى بما وجدنا عليه آباءنا والناس من حولنا يتسابقون إلى منابع السعادة .

٢ - ثم يقول بالحرف : على أن القول بأن الحجاب موجب العفة وعدمه مجلبة الفساد قول لا يمكن الاستدلال عليه لأنه لم يقم أحد إلى الآن باحصاء عام يمكن أن نعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة في البلاد التى تعيش فيها النساء تحت الحجاب ، وفى البلاد الأخرى التى تتمتع فيها المرأة بحريتها .

٣ - يدعو إلى الاختلاط بين الجنسين فى مراحل التعليم وفى كافة المجالات .

٤ - يرى أن عفة المحجبة قهرية فيقول :

وبديهي أن المرأة التى تحافظ على شرفها وعفتها وتصون نفسها عما يوجب العار وهى مطلقة غير محجوبة لها من الفضل والأجر أضعاف ما يكون للمرأة المحجوبة فإن عفة هذه قهرية أما عفة الأخرى فهى اختيارية والفرق كبير بينهما .

وأهم ما فى حديثه أنه كشف عن حقيقته وفضح نفسه بقوله وقبل أن أختتم الكلام فى هذا الباب أرى من الواجب على أن أنبه القارئ إلى أنى لا أقصد رفع الحجاب

الآن دفعة واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم فإن هذا الانقلاب ربما ينشأ عنه مفسد جمة لا يتأتى معها الوصول إلى الغرض المطلوب كما هو الشأن في كل انقلاب فجائى .

الرد على "قاسم أمين"

يتناول الرد أولا على الشق الدينى فالحجاب ليس دورا تاريخيا وإنما هنـاك أم التزمت نساؤها بالحجاب والعفة فكان الرقى والتقدم " كاليونان " ثم لما تركسن الحجاب كان الانحطاط والتأخر على أن الحجاب ليس موضحة تغير فبالرغم من تخلى بعض الأم عن بقى بعض النساء الملتزمات بالعفة يرتدنة .

والحجاب فى الإسلام له مواصفات خاصة من جعلتها أن يستر الثوب جميع البدن إلا الوجه والكفين ، وأن لا يشف أو يصف ، وأن لا يكون من جنس لباس الرجال أو شبيهه بلباس الكافرات .

يضاف لذلك خمار الرأس ، ترد المرأة ماتبقى منه على فتحة الثوب جهة الصدر والعنق والأحاديث الواردة فى هذا الباب كثيرة كل ما أباحت الشريعة للمرأة إظهاره وجهها وكفيها عند أمن الفتنة .

وكلامه عن أن النقاب والبرقع يساعد المرأة على إظهار ما تظهر لا يستقيم مع منطق العدل والحق وإن كنت أرى أن البرقع ليس من الحجاب فى شىء إلا أن المرأة لسو خرجت محجبة فذلك أدعى لاحترامها وبالتالي يكون هذا دليل منها على العفة بخلاف ما لو خرجت سافرة غير محتشمة ولا مستترة فإن هذا يعرضها لنظرات الفساق وتحرشاتهم وتكون هى السبب الأول فى حدوث الإيذاء ووقوع البلاء .

أما حديثه عن آيات سورة الأحزاب وهى قوله تعالى : " يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول .. إلى آخر الآيتين) " وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلى قوله تعالى إن ذلكم كان عند الله عظيما " توجيه الحديث فى الآيتين " ٣٢ " و " ٣٣ " من سورة الأحزاب لايعنى أن أمهات المؤمنين قد خصصن به دون سائر المسلمات وهل مراد الله تعالى إرشاد لسيادة النبى صلى الله عليه وسلم فقط وهن القدوة ، وأبعد ما يمكن عن الرية ؟ .

كما أن الآية الكريمة التي نزل فيها " وإذا سألتهم عن متاعا فسئلوهن مسن ورا " حجاب ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهم " عللت الحكمة في كون الحديث الى نساء لا بد أن يكون من خلف ستار وذلك بأنه أضمن إلى طهارة الطرفين وأحوط في تجنب أسباب الفتنة .

وسا يؤكد أن قصد " قاسم أمين " إفساد نساء المؤمنين أنه في المرفوعة المقابلة للصفحة الموجود بها الآية السابقة بها الأمر الألهى للنبي " صلى الله عليه وسلم " بالزام كل المؤمنات بالحجاب : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) . (١)

والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأُمَّته أيضا فكل داعية مأمور أن يدعو نساءه وبناته ونساء المؤمنين بالحجاب كما أن رب كل أسرة مأمور ومسئول عن أسرته في هذا الأمر ، وعلى قاسم أمين ومن آزره وزر دعوتهم لسفور المرأة ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

أما قوله بأنه لا خلاف في أن آيات الحجاب خاصة بنساء النبي " صلى الله عليه وسلم " فبرد عليه بالآية السابقة ، ، ويقولنا له إن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فهذا صحيح ، لكن أن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن فهذا غير صحيح فكثيرا ما تنزل الآية القرآنية بحكم بسبب امرأة لكن الحكم يطبق بعد نزولها على كل المسلمات كما في آيات الظهار وأما حديثه عن القسم الثاني وهو ما فيه نهى الرسول " صلى الله عليه وسلم " عن الخلوة مع الأجنبية فإن كل النساء داخِلين في إطار النهي ما عدا من كانت مع ذى محرم من المحارم أو زوج وليس هذا خاصا بالنساء المؤمنات دون نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد في الحديث الشريف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم فقام رجل فقال يا رسول الله امرأتى خرجت حاجة واكتبت في غزوة كسذا وكذا قال إرجع فحج مع امرأتك . (٢)

(١) سورة الاحزاب الآية ٥٩ .

(٢) البخارى بهامشة بقية حاشية السندى بتمامها وتغييرات شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام رحمهم الله تعالى ص ١٧٦ ط (١) طبع بالمطبعة العامرة المليجية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم * (١)

فلو لم يكن الأمر في الحجاب للوجوب لأقر النبي صلى الله عليه وسلم رؤساء النساء كاشفات الأذرع والسيقان وهذا ما لم يحدث ولو لم يكن النهي عن خلوة الأجنبي غير المحارم بالمرأة مؤكداً التحريم لقال النبي صلى الله عليه وسلم جاهد أعداء الله واتركها تحج وحدها لكن قال له ارجع فحج مع امرأتك .

كلام قاسم عن مزار الحجاب * من الجهة الاجتماعية * لا يستحق الرد عليه

ولذا أضع النقاط التالية لتكون بمثابة رد على أمثال هذا الكلام الذي يتقول به دعاة السفور :

- ١ - يخطئ من يقول بتقدم الغرب نتيجة لسفور المرأة الغربية فالغرب تقدم لأخذه بأسباب التقدم في الحياة ، وسفور المرأة في الغرب صورة من صور التأخر واختلاطها بالرجال من بوادر انتكاسة الغرب مرة أخرى وإن غدا لناظره قريب .
- ٢ - ظهرت نتائج سفور المرأة واختلاطها بالرجال في الغرب في الآتي :
 - أ - تفشى أمراض الجنس وظهور أنواع أخرى من الأمراض الجنسية مستعصية العلاج بالرغم من التقدم العلمي في بلادهم .
 - ب - كثرة اللقطة وبالتالي كثرة الملاجئ لتربية هذا النوع من الأطفال فاقدى الرعاية الأموية والأبوية وللمرء أن يتخيل غد مجتمع سيكون جل أبنائه من هذا النوع .
 - ج - غير خاف عدم توفر الأمن في هذه المجتمعات نتيجة لهذه النوعية وبالتالى كان ظهور الجرائم وكثرتها وعلانيتهما مع توفر وسائل الاكتشاف المبكر للجريمة .
 - د - العزوف عن الزواج من قبل الرجال وظهور العانسات بشكل يهدد المجتمع .
 - هـ - اتخاذ الخليلات .
 - و - ظهور المترجلات ، وكثرة الرجال المتخفين وكلها بوادر تؤذن بسقوط مجتمعات الغرب وأقول حشاراتها مهما وصلت بها الحضارة ومهما قطعت من أشواط في التقدم .

العودة لمجتمع الإسلام

وحين نعود لمجتمع الإسلام نجد أنه في الصدر الأول فتح جل الكرة الأرضية .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (كتاب النكاح - باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم) ج ٩

ومنسوة الإسلام المحجبات أدين دورا بارزا في هذا التقدم ، فأنجبن البنات الفضليات والأبناء الأقوياء ، وكن خلف صفوف الفاتحين ومع المجاهدين معانوات ، ومعالجات وللقرآن والسنة قارئات ، ومعلمات ولم يضعهن الحجاب كما لم يضعهن الحيساء أن يتفقهن في الدين .

— أما من يوم أن شجعهن قاسم أمين وكل الشياطين على التجرد — من الحياء ، فكشفن الأذرع والسيقان ، وشققن الجيوب ، وطلعن الأظافر والخدود فكانت النتيجة ما نرى جميعا من شابات وشبان لا يعرفن فضيلة لأنفسهم ولا حرمة لمجتمعهم ولا حقوقا لآبائهم وأجديت الأمة الإسلامية من أن تنتج كثرة من الرجال الصالحين فضاعت بلاد الإسلام واحتلت دياره ، على مرأى وسمع ونحن في انتظار العودة ليس للحجاب فقط بل للدين كله وإن كان حجاب المرأة من أهم أجزاء هذا الدين فهو صورة تنبى عن مخبر سليم ، وعن مجتمع مستقيم .

ولتجرو من كتبوا عن السفور وطعنوا في الحجاب ملأ ت نفسى كلمة الشيسخ محمد المجذوب وهى قوله : أما مسألة السفور والحجاب ، على كثرة من كتب وما كتب فيها فمن المؤسف أن يترك أمرها لمثل هذه الفوضى يقول فيها كل بما يشاء وتعدنا أنها جزء من القضية الكبرى قضية موقفنا من الإسلام شعوبا ودولا أتخضع حياتنا لأحكامه ، فنستشير في كل مانأخذ وماندع أم ننسلخ منه فنسلم قيادنا إلى أهواء لن تراعى في هذه الأمة الا ولا ذمة ؟ (١)

غزى الصحابة والسلف الصالح

تدرب هذا الفكر إلى الأمة الإسلامية تلكم الأمة التى كان رجالها يعرفون للصحابة قدرهم ، وللسلف الصالح مكانته ، فانقلب حالها في الآونة الأخيرة وصار ما يسميه الناس بكبار رجال الصحافة يكتبون عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقلين مادسه أعداء الإسلام في كتب التاريخ في الوقت الذى يتعمدون فيه تسرك الأحاديث بل والروايات التى تشهد بما لصحابة رسول الله " صلى الله عليه وسلم " من فضل والتى منها ما أخرجه الشيخان ، وأصحاب السنن عن أبى سعيد الخدرى " رضى الله عنه " قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " لاتسبوا أصحابي فليسو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " . (٢)

(١) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام — ٢٥٩ .

(٢) البخارى بشرح القسطلانى ج ٢ ص ١٩١ (كتاب بدء الخلق — باب فضائل أصحاب

النبى صلى الله عليه وسلم) .

وما أخرجه الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه " قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فحببى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه " (١) .

والأدهى والأمر من كتابه ما يسموهم برجال الصحافة الكبار أن تدرس كتب التاريخ الإسلامى للناشئة وهى مملوءة بهذه الأكاذيب حول صحابة رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وقد تسرب كل ذلك فى غفلة من علمائنا وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يدرس بالنسبة لقضية التحكيم بين على ومعاوية ، وما يقال عن عمرو بن العاص وما يوصف به من مكر ودهاء وخداع وما يحكى عن أبى موسى الأشعرى من البله وعدم الحنكة وما إلى ذلك ما دسه خصوم الإسلام على الصحابين الجليلين من الأباطيل ، ومن يرد معرفة أمر التحكيم وراء كلا الحكيمين من الأوصاف التى أطلقها الأعداء عليهم فليعد إلى كتاب : (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) (٢) ففيه بيان بالحقيقة حيث كذب ما قيل عن اتفاق كل من عمرو بن العاص وأبى موسى على خلع صاحبه فقال إن معاوية لم يكن خليفة حتى ينادى أبو موسى بخلمه ، وبين أن كل ماجرى هو اتفاق الرجلين على جعل الأمر فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، واتفاق الحكيمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة .

أما عمرو بن العاص فكثير من الروايات الصحيحة تصفه على حقيقته فى التقوى والورع فلا ينهى أن يوصف بالمكر ، أو الخيانة وأبو موسى الأشعرى قد أرسله النبى " عليه الصلاة والسلام " إلى اليمن مع معاذ بن جبل وكان واليا لأبى بكر ومعاذ الله أن يرسل رسول الله من يوصف بالبله لدعوة أهل اليمن للإيمان أو أن يولى أبو بكر من كانت هذه صفته وهذا يظهر لنا أن أعداء الإسلام قد دسوا هذه الفتريات نفسى الماضى ثم سربوها إلينا حتى صار الحال كما نرى .

(١) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (الجامع الصحيح وهو : سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سوره ٢٠٩ - ٢١٢) تحقيقى إبراهيم عطوة عوض ج ٥ ص ٦٦٦ (كتاب المناقب باب (ماجاء فى فضل من رأى النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه) ط (٢) مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م) .

(٢) د / إبراهيم شعوط من ص ١١٤ - ١١٩ ط (٣) مطبعة دار التأليف بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

ولما كان هذا نموذج لكتب تاريخية تدرس في بلاد الإسلام فيها من أمثال هذه الطعون ، فإن الشيخ محمد المجذوب ينه إلى ما يدرس بعيدا عن أعين المسلمين في بلاد كانت للإسلام فيها دولة وصوله فيقول :

تلقيت رسالة من أحد الطلاب العرب في إسبانيا وكان ما حملته تلك الرسالة إشارة إلى كتب تدرس للطلاب الأسيان ، وهي مشحونة بالطمعن على الإسلام والإفستراء على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ما لا يتعذر إبطاله على أي مسلم ذي ثقافة متوسطة ، ومع ذلك فإن تلك الأباطيل تحض في طريقها إلى عقول الأجيال الأسبانية فتملأها حقدا وبغضا للإسلام وأهله . (١)

ولانجد هذه المفتريات من يرد عليها ولو أحسن الأسبان باهتمام أي سـمـسـثول من العرب والمسلمين ، أو تحرك السفارات العربية الإسلامية لقاموا بتصحيح الوضع ولكن بالطبع هذا شيء لا يهتم الدبلوماسية الإسلامية الآن .

نموذج لطمعن السلف

دأب تلاميذ التبشير على همز ولمز كل ما هو يمت إلى الإسلام بحلة حتى لفظة " السلفيين " جعلوها تتردد في السنة العامة على غير معناها المستقيم ولذا ينبغي أن الأستاذ / محمود محمد شاكر إلى ما فعله صبيان المبشرين بهذه الكلمة الشريفة بقوله :

فن معسكر الصراع بين الحضارة الغازية ، وبين الحضارة الإسلامية أوبقاياها يوشد ، ظهرت كلمة " السلفيين " مقرونة بتبغيضها إلى العامة وتصويرها في صور مفكرة تكرهها النفوس لأنها تشق عليها ، ثم بدأت الكلمة تدخل في محيط الصراع الاجتماعي فن أول ما أذكر من ذلك أن المؤلف الكره المسمى " سلامة موسى " صنيعه التبشير " ويلكس " كان أكثر الناس استعمالا للفظ " السلفيين " للدلالة على التأخر والتشدد والتخلف .

وردد هذا اللفظ تلميذ سلامة موسى ، المسمى " لويس عوض " وشيعته من صبيان المبشرين واستخدم اللفظ في مقالات ظهرت بارزة عام ١٩٢٢ م . (٢)

وحور اللفظ بالكامل فأطلقوا على الالة الطاهرة لفظ " الرجعيين " كما قيل :

فبعد قليل رأينا لفظ " الرجعيين " يحل محل السلفيين فجأة ، وهو لفظ سهسل على لسان العامة وغير العامة وإذا بنا نراه مستعملا على السنة ضرب من الكسآب

(١) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام ص ١٥٢ بتصرف .

(٢) أباطيل وأسار ج ١ ص ٢٥١ - ٥٠٦ ، ٥٠٧ بتصرف .

أمثال المؤلف الغبى " سلامة موسى " من صبيان " التبشير " وسفهاة الذين يسافهون
 عنه وعلى السنة اصحاب الصحف من نصارى لبنان المقيمين فى مصر ، والمستولين على
 صحافتها كلها يؤمنون ثم لم نلبث إلا قليلا حتى رأينا هذا اللفظ ينتقل للدلالة على
 الحياة الإسلامية كلها ^(١) . فكل من أنكر الحضارة الغربية الوثنية ، أو غاب عليها
 وظلمها وخداعها . . بل من أنكر على المعتدين على الإسلام بالفعل أو بالقول ينهز
 من خدم الفكر الغربى بأنه " رجعى " أو متخلف . فكل من يسير على نهج السلف
 الصالح يوصف عندهم بهذا الوصف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تسرب فكرة فصل الدين عن الدولة

الدين نظام إلهى يحدد للإنسان معالم السلوك فى الحياة تلزم الحياة الدنيا
 التى تعتبر معبرة إلى حياة لا تنتهى والدين بهذا المفهوم لاغنى للمرء عنه ، (وكذلك
 أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي
 به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) . ^(٢)

والدين إذن حقيقة تستقر فى باطن الإنسان تملأ قلبه بالنور والعرفان فتلزمه
 السلوك العادل والأخلاق الكريمة ويؤثر الدين على الحياة من كافة نواحيها الاجتماعية
 والسياسية والاقتصادية وبالتالى الحياة المستقيمة فى كافة هذه النواحي لا يمكن أن نستغنى
 عن الدين .

وكانت فكرة فصل الدين عن الحياة فكرة غربية ارتكزت على عبارة قالها المسيح
 لم يقصد بها هذا التوجيه وإنما تهرب من الإجابة عن السؤال الموجه إليه حتى لا يقول
 عليه الوثابة أمام الحاكم (فقال لهم أعطوا ما لقيصر لقيصروما لله لاه) ^(٣) . واتخذ
 الغرب هذه الكلمة ذريعة فى صراعه مع الكنيسة والكنيسة هناك بعيدة عن الدين وليست
 مرادفا له وإنما هى مؤسسة كبيرة وجهاز إدارى معقد وأموال كثير ونظام كهنوتى يقف
 فى مواجهة نظام الدولة وينازعه السلطان وقد أدى هذا النظام إلى انحسار الكنيسة
 وانتصار السلطة الزمنية على الدينية .

(١) المرجع السابق ص ٥٠٧ .

(٢) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٣) إنجيل متى (٢٢ : ٢١) .

من الناحية النظرية والعملية ، ومن وقتها وهناك فى المجتمع الغربى ثنائية دولة فى جانب وكنيسة فى الجانب الآخر ويرز مايسى بالعلمانية وفى تحديد معناها يقول الاستاذ / محمد البهى : إذ العلمانية تنسب على غير قياس إلى العالم أو العالمية Secularism. هى نظام من الهادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية هى اعتقاد بأن الدين والشئون الإكليريكية (اللاهوتية والكنسية) والرهبة لاينبغى أن تدخل فى أعمال الدولة . (١)

وللاستاذ / عبد الصبور شاهين رأى وجيه فى تحديد العلمانية حيث يقول : والمشكلة فى مصطلح (العلمانية) إن بعض المثقفين ينطقونه بكسر الميم ، وكأنهم ينسبون إلى (العلم) وهذا وهم لم يسلم منه حتى الأكابر ، وقد أوقعهم فى خطأ خطير حين ظنوا أن مايعنيه مصطلح (العلمانية) هو استخدام العلم فى صنع الحياة وإذن فالإسلام علمانى والعلمانية إسلام ولا فرق بينهما ولا نكير وهذا - فى رأينا - مسن أمدح الخلط وخطر مظاهر التزييف فى معانى المصطلحات ذلك أن (العلمانية) مصطلح لم يوجد إلا فى ظروف الصراع بين الكنيسة والدولة حول السلطة فرأى المفكرون آنذاك أن الحل يكمن فى إبعاد الكنيسة عن السلطة وأطلقوا على الوضع الناشئ عن هذا الإبعاد وصف العلمانية وكان ذلك فى المرحلة الأولى التى توصف بالاعتدال ، حسنى إذا جاء ماركس ومدرسته تطور مفهوم العلمانية عندهم إلى معنى القضاء على الديسبن تماما لتحقيق العلمانية الحققة ، وأطلق على هذه المرحلة مرحلة العلمانية المتطرفة .

فالعلمانية فى كل أحوالها مفهوم سياسى - لاحتضارى - يستهدف إما فصل الدين عن الحياة ، وإما القضاء التام عليه وكلا المفهومين مرفوض من وجهة نظرنا نحن المسلمين (٢) ، وساعد على سيطرة العلمانية فى الغرب موقف رجال الدين بهيئتهم على الدين ، وخلقهم من أنفسهم مصادر له حتى اعتقد المسيحيون بذلك يقول الشيخ محمد المجذوب : ومن العقائد الأساسية لدى كل مسيحى إن رجال الكنيسة هم المثلون لسلطة التشريع فى كل مايتصل بموضوع الدين وقد أدى ذلك مع الأيام إلى أن تصبح مقررات هؤلاء الرجال هى المصدر الرئيسى إذا لم نقل الوحيد للمسيحيين (٣) ورأى

(١) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق دكتور / محمد البهى ص ٤ بدون عدد للطبعة طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) أخبار السبت (العدد ٢١١٩ - السنة الواحدة والأربعون) ص ١٠ من مقال للدكتور

عبد الصبور شاهين بعنوان : (العلمانية هى العدو والمعاصر للإسلام) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

(٣) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام ص - ١٦٢ .

رجال السلطة الزمنية أن لحرية لهم ولانجاح لمعيهم في الحياة إلا بالفصل بين الدين والدولة ، واستقر الغرب على فكرة أن حرية العقيدة وحرية الكلمة لقيام لها ، إلا فسي ظل هذا الفصل وقد أقام الدين سلطتين منفصلتين إحداهما تحل وتربط في الأرض وفي السماء فيما هو من خاصة الدين ، والأخرى تحل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص الدنيا ^(١) ، وترتب على هذا الصراع أن صارت الأناجيل رموزاً معنوية تقرأ للشرك فقط وقلما نجد مسيحياً يعرف شيئاً عن مضمون العهد القديم ما دعى " بيارد دودج " الذي كان رئيساً للجامعة الأمريكية في بيروت في السابق أن يقول صراحة نحن المسيحيين مع إهمالنا سفر اللاويين ، وبعض النصوص الواردة في رسائل بولس تعنى عناية جديّة بالموعظة التي ألقاها المسيح على الجبل ، والقاعدة الذهبية وبعض النصوص الجبيلة التي تتعلق بالحياة الحديثة . ^(٢)

هذا مانتج عن رجال الدين في النصرانية ، ومواقفهم المترتبة حيال الدين فهل الأمة الإسلامية بحاجة إلى فصل الدين عن الحياة ، وهل علماء الإسلام على هذه الشاكلة ؟

الجواب على هذا السؤال :

إن تاريخ الأمة الإسلامية لا يعرف مثل هذا النوع من الصراع فليس للدين مؤسسات تشبه الكنائس لامن قريب ولامن بعيد وليس فيه سلطة كهنوتية ، " والسلطة الدينية في الإسلام مقرونة بالسلطة الدينية ملتزمة بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو الحاكم والخليفة لكل المسلمين " ^(٣) وهو متبع لا مبدع ومثلث مثل سائر المسلمين في فهمه لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يخطئ ويصيب ، ويرد عليه عند الخطأ فليس معصوماً وهو لا يزعم أنه يتلقى الوحي بل هو متبع لتعاليم الإسلام وينفذ لها وتعاليم الإسلام يتحرر الإنسان وتتطلق مواهبه ويشعر بكيانه ، فيها " حررت الروح من الهوى وأطلقت إرادة الإنسان من القيود التي طالما أبقتة موثقا إلى إرادة أنسائهم آخرين أو إلى إرادة قوى أخرى يدعونها خفية لقد هوى الكهان ، وحفظة الألفاس المقدسة الزائفون ، وساسة الخلاص ، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان والذين اعتقدوا بالتالي أن سلطتهم فوق إرادات الآخرين - نقول

(١) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص ٤٢ بدون عدد للطبعة مطبعة محمد على

صبيح وأولاده بصر ١٢٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

(٢) الإسلام في نظر الغرب بقلم فيليب متى وآخرون تعريب د / اسحاق موسى ص ٣٣

بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٩٥٣ م .

(٣) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص ٩ بتصرف .

لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم إن الإنسان أفس خادماً لله وحده ، ولم تعد تشده إلى الآخرين من الناس غير التزامات الإنسان الحر نحو الإنسان الحر . (١)

وكان من فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية أن جاء الدين الحق بمسألة لاتعارض فيه بين مطالب الدنيا والآخرة " من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " . (٢)

فجعل درجات الآخرة العليا لمن غلوا أجل الأعمال في الدنيا ولتأمل قول الله تعالى في وعظ " قارون " : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) . (٣)

فالدين عندنا يؤلف نظاماً عالياً دقيقاً يلزم النفس فهي أبداً في مراقبة واعية لكل حركاتها وسكناتها ، وفي شعور تام بالمسئولية أمام الله تعالى ، وبهذه المراقبة والشعور الواعي تتحول أعمال النفس جميعها إلى عبادة خالصة لله ، وتصبح الأرض على سمعتها مكان عبادة لله ويصير الإنسان عابداً لمولاه في سره ونجواه في السجدة نفس الحقل في المتجر في كل عمل يقوم ومن هنا ندرك أن الدين في الوسط الإسلامي لاغنى عنه للإنسان كالما والهباء .

نتائج فصل الدين عن الحياة

١ - تهرب الحاكم والمحكوم من المسألة والحساب في الدنيا فالدين من معانيه الحساب (مالك يوم الدين) أي يوم الحساب والناس في دولة الإسلام من رئيس الدولة إلى كناس الشوارع كل محاسب على ما كسبت يده في دنياه أولاً قبل المشول بين يدي الله " يوم لا ينفع مال ولا بنون " . الامن أتى الله بقلب سليم " (٤) فكل من ينسأدى بفصل الدين عن الحياة يريد أن يتهرب من المحاسبة في الدنيا ، وبذلك تعطى الحدود وتسقط ويثبت الحق للقانون الوضعي .

٢ - ظهور دعوات الإلحاد الجماعى التى تحمل فى طياتها السخرية الدين ورسالات السماء وترتب على ذلك :

٢ - تغيرات فى جو المجتمعات فى المنزل وفى المدرسة ، وفى الصنع ..

(١) دفاع عن الإسلام لورا فيشيا فاغليرى تمريب خير البعلبكي ص ٤٦ ٤٧ ط (٣) طبع دار

العلم للملايين بيروت ١٩٧٦م .

(٢) سورة النحل الآية

(٣) سورة القصص الآية ٧٦ .

(٤) سورة الشعراء الايتان ٨٨ ، ٨٩ .

ومن ثم تنشأ أجيال خاوية من القيم الدينية والروحية .

ب - أثر على أخلاق الناس وبالتالي على سير المجتمع وسمت الشكوى المجتمع
شكوى ما يلقاه المرء من أهله وأصدقائه ، وجيرانه ومن جمهرة المتصلين به في شئون
حياته شكوى من القدر ، والاستغلال في المعاملة ، والظلم شكوى من الأنانية والجفاء
في المعاشرة ، والخيانة وفقدان الخبرة والاعتداء على الحرمات ، والاستهانة والاستهتار
بالتقاليد الحسنة والمقدسات .

ج - ظهور الأعمال المستهجنة من الشباب * كظهور الخفافس والمهيبز ، ونسواذي
العراة ، وغير ذلك من الأفعال والأعمال التي لا تغرها الأذواق والفطر السليمة وسبب
ذلك وما ينتج عنه من انهيار المجتمع وعدم التشبع النفس ببهادى الدين ، وهنا تفلت
الفرائز والأهواء تهديم وتدمير دون حدود أو حدود .

وهذا ما يعاني منه الغرب الآن ويضع له الحلول ويعالجه بكل ما أوتي من قوة
العلم والتقدم في الحياة لكنه يرغم كل الحلول يقف عاجزا لأن الصلحة في نظر الإنسان
محدودة وعند من يعلمها ليس لها حدود .

وما نشكو منه نحن المسلمون تسرب هذا الفكر في حياتنا وسنادة حكام المسلمين
في الغالب بفكرة فصل الدين عن الحياة وتريد بها في أوساط التعليم وكأنها هي الحل
لمن نحن فيه من تأخر وتناسى الجميع أنه يوم أن كان الدين في حياتنا كالماء والهواء
كما سادة العالم ودانت لنا الأرض ، ويوم أن أهملنا الدين وجعلنا القرآن وراءنا
ظهريا كان التأخر والضعف أمام تقدم من حولنا فلا يأتى لنا التقدم إلا بالعودة إلى
الدين في أعمالنا لتفوز دنيا وأخرى ، عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديننا
وبمحمد رسولا . (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (كتاب الإيمان - باب ذاق طعم الإيمان من رضى
بالله ربا) ج ٢ ص ٢٠٠ .

الخاتمه

وقشتمل على مايلي :-

- أولا : مواجهة الفزو التبشيري .
- ثانيا : أهم نتائج البحث .

وتحتوي على أمرين :

أولا - مواجهة الغزو التبشيري :

ومواجهة الغزو التبشيري واجب على كل مسلم بقدر استطاعته ويحتاج إلى استخدام كل الطاقات في العالم الإسلامي سواء كانت طبيعية أو صناعية ، علمية ، فكرية ، حتى نحمل بلادنا من أخطار التبشير ، ونودي بعض الواجبات نحو ديننا ، وأرى أنه يمكن الحد من آثار التبشير أو وقف نشاطه بالآتي :

١ - الإشراف على المؤسسات التبشيرية القائمة ببلاد الإسلام :

وذلك بإخضاع هذه المؤسسات للرقابة الإسلامية الواعية وليس في هذا نوع من التدخل وإنما فيه وقاية وأمن للبلاد والعباد ، وفي البلاد الغربية يصنعون ذلك بالأقليات المسلمة فإن أقامت أقلية مسلمة مسجدا تكون ادارتها المسلمة خاضعة للإشراف الغربي . . . وهكذا

ولتكون المعاملة بالمثل ينبغي أن تكون مهمة الإشراف في أي بلد إسلامي مستعدة للمؤسسات الأخرى الغير اسلامية لتكون بأعين الدولة الإسلامية فلا يرتكب في بلاد الإسلام ما يرضاه أهلهم بحجة التطبيب أو التعليم أو النشاطات الرياضية والكشفية .

٢ - العناية بمراكز نشر الدعوة :

مراكز نشر الدعوة الاسلامية كثيرة ، وهي منارات تشع بالنور والهداية لكل الإنسانية وكانت في الماضي حافلة بالعلماء والفقهاء والمفسرين فخرجت دعاة فتحو قلوب العباد قبل فتح البلاد ، وهي في العصر الحاضر بحاجة إلى النهوض بها في كافة الوجوه لنعيـسـد لها سيرتها الأولى ، ومن هذه المنارات :

- جامع عمرو بن العاصي القائم بمدينة الفسطاط بمصر القديمة .
- جامع القيروان الذي أسسه عقبة بن نافع .
- جامع القرويين : نسبة إلى القيروانيين الذين رحلوا من الأندلس في عهد الحكم بن هشام .
- الجامع الأزهر الذي أسسه جوهر الصقلي القائد الفاطمي تنفيذا لتوجيهات الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وكان ذلك سنة ٣٥٩ هـ وأقيم هذا الجامع لنشر المذهب الشيعي

بمصر وسبقت إرادة الله فصار منارة للعلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعيدا عن الصراعات المذهبية .

- الجامع الأعظم في بغداد والذي تخرج منه العديد من العلماء في عهد الإمام أبي حنيفة النعمان " رحمه الله " .
- جامع الزيتونة " بتونس " .

هذا بخلاف المؤسسات الإسلامية كالمدرسة النظامية في بغداد والبصرة ودار العلوم في لكنؤ بالهند التي أقامتها ندوة العلماء سنة ١٣١٦هـ^(١) وكل هذه المنشآت الإسلامية بحاجة إلى عون إسلامي شامل ليفيغز نورها على العالم من جديد .

٣- إقامة مركز إسلامي جامع :

هذا المركز الإسلامي الجامع يقوم بالتنسيق بين جميع المراكز الإسلامية في العالم بشرط أن يكون هذا المركز مجهزا بجميع الوسائل العصرية لنشر التعاليم الإسلامية وأن يضم مفكرين وعلماء من مختلف البلدان الإسلامية وتتلخص الأعمال التي يقوم بها المركز في الآتية :

- أ- إصدار مجلات إسلامية عربية وترجمتها لجل اللغات ووظيفة هذه المجلات تعريف أجيال المسلمين بأمور دينهم ثم بروح العصر ومتطلباته .
- ب- ترجمة الكتب الإسلامية الأساسية إلى اللغات الأجنبية .
- ج- إعداد جيل إسلامي مثقف وعلى علم بدينه ولغته وبعض اللغات الأخرى ثم تدريبه على البحث حتى يتمكن من نشر الدعوة الإسلامية .
- د - تبادل زيارات علماء الإسلام ومفكره لتهيئة مناخ إسلامي علمي يساعد على تنشيط العقول الإسلامية .
- هـ - الإتصال بمن أسلم من المفكرين والعلماء والمثقفين في بلدان الغرب والشرق الملحد ومعرفة آرائهم في نشر رسالة الإسلام في هذه البلدان .
- و - تكوين لجنة في المركز وظيفتها بحث مشاكل المسلمين على الطبيعة ورعاية الأقليات الإسلامية في العالم وحل مشاكلها حتى لا تذوب في المجتمعات التي لا تدين بالإسلام .

(١) يراجع (التبشير والاستشراق خططا ومنهجًا وتطبيقًا) وأثر ذلك على الإسلام والمسلمين في الفرد والمجتمع وواجب الأمة نحو ذلك د / عبد الله عبد الحى ص - ٢٢٥ ، ٢٢٦ ط (١) طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

ولكى يؤدي هذا المركز دوره الإسلامى عالميا ينبغى إلزام الدول الإسلامية القسادة بإمداده بالمعونات المادية والمعنوية وتسهيل مهامه .^(١) ، وأفضل أن يكون مقر هذا المركز الأزهر الشريف وأن تكون لجنة خاصة تابعة لهذا المركز من جميع الدول الإسلامية على كافة المستويات ، مهمتها الإطلاع على أحوال الأقليات الإسلامية فى جميع الدول وعلاج مشاكلها من واقع اسلامى بعيدا عن الصراعات الدولية وذلك بالاتى :

أ- أن ترسل اللجنة بعثات دينية من الأزهر لدراسة أحوال الأقليات الإسلامية لدراسة مشاكلهم على الطبيعة .

ب- إمداد الأقليات المسلمة بما يلزمهم من مدرسى الدين واللغة العربية .

ج- أن يتبع اللجنة إذاعة إسلامية مستقلة توجه إلى العالم برامجها من واقع إسلامى وبالتالى يصل صوتها إلى الأقليات المسلمة فى العالم ، وينبغى أن لانستهين بالأمر فعدد المسلمين الموجودين بالخارج يزداد باستمرار نتيجة للهجرة وخاصة فى كل من أوروبا والأمريكيتين وأستراليا ، والأقليات المسلمة تعيش تحت ظروف بيئية مختلفة وتواجه أوضاعا دينية ، واجتماعية ، واقتصادية وسياسية وثقافية مختلفة ، والأقلية المسلمة القاطنة فى اطار الكتلة الشيوعية تعاني من الاضطهاد الالحادى فالدول الملحدة لاتعترف بالديين فيتعرض المسلمون هناك لإغلاق المساجد ، كما يتعرض النصارى أيضا لافلاق الكنائس .

ومثال لما يحدث من تحد سافر للمسلمين فى الدول الشيوعية مسلمو البلغار فجميعهم يعانون من العزلة والاضطهاد ويقاسون الأُمرين تحت وطأة الحكم الشيوعى^(٢) ، أما المسلمون فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية فمشاكلهم متعددة ومن هذه المشاكل مشكلة التعليم الدينى ويكفى إعطاء مثال لذلك يقول / محمد علوى عبد الهادى :

اتصلت شخصا بالمسلمين فى النمسا وعن طريقهم عرفت أحوال المسلمين فى ألمانيا وبعض الدول الأوربية ومشكلة المشاكل التى تواجه المسلمين هناك هى التعليم الدينى فالدولة تترك أمر تعليم الدين إلى الكنائس وعلى أولياء أمور التلاميذ أن يسجلوا أبناءهم لدى الكنيسة التى يتبعونها^(٣) وبالطبع أين الهيئة الإسلامية التى تتولى تعليم الديـ

(١) يراجع : الإسلام والعصر الحديث وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان ص ٧٤

٧٥ ط (١) مطابع المختار الإسلامى بالقاهرة ١٩٧٨ م .

(٢) يراجع : مجلة المسلم المعاصر (العدد ٣٠) ص ٤٤ من مقال للدكتور أبو بكر باقادر بعنوان

الأقليات المسلمة وحقوق الإنسان (إصدار مؤسسة المسلم المعاصر - بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

(٣) مجلة الأزهر (ج ٤ - السنة ٤٤) ص ٧٢ ٧٣ من مقال للأستاذ / محمد علوى عبد الهادى

بعنوان : (الإسلام والمسلمون فى أوروبا) المحرم ١٣٩٢ هـ ، فبراير ١٩٧٢ م .

لتلاميذ المسلمين بهذه البلاد ؟ •

٤ - مازالت البقية الباقية من المسلمين في بلاد الأندلس في حنين بالغ وشوق لكل ماهو

إسلامي :

والمطلوب من المسلمين في بلاد الإسلام أن يعملوا جهدهم على تنمية هذا الشعور ووصل حلقات الاتصال بإخوانهم في هذه البلاد التي مازالت آثار الإسلام بها واضحة ولغة القرآن لها معالمها التي لاتمحى ، ويكفى أن نعلم أن نصارى الأندلس ظلوا يستخدمون اللغة العربية في التخاطب ، وتحرير العقود حتى القرن الرابع عشر الميلادي يقول الدكتور / هشام أبوأرميلة :

بقيت اللغة العربية محتفظة بمكانتها الرفيعة عند النصارى كلغة للعلم والحضارة أكثر من مائتين وخمسين سنة بعد سقوط طليطلة بأيدي النصارى في سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م فقد استمر المعاهدون يستخدمون اللغة العربية في تحرير عقود الزواج والممتلكات وفسي غيرها من المصالح العامة حتى القرن ٨ هـ / ١٤ م ، ما أدى إلى دخول كثير من المفردات والمصطلحات العربية في اللغة الأسبانية الحديثة •

كما اضطر رجال الكنيسة - نظرا لانتشار اللغة العربية واستخدامها إلى تعريب مجامعهم القانونية وإلى قراءتها باللغة العربية في الكنائس الأسبانية^(١) ، فالعناية من قبل المسلمين في كل بقاع الأرض بهذه البلاد التي كان للإسلام بها دولة غزت أوربا كلها بالعلم والحضارة ستعيد عهد الإسلام من جديد في هذه البلاد المنتظرة لقدومة والراغبة في عودته •

٥ - دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام :

وهذه الدعوة من منطلق الأمر الإلهي (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة -
(٢) الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)
ومعنى دعوة النصارى للدخول في الإسلام بهذه الوسائل التي ذكرها القرآن الكريم •
- أن نبين لهم محاسن الإسلام من غير قسر أو إجبار ومحاسن الإسلام لاحصر لها -

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية (اصدار - الكويت) المجلد الثلاثون ج ٢ ص ٢ من مقال (الأسبان والحضارة الإسلامية) ذوالقعدة ١٤٠٦ - ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ - يوليو - ديسمبر ١٩٨٦ م •
(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ •

ويكفى أن الإنسان في الإسلام يتجه بعبادته إلى الواحد الأحد الفرد الصمد فهو وحده الذى يقبل صالح الأعمال ويشيب عليها ، وهو وحده غافر الذنب وقابل التوب بخلاف ما يجرى عند النصارى فالتائب عندهم لا تقبل توبته الا بفضح نفسه وتذلل لبشر مثله لكسى يغفر له ذنوبه .

— بيان أن رسالة عيسى عليه السلام دخلها الإصلاح فأفسدها فمن غير المعقول أن يصلح بشر رسالة مساوية لذا يقول أحد علماء البروتستانت : (اذا كان الدين المسيحى ليس شيئا سوى الكثرة المحتاجة إلى الإصلاح (المذهب الرومانى) أو الكثرة التى دخلها الإصلاح (المذهب البروتستانتى) .

فالقرن الموفى للعشرين (القرن الحاضر) لا يكون مسيحيا أبدا ومعنى هذا أن الدين المحتاج إلى الإصلاح هو دين ناقص ، والناقص لا يكون إلهيا ، وإذا الكثرة ليست بدين سماوى والدين الذى دخله الإصلاح بعيد عن العصمة لأن هذا الإصلاح بشرى والإنسان غير معصوم عن الزلل لذلك لابد من اهتمام ابن القرن العشرين بدين آخر .^(١)

٦ - توضيح النظرة اليهودية للمسيحيين حتى لا يخذع المسيحيون ويتعاونوا مع اليهود ضد المسلمين :

فقد نشرت " مجلة فرنسا القديمة " فى عام ١٨٨٠م أن اليهود يعملون منذ القرن الخامس عشر فى سبيل الفتح اليهودى ففى ١٣ كانون الثانى (يناير) سنة ١٤٨٩م كتب " شامور " ربانى يهود مدينة " ارل " بفرنسا إلى المجمع اليهودى العالمى القائم فى فلسطين يستشيرهم فى بعض حالات حرجة قال : إن فرنسا وى " اكس " و " ارل " ومرسيليا يتهددون معابدنا فماذا نعمل ؟ فورد الجواب الاتى :

أيها الإخوة الأعزاء بموسى ، تلقينا كتابكم وفيه تطلعوننا على ماتقاسونه من الهجوم والبلايا فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا وإليك رأى المرازية (الحكام) والرسانيين بمقتضى قولكم إن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى فاعتنقوه لأنه لايسعكم أن تقاوموا ، غير أنه يجب عليكم أن تبغوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم بمقتضى قولكم إنهم يأمرؤنكم بالتجرد عن أملاككم فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم بمقتضى قولكم إنهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء

(١) دعوة نصارى العرب إلى الدخول فى الإسلام بقلم خليل اسكندر قبرصى ص ١٤ (نشرت أولا فى صحيفة " الفتح " بدون عدد للطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٩هـ) .

وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم بمقتضى قولكم إنهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة واكيريكيين ليهدموا كنائسهم ، بمقتضى قولكم إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبه عدل وليتدخلوا دوماً فى مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولون على زمام السلطة العالية وبذلك يتسنى لكم الانتقام سبيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلمون بالاختيار أنكم من ذلكم وصنعتكم تتوصلون إلى ذروة القسوة والعظمة فى ٢١ كاسلو (٢) ١٤٨٩ التوقيع أمير اليهود (١)

فاليهود يعملون جهدهم لضرب النصارى وهم فى انتظار الفرصة التى تمكنهم من ذلك وقد قال أخيراً الكاتب الاسرائيلى مرخاى كرش فى صحيفة حبروت بتاريخ ٢٧/١١/١٩٦٤م ، مقالاً بعنوان " نحن والعالم المسيحى " إن لنا حساباً دموياً طويلاً مع العالم المسيحى . (٢)

ثانياً : أهم نتائج البحث :

١ - الرسالة التى جاء بها كل نبي من أنبياء بنى إسرائيل " عليهم الصلاة والسلام " خاصة بالاسرائيليين ومقصودهم عليهم .

٢ - اليهود يعتقدون بأن الشريعة ابتدأت بموسى " عليه السلام " وانتهت بـه فليس بعده نبي وما جاء قبله تمهيد له ، ويعتقدون أيضاً أنهم وحدهم جنس مختار وعلى هذا فرسالتهم ليست تبشيرية لكل الأمم ، لكنهم يحاولون زيادة عددهم عن طريق التبشير برسالتهم لزيادة الكم وليس عن اقتناع دينى كما يحاولون زيادة عددهم عن طريق الزواج من غير الاسرائيليات وحشد اليهود من مختلف البلدان فى فلسطين للغرض ذاته .

٣ - رسالة عيسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل بنص الأناجيل وقد بين المسيح " عليه السلام " لحسابيه ذلك .

٤ - لم يخرج الواريون على تعاليم المسيح إلى بعد مجمع أورشليم سنة ٥٠م وذلك بدعوة كل الأمم إلى المسيحية ما يدل على أن هذا أمراتفق عليه بعد رفع المسيح بما يقرب من ربع قرن من الزمان .

٥ - النصوص الإنجيلية التى يفهم منها التبشير لجميع الأمم مطعون فى صحتها .

- (١) مؤامرة اليهود على المسيحية " بحث فى حقيقة أهداف الحركة الصهيونية وما يغلى فيها من شهوة الانتقام من النصرانية " اميل الخورى حرب ص - ٤٠ - ٤٢ بدون عدد للطبعة - طبع دار العلم للملايين - بيروت ١٩٤٧م .
- (٢) الكنيسة ومزاعم اسرائيل السبعة للأبنا غريغوريوس ص - ٢٦ .

٦ - رسالة الإسلام التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة لكل الخلق ودعوة الناس اليها مسئولية المسلمين وخاصة علماء الدين إلى أن تقوم الساعة .

٧ - مفهوم التبشير النصراني قد تغير من الدعوة للدخول في النصرانية في الماضي إلى احتواء الإنسان ليكون في دائرة السياسة الاستعمارية الغربية ، وإخراج المسلم من دينة ليصير غير معروف الهوية في العصر الحاضر .

٨ - "بولس" صاحب فكرة التبشير برسالة المسيح لكل الأمم بعد أن كانت مقصورة على اليهود .

٩ - منذ اعتراف قسطنطين بالسيحية ضمن الديانات الموجودة في الدولة الرومانية والأقواج الداخلة في المسيحية لم تدخل عن اقتناع إلا مآندر فالدخول فيها يتم إمساك بعضا السلطان أو بالمعطاء المادى .

١٠ - قسطنطين مكن من وفد دعوة النصارى الموحدين ، وساعد أصحاب التثليث في نشر وثيتهم .

١١ - توجد صلة بين التبشير والحروب الصليبية ، فالحروب الصليبية نادى بها البابوات ، ونتج عنها تبشير منظم تقوم به هيئات ، وجماعات ، بعد أن كان يقوم به أفراد كما انشئت له مدارس ومعاهد وكراسى لدراسة اللغة العربية لتدريب القائمين به . (١)

١٢ - الحروب الصليبية ساعدت البشرين ، وأدت دورها بالنسبة للغرب فبالرغم من انتصار المسلمين وجلاء الصليبيين عن بيت المقدس إلا أن أنصار الصليب استفادوا الكثير من ورائها :

١ - شغلت مسلمى الشرق عن نجدة اخوانهم في بلاد الأندلس ما مكن الصليبيين من القضاء على المسلمين هناك .

ب - بالرغم من أن الحروب الصليبية كانت وسيلة هامة لنقل حضارة الإسلام إلى الغرب إلا أنها أوقفت انسياب المد الإسلامى إلى بلاد الغرب ، وذلك لأن أنصار الصليب اتخذوها دعاية لبث الكراهية في نفوس الغربيين فصاروا ينفرون من الإسلام وأتباعه .

ج - أفرزت الحروب الصليبية تبشيرا منظما يقوم على الخطط المدروسة وفي الوقت نفسه مدعوما بالاستعمار الغربى لتحقيق أهدافه .

(١) يراجع : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د / محمود حمدى زقزوق ص ٢٨
د (١) مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٤ هـ .

- ١٣ - أهداف التبشير مرتبطة بأهداف الاستعمار سواء كانت سياسية ، أو اقتصادية أو اجتماعية .
- ١٤ - حقق التبشير كثيرا من الأهداف الاستعمارية في بلاد الإسلام بدء من بث فكرة القوميات والقضاء على الخلافة الإسلامية إلى الاستيلاء على بيت المقدس واعطائه هدية لليهود .
- ١٥ - وسائل التبشير المستخدمة لتحقيق الأهداف متطورة ومتجددة بحيث تلائم كل عصر ، واستخدمت فيها الكتيبة والمدرسة والمستشفى ، ووسائل الإعلام ، وكل جديد .
- ١٦ - المؤتمرات التبشيرية وسيلة من وسائل نشر المسيحية وبواسطتها توضع الخطط لشل مراكز الإشعاع العلمى والحضارى فى أقطار الإسلام وفى أروقتها يتم التنسيق بين - السياسة الاستعمارية والسياسة التبشيرية ليقوم المبشرون بتنفيذ مايليه الاستعمار .
- ١٧ - المؤتمرات التبشيرية تؤدى أعمالا متعددة من تقريب بين الطوائف المسيحية ، ونشر للمسيحية ، وخدمة للسياسة الاستعمارية .
- ١٨ - لابد من ركائز يستند إليها المبشرون لتحقيق الأهداف ولاستخدام الوسائل اللازمة بدقة وفى مأمن .
- ١٩ - من أهم الركائز التبشيرية مراكز التبشير المقامة فى العالم الإسلامى والستى تخرج أفواج المبشرين .
- ٢٠ - المؤسسات التبشيرية المنشأة فى أرض الإسلام تكأه ينطلق منها المبشرون لتنفيذ مهامهم .
- ٢١ - الجماعات التبشيرية ركيزة هامة لنشر المسيحية فهى تتخذ مواقع لها فى البلاد ، ثم تقيم الكنائس ، وتبنى المدارس ، وتنشأ المطابع ومن خلال ذلك تقوم بالتبشير وأفرادها فى الغالب مدبرون على القيام بأعمالهم بهذه الجماعات فى الغالب يخالفون ظاهرها باطنها .
- ٢٢ - البابوية قامت بدور تبشيرى مكشوف ، وكما نفخت فى بوق الحروب الصليبية نادى بالحملات التبشيرية بل وأرسلتها إلى بلاد الإسلام .
- ٢٣ - البابوية حرضت ملوك النصارى للقضاء على المسلمين فى بلاد الأندلس وتقوم بدفع المبشرون لتنصير المسلمين .

- ٢٤ - البابوات يقومون بأنفسهم بالتبشير في قارتى آسيا وأفريقيا ، والتحركـات البابوية في السنوات الأخيرة تؤكد ذلك والجولات الأخيرة للبابا " يوحنا بولس الثانى " في بلاد المسلمين تبين مساندة البابوية للتبشير بكافة مظاهره .
- ٢٥ - التعاون المتبادل بين اليهود والمسيحيين قائم على حساب المسلمين .
- ٢٦ - مساندة الصهيونية للتبشير أمر محسوب من قبل الصهيونية التى تريد أن تنفرد بالمتنصر من المسلمين أو المسيحيين .
- ٢٧ - الصهيونية تنفذ مخططات إجرامية مع المسيحيين للقضاء على الأقليات الإسلامية كما يحدث في " الفلبين " .
- ٢٨ - العقول الصهيونية تحرك السياسة البابوية .
- ٢٩ - من آثار التبشير في العالم الإسلامى ظهور النزعات الجنسية التى فتت الأمة الإسلامية وولدت الكراهية والعداء بين صفوف أفرادها .
- ٣٠ - فكرة القوميات فكرة غريبة .
- ٣١ - الفكر التبشيري بث فكرة القومية في صفوف المسلمين وهذه القومية أجهزت على دولة الخلافة ، ونحت تركيا في الاتجاه العلماني وقسمت الأمة العربية إلى دويلات يسودها التمزق .
- ٣٢ - للتبشير آثار واضحة في كل قطر إسلامي يجد فيه مرتعا له من نشر النصرانية كما حدث في إندونيسيا حيث زادت نسبة النصارى فيه نتيجة التبشير زياد كبيرة فكانت ٢٨ ٪ من مجموع السكان ١٩٣٣م ، ثم وصلت ١٩٨٠م إلى ٧٦ ٪ من مجموع السكان (١) .
- ٣٣ - المبشرون وأعوانهم يحاولون العودة ببلاد الإسلام إلى آثار بالية ، لكسى تنسلخ كل بلد من مجدها الإسلامى فهم يقولون مصر فرعونية ، ولبنان فينيقية ، وسـلاد المغرب بربرية وهكذا .
- ٣٤ - الفكر التبشيري تسرب إلى الثقافة الإسلامية وظهرت آثاره في الدعوة والسـى العامة ، واتهام السلفيين بالرجعية ، ودعوة المرأة إلى السفور .

(١) يراجع : الحركة التبشيرية في إندونيسيا وموقف المسلمين منها رسالة مخطوطة موجودة بكلية الدعوة الإسلامية د . عبد الرحيم أرشد بن محمد أرشد ص ٥٨٣ ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

٣٥ - ظهرت آثار الفكر التبشيري في صور قفريية قلدها الكثير من المسلمين على أنها
مظهر حضارى بدء من التحية إلى اختيار الأسماء .

وبعد فإن قدر لهذا البحث المتواضع أن يمسو ليكون جهدا مخلصا يضاف
إلى جهود المخلصين من علماء الإسلام وأساتذتنا الكرام الذين سبقونا في كشف
أهداف الاستشراق والتبشير ، وخطورة فكرهما على العالم الإسلامى فهذا ما نرجوه من
الله العلى القدير وبالله التوفيق .

المراجع

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - آراء غربية في مسائل شرعية بدون عدد للطبعة
طبع في مطبعة المقيد بدمشق ١٩٢٥ م .
- ٣ - آسيا والسيطرة الغربية بدون عدد للطبعة
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- ٤ - آلهة في الأسواق (دراسة في النحل والأهواء
القديمة في الشرق) ط (١) الدار الإسلامية
للطباعة والنشر بالمنصورة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٥ - أباطيل وأسوار الطبعة الثانية مطبعة
المدني بالقاهرة ١٩٧٢ م .
- ٦ - أباطيل يجب أن تحي من التاريخ ط (٤) مطبعة
دار التأليف بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
- ٧ - إتحاف الملوك الأتلي بتقديم الجمعيات في أوروبا
بدون عدد للطبعة مطبعة بولاق بمصر ١٢٥٨ م .
- ٨ - أحقاد وأطماع التبشير في إفريقيا المسلمة ط (٢)
مطابع المختار الإسلامي ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
- ٩ - أخطار التبشير في ديار المسلمين بدون عدد
للطبعة - طبع دار الأنصار بالقاهرة ٥ رقم
الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠ / ٢٠٩٢ .
- ١٠ - أساليب الغزو النكري للعالم الإسلامي
ط ٢ طبع دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة
١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .
- ١١ - إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين
" سلسلة مجمع البحوث الإسلامية " طبع بالهيئة
العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٦٣ هـ = ١٩٧٣ م

تعريب / عمر فاخوري

ك.م.م. بانيكار ترجمة / عبد العزيز
توفيق جاويد مراجعة أحمد خاكي

للدكتور / رؤوف شلبي

محمود محمد شاكر

للدكتور / ابراهيم شعوط

ترجمة / خليفة بن محمود

عماد الدين خليل

محمد عبد الرحمن عوض

للدكتور / علي محمد جريشة
والدكتور / محمد شريف الزبيق

للدكتور / حسن ظا ظا

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ٤٢ - أضواء جديدة على الحروب الصليبية
بدون عدد للطبعة مطابع دار القلم بالقاهرة
١٩٦٤م.
- ١٣ - أضواء على تاريخ الكنيسة (سلسلة صوت
مجمع الله الخمسيني) صدر بشيرا مصر
بدون ذكر المطبعة وبدون تاريخ .
- ١٤ - إظهار الحق
المطبعة الخيرية بالقاهرة بدون تاريخ
- ١٥ - إفريقيا الشائرة
ط ١ مطابع دار الكشف - بيروت ١٩٦٠م.
- ١٦ - أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية
ط ٣ مطبع دار المجتمع للنشر والتوزيع بجسده
١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- ١٧ - أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين
بدون عدد للطبعة - مطابع دار الشعب
بالقاهرة ١٩٧٦م.
- ١٨ - أنت والكنيسة * سلسلة كتب شباب تحت
العشرين - ١٠ * ط ١ مطبع مطبعة دار
الطباعة القومية بالفجالة بالقاهرة ١٩٧٦م.
- ١٩ - أوروبا العصور الوسطى " التاريخ السياسي "
ط ٨ مطبع دار الطباعة الحديثة بالقاهرة
١٩٨١م.
- ٢٠ - أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين
(١٧٨٩ - ١٩٥٠م) نشر مؤسسة سيجل
العرب بالقاهرة ١٩٦٥م.
- للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
- صموئيل مشرقسى
- رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي
- البيير تيفود جرى
- تعريب / نجدة هاجر / وسعيد العز
- للدكتور / عبد الودود شلبي
- ابراهيم محمد حسن الجبل
- للقيس / منيم عبد النور
- للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
- هارولد تميرلي ١٠ ج جرانت
- ترجمة / محمد علي أبودرة وغيره

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
الأبنا يوانس أسقف القريية	٢١ - إيماننا الاقدس * سلسلة محاضرات الصوم الاربعين - ٢ * بدون عدد للطبعة - طبع دار العالم العربي بالقاهرة ١٩٧٩ م.
للدكتور / زاهر رياض	٢٢ - استعمار افريقيا بدون عدد للطبعة - طبعة دار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م
محمد كمال حسين	٢٣ - انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم . ط ١ طبع دار التراث العربي بالقاهرة ١٩٧٦
تعريب / جماعة من الأساتذة الجامعيين	٢٤ - الإتجاهات الحديثة في الإسلام ط ١ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت لبنان بدون تاريخ .
للدكتور / محمد البهي	٢٥ - الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام ط ١ طبع دار التضامن للطباعة بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
سيد علي الحريري	٢٦ - الأخبار السنية في الحروب الصليبية . ط ١ بالمطبعة القوية بصر ١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م.
الأستاذ / ابراهيم خليل أحمد	٢٧ - الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية . بدون عدد للطبعة مكتبة الوعي العربي بالفجالة بالقاهرة ١٩٧٢ م.
للدكتور / محمود حمدى زقزوق	٢٨ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ط ١ مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٤ هـ .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ٢٩ - الإستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب
١٠ رمضان • بدون عدد للطبعة مطبوعة
دار التأليف بمصر ١٩٢٤م.
- ٣٠ - الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية
" دراسة حول كتاب النكير على منكرى النعمة
من الدين والخلافة والنعمة " • ط ١ طبع دار
الدعوة بالإسكندرية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.
- ٣١ - الأسفار القدسة في الأديان السابقة
للإسلام • ط ٢ مطبعة دار العالم العربي
بالقاهرة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م.
- ٣٢ - الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم •
ط ٢ مطبعة نهضة مصر بالجالة بالقاهرة
١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م.
- ٣٣ - الإسلام في إفريقيا الوسطى •
ط ١ طبع دار الاتحاد العربي للطباعة بالقاهرة
١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م.
- ٣٤ - الإسلام في العالم الحديث " المسلمون في
آسيا " • ط ٢ - طبع بيروت لبنان ١٩٥٣م.
- ٣٥ - الإسلام في نظر الغرب •
بدون عدد للطبعة - طبع بيروت ١٩٥٣م.
- ٣٦ - الإسلام في وجه التغريب " مخططات الاستشراق
والتبشير " • بدون عدد للطبعة وبدون ذكر
السنه • مطابع الناشر العربي بالقاهرة •
- ٣٧ - الإسلام والتحرر الإفريقي " العدد ٢٧ السنة
الثالثة " اصدار المجلس الأعلى للشئون -
الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م.
- للدكتور / عبد العزيز عزت
- لشيخ الإسلام / مصطفى حبري
تقديم الدكتور / مصطفى حلمي
- للدكتور / علي عبد الواحد وافي
- الأستاذ / حامد عبد القادر
- أبراهيم النعمة
- جنرال بوهر أندري
تعريب / لويس الحاج
- فيليب متى وآخرون
تعريب الدكتور / إسحاق موسى
- أنور الجندی
- عبد السلام شحاته

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
للدكتور / محمد محمد حسين	٣٨ - الإسلام والحضارة الغربية ط ٢ طبع بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.
وحيد الدين خان ترجمة / ظفر الاسلام خان	٣٩ - الإسلام والخلافة في العصر الحديث " نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم " ط ٢ دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٢ هـ = ١٩٨٢ م.
وحيد الدين خان ترجمة / ظفر الاسلام خان	٤٠ - الإسلام والعصر الحديث ط ١ مطابع المختار الإسلامي بالقاهرة ١٩٧٨ م.
للدكتور / ابراهيم على طرخان	٤١ - الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا " مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة " . المجلد السابع والعشرون بدون عدد للطبعة - مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩ م.
للدكتور / عبد الرحمن زكي	٤٢ - الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا بدون عدد للطبعة - مطبعة منبر الشرق بالقاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٧٧ م.
للدكتور / عبد الرحمن زكي	٤٣ - الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا بدون عدد للطبعة - مطبعة يوسف بالقاهرة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٧ م.
للشيخ / محمد عبده	٤٤ - الإسلام والنصرانية بدون عدد للطبعة - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.
للإمام القرطبي تحقيق الدكتور / أحمد حجازي السقا	٤٥ - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وأظهار محاسن دين الإسلام ولإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام مطابع دار التراث العربى بالقاهرة بدون تاريخ

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٤٦ - الأعلام " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء

من العرب والمستغربين والمستشرقين " .

ط ٦ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤ م .

٤٧ - الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية

مع دراسة في مدينة الله .

بدون عدد للطبعة - طبع دار المعارف

بمصر ١٩٧٢ م .

٤٨ - البخاري بهامشه حاشية السندی بتسامها .

وتقريبات من شرحي القسطلاني وشيخ الإسلام

رحمهم الله . ط ١ طبع بالطبعة العامة

المليجية بمصر ١٣٣٢ هـ .

٤٩ - التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي

الأوربي في عصر النهضة . بدون عدد للطبعة

طبع المؤسسة التجارية للطباعة بيروت ١٩٦٩ م .

٥٠ - التبشير في منطقة الخليج العربي " دراسة

في التاريخ الاجتماعي والسياسي " . ط ١

شركة كاظمة للنشر والترجمة بالكويت ١٩٨٢ م .

٥١ - التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبي

محمد صلى الله عليه وسلم " سلسلة مجسم - ح

البحوث الإسلامية " . طبع الهيئة العامة

لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٧ م

٥٢ - التبشير والاستشراق خطا ومنهجيا وتطبيقيا

وأثر ذلك على الإسلام والمسلمين في الفرد .

والمجتمع وواجب الأمة نحو ذلك . ط ١ طبع

دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤٠٥ هـ =

١٩٨٥ م .

خيرى الدين الزركلى

للدكتور / اسحق عبيد

والدكتور / جورج شحاته قنواتى

السندى وهو : أبو الحسن بن عبد الهادى

السندى توفي ١٣٦ هـ .

القسطلانى وهو : أحمد بن محمد بن أبى بكر

بن عبد الملك " ٨٥١ - ٩٢٣ هـ " .

للدكتور / جمال الدين الشيال

للدكتور / عبد المالك خلف التميمي

المستشار / محمد عزت اسماعيل الطباطبائي

للدكتور / عبد الله عبد الحى

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٥٣ - التبشير والاستعمار

ط ٤ مطبعة بيروت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م .

٥٤ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح

المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٣ هـ .

٥٥ - التقرير السنوي لجمعية التبشير الإسلامية

لجميع بلاد ملايو عن السنة المنتهية في يوليو

١٩٣٦ م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

بالقاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

٥٦ - التلويح تاريخه وتعاليمه .

ط ٢ دار التفاهل للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ١٩٧٢ م .

٥٧ - التنبيه والأشراف

طبع مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٦٢ م .

٥٨ - الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها بدون

عدد للطبعة - مطبعة الأمانة بالقاهرة بمصر

بدون تاريخ .

٥٩ - الحركة التبشيرية في إندونيسيا وموقف المسلمين

منها رسالة مخطوطة موجودة بكلية الدعوة

الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٦٠ - الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد

العربي في العصور الوسطى . ط ٤ طبع دار

الطباعة الحديثة بالقاهرة ١٩٨٢ م .

٦١ - الحلل السندسية في الأخبار والآثار

الأندلسية . بدون عدد للطبعة طبع بيروت

١٣٥٥ هـ

للدكتور / مصطفى الخالدي

والدكتور / عمر فروخ

" للحسين بن مبارك الزبيدي "

الإمام / أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف

الشرجي الزبيدي " فرغ من تجريد "

٨٨٩ هـ

ظفر الاسلام خان

لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي

المسعودي

رمزي تادرس

للدكتور / عبد الرحيم أرشد بن

محمد أرشد

للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور

للأمير / شبيب أرسلان

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٦٢ - الخطار اليهودي " يوتوكولات وحكماء صهيون " ط ٢ المركز الإسلامى للطباعة والنشر بالقاهرة
١٩٧٦ م .

٦٣ - الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة .
بدون عدد للطبعة طبع بمطبعة القبر المقدس
بالبطاريكية المختصة بدير الروم السامرة فى -
أورشليم ١٨٦٧ م .

٦٤ - الديانات فى إفريقيا السوداء " الألف كتاب
٥٢ " . مطابع دار الكتاب المصرى بالقاهرة
١٩٥٦ م .

٦٥ - الزندقة والشعبية وانتصار الإسلام والعروبة
عليها . بدون عدد للطبعة - المطبعة
الفنية الحديثة بالقاهرة ١٩٦٨ م .

٦٦ - " السنكسارى " الجامع لأخبار الأنبياء والرسل
والشهداء

٦٧ - السيرة النبوية لإبن هشام
شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٩١ هـ =
١٩٧١ م .

٦٨ - الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته " من مجموعة
الألف كتاب رقم ١١٦ " . بدون عدد للطبعة
مطبعة الرسالة بالقاهرة بدون تاريخ .

٦٩ - الشرق الأوسط " دراسة شاملة لبلدانه وأحواله
الإقتصادية والإستراتيجية " بدون عدد للطبعة
١٩٤٨ م .

٧٠ - الشرق الجديد . بدون عدد للطبعة مطابع
مطابع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٢ م .

محمد خليفة التونسي
ترجمة / عباس محمود العقاد

عن مختصر / " استفانوس فوميدا " .
المقتطف من تاريخ ميلانيوس " مطران
أثينا الكنائسى " .

هوبير ريشان
تعريب الدكتور / محمد عبد الله دراز
و / أحمد صادق حمدى

سيره مختار الليثى

لأبى محمد بن عبد الملك بن هشام
المعافى المتوفى سنة ٢١٣ هـ .
تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد .

كويلرينج
ترجمة الدكتور / عبد الرحمن محمد
أيسوب

البكباشى عبد الرحمن زكى

محمد حسين هيكل

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
الدكتور / سامي عزيز	٧١ - الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي بدون عدد للطبعة • دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
د. حلمي محمد القاعود	٧٢ - الصحافة المهاجرة " دراسة وتحليل " • بدون عدد للطبعة - دار العلوم للطباعة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م.
أبو الحسن علي الحسيني الندوي	٧٣ - الصراع بين الفكرة الإسلامية وبين الفكرة الغربية ٣٢ مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م.
علي إمام عطية	٧٤ - الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ط ١ مطابع الشعب بمصر ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م.
المحامى / سليمان حاتم	٧٥ - الصهيونية العالمية وخطرها الكبير على البشرية بدون عدد للطبعة دار اليتيمة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق سوريا بدون تاريخ •
عبد السميع الهرابي	٧٦ - الصهيونية بين الدين والسياسة • بدون عدد للطبعة - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.
محمود نعنعا	٧٧ - الصهيونية في الستينات • الفاتيكان واليهود " سلسلة من الشرق والغرب " • بدون عدد للطباعة - طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٤ م.
جون بيتي	٧٨ - الصهيونية لعبتها أمريكا • دار النشر للجامعيين بدون تاريخ •
الدكتور / محمود حسن صالح منسى	٧٩ - الصهيونية والاستعمار • بدون عدد للطبعة - مطبعة مخيم بمصر ١٣٩٢ = ١٩٧٢ م.

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٨٠ - العبر وديوان التبتدأ والخبر في أيام العرب
والهجم والبربر ومن غاصرهم من ذوى السلطان
الأكبر ويسمى كتاب " تاريخ بن خلدون "
طبعة بولاق بدون تاريخ .

عبد الرحمن بن خلدون المغربي

٨١ - العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية
الأولى ط ١ مطابع رويال بالإسكندرية ١٩٦٣م

للدكتور / جوزيف نسيم يوسف

٨٢ - العرب والصروب .

محمد عزة دروزة

بدون عدد للطبعة - طبع دار البقاع
العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ١٩٥٩

٨٣ - الصروب في ميزان القومية .

نقولا زيادة

بدون عدد للطبعة طبع دار العلم للملايين
بيروت - ١٩٥٠م .

٨٤ - الصروب والجمويات الحديثة .

محمد جميل بيهم

بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٧٦ هـ =
١٩٥٧م .

٨٥ - الحصور الوسطى الأوربية .

للدكتور / عبد التادر أحمد يوسف

بدون عدد للطبعة - طبع صيدا بيروت
١٩٦٧م .

٨٦ - العثمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق .

للدكتور / محمد البهي

بدون عدد للطبعة . طبع دار البقاع
المعدي بالقاهرة بدون تاريخ .

٨٧ - الفارة على العالم الإسلامي .

١ - ل - ١ - تأليفه لنفسها ونقلها إلى

ط ٤ الطبعة الثانية ومكتبتها بالقاهرة

العربية / محمد الدين الخطيب وساعد

الباقى .

١٩٦٨م .

اسم المؤلف :

محمد جلال كشك

للدكتور / عبد الحليم محمود

للامام أبي محمد علي بن أحمد بن
سعيد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ)
للمهرستاني هو ابن أبي التوح محمد
بن أبي القاسم أحمد الشهرستاني ،
(٥١٠ - ٥٤٨ هـ) .

أنور الجندي

عبد الله يوسف النحاس

الأب هنري بروا اليسوعي نقله عن
الفرنسية الأب ج . عتيق اليسوعي

موريس بكاي

بويد شيفر ترجمة الدكتور / جعفر
خصباك ، والدكتور / عدنان الحميرى
تقديم / محمد بديع ، مراجعة /
حسن على الذنون ، وأحمد رفعت
البدراوى .

اسم الكتاب :

٨٨ - الغزو الفكرى .

ط ٤ ، مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ١٣٦٥ هـ

= ١٦٧٥ م .

٨٩ - الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى .

ط ١ ، مطابع الشروق بالقاهرة - بيروت ١٣٩٩ هـ =

١٦٧٩ م .

٩٠ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل بهامشه

" الملل والنحل للمهرستاني " . بدون عدد

للطبعة - مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة

بدون تاريخ .

٩١ - الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعيه

الثقافية . بدون عدد للطبعة وذكر المطبعة

والتاريخ .

٩٢ - الفينيقيون وركائز الذهب واكتشاف أمريكا .

ط ٢ مطبعة جريدة البصير ١٩٥٠ م .

٩٣ - القديس " اغناطيوس دى لويولا " مؤسس الرهبانية

اليسوعية . بدون عدد للطبع - طبع دار المعارف

بمصر ١٩٦٥ م .

٩٤ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " دراسة

الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة " .

طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٩ م .

٩٥ - القومية عرضة تحليل .

بدون عدد للطبعة - مؤسسة فرانكلين للطباعة

والنشر بغداد - نيويورك ١٩٦٦ م .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ٩٦ - القومية معناها وتاريخها • بدون عدد للطبعة
مطبعة نهضة مصر بالقاهرة بدون تاريخ •
- ٩٧ - الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث •
ط ١ طبع بالمطبعة الكبرى بالأمرية ببولاق مصر
١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م •
- ٩٨ - الكتاب المقدس "العهد القديم والعهد الجديد"
بدون عدد للطبع دار حلمي للطباعة بالقاهرة
١٩٢٠ م •
- ٩٩ - الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - صدر عن مجمع
الكنايس في الشرق الأدنى - طبع بيروت ١٩٨٣ م
- ١٠٠ - الكنيسة المتغيرة •
ط ٢ مطبعة الحضارة العربية. بالفجالة بالقاهرة
١٩٧٣ م •
- ١٠١ - الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية
بدون عدد للطبعة - طبع دار الكاتب العربي
للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ •
- ١٠٢ - الكنيسة في مجتمع القرية بدون عدد للطبعة
طبع دار الطباعة - الفجالة بالقاهرة بدون تاريخ
- ١٠٣ - الكنيسة من البدن إلى القرن العشرين بدون عدد
للطبعة • المطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة
بدون تاريخ •
- ١٠٤ - الكنيسة ومزاعم إسرائيل السيئة
بدون عدد للطبعة • مطبعة دار العالم العربي
١٩٧٣ م •
- هانس كهن
ترجمة / أمين محمود الشريف
- ميخائيل شاروويم بك
- للدكتور / وليم إدي
- ١ • هـ برودنت
ترجمة / وليم ومبسه
- وليم سليمان
- أديب نجيب سلامة
- رولاند بيستون
- ترجمة / القس عبد النور ميخائيل
- الأنبا / غريغوريوس
- عالم الدراسات اللاهوتية العليا

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
سعيد جمعه	١٠٥ - الله أو الدمار . ط ٣ مطابع المختلر الاسلامي ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
للدكتور / محمد البهي	١٠٦ - البشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام مطبعة وزارة الأوقاف ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .
للدكتور / محمد رجب عبد الرحمن داود الشتيوي	١٠٧ - المجامع المسيحية وأثرها في مذاهب الكنيسة وعقائدها (رسالة دكتوراه) مخطوطة بكلية أصول الدين ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
للدكتور / عبد الحميد بخيت	١٠٨ - المجتمع العربي الإسلامي . ط ٢ مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٧ م .
محمد محمود الصواف	١٠٩ - المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام . ط ٣ دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .
للإمام / أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥ هـ .	١١٠ - المستدرک علی الصحیحین وبذیلہ التلخیص للحافظ الذهبي . طبع بيروت . بدون تاريخ
نجيب العقيشي	١١١ - المستشرقون . ط ٣ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .
جنرال " بوهر " جنرال داندري تعريب / لويس الحاج	١١٢ - المسلمون في آسيا . ط ١ طبع بيروت لبنان ١٩٥٣ م .
عبد القادر محمد سيلا	١١٣ - المسلمون في السنغال " معالم الحاضر وأفاق المستقبل " (كتاب الأمة - ١٢) ط ١ مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٦ هـ .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ١١٤ - المسلمون في الشرق الأقصى " الفلبين - " ط ١
 إندونيسيا - ماليزيا " • بدون عدد للطبعة
 طابع دار الوفاق للطباعة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م •
- ١١٥ - المسلمون في العالم أضواء على مشاكلهم •
 ط ١ مطبعة حسان بالقاهرة ١٤٠٠ هـ =
 ١٩٨٠ م •
- ١١٦ - المسلمون في جزر الفلبين - جهادهم ومطالبهم
 ط ١ دار الحماني للطباعة بالقاهرة
 ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م •
- ١١٧ - المسيحية : ط ٤ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة
 ١٩٧٣ م •
- ١١٨ - المسيحية " نشأتها وتطورها " •
 ط ٢ طابع دار المعارف بالقاهرة بدون تاريخ
- ١١٩ - المغرب الأقصى رحلة في منطقة الحماية
 الإسبانية • بدون عدد للطبعة - طابع دار
 المعارف بمصر •
- ١٢٠ - المغرب المسلم ضد اللادينية •
 بدون عدد للطبعة • مطبعة الجامعة بالدار
 البيضاء ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م •
- ١٢١ - المنجد في العلوم •
 ط ٨ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٦ م •
- ١٢٢ - المؤتمر الثامن عشر لمجمع البحوث الإسلامية
 ج ٢ طبع بالمهبة العامة لشئون المطابع الأميرية
 ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م •
- للمجموعة من الأساتذة ذوي الاختصاص
- للدكتور / محمد محمد زيتون
- للدكتور / عادل طه
- للدكتور / رؤوف شلبي
- للدكتور / أحمد شلبي
- شارل جينيير
 ترجمة الإمام / عبد الحليم محمود
- أمين الريحاني •
- إدريس الكنانسي

اسم المؤلف :اسم الكتاب :

أنور الجندى

١٢٣ - الموسوعة الإسلامية العربية (٣) الإسلام
والدعوات الهدامة • ط ١ طبع دار الكتاب
الليثاني بيروت ١٩٧٤ م.

للدكتور / محمد عبد الله دراز

١٢٤ - النبأ العظيم " نظرات جديدة فى القرآن " •
ط ٢ طبع دار القلم ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

بييدروندو

١٢٥ - النصارى فى الشرق " سلسلة الثقافة السياسية " •
ط ١ طبع مطابع الاتحاد بيروت ١٩٤٦ م.

محمد عزت اسماعيل الطهطاوى

١٢٦ - النصرانية والإسلام " عالمية الإسلام ودوائه
إلى قيام الساعة " • مطبعة التقدم بالقاهرة
١٩٧٧ م.

آلن مورهد

١٢٧ - النيل الأبيض •

ترجمة / محمد بدر الدين خليل

بدون عدد للطبعة - طبع دار المعارف بمصر
١٩٦٥ م.

نص الخطاب الذى ألقاه و. ه. ت
جايردينر / فى مؤتمر أدنبره ١٩١٠ م.
ترجمة / محمود الشاذلى •

١٢٨ - الوثيقة الإسلام الخطير

دار نافع للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٨٥ م.

محمد أبو الفتوح الخياط

١٢٩ - الوحدة الإفريقية •

" سلسلة إقرأ - ٢٧٥ " طبع دار المعارف
١٩٦٤ م.

للدكتور / أنور الجندى

١٣٠ - اليقظة الإسلامية فى مواجهة الإستعمار
(منذ ظهورها الى أوائل الحرب العالمية
الأولى) ط ١ دار العلوم للطباعة بالقاهرة
١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.

للدكتور / جمال حمدان

١٣١ - اليهود انثروبولوجيا • بدون عدد للطبعة
طبع دار الكتاب العربى بمصر ١٩٦٧ م.

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
صابر عبد الرحمن طعيمة	١٣٢ - اليهود بين الدين والتاريخ (دراسة الجوانب العقائدية والتاريخية عند بني اسرائيل) ط ١ شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ١٩٧٢ م
زكى شنودة	١٣٣ - اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ط ١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤ م
إعداد رزق جاد الله	١٣٤ - اليوبيل الذهبى لجمعية خلاص النفوس بدون عدد للطبعة مطبعة الخلاص ١٩٧٢ م
القمص / صموئيل تاومروس السريانى	١٣٥ - باباوات الكرسي الإسكندري ١٨٠٦ - ١٩٧١ مع موجز لمعاصريهم من أساقفة الأقاليم ط ١ مطبعة حجازى بالقاهرة ١٩٧٢ م
إعداد اللجنة الدولية ترجمة ومراجعة / عثمان نويه زميلاه	١٣٦ - تاريخ البشرية " المجلد السادس " الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م
للدكتور / حسن ابراهيم حسن	١٣٧ - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (العصر العباسى الثانى فى مصر والمنرب والأندلس) ط ٢ مطبعة المعرفة ميدان لايلوغلى بالقاهرة ١٩٨٢ م
زكى شنودة	١٣٨ - تاريخ الأقباط ط ١ مطبعة فايقه محفوظ للتدريب المهنى بحدائق القبه بالقاهرة ١٩٦٢ م
للدكتور / عبد الفتاح على شحاته	١٣٩ - تاريخ الأمة العربية " دراسات فى تاريخ الأميين ط ١ مطبعة زهران بالقاهرة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
جرجس سلامة	١٤٠ - تاريخ التعليم الأجنبي في القرنين التاسع عشر والعشرين • بدون عدد للطبعة - طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية بالقاهرة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م.
محمد عبد الله عنان	١٤١ - تاريخ الجسيمات السرية والحركات الهدامة ط ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.
تعريب / يوسف أسعد داغر • وفريد رمر داغر	١٤٢ - تاريخ الحضارات العام • ط ١ طبع بيروت بلبنان ١٩٦٩ م.
أندريه ايمار • السيده / جانين أوبوايه نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر وفريد رمر داغر •	١٤٣ - تاريخ الحضارات العام (روما ولإمبراطوريتها ط ١ بيروت دار الإرشاد للطباعة ١٩٦٤ م.
اعداد نخبة من العلماء	١٤٤ - تاريخ الحضارة المصرية * العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى * المجلد الثانى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر •
ستيفن رئيسمان ترجمة الدكتور / السيد الباز العرينى	١٤٥ - تاريخ الحروب الصليبية • ط ٢ مطبعة بيروت بلبنان ١٩٦٨ م.
للدكتور / نفوسه زكريا سعد	١٤٦ - تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها فى مصر ط ٢ مطابع دار الناشر بالإسكندرية ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
الفىكونت فيليب د طرازى	١٤٧ - تاريخ الصحافة • بدون عدد للطبعة - طبع المطبعة الأدبية بيروت ١٩١٣ م.
نشره بالإنجليزية السيرجون ١٠ • هامرتن المترجم بوزارة التربية والتعليم •	١٤٨ - تاريخ العالم • بدون تاريخ

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

للدكتور / ابراهيم أحمد العدوي

١٤٩ - تاريخ العالم الإسلامي عصر البناء والإنطلاق .
بدون ذكر لعدد الطبعة . مطبعة جامعة
القاهرة ١٩٨٣ م .

للدكتور / محمد قاسم
والدكتور / حسين حسني

١٥٠ - تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا منذ عهد الثورة
الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى .
بدون عدد للطبعة . مطبعة دار الكتب المصرية
بالقاهرة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .

يوسابيوس القيصري
ترجمة / القس مرقس داود

١٥١ - تاريخ الكنيسة .
بدون عدد للطبعة . مطبعة الوحدة بالقجالة
بالقاهرة ١٩٦٠ م .

نقاه عن الفرنسية الأب ج عقيسى
الميسوعى .

١٥٢ - تاريخ الكنيسة . " المجامع المسكونية الأولى
والغزوات الكبرى " .
بدون عدد للطبعة . مطابع دار المعارف بمصر
١٩٦٦ م .

القس / صموئيل مشرقى

١٥٣ - تاريخ الذهب الخمسينى في مصر .
بدون عدد للطبعة . مطبعة الأمانة بشبرا مصر
١٩٨٥ م .

للمطاران / يوسف الدبس

١٥٤ - تاريخ سوريا " المجلد الأول " . بدون عدد
للطبعة - المطبعة العمومية الكاثوليكية -
بيروت ١٨٩٣ م .

مترى بك قسيس

١٥٥ - تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك
بدون عدد للطبعة - مطبعة الأمانة بالقجالة
بالقاهرة ١٩٢٨ م .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

١٥٦ - تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية
في الأقطار العراقية إلى أياضنا .
بدون عدد للطبعة . مطبعة المنصور بغداد
١٩٤٨م .

رفائيل بابو اسحق

١٥٧ - تاريخ يوسفوس بن كرون اليهودى بدون عدد
للطبعة طبع في المطبعة العلمية ليوسف ابراهيم
صادر في بيروت بدون تاريخ .

الدكتور / محمد ضياء الدين الرئيس

١٥٨ - تبشير النهضة في العالم الإسلامى أو " الشرق
الأوسط في التاريخ الحديث " ط ١ طبع دار
الدعوة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٤٠١ هـ =
١٦٨١م .

اعداد المركز الأرثوذكسى للدراسات
المسيحية ص ١٤ حقائق القبة
القاهرة .

١٥٩ - تحقيق الكنيسة " سلسلة مقالات الشباب " ٦
بدون عدد للطبعة - دار يوسف كمال للطباعة
القاهرة ١٩٨٠م .

تأليف شاخت ، وبوزوروث .
ترجمة / حسين مؤنس ، وزميلاه .

١٦٠ - تراث الإسلام .

بدون عدد للطبعة . مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٩٣٦م .

ج كرامب ، اجاكوب ، ترجم باشراف
وزارة التعليم العالى ، راجع

١٦١ - تراث الشرق الوسطى .

مطبعة مخيم بالقاهرة ١٩٦٥م .

الترجمة / محمد بدران ، محمد مصطفى
زياده .

١٦٢ - تركيا الحديثة .

محمد عزة دروزه

بدون عدد للطبعة . مطبعة الكشاف بيروت

١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦م .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ١٦٣ - تطور المفهوم القومى عند العرب •
ط ١ طبع دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت
١٩٦١ م •
- ١٦٤ - تفسير القرآن العظيم •
نشر مكتبة كلية الدعوة الإسلامية بالأزهر ١٤٠٠ هـ
= ١٩٨٠ م •
- ١٦٥ - تفسير سفر أعمال الرسل • بدون عدد للطبعة
الطبعة المصرية بالقاهرة بدون تاريخ •
- ١٦٦ - تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال
وأريتريا ، وعدن ، والحبشة •
بدون عدد للطبع مطبعة الأزهر ١٣٧١ هـ =
١٩٥١ م •
- ١٦٧ - تقرير مجلس إدارة مدارس سندوس النيل " مرفوع
إلى سندوس النيل الإنجليس " فى دورية " ٨٧ "
المنعقدة بمدينة القاهرة فى ٢٦ / ٤ / ١٩٧٧ م •
مطبعة دار الجيل •
- ١٦٨ - جذور الصهيونية " السلسلة السياسية - ١٤ "
طبع وزارة الثقافة والإرشاد بغداد ١٩٦٦ م •
- ١٦٩ - جوانب من قضايا الأمة العربية " فى الإستعمار
والإستمرار والصهيونية " ط ١ طبع دار المعارف
بمصر ١٩٧٠ م •
- ١٧٠ - حاضرا الحبشة ومستقبلها •
بدون عدد للطبعة مطبعة مصر بالفجالة بدون
تاريخ •
- أئيس صايغ
- للإمام الجليل / الحافظ عماد الدين
ابو الفدا اسماعيل بن كثير القرشى
الدمشى المتوفى ٧٧٤ هـ •
- للدكتور / لورانس براون
ترجمة / حبيب سعيد
- الأستاذ / عبد الله المشد
والأستاذ / محمود خليفة
- الكاتب التركى - ضياء أوغور
ترجمة وتقديم / ابراهيم الداوقى
- للدكتور / حلمى على مرزوق
- رمزى تادرس

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

١٧١ - حاضر العالم الإسلامي •

لوتروب ستودارد الأمريكي تعليق
الأ مير شكيب أرسلان •

بدون عدد للطبعة - طبع دار الفكر العربي

بيروت • بدون تاريخ •

عماد شرف

١٧٢ - حقائق عن التبشير •

ط ١ مطبعة أطلس بالقاهرة ١٣٩٥ هـ •

أحمد عبد الوهاب

١٧٣ - حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر •

بدون عدد للطبعة • دار غريب للطباعة بالقاهرة

١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م •

برتراند رسل

١٧٤ - حكمة الغرب " سلسلة كتب ثقافية " إصدار

ترجمة / فؤاد زكريا

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

بالكويت - ٦٢ * ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م •

الأستاذ / محمد مصطفى زياده

١٧٥ - حملة لويس التاسع على مصر وهزيمة في المنصورة

ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

بالقاهرة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م •

مكس مشيل

١٧٦ - حياة المسيح •

ط ٤ دار يوسف كمال للطباعة - حدائق القبة

بالقاهرة ١٩٨٣ م •

أحمد الصباحي عبد الله

١٧٧ - حياة وأخلاق الأنبياء •

ط ١ طبع دار اقرأ بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ =

١٩٨٣ م •

أحمد محمد سالماني

١٧٨ - خفايا المبشرين في تنصير أبناء المسلمين •

بدون عدد للطبعة • طبع المطبعة السلفية

بالقاهرة ١٣٥٣ هـ •

بطرس البستاني

١٧٩ - دائرة المعارف •

طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ •

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

نقلها إلى العربية عباس محمود العقاد
وأخسرون .

أحمد عطية الله

محمد فريد وجدي

جوجنتر . إشراف وتقديم / حسن
جلال العروسي .

" نشر دار الثقافة المسيحية ص . ب
١٣٠٤ القاهرة " بدون ذكر للمؤلف

خليل اسكندر قبرصي .

لورا فيشيا فاغيليري

تصريب / منير الفلكي

للدكتور / عبد الودود شلبي

تحقيق / عبد السلام هارون

للإمام / أبي الفضل شهاب الدين

محمود الألوسي البغدادى (١٢١٧ -

١٢٧٠ هـ " .

١٨٠ - دائرة المعارف الإسلامية " المجلد الثالث "

العدد الثاني ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

١٨١ - دائرة المعارف الحديثة " موسوعة في العلوم ،

والآداب والفنون " . ط ٢ نشر مكتبة الانجلو

الصلبية ١٩٧٥ م .

١٨٢ - دائرة معارف القرن العشرين " الرابع عشر

المهجري " . ط ٣ دار المعرفة للطباعة والنشر

بيروت لبنان ١٩٧١ م .

١٨٣ - داخل إفريقيا " مؤسسة فرنكلين للطباعة

والنشر القاهرة ونيويورك " ١٩٥٧ م .

١٨٤ - دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر .

ط ١ طبع مطبعة دار نوبار بالقاهرة ١٩٨٥ م .

١٨٥ - دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإسلام

بدون عدد للطبعة - المطبعة السلفية بالقاهرة

١٣٤٩ هـ .

١٨٦ - دفاع عن الإسلام .

ط ٣ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٦ م .

١٨٧ - رسالة إلى البابا بولس السادس

بدون عدد للطبعة - طبع المطبعة الفنية بالقاهرة

١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م .

١٨٨ - رسالة في الرد على بن غرسية .

" نوادر المخطوطات ٣ " ط ١ مطبعة لجنسة

التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ =

١٩٥٣ م .

١٨٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

الثاني . ط ٢ طبع دار إدارة الطباعة المنيرية

بيروت بدون تاريخ .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

١٩٠ - سقوط الحضارة

ط ١ مطابع العلم للملايين بيروت ١٩٥٦ م .

١٩١ - سنن الترمذى

ط ٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر

١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

١٩٢ - سنن النسائي .

طبع بيروت - لبنان بدون تاريخ .

١٩٣ - شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة " عرض

ونقد " رسالة مخطوطة بكلية أصول الدين -

١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٩٤ - شرح البيجورى على الجوهره المسنى " تحفة

المريد على جوهرة التوحيد " . بدون عدد

للطبعة - مطبعة دارمطابع الشعب ١٣٨٦ هـ =

١٩٦٦ م .

١٩٥ - شمس العلوم ودواة كلام العرب من الكلام .

بدون عدد للطبعة - مطبعة بيروت .

١٩٦ - صبحى الأعشى للقلقشندي

١٩٧ - صحيح البخارى " كتاب الشعب " .

بدون عدد للطبعة . مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ

١٩٨ - صحيح مسلم بشرح النووى . بدون عدد للطبعة

المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩ هـ .

كولن ولسون

ترجمة / أنيس زكى حسن

لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سوره

" ٢٠٩ - ٢٩٧ هـ " .

تحقيق / ابراهيم عطوة عوض .

الحافظ جلال الدين السيوطى

وحاشية الإمام السندى

محمد زين العابدين محمد الطاشو

لشيخ الإسلام / ابراهيم البيجورى

للقاضى انشوان بيد سعيد الحميرى

اليمنى - تصحيح القاضى / عبد الله

بن عبد الكريم الجرافى اليمنى .

القلقشندي

لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن

ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى

" ١٩٤ - ٢٥٦ هـ " .

للإمام / بن الحسن بن مسلم بن الحجاج

بن مسلم النيسابورى " ٢٠٤ - ٢٦١ هـ " .

والنووى هو الإمام / محى الدين أبوزكريا

يحيى بن شرف - النووى " ٦٣٠ -

٦٧٦ هـ .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

- ١٩٩ - صفحات من تاريخ شرق إفريقيا •
بدون عدد للطبعة - طبع الدار القومية للطباعة
والنشر بالقاهرة ١٩٦١ م •
- ٢٠٠ - صراع عبر الزمان أو المسيحية معركة متواصلة •
مطبعة المنيل المسيحية بدون تاريخ
- ٢٠١ - نحن الإسلام
ط ٩ مطابع الإسلام بالقاهرة ١٩٧٧ م •
- ٢٠٢ - عشر سنوات مجيدة في تاريخ الكنيسة
بدون ذكر للطبعة والمطبعة ١٩٦٩ م •
- ٢٠٣ - عصر التومية (من مجموعة الألف كتاب - ٥٢٢)
بدون عدد للطبعة - مطبعة دار الحماسى
بالقاهرة ١٩٦٤ م •
- ٢٠٤ - عقائد المفكرين في القرن العشرين •
بدون عدد للطبعة • مطبعة الإستقلال الكبرى
بالقاهرة بدون تاريخ •
- ٢٠٥ - عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية
ط ١ مطبعة دار البيان بمصر " ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م •
- ٢٠٦ - علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية -
الأرثوذكسية " المجلد الأول " ط ٥ مطبعة
الأمانة بشبرا بالقاهرة ١٩٧٤ م •
- ٢٠٧ - غارة تبشيرية على إندونيسيا
ط ٤ مطابع الشروق بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م •
- ٢٠٨ - فتوح الشام وسهامه تحفة الناظرين فيمن ولى
مصر من الولاة والسلاطين للشيخ عبد الرحمن
الشرقاوى - بدون عدد للطبعة المطبعة الأزهرية
المصرية ١٣٠٢ هـ •
- رونالد ريث
- السيد / مايل وورثن
نقله إلى العربية القس / إيليا خورى
- الأستاذ / أحمد أمين
- الدكتور / حكيم أمين
والدكتور / يوسف منصور
- ترجمة / عبد الرحمن صدقي
ومراجعة / مصطفى حبيب
- عباس محمود العقاد
- حسنى يوسف الأظهير
- ميخائيل مينسا
- أبو هلال الإندونيسى
- للإمام الواقدي

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٢٠٩ - فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية
بدون عدد للطبعة - طبع دار الهنا للطباعة
بالقاهرة ١٩٧٨ م.

للدكتور / عز الدين فسراج

٢١٠ - فلسطين أرض الرسالات الإلهية
بدون عدد للطبعة • مطابع المختار الإسلامي
١٩٨٦ م.

المفكر الإسلامي / رجاء جارودي
ترجمة الدكتور / عبد الصبور شاهين

٢١١ - فلسفة الإشتراق وأثرها في الأدب المعاصر
بدون عدد للطبعة - مطابع دار المعارف
١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

للدكتور / أحمد سما يلو فتش

٢١٢ - قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبداً وأهله
بدون عدد للطبعة - المختار الإسلامي للطبع
والنشر بالقاهرة ١٩٧٤ م.

جلال العسالم

تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص
ومن اللاهوتيين •

٢١٣ - قاموس الكتاب المقدس
طبعة مطبعة بيروت ١٩٨١ م.

للشيخ / محمد الخزالي

٢١٤ - قد لفت الحق •
بدون عدد للطبعة - طبع بيروت ١٩٩٣ هـ

أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري
المعروف بالشعلبي المتوفى (٤٢٧ هـ) •

٢١٥ - قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالى •
طبع دار لحياء الكتب العربية بدون تاريخ

للدكتور / توفيق الداويل

٢١٦ - قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام
بدون عدد للطبعة مطبعة دار نشر الثقافة
بالإسكندرية ١٩٤٧ م.

لؤل ديورانت

٢١٧ - قصة الحضارة (المجلد الرابع) عصر الإيمان
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ م.

ترجمة / محمد بدران

اسم المؤلف :	اسم الكتاب :
سليمان مظهر	٢١٨ - قصة الديانات دار الوطن العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ
للدكتور / عبد اللطيف حمزة	٢١٩ - قصة الصحافة العربية (في مصر) منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين - بدون عدد للطبعة مطبعة دار المعارف ببخداد ١٩٦٢ م .
جون فوستر - نقله إلى العربية القس / منيس عبد النور .	٢٢٠ - قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ م حتى اليوم . صدر عن لجنة النشر المسيحي بالإشتراك مع المجمع المسيحي للشرق الأدنى ط ١ مطبعة النصر شبرا مصر ١٩٦١ م .
ابراهيم على طرخسان	٢٢١ - قيام إمبراطورية مالى الإسلامية دراسات في التاريخ القوس الإفريقي " مستخرج من جامعة القاهرة بالخرطوم " العدد الأول ١٩٧٠ م بدون عدد للطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٠ م .
المعارف بالله / عبد الغنى النابلسي الحنفي الدمشقي .	٢٢٢ - كتاب الحديقة القدية شرح الطريقة المحمدية بدون عدد للطبعة دار الطباعة العامرة ١٢٩٠ هـ .
تأليف نخبة من علماء اللاهوت	٢٢٣ - كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم . بدون عدد للطبعة . صدر عن مجمع الكنايس في الشرق الأدنى طبع بيروت ١٩٧٣ م .
للإمام / أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ) تحقيق / محمد عبد الله على الكبير وآخرون .	٢٢٤ - لسان العرب . طبع دار المعارف بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١

اسم المؤلف :اسم الكتاب :

عبد الدين خليل

٢٢٥ - مأساتنا في إفريقيا " الحصار القامى " ط ٢ طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

ساطع الحصرى

٢٢٦ - ماهى القومية ط ١ دار العلم للملايين - بيروت حزيران " يونيه " ١٩٥٩ م .

ابراهيم سليمان الحبشان

٢٢٧ - ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية .

سامى بولس

طبع بالرياض ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .
٢٢٨ - مجلس الكنائس العالمى وتدخله فى الكنيسة القبطية والسياسة الدولية . المطبعة المتحدة بالقاهرة ١٩٧٥ م .

للحافظ نور الدين على بن أبى بكر
الهيثمى المتوفى ٨٠٧ هـ بتحرير
الحافظين الجليلين العراقى وابن
حجر .

٢٢٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
نشر مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

الشيخ / محمد أبوزهره

٢٣٠ - محاضرات فى النصرانية
ط ٤ مطبعة أحمد على مخيمر ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .

أبو خلدون . ساطع الحصرى

٢٣١ - محاضرات فى نشوء التمكسرة القومية

محمد على قطب

٢٣٢ - مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس
بدون ذكر للطبعة - مكتبة القرآن للطبع والنشر
والتوزيع بالقاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م .

صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
البغدادي المتوفى ٧٣٩ هـ
تحقيق / على محمد البيجوى

٢٣٣ - مراد الإطلاح على أسماء الامكة والبقاع * وهو
مختصر معجم البلدان * ط ١ طبع دار إحياء
الكتب العربية ٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

محمد المجذوب

٢٣٤ - مشكلات الجيل فى غزو الإسلام .
ط ٣ طبع دار الإعتصام بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٩ م .

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٢٣٥ - معالم تاريخ الإنعانية .

ط ٣ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

١٩٧٢ م .

٢٣٦ - معجم البلدان .

طبع دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٢٣٧ - معاول الهدم والتدمير في النصرانية

والتبشير ط ٤ " طبع عالم الكتب " ومطلسب

بإشارة من الدار في الرياض على العنوان -

هاتف ٣٨٣ ٤٠٤٣ ص ب ٥ ٦٤٦٠ برقيا :

ربيع ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م .

٢٣٨ - معجم متن اللغة " موسوعة لغوية حديثة "

المجلد الأول حرف الهاء .

مطابع دار صادر ودار بيروت ١٣٧٧ هـ =

١٩٥٨ م .

٢٣٩ - مقارنات الأديان " الديانات القديمة "

بدون عدد للطبعة دار النصر للطباعة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

٢٤٠ - ملجأ اليتام الخيري بأسبوط تأسيس منظمة

١٩١٠ م تحت رقم ٥٢ ط ٤ مطبعة بخيت

ومكتبتها بأسبوط ١٩٦٠ م .

٢٤١ - مؤامرة اليهود على المسيحية " بحث في

حقيقة أهداف الحركة النصرانية وما يغفل فيها

من شهوة الإنتقام من النصرانية " بدون

عدد للطبعة . مطبع دار العلم للملايين بيروت

١٩٤٧ م .

هـ . جويلز

ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد

للشيخ الإمام / شهاب الدين أبي

عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي

البتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

ابراهيم سليمان الحبشان

للشيخ / أحمد رضا

للشيخ / محمد أبو زهسره

لليان تراشسر

إميل خوري حرب

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٢٤٢ - موجز تاريخ إفريقيا •

بدون عدد للطبعة • مطبعة كوستا تيراس •
وشركاء ١٩٦٥م • القاهرة •

٢٤٣ - موجز تاريخ نيجيريا •

طبع منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٥م •

٢٤٤ - موسوعة العصور الوسطى " العلاقات السياسية

والكنيسة بين الشرق الهيزنعلى والغرب اللاتيني

في العصور الوسطى " • ط ١ مطبعة دار

دمشق بدمشق ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م •

٢٤٥ - موسوعة تاريخ العالم •

بدون عدد للطبعة - مطابع الدار القومية

ببصر ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م •

٢٤٦ - نشأة الطوائف المسيحية •

بدون عدد للطبعة دار الجيل للطباعة النجاشي

بالقاهرة - بدون تاريخ •

٢٤٧ - نهاية الأندلس " وتاريخ العرب المنتصرين "

ط ٣ مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م •

٢٤٨ - وادي النطرون وروهبانه وأديرتيه ومختصر تاريخ

البطاركة - مذييل بكتاب تاريخ الأديرة البحرية

بدون عدد للطبعة - مطبعة العفوري بالإسكندرية

١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م •

٢٤٩ - وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية •

بدون عدد للطبعة • مطبع مؤسسة المؤسسات

الفلسطينية ببيروت لبنان بدون تاريخ •

رولاند أوليفر • وجون فيج

ترجمة الدكتورة / د. دلت أحمد صادق

مراجعة الدكتور / محمد السيد غلاب

آدم عبد الله الكسوري

للدكتور / عادل زيتسون

أصدرها وليام لانجر

أشرف على الترجمة / محمد مصطفى زياده

نقله إلى العربية المطران اسحق سعد

محمد عبد الله عثمان

الأمير / عمر طوسون

أكرم زعبيتر

اسم الكتاب :اسم المؤلف :

٢٥٠ - وثائق للتاريخ أو الكنيسة وقضايا الوطن

والدولة والشرق الأوسط " منشورات أسقفية

الدراسات العليا واللغة القبطية - ٦ "

مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة ١٩٢٥م .

٢٥١ - وجهة الإسلام " نظرة في الحركات الحديثة

في العالم الإسلامي .

ط ١ المطبعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ =

١٩٣٤م .

٢٥٢ - هل هو يوحنا المعمدان ؟

طبع القاهرة الحديثة للطباعة ١٩٧١م .

٢٥٣ - يقظة العالم الإسلامي .

بدون عدد للطبعة - مطبعة دار الحكمة بيروت

١٣٢٥ هـ = ١٩٥٦م .

٢٥٤ - يقظة القومية العربية .

المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون بالقاهرة .

بدون عدد للطبعة ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨م .

٢٥٥ - يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " بمسمن

الإسلام والنصرانية .

ط ١ مطبعة دار التراث العربي ١٣٩١ هـ =

١٩٧٨م .

" الدوريات "

٢٥٦ - أخبار اليوم العدد ٢٠١٢ " السنة الثالثة

والثلاثون " ٥ والعدد ٢١١١ " السنة الحادية

والأربعون " .

للأنبا / غريغوريوس

هـ - ١ - جب وأخران نقله عن

الإنجليزية / محمد عبد الهادي

أبوريدة .

عزت السعدني

ف . و فرضو ترجمة / بهيج شعبان

تعليق الشيخ / سليمان طاهر

للدكتور / نور الدين حاطوم

للدكتور / أحمد حجازي السقا

اسم المؤلف :

اسم الكتاب :

للدكتور / الطاهر أحمد مكي

٢٥٧ - الأهرام العدد ٣٦١٦٣ - ٥ والعدد ٣٦١٦٠

والعدد ٣٦١٦٠ - والعدد ٣٣٣٥٧٥

والعدد ٣٣٥٧٧

٢٥٨ - الأهرام الإقتصادي

أول مارس ١٩٦٥ م

٢٥٩ - المسلمون " العدد الثالث والستون - السنة

الثانية " ٥ والعدد " الحادي عشر - السنة

الأولى " .

٢٦٠ - جريدة المسلمون الدولية " السنة الأولى - العدد

الحادي عشر " .

٢٦١ - جريدة النور الإسماعيلي " السنة الرابعة -

العدد ١٨٣

٢٦٢ - مجلة الأزهر - " ج ٢ - السنة ٤٤ " وعدد

ج ٢ - السنة الحادية والأربعون

٢٦٣ - مجلة الأمة العدد " العشرون - السنة

الثانية " والعدد " ٥٤ - السنة الخامسة "

والعدد " ٤١ - السنة الرابعة " والعدد

" الثالث - السنة الأولى " والعدد " ٦٥ -

السنة السادسة " والعدد " السابع والستون

السنة السادسة " والعدد " الحادي والستون

- السنة السادسة " والعدد " الحادي

والأربعون - السنة الرابعة " والعدد " السادس

والخمسون - السنة الخامسة " .

اسم المؤلف :

اسم الكتاب :

- ٢٦٤ - مجلة السياسة الدولية " العدد - ٨٤ "
- إصدار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية
بالأهرام ١٩٨٦ م .
- ٢٦٥ - مجلة الرسالة الكسبية لخدمة الريف " العدد ٦٦ "
- مطبعة النصر بشبرا بالقاهرة ١٩٧٢ م .
- ٢٦٦ - مجلة العالم الأسبوعية " العدد ٢٤ " .
- ٢٦٧ - مجلة العرس " العدد - ١٣٨ " والعدد
٣٢٦ .
- ٢٦٨ - مجلة الهدى النبوى " إصدار جناح دعوة الحق
الإسلامية بالجيزة - القاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦
- ٢٦٩ - مجلة المختار الإسلامى " العدد ٢٩ - السنة
الخامسة " والعدد " ٣٢ - السنة السابعة
والعدد " ٣٢ - السنة السادسة " والعدد
٢٩ - السنة الخامسة " .
- ٢٧٠ - مجلة السلم المعاصر " العدد الثلاثسون "
- إصدار مؤسسة السلم المعاصر - بيروت ١٤٠٢ هـ
= ١٩٨٢ م .
- ٢٧١ - مجلة الرعى الإسلامى " العدد ٩٨ - السنة
التاسعة " والعدد " ١٨٠ - السنة ١٥ " .
- ٢٧٢ - مجلة عالم الفكر " المجلد الرابع عشر - العدد
الرابع " .
- ٢٧٣ - مجلة " رابطة الأقباط الأرثوذكس " العدد ١٦١
السنة ٤١ " .

اسم المؤلف :اسم الكتاب :

٢٢٤ - مجلة معهد المخطوطات العربية " المجلد
الثلاثون " اصدار الكويت ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

٢٢٥ - مجلة نوار الإسلام " العدد الثامن - السنة
الخامسة " .

والعدد " الرابع - السنة العاشرة " .

والعدد " السادس - السنة السادسة " .

والعدد " الرابع - السنة التاسعة " .

٢٢٦ - مجلة نور الإسلام " المجلد الرابع " ج ٣ من مقال

بقلم التحرير عنوانه حول حوادث التبشير .

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٣٥٢ هـ = ١٩٢٣ م .

فهرست الرسالة

١ - ن	المقدمة :
و	الدوافع لاختيار هذا الموضوع :
هـ	خطة البحث
	<u>تمهيد :</u> في الرسائل الثلاث من ناحية العموم أو الخصوص
٣١ - ١	وعلاقتها بالتبشير
	<u>أولا :</u> الرسالة اليهودية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها
٢	بالتبشير
٥	خصوصية رسالة موسى عليه الصلاة والسلام
٧	متى ظهر التبشير باليهودية ؟
٩	أ - فكرة التبشير اليهودي
١٠	ب - فكرة التبشير اليهودي بعد الشتات الروماني
١٢	التبشير باليهودية في العصر الحاضر
	<u>ثانيا :</u> الرسالة المسيحية من ناحية العموم أو الخصوص
١٥	وعلاقتها بالتبشير
١٥	دعوة المسيح عليه السلام مقصورة على اليهود بنص الأناجيل
١٨	التبشير بالمسيحية أقر اتفاق عليه بعد المسيح عليه السلام
٢٠	النصوص الإنجيلية التبشيرية في الميزان
٢٢	نشر المسيحية بعد " مجيء أورشليم "
٢٤	الأنا شئونة وعبرة " مرقس "
	<u>ثالثا :</u> الرسالة الخاتمة من ناحية العموم أو الخصوص
٢٦	وعلاقتها بالتبشير
٢٩	دور المسلمين في نشر الدعوة
١٨٧ - ٣٢	<u>الباب الأول :</u> التبشير وأهدافه
٣٣	<u>الفصل الأول :</u> التبشير وصلته بالحركة الصليبية
٣٤	المفهوم الإسلامي للتبشير

٣٧	المفهوم المسيحي للتبشير
٣٩	دائرة التبشير المسيحي
٤٢	نبذة عن "بولس"
٤٣	ثقافته
٤٣	دخول "بولس" في النصرانية
٤٤	"بولس" مبشر لليهود أولاً
٤٥	"بولس" وتغيير المسار التبشيري
٤٧	"بولس" نقض تعاليم المسيح عليه السلام
٤٩	"بولس" وتحريف المسيحية
٥١	مسار المسيحية بعد "بولس"
٥٢	مدرسة الاسكندرية والمسار المسيحي
٥٣	الأثر المباشر لهذه الفلسفات
٥٤	أهم فرق الطائفة الثانية
٥٥	أهم فرق الطائفة الأولى
٥٧	من هو قسطنطين ؟
٥٧	كيف اكتسبت المسيحية قوتها ؟
٦٠	اللقاء الأول بأرض الحبشة
٦١	الصلة بين الحروب الصليبية والتبشير
٦١	دوافع الحروب الصليبية
٦٢	البابا " اريان " والحركة الصليبية
٦٣	مجمع كليرمونت
٦٤	إعلان البابا الهام
٦٥	نتيجة بيان اريان
٦٧	الفترة الزمنية للحروب الصليبية
٦٧	الحروب الصليبية
٦٧	أ- الحروب الصليبية الأولى
٦٩	ب- الحروب الصليبية الثانية
٧٠	ج- الحروب الصليبية الثالثة
٧٠	د - الحرب الصليبية الرابعة

٧١ باقى الحملات الصليبية
٧٢ نتائج الحروب الصليبية
٧٦ خلاصة هذا الفصل
٧٨ الفصل الثانى : أهداف التبشير ووسائله
٧٩ أهداف التبشير
٧٩ القضاء على وحدة السلمين
٨٣ النعمة القومية فكرة غريبة
٨٤ " تركيا الفتاة "
٨٥ الاتحاد والترقى
٨٦ دعاة القومية فى القرن العشرين
٨٧ مصر والجمعيات السرية
٨٧ أ - الجمعية السرية للضباط
٨٧ ب - جمعية مصر الفتاة
٨٩ أثر المدارس الأجنبية فى صنع القومية
٩٠ ٢ - هدف سياسى (وهو خدمة السياسة الإستعمارية)
٩٢ ٣ - محاولة تشويه الإسلام
٩٣ " الطعن فى القرآن الكريم "
٩٥ افتراء حول النبى " صلى الله عليه وسلم "
٩٧ محاولة افساد المرأة المسلمة
٩٨ ٤ - افساد أخلاق المسلمين
١٠٠ دور " زويمر " زعيم المبشرين فى إشاعة الفساد
١٠٢ ٥ - احتواء حكام المسلمين بالإنفاق حولهم
١٠٢ التبشير السياسى للقادة
١٠٣ ٦ - اصطناع العداوة بين النصرانية والإسلام
١٠٥ ٧ - محاولة الإستيلاء على بيت المقدس
١٠٦ وسائل التبشير
١٠٧ ١ - من أهم وسائل التبشير التعليم

١٠٧	١ - البطاريك " كيرلس الرابع " بابا الإسكندرية والمدارس التبشيرية
١٠٨	دوره في بناء المدارس
١٠٩	ب - البطاريك الانطاكي كيرلس الثامن " ودوره في نشر التعليم المسيحي
١١٠	نشأة المدرسة البطريكية لطائفة الروم الكاثوليك في مصر
١١١	مفهوم التعليم التبشيري
١١٢	التعليم التبشيري في خدمة الغرب
١١٤	مدارس البنات
١١٦	الكليات والجامعات
١١٨	القصد من إنشاء الجامعة الأمريكية
١١٩	مؤسسات أخرى بالقاهرة
١٢٠	٢ - المستشفيات والمستوصفات الخاضعة للإرساليات مسألة إرساليات التبشير الطبيه
١٢١	دور المستشفى والمستوصف
١٢٣	مقارنة بين مستشفى قصر العيني ومستشفى هرمل ...
١٢٤	خطورة الطبيب المبشر
١٢٥	٣ - وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة
١٢٥	أ - استخدام التبشير للصحافة
١٢٦	نماذج للصحف المهاجرة والمعادية للإسلام
١٢٨	استغلال معاناة الإعلام الإسلامى
١٢٩	ب - الإذاعة
١٣٠	ج - استخدام دور النشر والطباعة
١٣٢	٤ - المخيمات الكشفية
١٣٣	٥ - الجمعيات التبشيرية " والخيرية " التابعة للتبشير ..
١٣٦	نموذج للجمعيات الخيرية المسيحية في مصر ...

١٤٠	٦- الملاحي
١٤١	أ- جمعية ملجأ الأيتام
١٤١	ب- جمعية ملجأ النظام
١٤٢	ملجأ تراشر بأسسوط
١٤٣	٧- الكتب والمجلات
١٤٧	بعض المجلات المسيحية
١٤٩	٨- المؤتمرات التبشيرية
١٥٠	<u>الفصل الثالث : نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها</u>
١٥١	المؤتمرات التبشيرية ومراحلها
١٥١	المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الأولى
١٥٢	المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الثانية
١٥٣	المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الثالثة
١٥٥	نموذج من المؤتمرات التبشيرية
١٥٥	الصلة الإستعمارية بالحركات التبشيرية
١٥٦	مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م
١٥٧	مكان انعقاد المؤتمر
١٥٧	المباحث التي نوقشت في مؤتمر القاهرة
١٥٨	موجز لفصول الكتاب
١٦٠	محاولة خداع المثقفين
١٦١	مؤتمر أدنبرج
١٦٢	المؤتمر ومحاولة لإحكام القبضة الحديدية
١٦٣	وثيقة من وثائق المؤتمر
١٦٤	المنطقة الإسلامية سد في وجه المسيحية
١٦٦	الغرض من المؤتمر
١٦٧	مؤتمر أدنبرج من واقع مجلة إرساليات التبشير البروتستانتيه
١٦٨	نتائج مؤتمر أدنبرج
١٦٩	مؤتمر لكنو بالهند سنة ١٩١١

١٦٩ برنامج مؤتمر لكونوبالهند
١٧٠ مقتطفات من خطبة زويمر في المؤتمر
١٧٣ خطبة الكنائس بعد مؤتمر القاهرة
١٧٤ الجامعة الإسلامية من وجهة النظر التبشيرية
١٧٥ خلاصة قرارات مؤتمر لكونوبالهند
١٧٦ المؤتمر الافخارستى لسنة ١٩٣١م
١٧٧ مؤتمر لوزان لتنصير العالم عام ١٩٧٤م
١٧٨ مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين
١٧٩ بحوث المؤتمر :
١٨٠ أ- جوانب نظرية
١٨١ ب- دراسات ميدانية
١٨١ ج- الوسائل العملية
١٨٢ د- سلاح الغذاء والصحة
١٨٣ فكرة التقارب الإسلامى المسيحى
١٨٨ - ٣٣٦ الباب الثانى : ركائز التبشير
١٨٩ الفصل الأول : المراكز التبشيرية فى العالم الإسلامى
١٩٠ الكنيسة مركز تبشيرى
١٩١ الفرق بين الكنيسة والمؤسسة
١٩٢ الفرق بين الكنيسة ومراكز الإرساليات
١٩٣ أصل الكنائس
١٩٥ الترتيبات الكنسية
١٩٧ التنظيم الكسبى الداخلى
١٩٨ بين الجامع والكنائس
١٩٨ مجمع نيقية
١٩٨ المجمع السكونى الثانى
١٩٩ مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م

الموضوع :	الصفحة :
مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م	٢٠٠
١ - مذهب الطبيعة الواحدة	٢٠١
٢ - مذهب الطبيعتين	٢٠٢
الكنيسة وباطراً عليها من انشقاق	٢٠٦
الجهاز الكسبي البروتستانتى ١٩٦٠م	٢٠٧
اتحاد الكنائس	٢٠٩
المحفل العام	٢٠٩
المؤتمر العام	٢٠٩
السندودس	٢٠٩
المجمع الأمريكى	٢١٠
المجمع العربى	٢١٠
انقسام الكنيسة البروتستانتية	٢١١
نموذج للمركز التبشيري بإفريقيا	٢١٣
الدراسات الإفريقية	٢١٣
مركز تدريب المبشرين بإفريقيا بـ "كوتسيكا" طره "	٢١٤
مركز تدريب المبشرين بآسيا فى إندونيسيا	٢١٦
محاولة الأقليات المسيحية شد الإنتباه إلى النصرانية ..	٢١٧
الحدث الأول : مايسونه تجلى أم النور	٢١٧
بيان من المقر البابوى بالقاهرة	٢١٨
الحدث المائل :	٢١٩
الحدث الثانى : نبأ العثور على رفات النبى يحيى عليه	
الصلاة والسلام	٢٢٠
الدين ليس مكاناً للعبادة فقط	٢٢١
الكشف حديث العالم	٢٢٢
يحيى عليه الصلاة والسلام	٢٢٤
مقتل يحيى عليه الصلاة والسلام	٢٢٥
مكان رأس يوحنا	٢٢٦

٢٢٧ مكان جسد يوحنا
٢٢٩ أيها رفات يوحنا
٢٣٠ تحقيق اليوم الثاني

الفصل الثاني : الجماعات التبشيرية ودورها في نشر

٢٣٣ المسيحية
٢٣٤ بداية الجماعات التبشيرية
٢٣٥ توغل الجماعات التبشيرية في البلاد الإسلامية
٢٣٦ الآباء البندكتيون
٢٣٦ الآباء الفرنسيسكانيون
٢٣٨ تبشير فرنسيس، في بلاد الإسلام
٢٤٠ تطالع فرنسيس لبيت المقدس
٢٤٠ نشاط الفرنسيسكان العلم بالشرق
٢٤١ انقسام جماعة الفرنسيسكان
٢٤١ الفرير (الإخوة)
٢٤٢ الدومينيكان
٢٤٣ موقف الدومنيكان تجاه القدس
٢٤٤ نشاط الدومينيكان العلم
٢٤٥ الآباء الكبوشيون
٢٤٦ الآباء الكرمليون
٢٤٧ الجزويت
٢٤٩ محاربتهم لبنى جنسهم
٢٥١ الجزويت دولة محاربة
٢٥٢ نشاط الجزويت " اليسوعيين " في الشرق
٢٥٣ تكوين اليسوعيين " الجزويت "
٢٥٥ الآباء البيض
٢٥٥ أمثلة للآباء البيض

٢٥٧	التبشير الفردى
٢٥٨	صورة واقعية لمساندة الإستعمار للمبشرين
٢٥٨	الحركة المرسلية الحديثة
٢٦١	الحركة المسكونية
	<u>الفصل الثالث : البابوية ودورها فى التبشير وحماية</u>
٢٦٢	المبشرين
٢٦٣	البابوية فى القرون الوسطى
٢٦٤	البابوية بعد القرون الوسطى
٢٦٧	البابوية بعد القرن الثامن عشر
٢٦٨	البابوية - رضت ملوك النصارى على تنصير المسلمين ...
٢٦٩	" فرديناندو " و " إيزابيل "
٢٧١	سمى رجال الكنيسة لتعميم دواوين التحقيق
٢٧٢	تدخل البابا " سكوس الرابع "
٢٧٣	" دور البابوية فى رعاية التبشير علميا "
٢٧٤	" دور البابوية فى نقل أسلوب التعليم والجامعات للغرب " .
٢٧٦	موقف الغرب من قضية نقل نظم الجامعات
٢٧٧	السلطان البابوى
٢٧٨	مساندة البابوية للتبشير
٢٨٠	دور مجمع الفاتيكان الأول فى تدعيم سلطة البابوية .
٢٨٢	بين يدي المجمع
٢٨٣	قبيل المجمع الفاتيكاني الثانى
٢٨٥	فما هو المنتهى ؟
٢٨٧	مجمع الفاتيكان الثانى و " مجلس الكنائس العالمى " .
٢٨٨	أغراض " مجلس الكنائس العالمى "
٢٩٠	الوثيقة الخاصة بتبرئة اليهود من دم المسيح
٢٩١	الفصل الخامس باليهود
٢٩٢	نجاة عيسى عليه السلام من الصلب

٢٩٣ وثيقة الصلب لاتدل على تنفيذه
٢٩٤ " بداية وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح "
٢٩٥ البابا يوحنا بولس ودوره التبشيري
٢٩٩ البابا " يوحنا بولس " في آسيا
٣٠١ البابا يريد صنع أساقفة من نفس أوطانهم
٣٠٢ البابا " يوحنا بولس ٢ " وتوحيد الكنائس

الفصل الرابع : سائدة الصهيونية والتعاون اليهودي

٣٠٣ المسيحي ضد المسلمين
٣٠٤ سائدة الحركة التبشيرية حيلة يهودية
٣٠٥ وسيلة الصهيونية للسيطرة على البابوية
٣٠٧ الصهيونية تقوم بدور الصليبية
٣٠٨ البابوية في ركاب الصهيونية والاستعمار
٣١١ موقف اليهود من البابا " بيوس الثاني عشر "
٣١٢ مسرحية المندوف
٣١٤ أيهما أقرب للنصارى المسلمون أو اليهود
٣١٦ التحالف اليهودي المسيحي
٣١٨ صورة من التحالف الإسرائيلي المسيحي
٣١٩ موقف الأزهر إزاء محنة المسلمين في الثلبين
٣١٩ قرارات المجلس الأعلى للأزهر
٣٢٠ الفوائد التي جناها اليهود من التحالف مع المسيحيين
٣٢٢ الفوائد التي جنتها المسيحية الغربية من هذا التحالف
٣٢٣ مكن الضعف في الثالث
٣٢٥ كشف القناع
٣٢٦ الزيارة البابوية لفلسطين
٣٢٨ هل أخطأ البابا " بيوس العاشر " ؟

٣٣٠	البايوية الحديثة تعمل لحساب إسرائيل
٣٣١	" مؤتمر بازل الجديد " صورة حديثة للتخالف ...
٣٣٢	أهم قرارات مؤتمر بازل الجديد ١٩٨٥م
٣٣٣	إسرائيل وتغيير نوعية الصراع
٣٣٥	سلطان المال اليهودي
٣٣٧ - ٤٥٦	الباب الثالث : آثار التبشير في العالم الإسلامي ..
٣٣٨	الفصل الأول : ظهور النزعات الجنسية ، والقومية ...
٣٣٩	١ - النزعات الجنسية
٣٤٠	بوادير الشعوبية
٣٤١	ظهور الشعوبية
٣٤٢	الشعوبية الحديثة
٣٤٣	الشعوبية في مصر
٣٤٥	الشعوبية بلبنان
٣٤٦	الطائفية بلبنان
٣٤٧	الشعوبية في سوريا
٣٤٩	الشعوبية في العراق
٣٥٠	الشعوبية الدخيلة على فلسطين
٣٥٢	الشعوبية في المغرب
٣٥٣	محاولة تجزئة المغرب " البربر والعرب "
٣٥٥	ب - ظهور النزعات القومية
٣٥٥	معنى القومية
٣٥٧	أوروبا والقومية
٣٥٨	عناصر القومية
٣٦٠	المبشرون والدعوة القومية
٣٦١	فكرة القومية عند الأتراك
٣٦٦	بدء الاستتراك وتناميه

٣٦٧	مدلول القومية العربية
٣٦٨	" مدلول كلمة عرب "
٣٧٢	القومية العربية صورة للتفكك
٣٧٣	نتائج الدعوة القومية
٣٧٨	<u>الفصل الثانى : نماذج من آثار التبشير فى بلاد الإسلام</u>
٣٧٩	إندونيسيا
٣٨٠	خطة للمبشرين فى إندونيسيا
٣٨١	أخطار أسلوب تبشيري فى إندونيسيا
٣٨٢	ماليزيا
٣٨٣	الفلبين
٣٨٥	المناطق الإسلامية والغزو التبشيري
٣٨٦	الهند
٣٨٩	إمارات الخليج والخطا التبشيرية
٣٨٩	آثار التبشير فى دول الخليج العربى
٣٨٩	أولا : الكنائس
٣٩٠	ثانيا : المدارس
٣٩١	ثالثا : المستشفيات والبنوك
٣٩٣	تصهيد حول الإسلام فى إفريقيا
٣٩٨	نبذة حول غرب إفريقيا
٣٩٨	١ - موريتانيا
٤٠٠	٢ - صورة للتبشير النصرانى " بنيجيريا "
٤٠٢	محاولة تنصير قبيلة " الكولانيين "
٤٠٣	تقرير لجنة العمل التابعة للمبشرين
٤٠٥	أثر النشاط التبشيري فى غرب إفريقيا
٤٠٧	" إفريقيا الوسطى "
٤٠٧	البعثات الكسبية إلى إفريقيا الوسطى
٤٠٨	الإسلام والمبشرون فى إفريقيا الوسطى

٤٠٩ البعثات التبشيرية تنتشر الفساد
٤١٠ إسلام بوكاسا
٤١١ موقف الاستعمار من إسلام " بوكاسا "
٤١١ آثار التبشير في جنوب إفريقيا
٤١٣ أثر التبشير في شرق إفريقيا
٤١٥ المبشرون وجهودهم - " في شرق إفريقيا "
٤١٨ تقرير للمجلس المركزي لسلبي كينيا
٤٢١ أثيوبيا " الحبشة "
٤٢٤ السودان
٤٢٤ سياسة التبشير في جنوب السودان
٤٢٦ مصر
٤٢٩ نموذج للتبشير في المغرب الإسلامي
٤٣٤ الخلاصة
٤٣٥	الفصل الثالث : تسرب الفكر التبشيري في الثقافة الإسلامية
٤٣٩ الرد على دعاة الحامية
٤٤٠ شبهة اللغة الدينية
٤٤٢ كيف ننهض باللغة الفصحى ؟
٤٤٣ تسرب فكرة السفور والإختلاط
٤٤٦ الرد على " قاسم أمين "
 كلام قاسم عن مزار الحجاب " من الجهة الاجتماعية "
٤٤٨ لا يستحق الرد عليه
٤٤٨ العودة لمجتمع الإسلام
٤٤٩ لمز الصحابة والسلف الصالح
٤٥١ نموذج لطعن السلف
٤٥٢ تسرب فصل الدين عن الدولة
٤٥٥ نتائج فصل الدين عن الحياة
٤٥٧ الخاتمة

الموضوع :	الصفحة :
أولا : مواجهة الفوز التبشيري	٤٥٨
ثانيا : أهم نتائج البحث	٤٦٣
المراجع	٤٦٩
فهرست الرسالة	٥٠٢ - ٥١٦

تمت بحمد الله تعالى